مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٣٧ م

شوال وذو القعدة سنة ١٣٥٥ هـ

دمشق

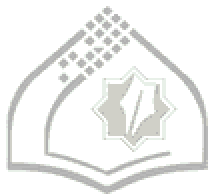
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الأولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة «	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة «	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة «	«	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الوليد بن يزيد

حياته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته ابو العباس وأمه ام الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي بنت اخي الحجاج بن يوسف وفيه يقول أبو نخيلة :

بين أبي العاصي وبين الحجاج   يا لكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

ومن جداته ام حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي عليه السلام ، كان يفتخر بها إذ يقول :

نبيُّ الهدى خالي ومن يكُ خاله   نبيّ الهدى يقهرْ به من يفاخرُ

ولد الوليد بدمشق حوالي سنة تسعين للهجرة ونشأ في قصر ابيه يزيد بن عبد الملك ويزيد هذا من فتيان بني امية وأول خليفة منهم عرف بالشراب ومعاشرة القيان وحب الغناء فشب ابنه الوليد مستهتراً فيما ذكر . وعهد بأمر تأديبه الى يزيد بن ابي مساحق السلمي والى عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني ، وكلاهما اديب شاعر ؛ ولكن عبد الصمد كان معروفا بالشراب يتهم بالمجون ويرمى بالزندقة فتأدب عليهما وتخرج بهما

ولما كانت سنة اثنتين ومائة عهد يزيد بن عبد الملك بولاية العهد الى أخيه هشام ابن عبد الملك ، ثم الى ابنه الوليد بن يزيد ، وكان الوليد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة ، وتزوج في حياة أبيه سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفي سنة خمس ومائة توفي يزيد بن عبد الملك ، وأفضت الخلافة الى هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد ، والوليد يومئذ في عنفوان صباه فعكف على اللذات ولها بالشراب وكلاب الصيد ، وجاهر بالمجون ، واتخذ ندماءه من الظرفاء والخلعاء ، فتغير عليه هشام بعد أن كان مكرماً له ، وأراد أن يقطع أصحابه عنه ، فولاّه الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، وظهر منه تهاون بأمور الدين ، فلما عاد وبلغ ذلك هشاماً ، اغتاظ وقال له : يا وليد ! والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيته غير متحاش ، فكتب اليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا　　نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجةً　　بالسخن أحياناً وبالفاتر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام . وطمع هشام بخلع الوليد وجعل ابنه مسلمة ولياً للعهد وأراد الوليد على ذلك فأبى ، فقال : اجعله بعدك فأبى ، فتنكر له هشام ، وصار يعيبه وينتقصه ويقصر به ، فترك الوليد دمشق وخرج مع ناس من خاصته ومواليه ، فنزل الازرق على ماء يقال له الاغدف بالاردن ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم عند هشام ليكاتبه بما عندهم ، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى ، فشربوا يوماً فلما اخذ فيهم الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ! قل أبياتاً ، فقال :

ألم ترَ للنجم إذ شُيّعا　　يبادر في برجه المرجعا
تحير عن قصد مجراته　　أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه　　وقد لاح إذ لاح لي مطمعا :
لعل الوليد دنا ملكه　　فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه　　كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الامور　　طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وأمره بإخراج عبد الصمد من عنده ، فأخرجه وقال فيه :

لقد قذفوا ابا وهب بأمر　　كبير بل يزيد على الكبير

فأشهدُ أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير

وكتب الوليد الى هشام يعلمه بإخراج عبدالصمد، ويعتذر اليه مما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان من خاصة الوليد، فضرب هشام ابن سهيل وسيره، واخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار اليه، فضربه ضربا مبرحا والبسه المسوح وقيده وحبسه، فغم ذلك الوليد وقال: « من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشئوم قدمه أبي على أهل بيته فصيره وليّ عهده ثم يصنع بي ما ترون، لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به، كتب اليّ ان اخرج عبد الصمد فاخرجته، وكتبت اليه ان ياذن لابن سهيل في الخروج اليّ فضربه وسيره، وقد علم رأيي فيه وعرف مكان عياض مني وانقطاعه اليّ وتحرمه بي وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارّني بذلك، اللهم اجرني منه » وقال في ذلك أبياتا اولها:

انا النذير لمسدي نعمة أبداً الى المقاريف ما لم يخبروا الدخلا

كما انه كتب الى هشام يعاتبه ويقرعه بابيات أولها:

كفرت يدا من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

ولم يزل الوليد مقيماً في تلك البرية حتى مات هشام بالرصافة لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة. فلما كانت صبيحة اليوم الذي جاءه فيه البشير بالخلافة قال لاحد اصحابه: ما أتت عليّ ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة عرضت عليّ هموم وحدثت نفسي فيها بأمور هذا الرجل يعني هشاما، فاركب بنا نتنفس فركبا فسار ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان، فلما قربا نزلا يعدوان حتى دنوا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعل احدهما يكرر عليه السلام بالخلافة، فقال ويحك أمات هشام؟ قال نعم، قال: فممن كتابك؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل.

واظهر الوليد الشماتة بموت هشام وضيق على ولده وعياله وحشمه. قال حكم الوادي المغني: كنا مع الوليد واتاه خبر موت هشام وهنيء بالخلافة واتاه القضيب والخاتم، فامسكنا ساعة ونظرنا اليه بعين الخلافة، فقال غنوني:

طاب يومي ولذ شرب السلافه اذ اتانا نعيٌ من بالرصافه
واتانا البريد ينعي هشاماً واتانا بخاتم للخلافه
فاصطبحنا بخمر عانة صرفا ولهونا بقينة عزافه

وحلف أن لا يبرح من موضعه حتى يغنى في هذا الشعر وشرب عليه ففعلنا ذلك ولم نزل نغني الى الليل ·

وللوليد اشعار اخرى في الشماتة بهشام منها قوله :

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد طبّعا
كلناه بالصاع الذي كاله وما ظلمناه به اصبعا
وما اتينا ذاك عن بدعة احله الفرقان لي اجمعا

وقوله :

هلك الأحول المشو مُ فقد ارسل المطر
ثمت استخلف الوليد م فقد اورق الشجر
فاشكروا الله انّه زائد كل من شكر

وكانت بيعة الوليد يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشر ومائة ، وكان من فواتح اعماله أن اجرى على زَمنى اهل الشام وعميهم وكساهم وامر لكل انسان منهم بخادم واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم وزاد الناس في العطاء عشرات ، ثم زاد اهل الشام بعد العشرات عشرة عشرة وزاد الوفود ، ولم يقل في شيء يسأله لا ، وفي افضاء الخلافة اليه يقول :

ألا ايها الركب المخبّون أبلغوا سلامي سكان البلاد فأسمعوا
وقولوا اتاكم اشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنت لكم انلم تعقني عوائق بأن سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة واعطية مني عليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهرا وتطبع

وعقد في تلك السنة البيعة من بعده لابنيه الحكم وعثمان وجعلهما وليّي عهده وجعل الحكم مقدما ، وازداد تمادياً باللهو واللذة والركوب للصيد وشرب الخمر ومنادمة المجان

وتقريب المغنين ، وقسا على بني عميه ولد هشام وولد الوليد ابني عبد الملك ، وامر بقتل خالد بن عبد الله القسري زعيم اليمانية بالشام ، وجعل يكره المواضع التي فيها الناس فينتقل للصيد مع ندمائه فثقل ذلك على الناس وكرهته اليمانية ، وهم اعظم جند في الشام ، فضلا عن سخط بني عمه فرموه بالزندقة ، وكان اشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجمع على قتله جماعة من قضاعة واليمانية من اهل دمشق خاصة ، واتت اليمانية يزيد ابن الوليد فارادوه على البيعة ، وكان اذ ذاك متبدياً فقبل منهم ، على كره من عقلاء بني مروان كمروان بن محمد والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، فلما اجتمع ليزيد امره اقبل الى دمشق متنكرا فدخلها ليلا ، وقد بايع له اكثر اهل دمشق سرا ، ثم دخل اعوانه فاظهر امره والوليد يومئذ بالأغدف من عمان ، ونادى يزيد بالناس لمقاتلة الوليد ، فلما علم الوليد بذلك قال له بعض اصحابه : سر حتى تنزل حمص فانها حصينة ووجه الجنود الى يزيد فيقتل او يؤسر ، وقال بعضهم ماينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل ان يقاتل ويعذر والله مؤيد أمير المؤمنين وناصره ، فقال له سعيد بن الوليد الكلبي : يا امير المؤمنين تدمر حصينة وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما ارى ان نأتي تدمر واهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا علي ، ولكن دلني على منزل حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : اكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : اكره اسمه ، قال : فهذا البخراء قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ما اقبح اسماء مياهكم ! ثم اقبل في طريق السماوة وترك الريف وهو في مائتين وقال :

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ
اذا ما همُ همّوا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وقال له بيهس بن زميل : أما إذ أبيت أن تمضي الى حمص وتدمر ، فهذا الحصن البخراء فإنه حصين فانزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يراد بك أشد من الطاعون ، فنزل البخراء شرقيّ حمص وعلى أميال من تدمر ، وقال : أخرجوا لي سريراً ، فجلس عليه وأخرج لواء مروان بن الحكم وقال : أعليّ توثب الرجال ، وأنا أثب على الاسد وأتخصر الافاعي ؟ واشتبك أصحابه وأصحاب يزيد ، ثم تفرق أصحاب الوليد عنه بمكيدة ، فثبت وقاتل قتالاً شديداً ، فسمع رجلاً يقول : اقتلوا عدوّ الله ، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وأحاط اعداؤه بالقصر ، فدنا من الباب فقال : أما فيكم

رجل شريف له شرف وحياء أكلمه ؟ فقال له بعضهم : كلني ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة السكسكي ، قال : يا أخا السكاسك ، ألم أزد في أعطياتكم ألم أرفع المؤن عنكم ، ألم أعط فقراءكم ألم أخدم زمناكم ؟ فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ماحرم الله وشرب الخمر واستخفافك بأمر الله ، قال حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت وان في ما أحل لي لسعة عما ذكرت ، فرجع الى الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ ، فعلوا الحائط وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فنزل اليه وسيف الوليد الى جنبه ، فقال له : نح سيفك ، فقال له الوليد : لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة ، فضربه أحدهم على رأسه وآخر على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه من الدار ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه ولم يخرجوه ، واحتز أحدهم رأسه وخاط الضربة التي في وجهه وقدم بالرأس على يزيد ، فأمر أن ينصب على رمح ويطاف به في دمشق . وكان مقتله يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل ست وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر ، ويقال إنه حمل الى دمشق سراً ، ودفن بها ليلاً خارج باب الفراديس ، وحزن أهل حمص عليه حزناً شديداً ، فأغلقوا أبواب حمص وأقاموا النوائح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وكان يوم مقتله في قميص قصب وسراويل وشي ، فقال إياس بن الوليد الفزاري الشاعر ، وكان من أصحابه يرثيه :

نقلب في أثوابه وكأنما ... نقلب منه في الدماء قضيب

ورثاه ابن ميادة .

صفته واخلاقه

الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، كان أبيض مشرباً حمرة ربعة جميلاً ، من أصبح الناس وجهاً وأنبلهم قد وخطه الشيب قال :

انما هــاج لقلبي شجوه بعد المشيب

وكان شديد البطش طويل اصابع الرجلين من اقوى الناس جسما فكان لقوته يوتد له سكة حديد فيها سير ويشد السير في رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة، وهو كثير العناية بترويض جسمه فكان اذا ركب وثب على الدابة وثبا دون ان يمسها بيده، وقد كان يتأنق بملابسه كثيراً من حيث انواعهــا والوانها واصنافها يحب الخز والوشي والقصب والمزركش، ويميل الى الالوان المشرقة كالاحمر والاصفر ويضع على رأسه قلنسية وشي مذهبة ويعتم بالخز ويلبس حلل الوشي والغلائل الموردة والمطارف والقباء والدراعة والسراويل والازر والاردية والريطات ويتقلد سيفا ويغير ثيابه في اليوم الواحد مرارا، وكان يتطيب ويتزين بالجوهر ويغالي به فيتختم بالياقوت ويحمل بيده عقداً من الجوهر ويلبس عقودا منها ويغيرها في اليوم مرارا كما يغير ثيابه .

قال حماد الراوية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئا . وقال عطرد المغني : رأيت الوليد وعليه حلة وشي كانت تلتمع بالذهب التماعا . وقال أبو كامل مولى الوليد : برز الينا الوليد وعليه غلالة موردة . وقال حكم الوادي المغني : رأيت الوليد وعليه دراعة وشي وبيــده عقد جوهر . وقال عبد الصمد الهاشمي : انما اغلى الجوهر بنو امية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مرارا كما نغير الثياب . وكان يجمعه من كل وجه ويغالي به . وقالـــ عمر الوادي المغني : رأيت الوليد بن يزيد وفي يده خاتم ياقوت احمر قد كاد البيت يلتمع من شعاعه . وذكر خمار في الحيرة انه رأى الوليد متلثما بعمامة خز . ووصف الطبري الوليد حين خرج يقاتل اصحاب يزيد بن الوليد فقال : خرج على برذون كميت عليه قباء خز وعمامة خز محتزمة بريطة دقيقة قد طواها وعلى كتفيه ريطة صفراء فوق السيف . وروى ابن عساكر عمن دخل على الوليد يوم مقتله انه قال : دخلت القصر فاذا الوليد قائم في قميص قصب وسراويل وشي : وكان الوليد معجبا بنفسه مدلاً بجماله مزهواً بشبابه يتغزل بنفسه كما يتغزل بالفتيات الحسان ويصف حبّهن له وتهافتهن عليه، قال :

قامت اليّ بتقبيــل تعــانقني ريّا العظام كأن المسك في فيها

ادخل فديتك لا يشعر بنا احد نفسي لنفسك من داء نفديها
بتنا كذلك لا نوم على سرر من شدة الوجد تدنيني وادنيها
حتى اذا ما بدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا احد والله عني بحسن الفعل يجزيها

وقال على لسان سلمى بنت سعيد اخت زوجه :

إقر مني على الوليد سلاما عدد النجم قلْ ذا للوليد
حسدا ما حسدت اختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

وقال :

في فتية من بني امية اهل المجد والمأثورات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل ابي

وكان منذ حداثته ميالا للهو والصيد يحب الخيل ويرتبط الكلاب، كما كان يحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الادباء والخلعاء والمجان وسماع الغناء ومجاراة اهواء النفس كمعاقرة الخمر ومعاشرة الحسان ومغازلتهن والتشبيب بهن، وهو الذي يقول :

اشهد الله والملائكة الابـ رار والعابدين اهل الصلاح
انني اشتهي السماع وشرب الـ كأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى عليّ بالاقداح

واخبار غرامه وتهتكه وهو ولي للعهد طريفة . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير: كان الوليد بن يزيد نظر الى جارية نصرانية من اهيأ النساء يقال لها سفرى، فجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيداً للنصارى قد قرب وانها ستخرج فيه مع النساء الى بستان حسن، فصانع الوليد صاحب البستان ان يدخله لينظر اليها فتابعه وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ودخلت سفرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت اليه فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها ، فقال لها صاحب البستان : ويلك اتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت لا ، فقال لها : هو الوليد بن يزيد، وانما تقشف حتى ينظر اليك ، فجنت إليه بعد ذلك ، وكانت عليه احرص منه عليها ، وقال الوليد في ذلك :

اضحى فؤادك يا وليدُ عميدا صبّاً كلِفاً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت ارمقها بعيني وامق حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه وأكونَ في لهب الجحيم وَقودا

فلما ظهر امره وعلم الناس قال :

ألا حبذا سفري وان قيل انني كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليّ ان نظل نهارنا الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

واحب الوليد سلمي بنت سعيد فكانت تحتجب منه . قال صاحب الاغاني : خرج الوليد لعله يراها فلقيه زيّات مع حمار عليه زيت ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكرا حتى دخل قصر سعيد فنادى من يشتري الزيت ؟ فاطّلع بعض الجواري فرأينه فدخلن الى سلمي وقلن : إن بالباب زياتا اشبه الناس بالوليد فاخرجي وانظري اليه فخرجت فرأته ورآها فرجعت القهقرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ، وقد رآني فقلن له : لا حاجة بنا الى زيتك فانصرف وقال :

انني أبصرت شيخا حسن الوجه مليح
ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بَيعا خاسرا غير ربيح

وقال ايضاً :

فما مسك يُعَل بزنجبيل ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من مجاجة ريق سلمى ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي وثاق الباب دوني واطراحي

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق الى الحيرة لانه بلغه خبر خمّار لَبِق نظيف جيد الخمر هناك ، قال ابن عساكر : حدث خمار كان بالحيرة قال : فتحت يوماً

حانوتي فاذا فوارس ثلاثة متلثمون بعمائم خز قد اقبلوا من طريق السماوة ، وكنت موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الاواني ، فقال لي أحدهم اسقني رطلا ، فقمت فغسلت يدي ، ثم نقرت الدنان فنظرت الى اصفاها فبزلته واخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم اخذت منديلاً جديداً فسقيته ، فشرب وقال : اسقني رطلا آخر فسقيته في غير ذلك القدح ، واعطيته غير ذلك المنديل فشرب . وقال : بارك الله عليك فما اطيب شرابك وانظفك ! ما كان رأيي أن أشرب أكثر ، فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي الى شرب آخر فهاته ، فناولته اياه على تلك السبيل ، وولى راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال اعذرنا ورمى الي أحد الرجلين اللذين كانا معه بصرة فيها دنانير ، وإذا هو الوليد بن يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف . وقد أنكر الاتقياء على الوليد منذ كان ولياً للعهد هذه الاعمال ، منهم الزهري وهو من العلماء الورعين دخل على هشام بن عبدالملك وقدح بالوليد وعابه وقال له : يا أمير المؤمنين مايحل لك الا خلعه فانفرجت الحال بينه وبين الوليد حتى برح الوليد دمشق مع خواصه الى الازرق ، وجعل في تلك البرية روضة انس يقصدها الظرفاء والشعراء والادباء والمغنون من الشام والحجاز والعراق فضلا عن الاضياف والعفاة ، قال ابن جرير الطبري : كان الوليد وهو ولي عهد يُطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة ايام ويَعلف دوابهم وظل على تلك الحال الى أن توفي هشام وبويع بالخلافة فكان شعاره قوله :

كلاني توجاني وبشعري غنياني
انما الكأس ربيع يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

وجعل قصره جنة فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين استدعى اليه من جميع الاقطار القيان والمغنين والشعراء ورواة الشعر والادباء والظرفاء والخلعاء والمجان ، ذكر ابن جرير الطبري ان الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيار عامل خراسان بأمره أن يتخذ له برابط وطنابير واباريق ذهب وفضة ، وان يجمع له كل صناجة بخراسان يقدر عليها وكل بازي وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه ، فلم يدع نصر بخراسان

جارية ولا عبداً ولا برذونا فارهاً الا اعده ، واشترى الف مملوك واعطاهم السلاح وحملهم على الخيل وأعد خمس مابة وصيفة واس بصنعة اباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرّح الهدايا حتى بلغ اوائلها بيهق ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

ابشرْ يا أمين الله ابشر بتباشير
بإبل يُحمل المالُ عليها كلانا بير
بغال تحمل الخمر حقائبها طنابير
ودلّ البربريات بصوت البمّ والزير
وقرع الدُف احيانا ونفخ بالمزامير
فهذا لك في الدنيا وفي الجنة تحبير

قال صاحب الاغاني : لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد ، وحمل المغنين من المدينة وغيرها اليه ، وارسل الى اشعب فجاء به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب وقال : ارقص وغنّني شعراً يعجبني ، فان فعلت فلك الف درهم ، فغناه فأعجبه فأعطاه الف درهم ٠

واجتمع عنده من المغنين معبد وابن عائشة وابن سريج والغريض ومالك بن ابي السمح وعمر الوادي وحكم الوادي وابو كامل وخالد صامة والهذلي ويونس الكاتب واسماعيل بن الهربذ وعطرد والابجر ودحمان وغيرهم ٠

ومن الشعراء طريح بن اسماعيل الثقفي وابن ميادة والحسين بن مطير الاسدي واسماعيل بن يسار ويزيد بن ضبة وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ومروان بن ابي حفصة والقاسم بن الطويل العبادي وغيرهم ٠

واستدعى من الندماء المجان شراعة بن الزندبوذ ومطيع بن اياس الكناني وحماد عجرد والمطيعي المغني ٠ قال صاحب الاغاني : بعث الوليد بن يزيد الى شراعة بن الزندبوذ ، فلما قدم عليه قال : ياشراعة اني لم استحضرك لاسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا لتحدثني ولا لتقرئني القرآن ، قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حمارا ، فقال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : ابن بجدتها وعلى الخبير بها سقطت ، فسل عما

شئت ، قال : فكيف علمك بالاشربة ؟ قال ليسألني أمير المؤمنين عما أحب ، قال فما قولك في الماء ؟ قال هو الحياة ويشركني فيه الحمار ، قال : فاللبن ، قال ما رأيته قط الا ذكرت أمي فاستحييت ، قال : فالخمر ، قال : تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة ، قال : لله درك ! فأي شيء أحسن ما يشرب عليه ، قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه الماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئًا .

وقال لمطيع بن اياس : اي الاشياء اطيب عندك ؟ قال صهباء صافية تمزجها غانية بماء غادية ، قال : صدقت . واستدعى أيضًا حماد الراوية ليروي له شعر العرب . هـذه المجموعة النادرة من ذوي الأدب والفن والمواهب كانت تعمر مجالسه وفيهم يقول :

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقيتهـا معبداً وكل فتى فاضل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائـلي
فمـا لامني فيهم سوى حاسد جاهل

اضف الى هؤلاء باقة من محسنات القيان وحسان الوصائف تنفث السحر في أرجاء تلك المجالس . قال حماد الرواية : دعاني الوليد يومًا من الايام في السحر ، والقمر طالع ، وعنده جماعة من ندمائه ، وقد اصطبح ، فقال : أنشدني النسيب فانشدته أشعاراً كثيرة فلم يهش لشيء منها حتى انشدته قول عدي بن زيد :

أصبح القوم قهوةً في الأباريق تحتذى
من كميت مدامـة حبذا تلك حبذا !

فطرب ثم رفع رأسه الى خادم ، وكان قائما كأنه الشمس ، فأومأ اليه فكشف سترا خلف ظهره فطلع منه أربعون وصيفًا ووصيفة كأنهم اللؤلؤ المنثور في ايديهم الاباريق والمناديل ، فقال اسقوهم فمابقي احد الا سقي ، وأنا في خلال ذلك أنشد الشعر ، فمازال يشرب ويسقي الى طلوع الفجر ، ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا الفراشون في البسط فالقونا في دار الضيافة فما أفقنا حتى طلعت الشمس . وقال صاحب الاغاني أيضًا : اشتاق الوليد بن يزيد الى معبد فوجه اليه الى المدينة فأحضر ، وبلغ الوليد قدومه

فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى سترا مرخى ومجلس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له حياك الله يا معبد ، أتدري لم وجهت اليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فاحببت أن أسمع منك ، قال معبد : أغني ماحضر ام ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال بل غني :

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ، ثم خرج الوليد فالقى نفسه في البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الاولى ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غني يا معبد :

يا ربع مالك لا تجيب متيما قد عاج نحوك زائراً ومسلما
جادتك كل سحابة هطالة حتى ترى عن زهره متبسما
لو كنت تدري من دعاك اجبته وبكيت من حرق عليه اذاً دما

فغناه ، وأقبل الجواري يرفعن الستر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير تلك ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له غني :

عجبت لما رأتني اندب الربع المحيلا
واقفا في الدار ابكي لا أرى الا الطلولا
كيف تبكي لاناس لا يملون الذميلا
كلما قلت : اطمأنت دارهم ، قالوا : الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ، ثم خرج فردوا عليه ثيابه ثم شرب وسقى معبداً ثم أقبل عليه الوليد فقال : يامعبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فليكتم اسرارهم . وقد يغلب عليه المجون فيسري باصحابه الى حيث يطيب لهم التصابي والغناء والخمر قال :

حبذا ليلتي بدير بونا حيث نسقى شرابنا ونغنى
كيف مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفة الله فطرو س مجونا والمستشار يُجنا

وكثيراً ما ترك دمشق الى اطراف البادية ونقل معه تلك المجموعة الفنية ، فكانت في البادية مدينة فن وجمال وسحر وشعر ، وهو يلهو ويصطاد ويعقد مجالس الانس والشراب والغناء قال :

ولقد قضيت وإن تجالل لمتي شيب على رغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدُّمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شم الانوف جحاجح سادات
ان يطلبوا بتراتهم يعطوا بها أو يطلبوا الأبدر كوابترات

وقال :

أصبح اليومَ وليد هائما بالفتيات
عنده راح وابر يق وكاس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماةً لرماة

قال حماد الراوية يصف مجلسا من مجالسه في اطراف البادية : انتهيت الى الوليد وهو بالبخراء ، فاستأذنت عليه فاذن لي ، فاذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان اصفران ازار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، واذا عنده معبد ومالك بن ابي السمح وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ثم قال لي انشدني :

امن المنون وريبها تتوجع

فانشدته حتى انيت على آخرها ، فقال لساقيه : يا سبرة اسقه ، فسقاني ثلاثة اكؤس خثرن ما بين الذؤابة والنعل ، ثم قال يا مالك غني :

الا هل هاجك الاظعا ن اذ جاوزن مُطَّلَحا

ففعل ثم قال له غني :

جلا أمية عني كل مظلمة سهلَ الحجاب وأوفى بالذي وعدا

ففعل ثم قال له غنني :

اتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام

ففعل ، ثم قال له يا سبرة أو يا أبا سبرة اسقني ... فأتاه بقدح معوج فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين للرجل الذي طلبت بالباب ، قال أدخله ، فدخل شاب لم أر شابا أحسن وجهاً منه في رجله بعض الفدع فقال ياسبرة اسقه فسقاه كأسا ، ثم قال له غنني :

وهي اذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لعب

فغناه فنبذ اليه الثوبين ، ثم قال له غنني :

طاف الخيال فمرحبا الفاً برؤية زينبا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، انا مقبلون عليك بأقدرنا واسناننا ، وانت تركتنا بمزجر الكلاب وأقبلت على هذا الصبي ، فقال والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال حماد الراوية فسألت عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة . وأفرط الوليد في الخلاعة والمجون والشراب حتى بولغ عنه في ذلك ، فروي أنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا غناه المغنون وشاعت به نشوة الكأس والطرب التى نفسه في البركة ، وكان معه من المغنين يوم قتل ابن عائشة ومالك بن أبي السمح .

ادبه وثقافته

لا نعرف من مؤدبي الوليد غير عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ويزيد بن ابي مساحق السلمي وكلاهما أديب شاعر ، ولكن الاول يتهم بالخلاعة والمجون ويرمى بالزندقة ويقال إنه هو الذي أغرى الوليد بالتهتك والمجون ، أما الثاني فقد كان متصونا بعيداً عما يرمى به عبد الصمد ولكنه لم يحظ عند الوليد كما حظي عبد الصمد الذي كان يرى فيه الوليد مؤدبًا ونديما .

يظهر في شعر الوليد أثر من الثقافة الاسلامية كذكر القرآن وبعض الاحكام الشرعية كالحلال والحرام والبدعة ، قال يذكر القرآن في ارجوزة جعلها خطبة في

احدى الجمع ، وفيها مواعظ ونصائح كثيرة :

ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول

وقال من أبيات :

وما أتينا ذاك عن بدعة أحله الفرقان لي أجمعا

وقد روى الوليد الحديث ، ولكن يظهر أن الناس تركوا الرواية عنه لخلاعته وتهتكه . قال ابن عساكر في التاريخ الكبير : « وممن يحدث من بني أمية الوليد بن يزيد ، ولم تقع له إلينا رواية » .

و كان معدوداً من الخطباء الفصحاء ، يخطب الناس في الجامع الأموي في الجمع والعيدين . قال الهيثم بن عمران : لما بويع الوليد سمعته على المنبر بدمشق يقول :

ضمنتُ لكم إن لم ترعني منيتي بأن سماء الضر عنكم ستقلعُ

وقال صاحب الأغاني : قيل للوليد : إن اليوم الجمعة ، فقال : والله لأخطبنهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر ، فخطب فقال :

الحمد لله ولي الحمد أحمدُه في يسرنا والجهد

وأتمّ الأرجوزة .

وحفظ من كلامه قوله لهشام يوم توفي مسلمة بن عبد الملك : « يا أمير المؤمنين ! إن عقبى من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختلّ الثغر فوهى ، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى » . ومن كلامه الفصيح قوله : « إن النعمة إذا طالت بالعبد ممدّة أبطرته فأساء حمل الكرامة ، واستقل العافية ، ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته ، فإذا نزلت به الغير ، وانكشفت عنه عماية الغيّ والسلطان ، ذلّ منقاداً ، وندم حسيراً ، وتمكن منه عدوه قادراً عليه قاهراً له » .

وقوله : « يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وينوب عن الخمر ، ويفعل فعل السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء رقية الزنا ؛ أقول ذلك فيه على أنه أحب إليّ من كل لذّة ، وأشهى إلي من الماء الى ذي غلة ، ولكن الحق أحق أن يقال » .

وقيل له لما غلبت عليه لذاته : يا أمير المؤمنين ! إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، فقال : « ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وألزمناه من مفروض ذمامها ، أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؟ وإنما لنا ما نحن فيه بسط لنا في النعمة ، ومكن لنا في المكرمة ، وأزكى لنا في الأمة ، ومد لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنتُ أنا المزيل لنعمتي بما لا ينال الرعية ضرره ، ولا يؤذيها ثقله . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام » .

لم يكن الوليد محدثاً ولا فقيهاً ولا إخبارياً ، ولكنه كان شاعراً أديباً ظريفاً ، وفصيحاً حاضر الجواب ، كما كان مشغوفاً بالغناء ، عارفاً به وبآلاته . قال صاحب الأغاني : وممن غنى من الخلفاء الوليد بن يزيد ، وله أصوات صنعها مشهورة ، وقد كان يضرب بالعود ، ويوقع بالطبل ، ويمشي بالدف ، على مذهب أهل الحجاز .

قال خالد صامة المغني : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه :

« أراني الله يا سلمى حياتي »

وهو يشرب حتى سكر ، ثم قال لي : هاتِ العود ، فدفعته إليه ، فغناه أحسن غناء ، فنفست عليه إحسانه ، ودعوت بطبل ، فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل ، فجعل يوقع به أحسن إيقاع ، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبهر ، فقلتُ : يا سيدي ! كيف أرى أنك تأخذ عنا ، ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنك ؟ فقال : اسكت ويلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قتل .

وقال صاحب الأغاني : لما قدم الوليد بن يزيد مكة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، فقيل له : يحيى مولى العبلات المعروف بقيل ، فدعاه وقال له : امشِ لي بالدف ففعل ، ثم قال له : هاته حتى أمشي به فإن أخطأت فقوِّمني ، فمشى به أحسن من مشية قيل ، فقال له : جعلت فداك ! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك .

ومن مشهور صنعته في شعره قوله :

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلان
تريك القذاة وعرض الإنا ء ستر لها دون لمس البنان

وقال عمر الوادي : دخلت على الوليد وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب ، فقال لي : اشرب ! فشربتُ ، وطرب وغني صوتاً واحداً ، وأخذ دفافةً فدفف بها فأخذ كل واحد منا دفافةً يدفف بها .

وبلغ من حب الوليد للأدب والأدباء والرواة أن استدعاهم من كل طرف ، وأغدق عليهم العطايا كحماد الراوية وحماد عجرد . قال حماد الراوية استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدمتُ عليه ، فلما دخلت داره ، قال لي الخدم : أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلمت بالخلافة ، فقال لي : يا حماد ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : « ثم ثاروا » ، فلم أدر ما يعني ، قال : ويحك يا حماد ! « ثم ثاروا » ، فقلت في نفسي : راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل ، ثم انتبهت ، فقلت :

ثم ثاروا الى الصبوح فقامت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفى سلافها الراووق
ثم فضّ الختام عن صاحب الدن وقامت لدى اليهودي سوق
فسباها منه أشم عزيز أريحي غذاه عيش رفيق

الشعر لعدي زيد . قال : فإذا جارية قد أخرجت كفاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح ، فقال : رديه ، فما أنصفاه ، تغدينا ولم نغده ، وحضر أبو كامل مولاه فغناه :

أدر الكأس يميناً لا تدرها ليسار

فطرب ، وبرز إلينا وعليه غلالة موردة ، وشرب حتى سكر ، فأقمت عنده مدة ، ثم أذن بالانصراف ، وكتب لي الى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

وكان يستدعي المنجمين أيضاً ، قال حماد الراوية كنت عند الوليد يوما فدخل عليه رجلان كانا منجمين فقالا نظرنا فيما أمرتنا به فوجدناك تملك سبع سنين مؤيدا منصورا يستقيم لك الناس ويجبي لك الخراج . فاغتنمتها وأردت ان أخدعه كما خدعاه

فقلت يا أمير المؤمنين كذبا نحن اعلم بالرواية والاثار وضروب العلوم منهما وقد نظرنا في هذا ونظر الناس فيه قديما فوجدناك تملك أربعين سنة في الحال التي وصفا فأطرق الوليد ثم رفع رأسه الي فقال لا ما قال هذان يكسرني ولا ما قلت يغرني والله لاجبين هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ولأصرفنه في حقه صرف من يموت في غد ٠

وكان الوليد مع شعره وأدبه وفصاحته ذكي القلب حاضر الجواب قال له يوماً العباس بن الوليد بن عبد الملك في مجلس هشام كيف حبك يا وليد للروميات فان أباك كان بهن مشغوفا قال اني لاحبهن وكيف لا احبهن ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس روميه ٠

مجونه وخلاعته ورميه بالزندقة

الوليد ماجن خليع متهتك وقد مضى في فصل اخلاقه وصفته ذكر لهوه وعبثه ٠ ولكن اخبار مجونه مبالغ فيها لان للسياسة يدا في تعظيمها وذلك أن خصومه الذين ثاروا عليه وخلعوه وقتلوه نسبوا اليه كل نقيصة ونحلوه من الشعر ما هو غاية في الفجور والتعهر وسقوط المروءة والالحاد مما لا يمكن أن يصدر عن فتى نبيل وخليفة ابن خلفاء ، على أنه مهما تثبت الانسان في أخبار مجون الوليد وشك في بعضها فانه لا يستطيع أن ينفي عنه اللهو والخلاعة والتهتك فقد استقدم المجان والخلعاء حين ولي الخلافة من جميع الأطراف كأشعب وحماد عجرد ومطيع بن إياس والمطيعي وكان يفرط في الخمر حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فاذا طرب رمى بنفسه بها وقد غاظت هذه الاعمال مؤدبه يزيد بن أبي مساحق السلمي فبعث اليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب اليه الوليد :

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوة أبذل فيهـا طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها هائما في كل واد
ان في ذاك صلاحي ونلاحي ورشادي

ورموه بالالحاد وأتهموه بالزندقة ونحلوه ابياتا في ذلك لا تجمل روايتها وقال بعضهم بل كان مانويا وزعم أنه رأى تمثال ماني عنده الى غير ذلك من التهم التي تبرر خلع خليفة وقتله وقد نفي عنه بعضهم كل ذلك . وهناك حادثتان يمكن أن يستأنس بهما الباحث في بعد الوليد عن الالحاد والزندقة أولاهما أن اسم احد ابناء الوليد مؤمن والوالد عادة لا يدعو ابنه الا باحب الاسماء اليه فكيف يسمي الملحد أو الزنديق ابنه مؤمنا . والثانية هي أن الوليد على كرهه لهشام وأعمال هشام كان يصوبه في نفي القدرية ، والقدرية من الفرق الاسلامية التي نجمت في أيام بني أمية فاذا كان الوليد يتحرج من وجود القدرية في دمشق فكيف يرضي لنفسه أن يكون زنديقا . قال الطبري قال عمرو بن شراحيل سيرنا هشام بن عبد الملك الى دهلك فلم نزل بها حتى مات هشام واستخلف الوليد فكلم فينا فابى وقال والله ماعمل هشام عملا ارجى له عندي أن تناله المغفرة من قتله القدرية وتسييره إيام .

شعره

ابرز صفة في الوليد الشعر فهو في شعره اعظم منه في خلافته ولو لم يكن شاعرا لما استحق تلك العناية من الادباء والمؤرخين لأنه لم يكن بالخليفة العظيم ولا اشتهر بشيء مما اشتهر به اسلافه الخلفاء كدهاء معاوية وحزم عبد الملك وعدل عمر بن عبد العزيز فالشعر وحده هو الذي احيا ذكره بالرغم من ضياع أكثره وتشتيت ما بقي منه موزعا في كتب الادب . وتلك البقية من شعره يسيرة لا تتجاوز ثلاثين صفحة ومعانيها شخصية تترجم عن نفس الوليد في عبثها ولهوها وتبذلها وزهوها وغضبها وحزنها ويمكن اجمالها بالغزل ووصف الخمر والعتاب والفخر والرثاء والهجاء ونظم بعض الحوادث كعقد البيعة لولديه وخطبة الجمعة .

ومهما تبذل الوليد في بعض معانيه وغلبه المجون فان سمة النبل تلوح على شعره من حيث يريد ولا يريد كقوله :

كللاني توجاني وبشعري غنياني

وكقوله :

في فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهم مثلي ولا منتم لمثل أبي

قال المأمون لجلسائه أنشدوني بيتا لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله أنه شعر ملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل أعرابية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية . ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد :

اسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك ومثل قوله :

لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال ليبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه .

كان الوليد شاعراً مطبوعاً يحب الرقة والهلهلة حتى نفضيا به في أكثر شعره الى اللين ، وذلك لأنه نشأ في نعيم الحاضرة وقصور الخلافة ، ولأنه مطبوع لا يتكلف ولا يبالي ما يقول ، ولانه غزل ماجن ، يتكلم بلسان الخلعاء ، ويصور دلال النساء . واللين في الشعر درجة بين السهل العذب الرقيق ، والسفساف المبتذل الركيك ، عرف به بعض شعراء الحواضر في الجاهلية والإسلام ، مثل عدي بن زيد العبادي من أهل الحيرة في الجاهلية ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي من أهل الطائف وهو جاهلي أدرك الإسلام . أما الشعراء الإسلاميون الذين يلوح على شعرهم أثر اللين فأشهرهم : عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، والعرجي ، وابن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد ،

وكلهم قرشيون حضريون غزلون . ولقائل ان يقول : ما بال اللين يكون في شعر الحضريين في الجاهلية والعصر الاموي ، ولا يطرد هذا القياس في الشعراء المولدين الذين هم أعرق في الحضارة ؟ والجواب على ذلك : أن المولدين اتقوا اللين بالدرس والرواية ، وأخذ النفس باصطناع الجزالة ؛ أما أولئك فقد كانوا يرسلون أنفسهم على سجيتها .

وهكذا ، فأكثر شعر الوليد لين كقوله :

شاع شعري في سليمى واشتهر ورواه الناس بادٍ وحضر
وتهادته العذارى بينها وتغنين به حتى اشتهر
لو رأينا لسليمى أثراً لسجدنا ألف ألف للاثر
واتخذناها إماماً مرتضى ولكانت حجنا والمعتمر

وقد يبلغ به اللين الى التبذل والركاكة كقوله :

خبروني أن سلمى خرجت يوم المصلى
فإذا طير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى قال ها ثم تعلى
قلت ياطير أدنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى قال لا ! ثم تولى
فنكا في القلب كلماً باطناً ثم تعلى

وهو كما يحب قرض هذا النوع من الشعر يحب أن يسمع من شعر الشعراء ما كان مثله . قال حماد الراوية : دخلت يوماً على الوليد ، فاستنشدني فأنشدته كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام ، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف ، فأنشدته لعمار ذي كناز :

حبذا انت يا سلا مة الفين حبذا
ثم ألفين مضعفين وألفين هكذا
في صميم الأحشاء مني وفي القلب قد حذا
حذوةً من صبابة تركته مفلذا

أشتهي منك منك مـ ـلك مكانًا بجنب ذا

فضحك حتى استلقى ، وطرب وصفق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فشرب وجعل يستعيدني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة .

وكان يستحسن شعر عَديّ بن زيد وعمر بن أبي ربيعة كثيراً قال حماد الراوية استنشدَني الوليد بن يزيد فأنشدته نحواً من ألف قصيدة فما استعادني الا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلي وتعناني الطرب واعتراني طولُ هم ووصب

كما كان يطرب للسهل الحضري الرقيق من شعر بشار بن برد ؛ فقد روي أنه لما أنشد قول بشار :

أيها الساقيان صُبا شرابي واسقياني من ربق بيضاء رود

إن دائي الظما وإن دوائي شربة من رضاب ثغر برود

طرب وقال من لي بمزاج كأسي هذه من ربق سلمى فيروى ظمئي وتطفأ غلتي ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه وقال إنْ فاتنا ذاك فهذا .

كل ذلك يدل على مذهبه وطبعه في السهولة واللين . على أن له من الجزل ماينبئك على أنه قادر عليه لو حاوله ولكن حين يجد أو يغضب ، ففخره وعتابه جزل رصين يحاكي شعر الفحول كقوله يعاتب هشامًا :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي

وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلوالناس والأحوال بعدي

فتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله يفتخر على هشام :

أنا الوليد أبو العباس قد علمت عليا معد مدى كري وإقدامي

إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي

بنى ليَ المجدَ بانٍ لم يكن وكلا على منار مضيئاتٍ وأعلام

حللت من جوهر الأعياص قد علموا في باذخٍ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامي النجم مطلعه يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

وكقوله حين ثار الناس :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هناتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

وشعره بجملته مقطعات وأبيات ولا تكاد تجد له قصيدة طويلة .

غزله

ظهر في العصر الأموي طائفةٌ من الشعراء جعلوا الغزل فنهم ؛ أو عنوا به أكثر من بقية فنون الشعر كجميل بن معمر العذري وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وقيس ابن ذريح وعمر بن أبي ربيعة والأحوص بن محمد والعرجي وابن قيس الرقيات ، منهم من كان غزله بريئاً عفيفاً ومنهم من غلب عليه اللهو والعبث والتهتك ؛ أما غزل الوليد فقد كان من غزل المجان الخلعاء الذين ظهروا في أواخر عصر بني أمية كمطيع بن إياس وعمار ذي كناز ووالبة بن الحباب ، وغزل هؤلاء يفترق عن غزل من تقدمهم بذكر الخمر والحانات وباعتبار الحب شراهة نفسانية وبتصوير مواقف الغرام تصويراً أهوأ أقرب إلى الفجور والتهتك، فهو بالمجون أشبه منه بالغزل . وغزل الوليد من هـذا النوع منه الرقيق ومنه اللين ومنه السفساف ويندر فيه الجزل ولكنه في كل أنواعه صورةٌ صادقة عن نفس الوليد الماجنة الشرهة الوثابة لا يتصنع ولا يتكلف ولا يبالي بل يرسله كما يجيش به صدره وهو قليل الصنعة واضح المعاني يلتبس بالنثر لولا الوزن والقافية .

ولعل الوليد لم يُخلص في حبه إلا لسلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فلقد لمحها في بيت أبيها وهو شاب فأحبها حباً شديداً بل جنَّ بها جنوناً وطلبها فلم تجبه فبقي يلوب عليها أكثر من عشرين سنة يحتال لينظر اليها خلسةً كأن يجعل نفسه زياتاً ويقف على بابها وينادي على الزيت لعله ينعم منها بنظرة . ولقد قال فيها كثيراً من الغزل وغزله فيها مجموعة تريك نفس المحب في شتى أطوارها فتارة يناشدها الحب والقرابة كقوله :

يا سليمى يا سليمى كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنة عمي برد الليل وطابا

أيا واش وشي بي فاملئي فاه ترابا
ربقهافي الصبح مسك باشر العذب الرضايا

واخرى يستلين قلبها بما يلاقيه من الوجد والهيام :

أراني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراك
ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ـ ولا تموتي ـ ولو أنسي له أجل بكاك
ومن حقاً لو اعطي ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
اثيبي عاشقاً كلفاً معنى إذا خدرت له رجل دعاك

وطوراً يستعذب ما يلاقيه في حبها من المشاق :

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وقد أسهرت عيني عيناها
فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

وطوراً يضيق بتمنعها ذرعاً فيسب أباها :

وقالت عند هجوتنا أباها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخي وعندك خلة تبغي هواها
فإن رضيت فذاك وإن تمادت فهيها خطة بلغت مداها

ثم يستغفرها ويتوب اليها ٠

غضبت سلمى علينا سفاها أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب ياقوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وأحياناً يلاغيها كما تلاغي الام طفلها :

سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت

ولا شك في أن حبه لسلمى رقق من عواطفه وأصلح من غزله ما ألح عليه المجون ونفخ فيه روح المحبين ورقتهم ، قال صاحب الأغاني : خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالاً فأتي به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ثم أنشأ يقول :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فإذا شبهك ما ننكره حين أزجي طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
أنت يا ظبي طليق آمن فاغد في الغزلان مسروراً ورح

ولقد ظلت سلمى هذه ممتنعة عليه أكثر من عشرين سنة حتى بويع بالخلافة فأسلس له قيادها كأنها أرادت أن تكون أميرة المؤمنين فيقال إنه تزوجها ولكنها لم تمكث عنده إلا قليلاً وعاجلها الموت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها .

وصف الخمر

لم يجوّد الوليد في فن من فنون الشعر كما جود في وصف الخمر فما بقي من أشعاره في هذا الباب على قلته أحسن من سائر شعره ، والوليد يمثل طوراً من أطوار الشعر العربي في صفة الخمر لأن شعراء الجاهلية وإن وصفوها لم يتعدوا أثر نشوتها في الشارب وما تبعثه في النفس من الأريحية مع إلمام بلونها ورائحتها على سبيل الايجاز . أما الشعراء الإسلاميون فقد سكت أكثرهم عنها تحرجاً وتأثماً ومن ذكرها منهم أو من النصارى كالأخطل تناول وصفها على الأسلوب الجاهلي المجمل والغريب أن الشعراء الغزليين في العصر الاموي كعمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وغيرهما تحرجوا عن وصفها .

أما الوليد فقد وصف الخمر ونشوتها وصفاء لونها ورقة جوهرها ورائحتها وبريقها في الكأس صرفاً وممزوجة وشبهها بالقبس والشرر والذهب ووصف دنانها وزقاقها وجرارها وشبه حببها بلمعة البرق ووصف مجالس الشرب والغناء وما يكون فيها من المجون والعربدة في القصور والرياض والديرة قال :

اصدع نجي الهموم بالطرب   وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش في غضارته   لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها   فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها   من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها   حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر   وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس   تذكو ضياء في عين مرتقب

وقال :

وصفراء في الكأس كالزعفران   سباها التجبي من عسقلان
تريك القذاة وعرضُ الإنا   ء سترلها دون لمس البنان
لها حبب كلما صفقت   تراها كلمعة برق يمان

وقال :

علّلاني واسقياني   من شراب اصبهاني
إن في الكأس لمسكاً   أو بكفي من سقاني
إنما الكأس ربيع   يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت   بين رجلي ولساني

وهكذا فقد نقل الوليد هذا الفن من الشعر العربي من حظيرته الضيقة إلى هذا الميدان الواسع الذي رتع به الشعراء من بعده كابي نواس والحسين بن الضحاك الخليع وغيرهما ممن أمعن في وصف الخمر . ويقول صاحب الاغاني إن كل من وصف الخمر بعد الوليد عيال عليه مستمد منه مستعين بمعانيه قال : « وللوليد أشعار جياد فمنها وهو ما برز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر :

اصدع نجي الهموم بالطرب   وانعم على الدهر بابنة العنب

وقال : « وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم سلخوا معانيها وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره

فكررها في عدة مواضع منه ولولا كراهة التطويل لذكرتها هنا على أنها تنبئ عن نفسها »

خاتمة

شعر الوليد من الشعر الوجداني المعبر عن شعور قائله يمتاز بصدق اللهجة والصراحة وعدم التصنع في معانيه وألفاظه ، قصره على نفسه فافتخر وتغزل وعاتب ووصف الخمر ورثى وهجا ولكنه لم يمدح أحداً ولم يرث إلا من أحب من أصفيائه وأقاربه وأحبابه . وأكثر شعره في الغزل والمجون والخمر حيث يرسل نفسه على سجيتها فيرق ويعذب ويسهل ويلين ويعبث ويمزح فيكون ظريفاً فكهاً . أما في بقية الفنون التي نظم بها فهو أجزل سبكاً وأمتن رصفاً وأحكم قافية لبعدها عن مواطن التبذل والمجون ففي الرثاء مثلاً تراه عميق الحزن قليل الجلد كثير الجزع لأنه لم يرث إلا أحبابه وأقاربه كقوله يرثي ابنه مؤمنا :

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وشلت من يديك الأصابع
يقولون لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

وكقوله يرثي سلمى بنت سعيد :

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دان جناها موضع
أربابها شفقا عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

وقوله :

ألما نعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا

وكذلك في العتاب فإنه يشتد أسره لأنه جاد مغيظ يعاتب الخليفة الذي حاول أن

يخلعه من ولاية العهد فترى الأسى والغضب والاستعطاف والتقريع واللين والشماس مع بعضها في عتابه كقوله :

ألیس عظيماً أن أرى كل وارد حياضك يوماً صادراً بالنوافل
فارجع محمود الرجاء مصرداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبوة يشد عليها كفه بالأنامل

وكقوله :

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايست في ذمي وحمدي

وكقوله :

كفرتَ يداً من منعمٍ لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا حزمٍ لهدمتَ ما تبني
أراك على الباقين تجني ضغينةً فويلٌ لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم ألا ليت انا حين يا ليت لا تغني

وكقوله :

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت اكرمتهم ألفيتهم بطروا وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل لهم سوى الكلب فاضرب به لهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه حتى اذا ما استوى من بعدما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ولو أطاق له اكلاً لقد اكلا

وهكذا فان عتابه من حر الشعر وجيده .

وهو من أجزل ما يكون إذا افتخر وسما برأسه إلى آبائه خلفاء الإسلام وأشياخ الجاهلية وشموس العرب كقوله :

انا الوليد أبو العباس قد علمت ... عليا معد مدى كري وإقدامي

اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي

بنى لي المجدَ بانٍ لم يكن وكلا ... على منار مضيئات وأعلام

حللت من جوهر الاعياض قد علموا ... في باذخٍ مشمخر العز قمقام

صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو الى فرع طودٍ شامخٍ سامي

وما عدا ذلك من المعاني التي عالجها كشماتته بموت هشام وهجائه فقليل لا يعتدُّ به ولا يخرج عن أسلوبه في الصراحة والسهولة؟

خليل مردم بك



ديوان

الوليد بن يزيد

حرف الألف

١

على الدُّور التي بليت سفاها قفا يا صاحبيَّ فسائلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوق وأخضل دمعُ عينك ما قياها
وقالت عند هجرتنا أباها : أردتَ الصرم فانتده انتداها
أردت بعادَنا بهجاء شيخي وعندك خلةٌ تبغي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادت فيها خُطةً بلغت مداها

٢

غضبتْ سلمى علينا سفاها أن سببتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنتُ أردت بقلبي لأبي سلمى خلاف هواها
فثكلتُ اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها
غير أني لأظن عدواً قد أتاها كاشحاً وأذاها
فلها العتبى لدينا وقلَّت أبداً حتى أنال رضاها

٣

لا أسأل الله تغييراً لما صنعت نامت وإن[1] أسهرت عينيّ عيناها
فالليلُ أطول شيءٍ حين أفقدها والليلُ أقصرُ شيءٍ حين ألقاها

٤

وُصفت عندي سليمى فاشتهى قلبي يراهـا
لو يرى سلمى خليلي لدعا سلمى إلاها
ورأى حين يراها ربّ طاسين وطاها

حرف الباء

٥

تلعّب بالخـلافة هاشميٌّ بلا وحيٍ أتاه ولا كتابِ
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي
يذكرني الحساب ولست أدري أحقٌّ ما يقول من الحساب

٦

قد راح نحو العراق مُشخلبَه قصارُه السجنُ بعده الخشبه
يركبها صاغراً بلا قتب ولا خطامٍ وحوله جلَبه
فقل لدعجاء إن مررت بها لن يعجز اللهَ هاربٌ طلبه
قـد جعل الله بعد غلبتكم انا عليكم يا ذُلدلُ الغلبه
لستَ إلى هاشمٍ ولا أسدٍ ولا إلى نوفلٍ ولا الحجَبه
لكنما أشجعٌ أبوك سل الـ كلبيّ لا ما يزوّق الكذَبه

٧

إصدعْ نجيّ الهموم بالطرب وأنعمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل العيش في غضارته لا تقفُ منه آثارَ معتقبِ

(١) نامت وقد، كما في نهاية الأرب ج ١ ص ١٣٥

من قهوةٍ زانها تقادمُها فهي عجوز تعلو على الحقبِ
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت ورقّت جوهرها حتى تبدّت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبسٌ تزهو ضياءً في عين مرتقب
في فتيةٍ من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
ما في الورى مثلهم ولا بهمُ مثلي ولا منتمٍ بمثل أبي

٨

إنما هاج لقلبي شجوه بعد المشيبِ
نظرة قد وقرت في الـ قلب من أم حبيب
فإذا ما ذقتَ فاها ذقتَ عذباً ذا غروب
خالط الراحَ بمسكٍ خالصٍ غير مشوب

٩

يا سليمى يا سليمى كنتِ للقلب عذابا
يا سليمى ابنةَ عمي برد الليل وطابا
أيما واشٍ وشي بي فاملئي فاه ترابا
ريقها في الصبح مسك باشر العذبَ الرُّضابا

١٠

قد تمنى معشرٌ إذ طربوا من عُقار وسوام وذهبْ
ثم قالوا لي تمنَّ واستمع كيف نحو في الاماني والطلب
فتمنيتُ سليمى انها بنت عمي من لهاميم العرب

١١

أمَّ سلاَّمٍ أثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربُّهُ
أنكم من عيشه في نفسه يا سليمى فاعلميه حسبهُ
فارحميه انه يهذي بكم هائم صبٌّ قد أودى قلبهُ

أنت لو كنت له راحمةً لم يكدّر يا سليمى شربهُ

١٢

ولقد مررتُ بنسوةٍ أعشينني حور المدامع من بني المنجابِ
فيهن خرعبة مليح دلها غرثى الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر مانوت في حضرها وتزين باديها من الأعراب [1]

حرف التاء

١٣

سلّ همّ النفس عنها بعلنداةٍ علاةِ
تتقي الأرض وتهوي بخفاف مدمجات
ذاك أم ما بال قومي كسروا سنّ قناتي
واستخفوا بي وصاروا كقرود خاسئات
أصبح اليوم وليد هائماً بالفتيات
عنده راح وإبريـ ـقٌ وكأس بالفلاة
ابعثوا خيلاً لخيل ورماةً لرماة

١٤

ولقد قضيتُ وإن تجلل لمتي شيبٌ على زغم العدى لذاتي
من كاعبات كالدمى ونواصف ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوانَ وجوهُهم شم الانوف جحاجح سادات
إن يَطلبوا بتراتهم يُعطَوا بها أو يُطلبوا لا يُدرَكوا بترات

(١) قد كنت أحسب أنني جلد القوى حتى رأيت كواعباً أترابا
يرفلن في وشي البرود عشيةً شبه الأراك وقد ملئن شبابا
قوبن حوراء المدامع طفلةً أربين من عجب بها اربابا
تلك التي لا شك حقّاً أنها خلقت لحينك فتنةً وعذابا
كلمات مختارة (ص ٢٦)

١٥

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيبُ الرشدَ في صلتي هديتا
فأشكرَ منك ما تسدي وتحيي أبا عثمان ميتة وميتا

١٦

أراني قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
إذا شئت تصبرتُ ولا أصبر إن شيت
ولا والله لا يصبر في الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وإن رخصت لي جيت
فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزور زا ر من سلمى ببيروت
غزالٍ ادعج العينين نقي الجيد والليث

١٧

أسلمى تلك حييت ففي نخبرك إن شيت
وقيلي ساعة نشكُ اليك الحب أو بيثي
فما صهباء لم تكس قذى من خمر بيروت
ثوت في الدن أعواماً ختيا عند حانوت

١٨

رب بيت كأنه متنُ سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت
أمَّ سلاَّمَ لا برحت بخير ثم لازلت تجتني ما حييت
طربا نحوكم وتوقا وشوقا لادكار بكم وطيب المبيت
حيثما كنت من بلاد وسرتم فوقاكِ الاله ما قد خشيت

حرف الجيم

١٩

إنني فكرت في عمر ٍ حين قال القول فاختلجا
إنه للمستنير به قمر قد طمس السرجا
ويغني الشعر ينظمه سيدُ القوم الذي فلجا
أكمل الواديُّ صنعته في لباب الشعر فاندمجا

٢٠

طاف من سلمى خيال بعد ما نمتُ وهاجا
قلت عجْ نحوي أسائلْك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي قم فأنفثَ لي سراجا
بفلاة ليس تُرعى أنبتت شيحاً وحاجا

حرف الحاء

٢١

أشهد الله والملائكةَ الأبرار والعابدين أهلَ الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح
والنديمَ الكريم والخادم الفا ره يسعى علي بالأقداح (١)

٢٢

انني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليحْ
ولباسي ثوب شيخ من عباء ومسوح
وأبيع الزيت بيعاً خاسراً غير ربيح

---

(١) وزاد صاحب حلبة الكميت ص ٩٨
وظريف الحديث والكاعب الطفلة تختال في شموط الوشاح

٢٣

ولقد صدنا غزالاً سانحًا قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان انذبح
انتَ يا ظبي طليقٌ آمن فاغد في الغزلان مسرورًا ورُح

٢٤

فما مسك يعل بزنجبيل ولا عسل بالبان اللقاحِ
باشهى من مجاجة ريق سلمى ولا ما في الزقاق من القراح
ولا والله لا أنسى حياتي وِثاق الباب دوني واطراحي

٢٥

تذكر شجوه القلب القريحُ فدمع العين منهلٌ سفوحُ
ألا طرقتك بالبلقاء سلمى هدوءًا والمطيّ بنا جنوح
فبت بها قرير العين حتى تكلم ناطق الصبح الفصيح

حرف الدال

٢٦

أتوعدُ كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيدُ
اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل لله مزقني الوليدُ

٢٧

فان تكُ قد مللتَ القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبُعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدي
وتندم في الذي فرّطت فيه إذا قايستَ في ذمي وحمدي

***

٢٨

أَلَمَّا تعلما سلمى أقامت ... مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا ... بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه ... شعاع الشمس أهل أن يفدّى
فلم أر ميتاً أبكى لعين ... وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكاً ... يزيك جلالة ويسر وجدا

٢٩

ألم تعلما سلمى أقامت بمهمه ... مضمنة قبراً من الأرض انجدا

٣٠

ومن يك مفتاحاً لخير يريده ... فإنك قفل يا سعيد بن خالد

٣١

أضحى فؤادك يا وليد عميدا ... صباً كليماً للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة غيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق ... حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى ... منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه ... وأكون في لهب الجحيم وقودا

٣٢

يا من لقلب في الهوى متشعب ... بل من لقلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها ... دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألفا ... بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بغادة ... ممكورة ريا العظام خريد

***

٣٣

إقرَ •ني على الوليد سلامًا   عدد النجم قلْ ذا للوليد
حسداً ماحسدتُ اختي عليه   ربنـا بيننا وبين سعيد

٣٤

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا   ن ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرّق عيني على غرّة   فباتت بحزنٍ تقاسي السهودا
نؤمل عثمان بعد الولي   د للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان إذ كان في دهره   يزيدُ يرجّي لتلك الوليدا
على أنهـا شسعت شسعةً   فنحن نرجي لها أن تعودا
فان هي عادت فأوصي القري   بَ عنها ليوئس منها البعيدا

٣٥

ليت حظي اليوم من كـ   ـل معاشٍ لي وزاد
قهوةٌ أبذلـ فيها   طارفي ثم تلادي
فيظل القلب منها   هائمًا في كل واد
إن في ذاك صلاحي   وفلاحي ورشادي

٣٦

الحمـد لله وليّ الحمـد   أحمده في يسرنا والجهـد
وهو الذي في الكرب أستعين   وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها   أنْ لا إله غيره إلاهـا
ما إن له في خلقه شريك   قـد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دينُ أحمد   فليس من خالفه بمهتد
وأنه رسول رب العرش   القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا   وفي الكتاب واعظًا بشيرا

ليظهر الله بذاك الدينـا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القرآن والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما مضى لديكم حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد أن تزلوا عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحي فإني ناصح إن الطريق فاعلمن واضح
من يتق الله يجد غب التقى يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التقى افضل شيء في العمل أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم إخوتي لعلكم يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل في الأمثال لو علمتم فانتفعوا بذاك إن عقلتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده وما يقدم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكم وتوبوا فالموت منكم فاعلموا قريب(١)

حرف الراء

٣٧

أهينمة حديث القوم أم هم سكوت بعدما متع النهار
عزير كان بينهم نبياً فقول القوم وحي لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجى شروب طوحت بهم عقار
أو آلاف هجان في قيود تانفت كلما حنت ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم تربح غيبهم عنها الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

(١) قال الوليد بن يزيد :

وان على شاطي الفرات لفتية يودون لو كانوا بما لهم افتدوا
حدونا وساقونا فنحن كما ترى نسوق كما ساقوا ونحدو كما حدوا

حماسة البحتري ص ١٦١

٣٨

لقد قذفوا أبا وهب بأمرٍ ... كبيرٍ بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه ... شهادة عالمٍ بهم خبير

٣٩

أنا ابن أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ... ثقيفٍ وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله ... نبيُّ الهدى يقهرْ به من يفاخر

٤٠

ألا حبذا سفرى وإن قيل إنني ... كلفت بنصرانية تشرب الخمرا
يهون عليَّ أن يظل نهارنا ... الى الليل لا أولى أصلي ولا عصرا

٤١

شاع شعري في سليمى واشتهرْ ... ورواه الناس بادٍ وحضرْ
وتهادته العذارى بينها ... وتغنّين به حتى اشتهر
قلت قولاً لسليمى معجباً ... مثل ما قال جميلٌ وعمر
لو رأينا لسليمى أثراً ... لسجدنا ألف ألفٍ للأثر
واتخذناها إماماً مرتضى ... ولكانت حجَّنا والمعتمر
إنما بنتُ سعيدٍ قمرٌ ... هل حرجنا إن سجدنا للقمر

٤٢

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر
نشربها صِرفاً وممزوجة ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

٤٣

عوجا خليليَّ على المحصر ... والربع من سلامة المقفرِ
عوجا به فاستنطقاه فقد ... ذكرني ما كنت لم أذكر

ذكرني سلمى وأيامها إذ جاورتنا بلوى عسجرِ
بالربع من ودّان مبدى لنا ومحوراً ناهيك من محور
في محضرٍ كنا به نلتقي يا حبذا ذلك من محضر
إذ نحن والحيُّ به جيرة فيما مضى من سالف الأعصر

٤٤

إسقني يا يزيد بالقرقاره قد طربنا وحنّت الزمّاره[1]
إسقني إسقني فإن ذنوبي قد أحاطت فما لها كفّاره

٤٥

إسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
إسقني من سلاف ريق سليمى واسق هذا النديمَ كأساً عقارا

٤٦

أرسلي بالسلام يا سلمَ إني منذ عُلّقتكم غنيٌّ فقيرُ
فالغنى إن ملكتُ أمركِ والفقـ ـر بأني أزور من لا يزورُ
ويح نفسي تسلو النفوس ونفسي في هوى الريم ذكرها ما يحور
من لنفسٍ تتوق أنتِ هواها وفؤادٍ يكادُ فيك يطير

٤٧

هلك الأحولُ المشو مُ فقد أرسل المطرْ
ثمت استخلف الوليـ ـدُ فقد أورق الشجر
فاشكروا الله إنه زائدٌ كلّ من شكر

***

(١) وبعده: من شرابٍ كأنه دم خشف عتقته هشيمة الخماره
مسالك الأبصار ج ١ ص ٣٩٨

٤٨

أدرِ الكأس يمينًا لا تدرِها ليسارِ
إسقِ هذا ثم هذا صاحب العود النُّضار
من كميتٍ عتقوها منذ دهر في جرار
ختموها بالأفاويـ ـه وكافور وقار
فلقد أيقنتُ أني غير مبعوث لنـار
سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار
وذروا من يطلب الجنـ ـة يسعى لتبار

٤٩

إسقني يا زيدُ صرفًا إسقني بالطرّجهارهْ
إسقنيها مرةً يأ خذني منها استدارهْ
إسقنيهـا كي تسلي ما بقابي من حرارهْ (١)

* * *

(١) قال الوليد بن يزيد :

سليمى تبكِ (*) في العيرِ قفي إن شئتِ أو سيري
فلما أن دنا (**) الصبح بأصوات العصافير

الحيوان للجاحظ ج ٢ ص ١٠٨

خرجنا نبتغي الصيد بأمثال اليعافير
إذا ما حقب جال شددناه بتصدير
زجرنا العيس فامتدّت بإهذاب وتشمير

الكامل للمبرد ص ١٢ طبع أوروبة زيادة على ما في كتاب الحيوان .

(*) لعلها : تلك . (**) وفي الكامل : بدا .

حرف السين

٥٠

خفّ من دار جيرتي ... يا ابن داودَ أنسها
أوَ لا تخرج العرو ... س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا ... وهي لم تَقض لبسها
برزت كالهلال في ... ليلةٍ غاب نحسها
بين خمسٍ كواعبٍ ... أكرم الخمس جنسها

حرف العين

٥١

أتاني سنانٌ بالوداع لمؤمن ... فقلت له : إني الى الله راجعُ
ألا أيهـا الحاثي عليـه ترابه ... هبلتَ وشلّت من يديك الأصابع
يقولون: لا تجزع وأظهرْ جَلادةً ... فكيف بما تجني عليه الأضالع

٥٢

ألا أيها الركب المخبّون أبلغوا ... سلاميَ سكانَ البلاد فأسمعوا
وقولوا أتاكم أشبه النـاس سنة ... بوالده فاستبشروا وتوقعوا
ضمنتُ لكم إن لم تعقني عوائق ... بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع
سيوشك إلحاقٌ معاً وزيادة ... وأعطية مني عليكم تبرّعُ
محرّمكم ديوانكم وعطاؤكم ... به تكتب الكتاب شهراً وتطبع

٥٣

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تجدْ ... نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين نفزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هَناتهم ... حسرتُ لهم رأسي فلا أتقنعُ

* * *

٥٤

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى مِكياله الأوفر قـد طُبِّعا
كلناه بالصاع الذي كاله وما ظلمناهُ بـه إصبعا
وما أتينـا ذاك عن بدعةٍ أحله الفرقانُ لي أجمعا

٥٥

ياسلمَ كنتِ كجنة قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضعُ
أربابهـا شفقاً عليهـا نومهمْ تحليل موضعها والا يهجعوا
حتى إذا فسخَ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدّعوا

٥٦

ياويحَ جندي الأولى جاروا ومانظروا في غِبّ أمر عمودَ الدين لو وقعـا
ألقحتُها ثم شالت عاقداً أنِفاً ما نتجوهـا فيلقوا بعدهـا رُبَعا

حرف الفاء

٥٧

أيا حكمُ المبتولُ لو كنتَ تعتزي الى أسرة ليسوا بسودٍ زعانفِ
لأيقنتُ قدأدركتَ وِترك عنوةً بلاحكمِ قاضٍ بل بضرب السوالف

٥٨

ألا أبلغ أبا عثما نَ عذرةَ معتبٍ أسِفا
فلستُ كمن يودُّكَ باللسان ويكثر الحلِفا
عتبتَ عليَّ في أشيا ء كانت بيننا سَرَفا
فلا تُشمت بيَ الأعدا ء والجيران ملتهفـا
تودُّ لو أنني لحمٌ رأتهُ الطيرُ فاختطفا
ولا ترفعْ به رأساً عفا الرحمن ما سَلفا

* * *

٥٩

طابَ يومي ولذَّ شرب السلاَفهْ ... إذ أتانا نعيُّ مَن بالرصافهْ
وأتانا البريدُ يَنعى هِشامًا ... وأتانا بخاتمٍ للخلافهْ
فاصطبحنا بخمر عانةَ صِرفًا ... ولهَونا بقينة عزّافهْ

حرف القاف

٦٠

أسعدةُ هل اليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامة من تلاَقِ
بَلى ولعل دهراً أن يؤاتي ... بموتِ من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً ونقرُّ عيني ... ويُجمع شملنا بعد افتراقِ

٦١

فلما أصاتتْ عصافيرُهُ ... ولاحتْ تباشير أرواقهِ
غدا يَقتري آبقًا عاريًا ... ويَلبسُ ناضر أوراقهِ

٦٢

أمّ سلاَّمَ ما ذكرتكِ الاَّ ... شرقت بالدموع مني المآقي
أمّ سلاَّم ذكركم حيث كنتم ... أنت دائي وفي لسانك راقي
ما لقلبي يجول بين التراقي ... مستخفًا بتوق كلَّ مَشاق
حذراً أن تبين دارُ سليمى ... أو يصيح الداعي لها بفراق

حرف الكاف

٦٢

أراني اللهُ يا سلمى حياتي ... وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين من تيَّمتِ عصراً ... ومن لوْ تطلبين لقد قضاكِ
ومن لو مِتِّ مات ولا تموتي ... ولو أنسي له أجل بكاكِ

ومن حقًا لو أعطي ما تمنى … من الدنيا العريضة ما عداكِ
ومن لو قلتِ مُت فأطاق موتًا … اذاً ذاق الممات وما عصاكِ
أثيبي عاشقًا كلفًا مُعنّى … اذا خدرت له رجل دعاكِ

٦٤

أمَ سلاّم لو لقيت من الوَجـد عشير الذي لقيتُ كفاكِ
فأثيبي بالوصل صبًا عميدًا … وشفيقًا شجاه ما قد شجاكِ

حرف اللام

٦٥

دعوا لي سُليمى والطلاء وقينةً … وكأسًا ألا حسبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برملةِ عالجٍ … وعانقتُ سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لا ثبّت الله ملككم … ثباتًا يساوي ما حييت عقالا
وخلوا عناني قبل عيري وما جرى … ولا تحسدوني أن أموت هُزالا
أبالملك أرجو أن أخلّد فيكم … ألا ربّ ملك قد أزيل فزالا
ألا رُبّ دار قد تحمّل أهلها … فأضحت قفاراً والديار خلالا

٦٦

أليس عظيمًا أن أرى كلّ وارد … حياضك يومًا صادراً بالنوافلِ
فأرجع محمود[1] الرجاء مصرّداً … بتخلية عن ورد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت آمُل منكم … وليس بلاق ما رجا كلُّ آمل
كمقتبض يومًا على عرض هبوة … يشدّ عليها كفّه بالأنامل

* * *

(١) « محدود الرجاء » كلمات مختارة ص ٢٧

٦٧

ألم تهتج فتذكر الوصالا ... وحبلاً كان متصلا فزالا
بلى فالدمع منك له سجام ... كماء المزن ينسجل انسجالا
فدع عنك ادكارك آل سعدى ... فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً ... نسومهم المذلة والنكالا
وطئنا الأشعرين بعز قيس ... فيالك وطأة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسيراً ... ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديماً ... جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز ... لما ذهبت صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً ... يسام من سلاسلنا الثقالا
وكندة والسكون فما استقالوا ... ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سمنا البرية كل خسف ... وهدمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم ... وجذتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً ... نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحت الغداة علي تاج ... لملك الناس ما يبغي انتقالا

٦٨

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً ... إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطراً ... وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل ... له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه ... حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

* * *

٦٩

من مُبلغٌ عني أبا كاملٍ أني إذا ما غاب كالهابلِ
قد زادني شوقاً إلى قربه ما قد مضى من دهرنا الحائل
إني إذا عاطيته مرة ظلتُ بيوم الفرح الجاذل

٧٠

عيني للحدث الجليل جودا بأربعة همولِ
جودا بدمعي إنه يشفي الفؤاد من الغليل
لله قبرٌ ضمنت فيه عظامُ ابن الطويل
ماذا تضمّن إذ ثوى فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوي من هوا ك إلى ذرى كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمدرجة السيول

٧١

وزقٍ وافر الجنبين مثل الجمل البازلْ
به رُحت إلى صحبي وندماني أبي كامل
شربناه وقد بتنا بأعلى الدّير بالساحل
ولم نقبل من الواشي قبول الجاهل الخاطل

٧٢

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوالِ
عفاه كل حنّانٍ عسوف الوبل هطّال
لسلمى قرّة العين وبنت العم والخال
بذات اليوم في سلمى خطاراً أتلفت مالي
كأن المسك في فيها سحيق بين جريال

* * *

٧٣

خبّروني أنّ سلمى خرجت يوم المصلّى
فإذا طيرٌ مليح فوق غصن يتفلّى
قلت من يعرف سلمى قال : ها ، ثم تعلّى
قلت يا طير أدنُ مني قال : ها ، ثم تدلّى
قلت هل أبصرت سلمى قال : ها ، ثم تولّى
فنكى في القلب كلماً باطناً ثم تعلّى

٧٤

هل إلى أمّ سعيد من رسول أو سبيل
ناصح يخبر أني حافظ ودّ خليل
أبذل الود لغيري وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي من وصالي بالقليل

٧٥

سقيت أبا كامل من الأصفر البابلي
وسقّيتها معبداً وكل فتى فاضل
لي المحضُ من ودهم ويغمرهم نائلي
فما لامني فيهم سوى حاسد جاهل

٧٦

طرقتني وصحابي هجوعٌ ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلّت في رؤوس الجبال
نقطع الاهوال نحوي وكانت عندنا سلمى ألوفَ الحجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشةٍ قفالةٍ للرّجال

* * *

٧٧

أنا الوليد الإمامُ مفتخراً أُنعمُ بالي وأتبعُ الغزلا
أهوى سليمى وهي تصرمني وليس حقاً جفاءُ من وصلا
أسحب بردي إلى منازلها⁽¹⁾ ولا أبالي مقالَ من عذلا
غرّاءُ فرعاءُ يستضاء بهـا تمشي الهوينا إذا مشت فُضلا

٧٨

قد أغتدي بذي سبيب هيكل مشرَّب مثل الغراب أرجلِ
أعدَدته لخابات الاحول وكل نقع ثائرٍ لجحفل
وكل خطب ذي شؤون معضل

٧٩

يا رُبَّ أمرٍ ذي شؤون جحفل قاسيتُ فيه خلبات الأحولِ

حرف الميم

٨٠

ضمنت لكم إن سلم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّمِ
فلا تعجلوني لا أبا لأبيكم فإني لكم كالوالد المترحم

٨١

أنا الوليدُ أبو العباس قد علمت عليا معدّ مدى كرّي وإقدامي
إني لفي ذروة العليا إذا انتسبوا مقابَل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً على منار مضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الاعياص قد علموا في باذخ مشمخرّ العز قمقام

(١) في الكامل ١ / ٤١٢ : انقل رحلي إلى مجالسها

صعبِ المرام يسامي النجمَ مطلعُه   يسمو إلى فرع طود شامخ سامي

٨٢

ألا يسليك عن سلمى   قتير الشيب والحلمُ
وأن الشك ملتبس   فلا وصل ولا صرم
فلا والله رب النا   س مالكِ عندنا ظلم
وكيف بظلم جارية   ومنها اللين والرحم

٨٣

أتانا بريدان من واسطٍ   يخبان بالكتب المعجمه
أقول وما البعد إلا الردى   أمسلمَ لا تبعدنَّ مسلمه
فقد كنت نوراً لنا في البلاد   تضيءُ فقد أصبحت مظلمه
كتمنا نعيك نخشي اليقين   فجلى اليقينُ عن الجمجمه
وكم من يتيم تلافيته   بأرض العدو وكم أيمه
وكنت إذا الحرب درت دماً   نصبت لها راية معلمه

٨٤

إن كأسَ العجوز كأس رواء   ليس كأسٌ ككأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً   في إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيـ   ـل لظلا في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلـ   ـقَ فوافى لذاك غيرَ حكيم

٨٥

طال ليلي فبت أسقي المداما   إذ أتاني البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب   وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الوليَّ من بعد فقدي   يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قرم قريش   خير قوم وخيرهم أعماما

٨٦

عللاني بعاتقات الكروم   واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامةَ صرفًا   في إناء من الزجاج عظيم
جنبوني أذاةَ كل لئيم   إنه ما علمت شر نديم
ثم إن كان في الندامى كريم   فأذيقوه بعضَ مسّ النعيم
ليت حظي من النساء سليمى   إن سلمى جنيتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها   إن من لامني لغير رحيم

٨٧

خيلي وربِّ الكعبة المحرَّمه   سبقن أفراسَ الرجال اللوَّمه
كما سبقناهم وحزنا المكرمه   كذاك كنا في الدهور القدَّمه
أهلَ العلى والرُّتب المعظمه

٨٨

نام من كان خليًا من ألم   وبدائي بتُّ ليلي لم أنم
أرقُب الصبح كأني مسند   في أكفِّ القوم تغشاني الظُّلم
إن سلمى ولنا من حبها   ديدن في القلب ما اخضرَّ السلم
قد سبتني بشتيتٍ نبتهُ   وثنايا لم يَعبهنَّ قصم

٨٩

بلّغا عني سليمى   وسلاها لي عمًّا
فعلت في شأن صب   دنفٍ أشعر همًّا
ولقد قالت لسلمى   إذ قتلتُ البين علما
أنتِ همي يا سليمى   قد قضاه الرب حتما
نزلت في القلب قسراً   منزلا قد كان يحمى

حرف النون

٩٠

رأيتكَ تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا إربٍ لهدّمتَ ما تبني
تُثير على الباقين مجنى ضغينة فويل لهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم والليتُ أفضل قولهم ألا ليتنا والليتُ إذ ذاك لا يغني
كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

٩١

حبّذا ليلتي بدير بَوَنّا حيث نُسق شرابَنا ونغني
كيف ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جُنِنّا
ومررنا بنسوة عطرات وغناء وقهوة فنزلنا
وجعلنا خليفةَ الله فُطرو سَ مجوناً والمنشارَ يُجنّا
فأخذنا قربانهم ثم كُفر نا لصلبان ديرهم فكفرنا
واشتهرنا للناس حيث بقولو ن إذا خُبّروا بما قد فعلنا

٩٢

منازلُ قد تحلُّ بها سليمي دوارسُ قد أضرّ بها السنونُ
أُميتُ السرَ حفظاً يا سليمى إذا ما السرّ باح به الخزون

٩٣

وبحَ سلمي لو تراني لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي عاشقاً حور القيان
إنما أحزن قلبي قول سلمى اذ أتاني
ولقد كنت زماناً خالي الذرع اشاني
شاق قلبي وعناني حب سلمي وبراني
ولكم لام نصيح في سليمى ونهاني

٩٤

عَلِلاني واسقيـاني من شراب إصبهاني
من شراب الشيخ كسرى أو شراب القيرواني
إنّ في الكأس لمِسكاً أو بكفَّي من سقاني
أو لقد غودر فيهـا حين صبت في الدنان
كاللاني توّجاني وبشعري غنيـاني
أطلقـاني بوثـاقي واشدُداني بعنـاني
إنمـا الكأس ربيع يُتعاطى بالبنان
وحُميا الكأس دبت بين رجلي ولساني

٩٥

إني سمعت خليلي نحوالرُصافة رنّه
خرجت أسحب ذيلي أقول ما شأنهنه
إذا بنات هشام يندبن والدهنه
يندُبنَ شيخا كريما وكان يكرمهنه
يقلن ويلي وعولي والويل حل بهنه
أنا المخنث حقا إن لم أنيلهنه

٩٦

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التجيبي من عسقلانِ
تريك القذاةَ وعرض الإنا ء ستر لها دون لمس البنان
لهـا حبب كلمـا صفقت تراها كلمة برق يمان [1]

(١) قد جعلنا طوافنا بالدنان حين طاف الورى بركن يماني
سجد الساجدون لله حقا وجعلنا سجودنا للقناني
حلبة الكميت ص ٩٨

حرف الياء

٩٧

ألم تر أني بين ما أنا آمن ... يخبُ بي السندي قفراً فيافيا
تطلعتُ من غور فأبصرت فارساً ... فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس ... وقفت له حتى أتى فرمانيا
رماني ثلاثاً ثم إني طعنته ... فروّيت منه صعدتي وسنانيا

٩٨

قامت إليّ بتقبيل تعانقني ... ريا المظام كأن المسك في فيها
أدخلْ فديتك لا يشعر بنا أحد ... نفسي لنفسك من داء تفدّيها
بتنا كذلك لا نوم على سُرر ... من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها ... حان الفراق فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنا أحد ... والله عني بحسن الفعل يجزيها

٩٩

أقصرا عن ملامتي عاذليّا ... إن عذلي يزيدني اليوم غيّا
لا تلوما هُديتما إن قلبي ... عشق اليوم شادناً قرشيا

١٠٠

لقد أغدو على أشقـــــرَ يغتال الصحاريا

١٠١

أنا في يمنى يديها ... وهي في يسرى يديّه
إن هذا القضاء ... غير عدل بأخيه
ليت من لام محبا ... في الهوى لاقى المنيه
فاستراح الناس منه ... ميتة غير سويه



نقـد

كتب الدراسة للعلوم العربية بافريقيا الشمالية

من محاضرة ممتعة تلاها العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي في مؤتمر اللغة والآداب العربية الذي انعقد بتونس أيام ١٤ و١٥ و ١٦ كانون الاول ١٩٣١ الموافق ٤ و ٥ و ٦ شعبان ١٣٥٠ ، وألقاها مؤلفها في جلسة المؤتمر الاخيرة الرسمية ، ننشرها ليطلع القراء على آثار علماء المغرب العربي .

غير خفي أن علة العلل في تأخر الأمة العربية أو الأمم الإسلامية هو داء الامية ، وكل يعلم مضارها العظمى وأثرها السيء فينا بما يغني علمه عن بيانه لذلك أرى أن أول داء نبادر لعلاجه وحسم مادته هو ذلك الداء العضال الخطر داء الامية .

ولا تزول جراثيمه إلا إذا تساوى أفراد الأمة ذكراناً واناثاً في قدر من العلم الادبي والتهذيب يزول به سوء التفاهم بين أفراد الامة ، وهو أقل ما يكفي لان يصل به الكل إلى معرفة ما يصلح مجتمعهم أو يضر جامعتهم ، فيكونوا كجسم واحد يحس بما يؤلم أعضاءه ويهتدي للدواء الحقيقي فيتطلبه من حيث ينبغي تحصيله .

ولا سبيل بحسب العادة إلى الوصول إلى هـذا القدر إلا بتسهيل تعليم القراءة والكتابة وبه زوال غشاوة الامية عن أبصار الأمة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كان النبي العربي (ص) يعالج داء الجهل بنفسه المقدسة يباشر تعليم الامة وتهذيبها شفاهياً ، ويزيل عنهم داء الامية ، فيأمرهم بكتب القرآن في الصحف واللخاف والعظام وغيرها مما كانوا يكتبون فيه .

ولقد أناف كتابه صلى الله عليه وسلم الذين يكتبون له الوحي وغيره على الاربعين كاتباً من أعيان الصحابة الكرام ترفيعاً لشأن الكتبة ، وكان يرغبهم في نبذ الامية وتعلم الكتابة والقراءة

وقد ثبت في السير أنه لما أسر بعض كفار قريش في غزوة بدر ، وكانوا يحسنون الكتابة ، وكان أهل مدينته عليه السلام يجهلونها ، جعل فداء بعض الاسرى أن يعلم الاسير عشرة من أبناء المدينة المنورة ، فإذا علمهم نال حريته وأطلق من أسره بدون شيء سوى ذلك ٠

ومن افتدى بالمال كان يؤدي من الاربعة آلاف دينار إلى الثلاثة إلى الالفين الى الالف كل أسير على قدر ماله ، فانظر قيمة تعليم الكتابة كم كانت تساوي ، فإن تعليم الفتى الواحد يساوي اربعماية دينار إلى مماية دينار ، وليس ذلك بغال في سبيل إتلاف داء الامية ، لذلك لا نستعظم ما تقرره الدولة في ميزانيتها للتعليم حيث نسبه إلى عدد المتعلمين كل سنة ٠

ما هي الامية ؟

الامية في الزمن النبوي وما يقرب منه كانت عبارة عن عدم معرفة القراءة والكتابة فمن عرفهما لم يبق أمياً حيث كانت اللغة واحدة ، فلغة التخاطب والتفاهم هي الفصحى سواء فيها الأشراف والسوقة ، ولم يكن لديهم اثنتان عامية وفصحى ، فكان الناس متساوين في فهم ماخوطبوا به من القرآن والسنة والاوامر والنواهي والمنشورات والمكاتب والخطب والشعر ، وإنما تفاوتهم بالذكاء وزيادة المعلومات ٠ اما في الوقت الحاضر ، فالذي يعرف القراءة والكتابة فقط من غير أن يفرق بين التراكيب الصحيحة والفاسدة هو أمي أو ملحق به ، حيث جهل اللغة الفصحى التي هي لغة النشر ، ولا يخرج عن سجن الامية إلا إذا عرفها ولو معرفة ابتدائية ، وان لم يصل إلى حد التعمق في الدقائق ، فهذا يخرج من صف الاميين ويدخل في صف أهل العلم ، إذ يمكنه ان يتوقى اللحن في كلامه وان لا يغلط في فهم كلام غيره بحيث لا ينقلب له الضارب مضروباً ، وبذلك يفهم خطب الخطباء غير المتكلفين لسجع الكهان ولا المتعمقين في التراكيب المعقدة المتظاهرين بمظاهر

الفخفخة العلمية ، ويفهم المنشورات الدولية والجرايد السيارة ليطلع منها على أحوال العالم ويعرف ما عند غيره فيخرج من عزلة الانفراد ويفهم لغة المراسلة التي لا يرضى أحد من أهل العلم ان يتنازل عنها ولا أن يكتب بدرجة أسفل منها ، وهي لغة الشريعة ولغة القوانين والظهائر والمنشورات الحكومية ، فالمحصل على هذا القدر ليس بامي بل هو عارف بما له وعليه، عضو عامل في المجتمع بخلاف الامي الجاهل بذلك فإنه كعضو اشل ضرره على مجتمعه أكثر من نفعه (إلا نادراً وعلى خرق العادة) لعدم تمييزه بين ما هو ضار أو نافع ، فربما اختار الضار على النافع من حيث لا يشعر ، والامي بسيط الفكر ينخدع لكل مهيج ، فيقع في شباك الفتانين بأقل إشارة بخلاف الذي يقرأ الكتب ويطالع الجرائد فإنه يكون مشاركاً للعقلاء في تفكيرهم لا تنطلي عليه حيل المحتالين غالباً؛ إذا سلم هذا القدر علمنا أننا لسنا مطالبين أمام أمتنا العربية بتعليمها الحروف العربية والكتابة وقراءة الجمل قراءة بسيطة فقط ، بل نحن مطالبون بتعليمها تعليما ابتدائياً لغة النشر فيجب أن نعمم هذا بين أفراد الأمة ذكراناً وأناثاً بقدر الإمكان ، هذا التعليم الذي أريده لا يحصل إلا بتعليم مالابد منه من النحو والصرف ومصطلحات كتب اللغة الابتدائية كمصباح الفيومي ومختار الصحيح للرازي ونحوهما بحيث يمكن للمتعلم أن يراجع لفظة عربية اعترضت فهمه في آية أو شعر ، ومرادي من النحو هو ما قال أمام الادباء أبو عمرو الجاحظ : علم ولدك من النحو ما يعرف أن يميز بين العبارة الصحيحة والعبارة الفاسدة وإياك أن تكثر عليه من النحو فإنه خبال .

فوصية هذا الامام ينبغي أن يقتصر في التعليم الابتدائي على القدر الضروري الذي يحتاج اليه من يريد أن يتوقى اللحن فيما يعبر به عما في ضميره والغلط في فهم عبارة غيره كما تقدم ، وهذا القدر لا يلزم فيه ان يدرس الفية ابن مالك وشروحها ولا كافية ابن الحاجب وشافيته فضلا عن التوضيح والتسهيل أو نحوهما مما كانت تسميته من باب الاضداد .

إن من يريد أن يمر بالعلمين ليتزود منهما زاد مسافر يوصله لغيرهما من المقاصد غير محتاج إلى دراسة أمثال هذه الكتب المسهبة بكثرة اختصارها واحتياج رموزها إلى شرح ، وشروحها إلى حواش وأخذ ورد وقبول ونقد ، فالدراسة بها تحتاج إلى أن ينقطع

الطالب اليها ثلاث سنوات أو أربعا لا يزاول غيرها ، وأنى لأبنائها أن يجدوا هذا الوقت في المدارس الثانوية فضلا عن الابتدائية ، ليس للاولاد في المدارس سوى ثلاث ساعات أو ساعتين في الاسبوع مخصصتين للنحو في بعض الصفوف دون بعض ، ولا يتسع الوقت لأكثر من ذلك لانهم مطالبون في الاوقات الاخرى بعلوم دينية وأدبية اخرى مع العلوم العصرية التي أصبحت ضرورية لمعاشهم وازدهار مستقبلهم ، وهذه الساعات لا تسع الدراسة بكتب ابن مالك وابن هشام مثلا بل لا تصلح لها مقدمة ابن اجروم نفسها كما سنبينه بعد . ان هذه المدارس الدولية ابتدائية وثانوية هي اهم ما يعتمد الآن عليه في حفظ اللغة والعلوم العربية لكثرتها وانتظام سيرها ولولاها لكانت لغتنا في خطر ، إذاً فالضرورة قاضية علينا بتأليف كتب تنطبق على حاجة ابنائنا تصلح للدراسة في فني النحو والصرف وغيرهما من الفنون؛ فمن المتعين علينا ان نؤلف كتباً وطنية دراسية في كل علم نحن في حاجة اليه موافقة لحاجتنا ومطابقة لتفكيرنا ، وتكون على ثلاثة اصناف : صنف للمدارس الابتدائية وصنف للثانوية وصنف للنهائية ، فالصنف الاول يجمع بعض قواعد النحو وهي الضرورية منها التي لابد منها في إصلاح المنطق والكتابة كما تقدم ، وقد رأيت من هذا الصنف جملة الفت في الشام ومصر وغيرهما ، ونقع الدراسة ببعض منها في المدارس الدولية عندنا في المغرب

ولكنها لم تسلم من نقد وقليلة لم نتمكن من تعميم التعليم بها لقلة ما يرد منها وغلاء اثمانها غلاء مشطاً ، ولم يستحسن احد ادخالها في تعليم القرويين الابتدائي ، فالواجب على علماء افريقية الشمالية أن يؤلفوا مثلها مما يسلم من النقد تنشره ادارة المعارف على نفقتها ليعم التعليم به في جميع البلاد الافريقية ، لان اختلاف التعليم والاسلوب مضرة ، فكم من طالب ينتقل مع والديه من مدينة الى مدينة او من مدرسة إلى اخرى في مدينة واحدة فيختلف عليه الكتاب الذي يدرس به وتضيع ايام الدراسة عليه ، وكم من واحد بدأ اول السنة بمدرسة بسفينة النجاة السورية ، فقرأ أحكام الافعال دون الاسماء ، ولما انتقل وسط السنة لمدرسة أخرى تقرأ بالاجرومية مثلا وجدهم قرأوا أحكام الاسماء وهو لم يقرأها ، فضاعت عليه سنة وسقط في الامتحان طبعاً حيث الامتحان عندنا في العربي مثل الفرنسوي سواسية .

الصنف الثاني : كتب تؤلف لتلاميذ الثانويات تكون أجمع للقواعد من الاولى وأرقى تعليما منها ، وتشتمل على جملة من شواهد الكلام الفصيح فتهيء دارسها لان يكون منشئا خطيبا وسطا .

الصنف الثالث : كتب تؤلف لاصحاب التعليم العالي في القرويين والزيتونة وأمثالها تجمع جميع قواعد النحو ولاتشذ عنها شاذة بجميع شروط كل قاعدة وقيودها ومستثنياتها، وتأتي لكل قاعدة باصولها من الكلام العربي والقرآن العظيم والسنة الصحيحة ، وتجمع ما هو مفترق من القواعد في الالفية وشروحها ، كالاشموني وحواشيه والمغني والتسهيل وكافية ابن الحاجب وكتاب سيبويه وشروحها بحيث لا يبقى الطالب محتاجا للبحث عن قاعدة ما في كتاب من كتب النحو المتفرقة والتي لا يتيسر لكل أحد امتلاكها ، وتهيئه لان يصير منشئا خطيبا من الدرجة الاولى عربيا قحا .

لا أريد كتبا تختصر من الكتب السالفة الذكر اختصارا بل أريد ممن يؤلف في النحو كتب الدراسة أن يثور ثورة مهولة جريئة على النحويين فيكسر السجن الذي سجنونا وسجنوا فيه أنفسهم ، ويطلقنا من ربقة أفكار المؤلفين ولا سيما المتأخرين ، فينبذ وراء ظهره الاسلوب الذي التزموه وهو تضخيم علم النحو وتكثيره وصيرورته علما عظيم الجثة بالعمامة والثياب حتى صار شبحا مخوفا فحرموا من النفع به عموم الامة وكانوا سببا في ابعادها عن لغة القرآن وعن لغتها المحبوبة وحرموها من التقدم وزوال الامية .

أريد ممن يؤلف أن يقلب وضعية العلم رأسا على عقب اعرابا وتصريفا

(١) فلينبذ تلك التعاريف المعقدة التي أول من جاء بها الرماني ، والتي الجانا إلى النزاع هل تعريف الفاعل رسم أو حد ، وقد ادخل فيه الحكم الذي هو الرفع أو العرض العام وهما لا يدخلان الحدود وهي قاعدة منطقية والمنطق يتأخر طبعا عن النحو فكيف يقدم

(٢) ولينبذ عنا ما خلط بالفن من قواعد علمي المعاني والبيان اللذين هما كنتيجة لعلم النحو ويتكرر على التلميذ قراءتهما عند ما يقرؤهما في الوقت المخصص لهما وذلك مما ضخم به صاحب التصريح على التوضيح كتابه ، وأفاض فيه بحشوه مثلما فعلوا في

مبحث حروف الجر هل ينوب بعضها عن بعض مجازاً أو استعارة ، مع أن هـذا مبحث لغوي وقد كرروه حتى في علم الاصول فزادوا النحو صعوبة ، وهكذا علم الوضع أتوا بجل قواعده في علم النحو ، وكل من هذه العلوم له تآليفه ويطلب في إبانه ، ومن طلب الشيء قبل إبانه عوقب بحرمانه .

(٣) ولينبذ عنا كل حجج النحويين وتوجيهاتهم الخيالية التي ليست عليها مسحة من القبول ، وليقتصر على الاستدلال بالسماع الصحيح الذي تلقاه ثقاة أهل الفن كالخليل وسيبويه ويونس والاصمعي وأمثالهم من العرب الموثوق بعربيتهم ، فليجتنب تلك الحجج الخيالية التي هي فلسفة باردة ضخمت بها الكتب وضاع فيها الوقت ، فهم أنفسهم يقولون: اوهى من حجة نحوي ، والعرب أبعد الناس عن تلك الفلسفة الخيالية . وإن تعجب فاعجب للنحويين اخترعوا ادلة باردة سمجة ونبذ الفقهاء من كتبهم الادلة التي بنيت على الاصول القويمة والتي لا يكون الفقيه فقيها إلا اذا عرفها وحررها .

(٤) ولينبذ عنا كل خلاف كوفي أو بصري أو بغدادي وكل تحزب لفريق ضد الاخر ، فالعلم لا وطن له ، وكل قول عضده سماع صحيح فصيح لم تلجئ اليه ضرورة الشعر فصحيح مقبول ، لان من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وزيادة الثقة مقبولة في كل فن ، فلا معنى لبقاء الخلاف بعد ثبوت السماع الا تكثير الشغب والجمود على التحيز لفريق دون آخر ولغة العرب ليست بصرية ولا كوفية .

إن جل مسائل الطب فيها خلاف ولكن الطبيب لا يعالج مرضاه بقوله في علاج هذا الداء خلاف بل يعالجه من طريقة يختارها وتترجح عنده صوابيتها ، ولو أراد تتبع الخلاف ما عالج مريضا ولماتوا كلهم قبل رفع الخلاف .

وعلى كل حال ان كل قول تجرد عن الدليل الصحيح فلينبذه ولا يعرج حتى على حكايته ويكفي ان يقول أول الكتاب كل مسالة نحوية لا تخلو من خلاف بين بصري و كوفي غالباً .

(٥) ولينبذ التأويلات البعيدة في السماع الصحيح الظاهر فان ذلك محض خيال وجحد للحق ، فتكلف التأويل هو الذى فتح على الاسلام كل ويل ، ولو فتح بابه لسقط على النحويين كل قواعدهم لانها إنما تستند للسماع الصحيح الظاهر غالباً وهو قابل للتأويل .

(٦) وليُنبذ تعليل بعض القواعد النحوية التي انحصر أفرادها فلم تحتج التعليل ولا التقييد كتعليل بناء بعض الاسماء كالضمائر وأسماء الإشارة بشبه الحرف ، فالمبنيات من الاسماء محصورة وما كان عليهم إلا أن يعدوها عداً ويمسكوا عن الأوهام الباطلة فالبناء جمود كالعدم بل هو عدم اختلاف الحركة الأخيرة مهما اختلفت العوامل ، والعدم لا يعلل على أن تلك التعاليل لا تخلو من نقد وأخذ ورد مما دل على فسادها واراقة بحور المداد على بسيط من أرض الرق من غير فائدة تجتلب ، فليس هناك مجهول استنتجوه ، ولا عويص افترعوه . بالله عليكم أي حاجة بنا لمعرفة علة بناء الاسم وكون بنائه على حركة وكونها خصوص كذا ؟ كل ذلك باطل ، وجيده من الفوائد العلمية عاطل ، وإنما هو تضخيم وتطويل لما خلقه الله قصيراً وتكثير للقليل بخيال أشبه بالخبال ، ولا خطر لعربي ببال ولا إسلامي قبل خوض الفارسيين في علوم العرب ، وإنما العرب كانت تنطق حسب أذواقهم السليمة وفكرتهم البدوية البسيطة المستقيمة لا شعور لهم بما تخيله النحويون ولا بما تفلسف به الفرس البصريون والكوفيون ، ومصلحة الأمة في تقصير علم النحو فطولوه ، وتقليله فضخموه ، فليجتنب المؤلف أمثال هذه الأحاجي المسترذلة .

(٧) وليُنبذ تعقيد قواعد ليست لها فوائد وإنما هي كمد الموائد للطعام ولا طعام ، كقاعدة إن المبتدأ لا يكون نكرة إلا بمسوغ ويطيلون ذيول القاعدة ببيان المسوغات ، ثم يكثرون على ذلك بما يشبه أن يكون مبطلا له ، وهو أن المدار على حصول الفائدة ، ونسوا أنهم قعدوا قاعدة أول الفن ، إنهم لا يعتبرون من الكلام إلا ما كان مفيداً ، فأي فائدة حصلت من هذه القاعدة ؟ وهكذا القاعدة الأخرى المشابهة لها أو المأخوذة منها ، وهي ان صاحب الحال لا يكون نكرة إلا بمسوغ وينوعون المسوغات ، ثم يقولون انه ورد في الصحيح بدون مسوغ صلى النبي (ص) قاعداً وصلى وراءه قوم قياماً فصار حاصل الفذلكة صفراً .

وكقاعدة ان المصدر المنكر لا يكون حالا بقياس وإنما هو موقوف على السماع مع وروده بكثرة في الكلام الفصيح ومع الثبوت المستفيض لم يبق ما يوجب تحجير القياس مع ثبوت إطلاق المصدر على اسم الفاعل واسم المفعول ، ما ذاك إلا خيال التوجيهات النحوية والفلسفة الباردة .

وكقاعدة أن لا يحذف الجار وينصب مجروره قياساً وابقاءه على السماع مع وروده كثيراً في الفصيح، وقد رأيناهم في مسائل أخرى إذا وردت جزئية أو جزئيتان عن العرب أباحوا القياس ، والمنع مخالف لاصل القياس المبني على أن الحكم يدور مع العلة فليس التحجير إلا من خيال الفلسفة الباردة .

وقد أقدم ابن مالك كغيره في مواضع من الالفية على نبذ التحجير المجحف كقوله:

وسبق حال ما بحرف جرّ قد ابوا ولا أمنعه فقد ورد

وكقوله في منع العطف على ضمير الرفع المتصل :

وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا

فبأمثال هذه القواعد وهذه التحجيرات والنزاع فيها وفي توجيهاتها الفلسفية الباردة طال علم النحو وضخم ومصيبة الامية جاءت الامة من طوله وضخامته .

(٩) ولينبذ وراء ظهره أن يذكر في تآليف الدراسة الابتدائية ما لا يصل إلى فهمه أهلها مثل تعريف الكلام والكلم والكلمة واللفظ والمفيد الخ . . فتعريف أمثال هذه الامور لا يحتاج اليها المتوسط ولا تفيده ولا يجوز إتعابه وإتلاف وقته فيها فضلاً عن المبتدئ لقلة جدواها وإنما فيها إرهاب طالب النحو إذ يجد هذه المسائل الصعبة القليلة الجدوى في أوله فيظنه كله صعباً فيذهب مهرولا ويترك لهم نحوهم يقيمون زيدهم ويضربون عمرهم .

ومثل ذلك تعريف الاعراب والاختلاف فيه هل هو لفظي أو معنوي . وما أبعد تلك التدقيقات عن المبتدئين بل عن المتوسطين وما أقل جدواها وما أكثر الوقت الذي يضيع فيها .

ومن ذلك الاشتغال في كون تقسيم الكلام إلى اسم والى فعل وإلى حرف ، هل من تقسيم الكلي الى جزئياته أو الكل إلى أجزائه ، ثم انهم اعترضوا الكل وأظلموا المسالك بمصطلحات منطقية لا تطاب ولا تفهم إلا بعد تحصيل جملة من النحو . فيالله من قوم لم يرق في أعينهم إلا أن يكون طريق النحو وعراً مظلماً ، وهكذا ما دمت سائراً مع أبواب النحو تجدهم فتحوا الباب بقولهم باب كذا ثم في أول قاعدة أو ثانيتها تجدهم أوصدوه بل جعلوا عليه رصداً وطلسمات بأنواع من الصعوبات ليطردوا الناس عن لغتهم

ويصعبوها عليهم ، وهي من أسهل اللغات وأكثر الصعوبة خلط فلسفة النحو بالنحو وكان ينبغي أن تجعل كتب فلسفة النحو مستقلة للمتخصصين فيه ، وليس عملهم هذا خاصاً بالنحو بل هو داء عياء وصلت عدواه إلى سائر العلوم العربية .

فهذا علم البيان أكثروا فيه من الخيال فصيروه صعب المرتقى ، وقد كان ثمرة يانعة دانية وضخموه بخلافات السكاكي والزمخشري وغيرهما ، حتى انك إذا تطلبت قاعدة من قواعده نقية لم تجدها إلا في وسط مستنقعات من الاوهام والابحاث الجوفاء بل حتى تخوض لأجلها بحوراً من التمويهات السرابية

وهكذا علم أصول الفقه ضخموه بعلم المنطق والجدل واللغة والتوحيد ، حتى التصوف ، فصار علم الاصول وسط هذه العلوم لا يبصر إلا بمكبرة كاشفة ، كهلال تحت الغمام .

أما علم اللغة الذي هو سماع محض فلم تجد الفلسفة منفذاً اليه فقد ضربوا دونه سداً بالالغاز الاختصارية فلا بد لمن أراد الكشف عن لفظة أن يغوص قاموس التعمية الذي اختصر صاحبه سفراً فأوجب على شارحه عشراً .

أناشدكم الله أيها المؤتمرون أن تأخذوا بيد هذه اللغة العربية الجميلة الراقية من أصل وضعها والتي أضاعها أهلها ، وقضى عليها حب الفخفخة العلمية والاباحة العرفانية ، فقضى عليها تكبير العلم وتصغير التأليف ، فبينما هم يريدون تكبير العلم وتضبيره في صف العلوم الواسعة الطويلة العريضة إذا بهم يصغرون التأليف فيتسابقون الى الاختصار إلى أن يصلوا حد الالغاز والتعمية فيحوجونا إلى أسفار الشروح والحواشي ، فنريد ممن يؤلف ان تكون له براعة تامة وفكر وقاد ومقدرة واسعة ومبدأ صحيح وجرأة نادرة فلا يختصر لنا ما هو مختصر أو مطول ، ولا يوضح لنا ما هو محتاج لايضاح فقط بل يقلب وضعية العلم ويتصرف تصرف الناقد البصير ويستخلص القواعد النحوية أو البيانية أو غيرهما استخلاصاً صحيحاً بفكر مستقل ، فلا يدخل فناً في فن ولا يكثر من القشور حتى يفنى اللب ، ولا يكثر في العلم من الفلسفات الخيالية الباردة ، بل يقتصر على القواعد الصحيحة النقية يفرغها في قالب عربي صميم مصقول على نسق تآليف المتقدمين بحيث يستغني في كل تأليف عن أي شرح أو تكملة بل يكون كافياً للصف الذي الف لاجله مفهوماً بنفسه من غير تشتيت للضمائر ولا احتياج إلى تقدير مضاف ولا احداث اصطلاح لكل كتاب

بل يكون اسلوب التأليف اسلوباً عربياً قحاً سالما من كل ابهام أو ايهام أو لكنة أو تعقيد وانما هو سرد مسائل كل فن وقواعده مستغنياً بالتنصيص عن التعويص من غير تطويل ولا زيادة على المقصود من الفن ولا اختصار مخل به .

ويكثر في الكتب الابتدائية من الامثلة والتمرينات ، وفي غيرها يكثر من الشواهد العربية والجمل الفصحى والكلام العالي ومهما أتى بقاعدة ساقها تامة القيود والشروط والمستثنيات الى غير ذلك مما تقدم . هذا واننا لمحتاجون لكتب التلاوة والاملاء والمطالعة تكون قوالبها وتراكيب جملها عربية فصحى وتكون مشكولة بأتقن ضبط الا انها تختلف باختلاف أصناف التعليم ، فالتي تكون للثانوي أعلى من التعليم الابتدائي ولكن كلها يكون معانيها في الاخلاق والتهذيب اذ الامة بأخلاقها ونحن احوج ما يكون لتكوين امة مهذبة ذات أخلاق اسلامية عالية ، بل نحن احوج الى التهذيب منا الى التعليم ، فالاحسن والواجب ان تكون كتب التلاوة والاملاء كلها كتب أخلاق وتهذيب يستفيد التلميذ من معناها لمبناه وروحه ، ومن الفاظها وحسن تراكيبها لاصلاح لسانه ولهجته وتدريبه على الفصاحة والبلاغة والاخذ بضبعي البيان ، ولا بد من مزج الكتب الثانوية منها بجوامع كلمه عليه السلام وبآيات الاخلاق وأحاديثها الصحاح وامثال العرب وخطب الخلفاء وحكم الحكماء وغيرها مما هو راجع للاخلاق والتهذيب وذلك افضل من حكايات ماتت بها كتب جعلت لهذا الفرض كبحر الادب الذي يدرس به التلاوة في مدارسنا المغربية الدولية .

وانا لمحتاجون الى معجم لغوي يجمع كل ما في القاموس وشرحه وتكملته وصلته وذيله الذي ذيل به صاحب الشرح (مؤلف له خطي مستقل موجود جله بمكتبة القرويين) وكل ما في اللسان وغيره من المعاجم المعروفة بحيث ان من راجع مادة منه ايقن واطمأن خاطره انه حصل منها على المراد ولم تبق نفسه متشوفة لسواه ، ولا يقتصر على ما اقتصر عليه صاحب اقرب الموارد فانه اخل بشيء كثير من الفن .

ومحتاجون الى معجم عصري يجمع دوال الاشياء المستحدثة اما من صميم العربية ان وجد لها لفظا والا فيكون بالوضع الجديد على نسق ما كان يفعله أسلافنا عند ترجمة كتب اليونان وغيرهم ؟

محمد الحجوي الثعالبي

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٥

١٢ = المعرب والتعريب

المعرب : ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها . واشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من العجم نكرة مثل ابريسم وجوقة وسرادب ، فإذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحاق فلا يسمى معرباً ، وانما يسمى اعجمياً . ومن هذا تعلم ان التعريب : هو نقل الكلمة من لغة أجنبية الى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ويسمى الاعراب ايضاً مثال ما تغير عند التعريب (شكر) فانه معرب (سكر) و (اقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليد) و (بنفسج) فانه معرب (بنفشه) و (هنزمن) معرب (انجمن) لمجمع الناس . ومثال ما عرب من غير تغيير (نوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان استمداد لغة من أخرى يعد من أسباب نمائها . فالتعريب بالنسبة للغة العربية أحد عوامل توسيعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلم غير يسيرة من لغات شتى وأكلتها مستمرئة وهضمتها هضماً ، حتى أصبحت من لحمها ودمها ، وما في ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات الحية ، تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية ، وفي عداد هذه الاغذية ما تنتزعه لغة من أخرى من مختلف الكلم ، هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، وإلا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيباً لبعض آخر ، تأكل منها ما تشاء وتذر ما تشاء ، كما وقع للغة التركية فانها عاشت بجارتيها العربية والفارسية وأكلت منها أكل النهم الشره ، ولكنها بشمت ، وعسر عليها هضم ما ازدردته ، فحارت في أمرها ولم تزل حائرة ، وما ذلك

إلا اضعف بنيتها الاصلية وعاهات كانت ألمت بها منذ الطفولة على ما يظهر .

أما لغتنا العزيزة فهي - ولله الحمد - من أقوى اللغات على الهضم والتمثيل ، تنتزع اللفظة من أي لغة شاءت ثم تزدردها فلا تبرح أن تهضمها وتمثلها أيما تمثيل ، وتجري عليها تصاريفها وتصبح كأنها من الصميم منها . حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتعسر بل يتعذر عليهم في كثير من الاحيان تمييز الاصيل من الدخيل ، حتى أدى الامر ببعضهم إلى انكار أن يكون فيها شيء من غيرها البتة ، وانقلب الامر على آخرين فأخذوا يفككون عراها ، وينكثونها نكثاً ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبونه الى غير أصله ، ويردونه الى غير اهله . وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى أخرجوا لفظ (الادب) من صميم لغة العرب وهذا - لعمرك - شذوذ في الشذوذ وتطرف في التطرف . ولسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن ، لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام . ولكنا نريد ان نقول : ان أهم ما يجتنيه الباحث من الشعر في باب التعريب هو الإلمام بطرقه المختلفة التي سار عليها أسلافنا ، لان معرفة تلك الطرق ، وسبر منعرجاتها من اهم ما نستعين به في تذليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفقت أنهارها . نحن لا نشك في أن أولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ، لا يكلفونها فوق طاقتها ، ولا يقصرون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ويشبع نهمتها ، حتى أوصلوها الى ما أوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان ، فوعت عنهم ما شاؤا أن يوعوها من علم وادب ، ولم تضق ذرعاً بحمل ماحملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغيرمحسوس كما لم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بان اللغة بعد مجيء القرآن الكريم والنهضة الاسلامية غيرها قبلهما ، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر الاسلام . فاذا قارنت بين لغة العلوم اللسانية ، والشرعية ، والكونية ، ولغة عرب الجاهلية ، تجد البون بعيدا ، والمسافة قصية . وهل يرتاب مرتاب في أن لغة الغزالي ، والرازي ، وابن رشد ، في تآليفهم تختلف عن لغة امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ، وان لغة هؤلاء لو لم يتعهدها أهل

المعرفة بالخدمة ، والتوضيم ، والصقل ، والتهذيب لضاقت ذرعا بتلك العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة ٠

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب وما علينا إلا أن نشق لنا طريقا لاحبا من بين هذه العقاب المنبثة ، ونتخذ من أعمال أولينا مناراً نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل ٠ ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثا ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للغتهم هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطوراً هائلا ، وصار من البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنيها كتفاً لكتف ، وسنشير في آخر هذه المحاضرة إلى نماذج من طرق التعريب التي سلكها الاولون ٠ وعلى الباحث بعد أن يرجع إلى ما أفرده العلماء من التآليف المهمة في هذا الباب الواسع ٠

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ، ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها ، وكيفية استعمالها ، يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة ٠ قالوا : ولا سيما بعد أن نحكم بان اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون له ما للأصيل ، وعليه ما عليه ٠

فأي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله ، والرجوع إلى سنخه ، وهل هذا إلا ضرب من ضروب العبث ، ولون من ألوان اللهو بالباطل ؟ ! وذهب آخرون إلى أن هذه المباحث جمة الفوائد ، كثيرة الثمر ، وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها ، إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية اللغوية ٠

بماذا يعرف المعرب ؟

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون غريبة النجار ، إلى أن يقوم الدليل القاطع على أنها معربة ٠ ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقارنتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية ، إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلا ، وقد نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة (الجمل) فانها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب

إلى لغاتهم كما قد تكون الكلمة أصلا في أكثر من لغة ، لأنها موروثة من امة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات ، مثال ذلك كلمة (أرض) المستعملة في العربية والانكليزية وغيرهما . فان الارض معمورة بالامم منذ وجدت الامم فلا يعقل أن أمة من الامم بقيت لا تعرف للارض اسما إلى أن سمعته من أمة أخرى فاستعارته منها ، هذا أمر تحيله العادة .

وهذا الباب من أضيق الابواب واغمضها ، ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز أوعر المسالك واصعبها . ومن ثمّ نجد أقواما خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل ، فتراهم حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة ، فبينا تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصميم ، الى نجار عجمي ، اذ تراهم يلصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية ، واذا طالبتهم بالدليل سلكوا بك بنيات الطريق ، وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ، ورضيت من الغنيمة بالاياب . وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوه :—

احدها = النقل بان ينقل ذلك احد أعلام العربية

الثاني = خروج الكلمة عن أوزان الاسماء العربية مثل الابريسم ، فان مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الاسماء العربية ولذلك اختلفوا في ضبطه ـ لانهم قد يخلطون فيما ليس من كلامهم ـ ولو كان من الأوزان العربية لما أخطأهم ضبطه ، ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف .

الثالث = ان يكون أول الاسم نوناً بعد راء مثل (نرجس) فانه معرب(نرگس)

الرابع = أن يكون آخر الكلمة زاياً بعد دال مثل (مهندز) ولذلك قالوا فيه (مهندس) ليبعدوا عما لا ألف لهم به .

الخامس = أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجص) فانهما معربان من (گوجان) و (گج)

السادس = ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل (منجنيق) للآلة الحربية المعروفة .

و (الجردقة) للرغيف و (الجرموق) للذي يلبس فوق الخف و (آلجوسق) للقصر و (الجوالق) للوعاء المعروف (بإسم جواله) و(الجلاقق) للبندق و(الجوقة) للجماعة من الناس ٠

السابع = أن يكون الاسم رباعياً أو خماسياً وهو خال من أحد حروف الذلاقة وهي (ب ر ف ل م ن) يجمعها قولك (فِرّ مِنْ لب) وهي أخف الحروف ، ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض هذه الحروف لتنحو بها نحو الخفة مثل (الزاووق) فانه لغة في (الزئبق) وشذ عن هذا الاصل كلمة (عسجد) فإنهم قالوا بعربيتها،مع أنها رباعية خالية من حروف الذلاقة وقال الأزهري في التهذيب – متعقباً على الوجه الخامس – قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات العربية من ذلك قولهم : جصص الجرو إذا فتح عينيه ، وجصص فلان اناءه إذا ملأه ٠ والصنج ضرب الحديد بالحديد ٠

الثامن = ان تجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل (الطازج) فإنه معرب (تازه) وهو الطري ٠

التاسع = ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل (الاصطفلية) وهي الجزرة فانها معربة ؛ وأما الصراط فالصاد فيه بدل من السين إذ أصله (السراط) مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة ٠

العاشر = أن يجتمع في الاسم السين والذال مثل (ساذج) فإنه معرب (ساده) وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما لا نقش فيه وما يكون على لون واحد لا يخالط غيره ٠

الحادي عشر = أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (سذاب) وهي بقلة معروفة فإنها معربة ٠

الثاني عشر = أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن سيده : ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة لان الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات ، فكلمة التفليش بمعنى الهدم ليست بعربية بخلاف كلمة شغل ، وقال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم

ولا تأخير ، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير .

هذا مجمل ما وضعه الاولون من الأعلام في هذه السبيل ، وقد توصل علماء اللغات لهذا العهد الى أصول في هذا الباب كان يعز على الاقدمين الوصول إلى بعضها ، وماذلك إلا لانصراف جماعات المستشرقين إلى دراسة اللغات المختلفة ، ولا سيما القديمة منها والايغال في أحشاء القرون البعيدة ، واستثارة دفائنها ، وبذل الوسع في دراسة أصول اللغات وفقهها ، والإحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها ، وقد صدروا عن هذه المباحث وهم يعلمون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد ، فإذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل ، واليهم فيه يرجع أمر العقد والحل .

ومن أمثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : إذا اتفقت كلمتان في لغتين لفظاً ومعنى ، و كان بين أهل هاتين اللغتين صلات جغرافية أو تجارية أو سياسية أو نحوها مباشرة أو بالواسطة ينظر ، فإذا كان ذلك المعنى من نتائج قرائح إحدى تينك الامتين ، أو من مصنوعاتهم أو من منتوجات بلادهم ومحاصيلها ، يرجح أن يكون أصلا في تلك اللغة ، منقولا منها إلى غيرها ، مثال ذلك الساعة ، فإن العرب كانت تطلقها على الجزء المخصوص من الزمن ثم لما أبدعوا الآلة المعروفة التي تدل على أجزاء الزمن وتعيينها أطلقوا عليها هذه اللفظة ، فهم أسبق الامم إلى تسمية هذه الآلة بهذا الاسم ، فإذا سمعنا الفرس أو الترك مثلا استعملوا هذه اللفظة بهذا المعنى ، نقطع بأنهم استعاروها من اللغة العربية ؛ ومثل هذا كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم مثل عطف و إضافة وتمييز وغيرها ، فإذا رأينا بعض الامم الشرقية استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب أو في معان تقرب منها نجزم بأنهم استعاروها من اللغة العربية ، هذا اذا علمنا بأن العرب دونوا هذه المصطلحات قبل غيرهم ، ومن ذلك كلمة القهوة فإنها موجودة في العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا أن العرب كانوا يطلقون هذه اللفظة على الخمرة ثم أطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن . وهي من منتوجات بلاد اليمن في الاصل ومنها انتقلت إلى البلاد الاخرى ، إذا علمنا هذا نقطع بأن هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار ، ومن ذلك (الجمل) و (الغزال) ونحوهما من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب أو كانت خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها .

وإذا علمنا أن المسك مثلا ينتج في بلاد التبت والصين وبعض بلاد الهند ومنها ينقل إلى سائر بلاد العالم ، وعلمنا أن هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية والفارسية والعربية . غيرها ، نعلم أن هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ومنها انتقلت إلى غيرها من اللغات مباشرة أو بالواسطة؛ ومثل ذلك (الكافور) فانه في السنسكريتية وغيرها ، ولكننا إذا عرفنا أن مصدر هذا النوع من الطيب بلاد الصين واليابان وملقا، وان اسمه باللغة الملقية (كابور) عرفنا أنها كلمة ملقية الاصل ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية (ببالا) أو (ففالا) والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

قلنا إن المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استثارة دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ودرسوا أصولها درساً دقيقاً واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة ، والصرف والنحو وغيرها ، وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد أرجعوا كل طائفة من اللغات الى أصل واحد ،وهذا الاصل اما أن يكون باقياً أو مندثراً ، فأصول الباقية هي التي سارع أهلوها الى تدوينها منذ العصور العريقة بالقدم، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طبقات القرون الخالية، أما فروعها فنمت واورقت ثم أثمرت ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فإذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية ــ مثلا ــ بنات لام واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم أن كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات فاذا رأينا لفظة في أكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد أو على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجح أن تكون هذه اللفظة من ميراث اللغات الام ، فهي أصل في كل منها . وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تخلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها أصلا في هذه اللغة .

وعلى هذا وضعوا قاعدة اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في لغتين أو أكثر ترجع الى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات احدى اللغتين أو اللغات يرجحون انتسابها الى اللغة الاخرى،مثال ذلك اذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلا

ولم يجدوها في العربية ولا الكلدانية يرجحون انها مصرية الاصل وان العبرية استعارتها من المصرية .

هل التغيير ضروري في التعريب

من الكلمات المعربة ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل (بخت) و (نوروز) ومنها ما يجري عليه التغيير يسيراً كان أو كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغيير وابقاء الاصل على حاله الا اذا دعت الى التغيير ضرورة ، فيصار اليه ؛ ولكن التغيير يكون بقدر ما قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ومع هذا فانا كثيراً ما نجد تغييراً لا تدعو اليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة ، مثال ذلك (الكعك) فانه معرب من (كاك) قلبت الفه عيناً من غير ضرورة داعية . و (الدهقان) معرب (ده خان) اي رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغيير لازم وآخر غير لازم مثل كلمة (البد) بمعنى الصنم ، فانه معرب (بت) قلبت فيه الباء الفارسية المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لئلا يدخل في الحروف العربية ما ليس منها ، وقلبت التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر .

وأسباب التغيير كثيرة منها : اشتمال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما أشرنا الى ذلك في أول هذا البحث ؛ ومنها أن يكون في الكلمة الاعجمية حركة لا وجود لها في العربية أو هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة (زور) بمعنى القوة ، فانها معربة من كلمة (زور) بضمة مشوبة بالفتحة ، فأبدلت عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية المشهورة ؛ ومنها الثقل (ناي) آلة الطرب المعروفة فانها معرب (ناي نرمين) وقد حذف شطرها الثاني للخفة ؛ ومنها نقص الكلمة الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل (صك) تشديد الكاف فانه معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً ، ومنها كون الكلمة الاعجمية مبدوءة بحرف ساكن ، فيضطر عند التعريب الى تحريكه أو زيادة همزة قبله مثل (هليلج) و (أهليلج) معرب (هليلة) وهو الثمر المعروف ؛ ومنها أن يجتمع

في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان سكونا على غير حده فيحرك أحدهما مثل (ابزن) تعريب (آبزن) كما تقدم ، ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فإن كان الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية مثل (دوره) لمكيال الشراب وللجرة ذات العروة و (لوزينه) لنوع من الحلوى و (روزونه) للكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيماً وهو الاكثر ، وربما قلبوها قافاً أو تاء فقالوا (لوزينج) و (زورق) و (روزونة) وقد نقلب هذه الهاء كافاً وعليه عربوا كلمة « نيزه » وهو الرمح القصير على « نيزك » .

وأسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الاعلام في وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الإمكان حتى قال بعضهم : يجب صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب أن ننطق بها كما ينطق بها أهلها من غير أدنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه صعب التطبيق ، لان الحكم على الالسنة باجراء ما لا عهد لها به أمر غير يسير ، كما يشهد به الواقع .

يتبع　　　　طه الراوي



آراء وأخبار

حول مقالة (الطموح عند المتنبي)

كافور وسيف الدولة في نظر الحق والتاريخ

(أكثر من كتب في هذه الأيام عن المتنبي كان قوله في هذين الرجلين نحواً من أقوال المتنبي فيهما، تأثروا بشعر المتنبي في مدح الاول وذم الثاني . ولم أر فيهم من نصب ميزان الحق بينهما فقال كلمة التاريخ ، بل كلهم أعاد قول الشاعر الذي يتجه جهة الربح ولا يؤخره عن هجاء امرئ في الغد ما أطنب في مدحه أمس . إلا أن أحداً لم يقل فيهما ما قال حضرة الفاضل الذي نناقشه بكلمتنا هذه)

قرأت في العدد العاشر من هذه المجلة كلمة الاستاذ احمد رضا في (روح الطموح عند المتنبي) وقد جره الاسترسال في الكلام ـ وهو في موقف المؤرخ الأمين ـ إلى أن يقول ص٣٦٧ من مجلة المجمع لهذه السنة بعد أن أورد طائفة من مدائح المتنبي في كافور :

« يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو العبد الزنيم الذي أذنه في يد النخاس دامية ، وقدره وهو بالفلسين مردود ، ويقبل منه ما لا يقبله من سيف الدولة فيخضع للإنشاد بحضرته قائماً وهو يعلم ان الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالا كالفرق بين الدرة والبعرة لا يقاس بحد . » اه

هذا قول إذن تنكره الحقيقة والتاريخ كل الإنكار ، وما كان لمؤرخ أن يصدر حكما على رجل لقول شاعر فيه ، وضلال كبير أن نعتمد على المتنبي في القضاء بين سيف الدولة وكافور ، بل هو نفسه مدح كافوراً ثم هجاه وقد بالغ في حاليه هاتين مبالغة منكرة

فبأيتهما نأخذ ؟ وإذا ساغ لصاحب الفن المولع بالجمال أن يستعذب أماديح الشاعر أو أهاجيه ، فإن على المؤرخ أن يطرحها طرحاً وألا يقيم لها حساباً إذا علم أنها لا ترجع إلا إلى سرور الشاعر بالعطاء أو غيظه من الحرمان .

وما عيب الشعر العربي بشيءٍ أشنع من أبواب المديح فيه ، وليت الزمن ذهب بهذه الثروة منه صفقة واحدة فأفناها غير مأسوف عليها ، إذاً لقرت عين الأدب والفن والكرامة ولارتفع الشعر عن دركات الاستجداء الشائن .

هذا وأول أدوات المؤرخ التي لا يكون مؤرخاً إلا بها ، التجرد والإنصاف ووزن الاقوال وما لابسها من ظروف ، ثم التروي والاناة والاستقصاء ، حتى إذا اطمأن المؤرخ الى مابذل من جهد أصدر حكمه بكل هدوء ، اصدار من يعرف أن الله سيسأله عن كل حرف سطره : ما هي حجته فيه .

فلاشرع في بيان ما أنكر من هذا القول الذي أتى به الاستاذ :

أ — اما كون كافور عبداً فليس بضائره عند التاريخ الذي لا يحكم على امرئٍ الا بأعماله ، عبداً كان أو حراً ، وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية كافة على إسقاط هذا الذي يزعم فرقاً بين خلق الله ، فالعبد كالحر والحر كالعبد في نظر الحق لا يرفع الإنسان الا صالح عمله .

ب — واما كونه زنيا فهذا ما أسأل الاستاذ إقامة البينة عليه من التاريخ ، أسأله ذلك بإلحاف ولا أقيله من الجواب عليه البتة .

ج — وأما التفاوت في الادب فهو صحيح كما ذهب اليه الاستاذ في إثباته ، وأنا أسلمه له مع إبائي أشد الإباء الشكل الذي وردت عليه عبارته .

د — وأما النسب والشرف فعجيب والله ذكرهما على سبيل المفاضلة . نعم كان ذلك في زمن مضى من الجاهلية أو من عصور الجهل والظلم ، فلما أتى الإسلام أبطله وهدمه تهديماً أقر عيون كل منصف حر في أقطار الارض .

ولا تنس ان من اكبر حسنات الإسلام جعله الناس كلهم طبقة واحدة ، وبهذا قضي على ظلم فارس والروم وغيرها من الامم التي كان فيها طبقات ، فيها الملوك وفيها الاشراف وفيها التجار وفيها العبيد . . . وكانت كل طبقة تسوم من دونها سوء

العذاب . فلما رحم الله الناس بالإسلام جهر كتابه بهذه الآية العظيمة الخالدة : (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله أتقاكم .)

وافرض ايها الاستاذ أن في تقاليد اليوم ما يجعل هذه الفروق معتبرة ، أفيسوغ لك وأنت المؤرخ الباحث ان تدخلها في جريدة الحسنات والسيئات فتجعل النسب مما يتفاضل به الناس في نظر التاريخ ؟

والاسلام هو الذي يقول قرآنه :(تبت يدا أبي لهب) وأنت تعلم ان ابا لهب ينتسب الى اشرف بيت من بيوت العرب ، هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ذروة سنام الشرف وغاية ما يعتز به النسب . وكتاب الاسلام هو القائل في ولد نوح : (يانوح إنه ليس من اهلك إنه عمل غير صالح) فأنت ترى في هذه الآية الفصل فيما بيننا فهي اسقطت نسب الدم واثبتت نسب العمل ، والامر كذلك في الواقع والحق ، فنسب الانسان عمله ولا يخفى على احد الحديث القائل بأن الله أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب .

ه - واما قولك : هذا درة وهذا بعرة فهو ما استهجنه كل الاستهجان لانك إن كنت تعني الخلقة فليس امرها الى كافور ولا الى سيف الدولة حتى نعيب الاول بتشويه صورته أو نثني على الثاني بتحسينها ، امر ذلك يا مولاي الى الله ، ومهما ترقى سيف الدولة في مراتب الجمال ومهما تدنى كافور في القبح فانا لا نغفر لك ان تشبه آدمياً بالبعرة والمحاريب يتعالى فيها كل يوم قول الله عز وجل « ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » وقوله : « ولقد كرمنا بني آدم » .

وإن كنت تعني بتشبيهك هـذا بالدرة وذلك بالبعرة فارقاً معنوياً مرجعه الى ما أدى كل منهما لرعيته من خدمة فهذا غير مسلّم لك .

وسأثبت لك شهادة المؤرخين في ان الامر على عكس ماذهبت اليه ، وان التاريخ يذكر سيف الدولة في عداد السفاكين الظالمين الذين استحلوا كل ما حرم رسول الإنسانية (ص) في قوله « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ويذكره مع

الذين اشقوا رعيتهم وفتنوها ، والتاريخ يعد كافوراً في طبقة الملوك الصالحين الحصيفين. وهاك براهيني :

١ — قال المؤرخ الذهبي في كافور : « وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول: اللهم لا تسلط عليّ مخلوقاً » وقال « وكان يرسل كل ليلة عيد وقر بغل دراهم في صرر بأسماء من ارسلت اليهم من العلماء والزهاد والفقراء » .

٢ — جاء في كتاب دول الإسلام ج ١ ص ١٧٣ في حوادث سنة ٣٥٦هـ (وفيها مات كافور وكان عجباً في العقل والشجاعة) .

٣ — جاء في وفيات الأعيان في ترجمة كافور : « وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس وغير ذلك ، وكانت أيامه سديدة جميلة » .

هذا كافور ، فأما سيف الدولة فإليك شذرات من أقوال المؤرخين فيه :

٤ — جاء في خطط الشام ج ١ ص ٢١٧ : « كان سيف الدولة يسير هو والشريف العقيقي بضواحي دمشق ، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد ، فقال له العقيقي : هي لأقوام كثيرة . فقال سيف الدولة : لئن أخذتها القوانين السلطانية ليتبرؤن منها . فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم » اهـ .

٥ — وذكر الأزدي سيف الدولة فقال : « كان سيف الدولة معجباً برأيه محباً للفخر والبذخ ، مفرطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال لمناظريه والعجب بآرائه سعيداً مظفراً في حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء الناس منه وعليه » . واذا علمت مصادر هذه الأموال التي كان بها سيف الدولة مفرطاً في السخاء والبذخ لم يعجبك سخاؤه ولا بذخه ، فقد قال صاحب الخطط بعد هذا : « نعم كان سيف الدولة جائراً على رعيته يخرّب قرية ليجيز شاعراً مدحه بقصيدة » ثم قال : (الخطط ج ١ ص ٢٢٣) « لقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الأبهة الضخمة في مملكته الصغيرة مصادرة رعيته ، فكان قاضيه أبو الحصين يقول : « كل من هلك فلسيف الدولة

ما ترك » ، ولذلك كثرت مصادرة كل غني من التجار وغيرهم فخربت البلاد الشمالية في أيامه » .

وما أحسن ما ذيل الأستاذ الكرد علي على كلامه في سيف الدولة حين قال : « وفي باب كرمه غرائب بسطت في كتب الأدب ، وكانها على ما فيها من المفاخر في خدمة اللغة والشعر تحمل في مطاويها مساوئ الظلم وإعنات الرعية ، فسيف الدولة ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته اكثر . » اه

وأنا لست من رأي العلامة صاحب الخطط في أن حسناته أكثر لأني ارى جميع هذه الهبات وذلك السخاء المزيف لا يقوم لدرهم واحد يأخذه من رعيته ظلماً ولا ينهض لقطرة دم يسفكها بغير حق - ولا بأس في ان أثبت هنا خبراً نقله الكرد علي نفسه عن ابن حوقل ، ما أظن أن أحداً فيه بقية من إنسانية ورحمة يرضى لنفسه ان يعد سيف الدولة في غير الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، لما أتاه من الإجرام الشنيع

٦ — ومن كثرة مظالم سيف الدولة ان بني حبيب وهم ابناء عم بني حمدان ، كانوا ينزلون نصيبين « فأكب عليهم بنو حمدان بصنوف الجور حتى خرجوا بذراريهم في اثني عشر الف فارس إلى الروم وتنصروا بأجمعهم ثم عادوا الى بلاد الإسلام على بصيرة بضار موعلم أسباب فساده وقلوبهم تضطرم حقداً » على ما قال ابن حوقل وأخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام وأطمعوا صاحب الروم بأنطاكية وحلب) .

فهل تفي بهذه الوصمة كل ما يعد لسيف الدولة من مآثر وحسنات وعطايا وهبات ، مع فرضنا ان هذه العطايا وتلك الهبات من ماله الحلال لا من أموال الرعية ولا من المظالم والمصادرات .

* * *

أرأيت أيها الاستاذ (رضا) كيف ان سيف الدولة بطأ به عمله ولم يسرع به نسبه وان كافوراً سماء وصاحبك ارض - وقل ذلك في صفة من عمل عمله .

إن العلم والأدب أمانة فلينظر قارئ في كتاب ما ترك مؤلفه من عقله وأمانته وما اخذ ، وليتق الله قضاة التاريخ والأدب فإن المهمة شاقة والحمل ثقيل والناقد بصير .

سعيد الأفغاني .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

بحر العوام

فيما أصاب فيه العوام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله العربي المبين

ترجمة المؤلف . — هو الشيخ الإمام أبو عبد الله رضيّ الدين محمد ابن ابرهيم بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، ترجمه الغزيّ في الكواكب السائرة ترجمة مختصرة ، والشهاب الخفاجيّ في ريحانته ، ومما قاله : « وله نظم كما انتظمت دراري الزهر ، ونثر كما نثرت يدُ الشمال على وجنات الرياض لآلئُ القطر ؛ وله تصانيف جمّة تزينت بها البلاد ، وأمست تمائمها منوطة بأجياد الأجواد ، فهو نسيج وحده وآثاره في حلل الفضل طراز مذهب ، وأسدٌ في مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب ، وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغباً ، أو لسحبان لظلّ لذيل الخجل على وجه البسيطة ساحباً . . . »

حياته · = قال صاحب [1] « أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء » :
كانت ولادته سنة ٩٠٨ كما وجدته في فهرست المكتبة السلطانية المصرية ، وتوفي في حلب سنة ٩٧١ للهجرة ·

دراسته · = وأما دراسته فقد قرأ القرآن على الشيخ أحمد بن الحسين الباكزي ، وقال في ترجمة شيخه عبد الرحمن بن فخر النساء : تفقهت أنا ولله الحمد على شيخنا صاحب الترجمة قراءة ، وسمعت عليه سماع دراية جانباً من شرح الشافية للجاربردي ، وجانباً من شرح الكافية للهندي ، بقراءة البرهان الصيرفي الأريحاوي ، وقطعة من صدر الشريعة بقراءة الشمس محمد ابن طاس بصتي ؛ وقرأ على الشهاب أحمد الهندي الدلوي نزيل حلب كتاب المطوّل وحواشيه للشريف الجرجاني ، وقرأ على محمد بن شعبان الديروطي بحلب سنة ٩٤١ شرح النخبة لابن حجر في مصطلح الحديث ، وأجازه في إقرائها لمن شاء ، وأن يروي عنه صحيحي البخاري ومسلم ، وقرظ له بعض مؤلفاته ؛ وقرأ النزهة [2] في الحساب على الشيخ محمد الخناجري ، والبلاغة على الشيخ موسى الرسولي نزيل حلب ، ومتن الجغميني [3] على وليّ الدين الشرواني ، قال المترجم : وهو أول أستاذ لي في هذا الفن ، وقال في ترجمة البرهان إبرهيم العمادي : أخذت عنه عدة فنون الى أن أجاز لي جميع

---

(١) ٦٠/٦ وصاحب الاعلام هو عالم الشهباء ومؤرخها الشيخ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي ومن تاريخه اقتبسنا مادة هذه الترجمة · (٢) هي نزهة الالباب في علم الحساب لعبد العزيز المغربي المكنامي المتوفى سنة ٩٦٤ · (٣) الملخص في الهيئة لمحمود بن محمد الجغميني وعليه شروح جمة ·

ما يجوز له ، وعنه روايته اجازة مفصلة بخطه سنة ٦٤٨ ·

تصوفه — لم نطلع على كتب التصوف التي قرأها على اشياخه ، ولا على سيرته في التحنث والتنسك لنحكم على مبلغ علمه ونوع تصوفه وتأثره به ، ولعل تصوفه هذا قد كان تصوف تبرك ومجاراة لطريقة علماء عصره ، فقد شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندري وهي جمة الشروح ، والف حور الخيام في رؤية خير الانام في اليقظة والمنام وكتب رسالة تسمى تلميظ الشهد لاهل الحل والعقد شرح فيها احد وعشرين بيتاً كان نظمها على لسان شيخه في التسليك وهو الشيخ عبد اللطيف الجامي الذي قال في ترجمته : وقد سألته في تلقين الذكر فلقنني اياه بالتكية الخسروية وصافحني واجاز لي ولله الحمد ان ألقن وأصافح ، وكتب لي دستور العمل ، ولكن بالفارسية لاشتغاله عن التعريب باهبة السفر ، فاستأذنته في تعريبه نظماً ونثراً ، فأذن ، فعرّبت وعرضتُ التعريب عليه فاستملحه ، وصار الناس يكتبون منه نسخاً ولله المنة ·

أدبه = كان المؤلف يتكلف البديع في نثره وشعره على نمط الأدب في عصره ، فإن ما نذكره من أمثلة نظمه يدل على ذلك ، وعلى أنه من شعر العلماء الذين تأثروا بمصطلحات العلوم فلم تخلُ منها أشعارهم ، ولم يتيسر لهم أن يتذوقوا البليغ من النثر والشعر ، وكان المترجم من علماء اللغة والمشغوفين بها ، فقد اهتم بلهجة بلدته وردها الى لغة أمته الفصحى ، وله في التاريخ كتابا در الحبب والزبد والضرب وكلاهما في تاريخ حلب ،

وألف في الأحاجي والألغاز على نمط أبناء عصره ، فله كنز من حاجى وعمّى في الأحاجي والمعمّى وشرحه بكتاب سماه غمز العين الى كنز العين ، وألف في صناعة الإنشاد كتاباً سماه تحفة الأفاضل في صناعة الفاضل ، وله ديوان لشعره جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملاّ ، فمن شعره :

قوامك يا بدر النحاة كأنه قناً أو قوامُ السرو أو ألفُ الوصلِ
وعينك فاقت كل عين بكحلها فما أنت إلا زيدُ مسألة الكحلِ [1]

وقوله :

يلومونني في ترك ضم قوامه ولا إذن للنساك في الضم واللثمِ
نعم بيننا جنسية الود والصفا ولكنني لم ألفها علة الضم

وتنسب إليه هذه الرباعية :

طرفاك كلاهما ضعيف وعليلْ مثلي وأنا العليل من أجل عليلْ
من ضعفيَ قد صرفت ميلي لهما والجنس الى الجنس كما قيل يميل

مؤلفاته = إن ثبت مؤلفاته الذي نسرد جريدته لك الآن كافٍ في الدلالة على اتساع دائرة معارفه التي لم تقتصر على علوم الدين والأدب ولغة العرب ، فقد حمله شغفه بالعلم على درس كثير من العلوم الطبيعية والرياضية والتأليف فيهما ، ورأينا في ترجمته أنه قرأ نزهة الألباب في علم الحساب ، ومتن الجغميني في الهيئة ، وألف رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح للنزهة ، وله أيضاً : عدة الحاسب وعمدة المحاسب ،

(١) اشارة الى مسألة الكحل المشهورة بين النحاة .

وشرح إيساغوجي في المنطق ، والدرر الساطعة في الأدوية القاطعة ، ومخايل الملاحة في مسائل الفلاحة ، ورسالة ألفها برسم السلطان سليمان في عشرين علماً ، وإليك ثبت مؤلفاته المعروفة :

١ در الحبب في تاريخ حلب يشتمل على ٦٣٣ ترجمة فيها كثير من أرباب الصناعات والفنون .

٢ فتح العين عن الاسم غير أو عين .

٣ الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة .

٤ أحكام الأشعار .

٥ أنموذج العلوم لذوي البصائر والفهوم

٦ تعليقة على تفسير البيضاوي .

٧ الزبد والضرب في تاريخ حلب .

٨ تذكرة من نسي بالوسيط الهندسي : منه نسخة في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية .

٩ تروية الظامي في تبرئة الجامي : في الرد على روح الله القزويني في تشنيعه على شيخه عبد اللطيف الجامي .

١٠ تلميظ الشهد لأهل الحل والعقد : شرح فيه ٢١ بيتاً قد نظمها على لسان شيخه عبد اللطيف الجامي .

١١ حدائق الازهار ومصابيح انوار الانوار

١٢ الحدائق الانسية في كشف حقائق الاندلسية في العروض :

موجود بخط المؤلف في المكتبة الحلوية بحلب

١٣ شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندري

١٤ حور الخيام في رواية خير الانام في اليقظة والمنام

١٥ ديوان نظمه جمعه تلميذه الشيخ أحمد بن الملا : منه نسخة في السلطانية بمصر ضمن مجموع رقمه ٨٥ .

١٦ ذخيرة الممات في القول بتلقين من مات .

١٧ ظل العريش في منع حل البنج والحشيش .

١٨ رفع الحجاب عن قواعد الحساب وهو شرح النزهة في الحساب : منه نسخة عند الشيخ نبيه الهبراوي بحلب ، ونسخة في الأحمدية ، وأخرى في بيت سلطان بحلب .

١٩ سهل الألحاظ في وهم الألفاظ .

٢٠ الشراب النبلي في ولاية الجيلي .

٢١ شرح المقلتين في حكم القلتين .

٢٢ عدة الحاسب وعمدة المحاسب .

٢٣ عرف الوردي في نصرة الشيخ الهندي .

٢٤ مستوجبة التشريف بتوضيح شرح التصريف .

٢٥ التعريف على تغليط التطريف: حاشية على حاشيه محمد بن العرضي المعروف بابن هلال المسماه بالتطريف .

٢٦ ربط الشوارد في حل الشواهد : شرح شواهد شرح السعد على

الغزي في الصرف ، موجود بخط المؤلف في المكتبة الحلوية ، ومنه نسخة في اليسوعية (بيروت) وأخرى عند الشيخ مصطفى كزبرة بحلب .

٢٧ زبالة السراج على رسالة السراج : حاشية على فرائض السجاوندي

٢٨ الفرع الاثيث في الحديث .

٢٩ المنثور العودي على النظام السعودي : وهو شرح لميمية المولى أبي السعود العمادي التي مطلعها (أبعد سليمى مطلب ومرام)

٣٠ كحل العيون النجل في حل مسألة الكحل : رسالة مفصلة .

٣١ الكنز المظهر في استخراج المضمر .

٣٢ كنز من حاجى وعمى في الاحاجي والمعمى وشرحها بشرح سماه غمز العين إلى كنز العين : منه نسخة في بيت سلطان بحلب ، وفي المكتبة السلطانية بمصر ، وفي بيت مرعي باشا الملاح بحلب ، وهي بخط المؤلف سنة ٩٦٥ في ثلاثة كراريس .

٣٣ مرتع الظبا ومربع ذوي الصبا : منه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر .

٣٤ مصباح الدجى في حرف الرجا .

٣٥ مطلوب الخاني في السفر السليماني .

٣٦ مغني الحبيب عن مغنى اللبيب .

٣٧ الفوائد السمية في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، وهو شرح مفصل .

٣٨ أنوار الملك على شرح المنار لابن ملك في الأصول ، حاشية مطبوعة في القسطنطينية مع حاشيتي الرهاوي وزيرك زادة على الشرح المذكور ، يوجد منها نسخة خطية في الأحمدية بحلب والخالدية بالقدس .

٣٩ نجوم المريد ورجوم المريد .

٤٠ حاشية على وقاية الرواية في مسائل الهداية في الفقه الحنفي .

٤١ حاشية على شرح اللب في علم الأصول .

٤٢ تحفة الأفاضل في صناعة الفاضل في الإنشاء رسالة بخطه في المكتبة الحلوية .

٤٣ حاشية على لباب العقد في فقه الشافعية سماها شرح اللباب .

٤٤ تأهيل من خطب في ترتيب الصحابة في الخطب .

٤٥ رسالة في عشرين بحثاً في عشرين علماً ألفها برسم السلطان سليمان

٤٦ القول القاسم للقاسمي قاسم .

٤٧ قفو علوم الأثر رسالة مطبوعة في علم الحديث .

٤٨ مخايل الملاحة في مسائل الفلاحة .

٤٩ الروائح العودية في المدائح السعودية في السلطانية بمصر في مجموع رقمه ٨٥

٥٠ رسالة تشتمل على جملة ما يهواه السامع لقصد تشنيف المسامع له في السلطانية بمصر ضمن المجموع المتقدم .

٥١ الجواري المنشآت في الجواري المنشآت ضمن المجموع .

٥٢ روضة الأفراح على السراجية في الفرائض ، في المكتبة العمومية في الآستانة.

٥٣ شرح ايساغوجي في المنطق وهو على تصوراته .

٥٤ الدرر الساطعة في الأدوية القاطعة منه نسخة في برلين ، وفي المتحف البريطاني .

وهذه التراجم مذكورة في كشف الظنون وفي تاريخ المؤلف در الحبب ، وفهرست السلطانية بمصر وغيرها قال الاستاذ الطباخ : «هذا ما وقفت عليه من مؤلفات هذا العالم الجليل ، ولعل له في الزوايا خبايا يعثر عليها بتتبع المكاتب فقد كان رحمه الله كبير التحرير والتحبير كما رأيت» أقول : ومن تلك الخبايا كتاب بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام ، وإليك وصف مخطوطته :

وصف مخطوطة بحر العوّام — إن هذه المخطوطة تشتمل على مائة واثنتي عشرة صفحة ، وسعة الصفحة الواحدة تبلغ(٢٠×١٢٫٥ سم) وفيها ١٧ سطراً ، والورق حريري يضرب إلى الصفرة ، وقد كتبها بخط النسخ علم الدين ابن محمد شمس الدين الكومي سنة ١٠١١ هجرية أي بعد وفاة مؤلفها بأربعين سنة . وقد أكلت السميكة النسخة إلا أن معظم تأثيرها في أطراف الصحائف ، ولو لم تعاجل هذه النسخة بالنشر لتعذرت قراءتها ولضاع كثير من فوائدها .

ولقائل أن يقول إن المصنف ليقوّي برسالته هذه الضعيف ، ولا يداوي المريض أو يقوّم المعوجّ من لغة العامة ، وكان هذا يرد لو أن المؤلف لم ينص على درجات اللهجات فيبين القويّ والأقوى ، والضعيف واللغية التي

تروى ، وبذلك يتمكن دارس الكتاب من معرفة مراتب الخطأ في لغة الشام والصواب ، ويستشهد مؤلف هذه الرسالة على صحة ما يبينه بأقوال أئمة اللغة والنحو كيونس بن حبيب وسيبويه وابن هشام والشيخ الرضي وابن منظور صاحب اللسان وابن برّي وغيرهم

ومن فوائد هذه الرسالة اطلاعنا على لهجة بلاد الشام الشمالية في القرن العاشر ، وكثير من هذه اللهجة لا يزال دائراً على الألسنة إلى يوم الناس هذا في حلب ودمشق وقراهما ، وبعضها حي في فلسطين بلاد الشام الجنوبية ، ولم أجد أحداً من علماء دمشق المتأخرين يبحث فيها عن لغة العامة على نمط الرضي الحلبي ، غير أني اطلعت في خزانة صديقي الشيخ الحكيم (الدكتور) أبي اليسر عابدين على رسالة في عدة دفاتر للفقيه الكبير السيد علاء الدين ابن العلامة السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة في فقه أبي حنيفة ، فوجدتها تشتمل على جرائد من ألفاظ العامة بدمشق وفيها كثير من الالفاظ الأعجمية من تركية وإيطالية وغيرها ، ولا يعمد مؤلفها إلى إرجاع العامية إلى الفصحى كما فعل مؤلف بحر العوام ، وتفيدنا هذه الرسالة في معرفة ما بلغته العامية في دمشق منذ نصف قرن تقريباً من الانحطاط وكثرة الاختلاط بالالفاظ الاجنبية فقد (*)

سرت لوثة (الأعجام) فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

التنوخي

(*) البيت لحافظ ابراهيم ، وانما استبدلنا في الصدر الاعجام بالافرنج لينطبق البيت في معناه على ما كانت عليه لغتنا العامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد مَن منّ على العرب أيّ منّه ، فجعل لسانهم لسان أهل الجنه ، واصطفى أفصحَ الفِصاح ، من مَعدِن قريش البطاح ، بل أفصح من نطق بالضاد ، وأجلّ من رَوّى بمياه شريعته كل صاد ، محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، بالكتاب العربي المبين ، المنصور بالأبيض والأسمر ، في إعلاء كلمة الدين المتين ، عليه من الله السلام ، أتمّ الصلاة وأعم السلام ، وعلى صحبه وآله ، ومن نسج على منواله ، ما أفصحت المباني عن المعاني ، وأغنت البلابل عن رنّات المثاني .

أما بعد فيقول المفتقر الى الله الغنيّ ، والمستضيء بنبراس توفيقه السنيّ ذو القصور المتجلّي محمد بن ابرهيم بن الحنبلي الحلبي مولداً ، التادفيّ محتِداً ، القادريّ مشرباً ، الحنبلي مذهباً ، أنطقه الله بصواب الأقوال ، وصرف اليه ثواب الأعمال ، قد عنّ لي وعوائق الهموم لذُكاء [1] الذكاء كاسفة ، ولاح لي وبوائق الغموم ليس لها من دون الله كاشفة ، أن أضع تأليفاً هو في نفسه دُرّة غوّاص [2] وبالنظر إلى سَعَفه [3] خوّاص ، مشتملاً على ما

---

(١) الشمس (٢) فيه اشارة الى كتاب درّة الغواص في أوهام الخواص للحريري صاحب المقامات وقد طبع في مطبعة الجوائب ١٢٩٩ (٣) السَّعَفُ جريد النخل ـ

يعتقد الجاهل أو الناسي ، أنه من أغلاط عوامّ الناسِ ، وليس في شيءٍ من الغلط ، ولاهو في نفس الأمر من ذلك النمط ، موسوماً **بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام** .

والذي حملني على تأليفه ، وتنضيده وترصيفه ، فرطُ الحمية والغضب ، وتوفّر العصبية لهذا الجيل من العرب ، وإن علك عوامّهم الكلام ، علكَ اللجام ، أو فرّت عنهم العربية ـ وما بأيديهم منها سوى الرمام ـ فرار السهام ، أو كادت الفصاحة تعفو آثارها ، والبلاغة تخبو مزاياها وأسرارها ، لو لا شرذمة اكتسبوا من علمي الفصاحة والبلاغة حصّةً ، وطائفة شربوا ما دفعوا به الغُصّة ، والله أسأل ، وإن غيره لن يُسأل ، أن يصونني عن الخلل والزلل ، في حالتي القول والعمل ، بمنه ويمنه ، فلنشرع بمدده ، فيما نحن بصدده ، فنقول :

١ = من ذلك قولهم : « أبٌّ أخٌّ » بتشديد الباء والخاء في أب وأخ بتخفيفهما ، إذ هما لغتان فيهما ، على ما ذكره الشهاب أحمد الحلبي المعروف بابن السمين [1] في كتابه (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ)

ـ وقيل درقه وهو المراد ؛ والخواص معالج الخوص بالضم وهو ورق النخل أيضاً ، ويريد بسعف النخل ورق التأليف .

(١) المتوفى سنة ٧٥٦ ، وله ترجمات في الدرر الكامنة وبغية الوعاة وأعلام النبلاء ، كان اديباً بارعاً في النحو والقراءات والتفسير والاصول ، شرح التسهيل والشاطبية والقرآن في ٢٠ مجلدة ، وكتابه اعراب القرآن في مجلدين ضخمين في مكتبة المدرسة الاحمدية بحلب ؛ واما (عمدة الحفاظ) الذي ينقل عنه ابن الحنبلي فقد قال في الكشف ـ

حيث قال : والأبُّ لغة في الأب ، قيل : أبدلوا من الواو المحذوفة حرفاً يجانس العين، ومن ذلك : استأببت فلاناً أي اتخذته أباً ، ومثله أخّ بتشديد الخاء ، هذا كلامه ؛ وعلى عكس هذا الابدال الذي صير المعتلّ كالمضاعف ما في أمليتُ بمعنى أمللتُ من الابدال الذي صير المضاعفَ كالمعتلّ من أهديت وشبهه .

٢٠ = ومن ذلك قولهم : (يدّ) بتشديد الدال في يدٍ بتخفيفها ، بحذف الياء الثانية منها نسياً منسياً ، فقد قال الشهاب أحمد المعروف بابن خطيب الدّهيشة في كتابه [1] المسمى « التقريب في علم الغريب » ما نصه : (وحكى في التكملة : من العرب من يقول يدّ بتشديد الدال ، وفي الحاشية : يدّ بالتشديد واليدَّةُ لغتان في اليد انتهى .) واليد ، وإن كانت من قبيل المؤنث المعنوي ، فالتاء إنما زيدت عليها توكيداً نحو فرَسة في فرس ، على أن فرسا مؤنث ، أو إذهابا للشك في التأنيث ، قال يونس [2] بن حبيب : سمعت

ـ في مادة غريب القرآن : (ولابن السمين الحلبي ايضاً مفردات القرآن وهو أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن)وهو اوفى من مفردات الراغب ، منه نسخة في العثمانية وفي الاحمدية بحلب ، وفي السلطانية والتيمورية بمصر ، وفي مكتبة سرويلي في الآستانة منه نسختان . (١) جاء في الكشف ذكره ، وانه للقاضي نور الدين ابي الثناء محمود ابن احمد الفيومي المعروف بابن خطيب الدهشة (لا الدهشية) المتوفى سنة ٨٣٤ بحماة ، وكذلك اسمه في الشذرات ، وكان محمود هذا أديباً بارعاً في اللغة والعربية والفقه والاصول ، ومن كتبه تهذيب المطالع في اللغة الواردة في الصحيحين والموطأ ، اختصره وسماه التقريب في علم الغريب ، وله في صناعة الكتابة منظومة تبلغ ٩٠ بيتاً .

(٢) البصري النحوي استاذ سيبويه والكسائي والفرّاء (ـ ٨٣)

العرب تقول : فرسة وجوزة ، وذلك منهم إرادة توكيد التأنيث وذهاب الشك عن سامعه .

٣ . = ومن ذلك قولهم : «عطشانة» في عطشى ، مع أن وجود فعلى مستلزم لانتفاء فعلانة، على ما تقرّر في محلة من كتب النحو ، والعذر لهم أنهم لا يقولون عطشى في موًنث عطشان ، ليمتنعوا من أن يقولوا عطشانة ، ومن الجائز أن تقع عطشى في لغة فلا يقع عطشانة ، ولا تقع في لغة أخرى فيقع عطشانة ، فيكون عطشان من باب فعلان الذي يقال في موًنثه فعلى كندمان من الندم في لغة ، ومن باب فعلان الذي يقال في موًنثه فعلانة كندمان من المنادمة في أخرى ، مع أنه قد ورد في حديث بركة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم، وساقه القاضي عياض في الشفاء ، وذلك حيث قالت : قمت وأنا عطشانة فشربته ، وأنا لا أعلم . وحكى صاحب العين : امرأة عطشانة ، ذكره صاحب التقريب ، ومثله سكرانة في لغة بني أسد وهو المستعمل الآن .

٤ . = ومن ذلك قولهم : «إفعل هذا إمالا »[1] في موضع افعل هذا

---

(١) انظر ص ١٢٩ من مجلة المجمع لسنة ١٩٣٦ ، او ص ٢٨ من التكملة للجواليقي ، وج ٢٠ ص ٢٥٨ من لسان العرب ، أما العامة عندنا بدمشق فإنهم اذا نصحوا اليوم احداً ان يعمل عملا معيناً قالوا له : (هذا لما لا) بزيادة لام مكسورة ، فكأن التقدير : لئن كنت لا تفعل هذا فلفعل هذا . وفي اللسان قال ابو حاتم : والعامة تقول ايضاً (أمّالى) فيضمون الالف فهو خطأ والصواب : (إملا) غير ممال ، لان الادوات لا تمال ، قال الناشر : ولا يزال ضم الالف من (إما) مع إمالة الف (لا) لغة العامة في مصر إذ تقول (أمّالى) ؛

إن كنت لا تفعل غيره ، حكاه صاحب مغني اللبيب مشيراً إلى أن الأمثل هذا ، وإلى أن لفظ « كنت » حذف أولا ، وجيء بما للتعويض عنه ، وادغمت الميم في النون للتقارب ، و « تفعل غيره » حذف ثانياً من غير تعويض عنه ؛ ومثله قولهم : « إمّا أنت منطلقاً انطلقتُ » إذ كان أصله : انطلقت لان كنت منطلقاً ، إلا أن التعويض بما في هذا عن كان وحدها .

٥ . = ومن ذلك قولهم : « هذه حمَّام طيبة »[١] بتأنيث حمّام ، مع قول بعض النحاة : إن حمامات من قبيل ما جمع مفرده وهو مذكر بالألف والتاء نحو اصطبلات ، ففي المُغْرب للمطرزي : ان الحمّام تذكّره وتؤنثه قال : والجمع الحمامات .

٦ . – ومن ذلك قولهم « فلان يِشرب ويطرب » بكسر المثنّاة التحتانية التي هي إحدى حروف المضارعة كما يكسرون أخواتها في نحو أنا إِشرب ، ونحن نِشرب ، وأنت تِشرب ، ففي مراح الأرواح : إن حروف المضارعة تفتح ، إلا في باب أفعلَ وفعَّل وفاعل وفعللَ ، فإنها تضم ، وإنها تكسر في بعض اللغات إذا كان الماضي مكسور العين أو الهمز نحو : يِعلم ونِعلم وإِعلم ونِعلم ، ويِستنصر ونِستنصر وإِستنصر ونستنصر ؛ وإن الياء المثناة التحتانية لا تكسر في بعض اللغات ، هكذا قيل من غير تقييد ، والحق التقييد بما إذا لم يكن بعدها واو ، نحو : هو يُوجل فان

(١) وعامة حلب يؤنثون (الحمام) اليوم ؛ وعامة دمشق يذكرونه (٣) ولغة العامة في دمشق تنطبق على جميع ما في هذه الفقرة السادسة من العامية الحلبية .

أهل هذه اللغة يكسرونها أيضاً فتنقلب الواو ياء فيقولون : هو ييجل ؛ هذا ولكن المشهور إنما هو ضم حروف المضارعة في الأبواب الاربعة السابق ذكرها باجماع ، وفتحها في غيرها في لغة الحجازيين ، وكسرها في لغة غيرهم إلا ما كان منها ياء مثناة تحتانية لا واو بعدها ؛ ولكن في ثلاثة مواضع خاصة: في المفتوح العين من مضارع فعِل بالكسر كعلِمتَ تِعلَم ، بخلاف تذهب وتشنم ، وقرئ : ولا تِركنوا ، قال ابن هشام في شرح بانت سعاد: وسمعت بدوياً يقول في المسعى : إنك تِعلم ما لا نِعلم ، بكسر التاء والنون ، وفيما كان ماضيه مبدوءاً بهمزة الوصل المكسورة ، وقُرِئ وإياك نِستعين ؛ واما من كسر في (نِعبد) فكأنه ناسب بين كسرتي النونين ، وفيما كان ماضيه مبدوءاً بتاء مطاوعة أو شبهها نحو تِتذكر و تِتكلم ؛ فإن قلت فما تقول في قراءة شعبة : أمّن لا يِهِدّي بكسر المثناة التحتانية مع كسر الهاء والدال المشدّدة ، قلتُ كسر الياء فيها لاتباع الهاء ، لا على لغة من يكسر حروف المضارعة ، وأما كسر الهاء فلالتقاء الساكنين بينها وبين الدال المدغمة المبدلة عن تاء الافتعال .

٧٠ = ومن ذلك قولهم : سلامٌ عَليكِم[1] ، وبارك الله فيكِم ، ورُحنا من عندِكم ، وما فرحنا من عهدِكم ، بكسر كاف الضمير المجرور الموضوع لجماعة الذكور ، وهذا ما يقع في كلام المشارقة ، وله أصل في اللغة ، فقد ذكر في كتب النحو : ان من العرب من يكسرها للتثنية والجمع

(١) ولا تزال لغة العامة في حلب ، واما أهل دمشق فيضمون أمثال هذه الكافات .

بعد كسرة أو ياء ساكنة ، وعلى ذلك جاء قول الشاعر :

فان قال مولاهم على كل حادث
من الدهر: رُدّوا بعضَ أحلامِكم رُدوا

٨ · = ومن ذلك قولهم : غَلَقْتُ[1] الباب ، وهي لغة في أغلقته ، إلا أنها لغة رديئة متروكة ، نص على ذلك الجوهري ، وأنشد لأبي الاسود الدؤلي : [2]

ولا أقول لِقدر القوم : قد غَلِيَت ولا أقولُ لباب الدار : مغلوقُ

وأنشد لغيره : (وباب إذا مال للغَلْق يَصرِفُ)

وصاحب المغرب لم يجعل الغلق مصدراً ، بل اسماً للمصدر كالغسل للاغتسال ، وذلك حيث قال : الاغلاق مصدر أغلق البابَ فهو مُغْلَق ، والغلق بالسكون اسم منه ، ثم عُزي إلى الجوهري أنه أنشد : [3]

(وباب إذا ما لُزّ للغلق يَصرِفُ) أي يَصِرّ ويصوّت ·

٩ · = ومن ذلك قولهم : قبّلنا أياديكم[4] ، مع اشتهار الايادي في النعم ، والأيدي في الجوارح المخصوصة كقوله :

(١) كذلك هي لغة العامة في دمشق وكثير من بلاد الشام · (٢) ويتلو هذا البيت :

لكن أقول لبابي مُغلَق وغَلَت قدري وقابلها دَنّ وإبريقُ

(٣) هو من قوله :

لعرض من الأعراض تمسي حمامُهُ وتُضحي على أفنانه الغين تهتفُ
أحبّ الى قلبي من الديك رنةً وبابٍ اذا ما مال للغلق يَصرِفُ

(٤) وهو قول العامة في دمشق أيضا ، وأما بيت (قال ثقلت) فيأتي بعده : ـ

قال : ثقّلتُ ، إذ أتيتُ مراراً قلتُ : ثقّلتَ كاهلي بالأيادي

وقوله [1] :

فظلّت تديرُ الكأس أيدي جآذر عتاقٍ دنانير الوجوه مِلاحِ

والحق أنه قد وردت ثانياً ايضا الايادي في الجوارح المخصوصة والايدي في النعم كقوله [2] :

تكن لك في قومي يد فيشكرونها وأيدي الندى في الصالحين قروض

وقوله [3] : (قطن سخامٌ بأيادي غُزّلِ)

وقول الجوهري وقد جمعت الايدي في الشعر على أياد ، وهو جمع الجمعُ ، لا ينافي أن تجمع عليه في السعة عند غيره كصاحب المغرب حيث قال : اليد من المنكب الى أطراف الأصابع والجمع أيدٍ والأيادي جمع الجمع ، إلا أنها غلبت على جمع يَدِ النعمة ، هذا كلامه ، وهو يقتضي استعمال الايادي في الجوارح المخصوصة نثراً ، ولكن على غير وجه الغلبة ، كما استعملوا النجم في غير الثريا من الكواكب مع استعماله فيها غالباً ، وما أحسن قوله :

والنجم تستصغرُ الابصار صورتَه والذنبُ للطرفِ لا للنجم في الصغر

وهو مما المراد فيه مطلق النجم ، وقوله :

يواصلني وما بالنجم ميل ويهجرني إذا ما النجم مالا

(قلت طولتُ ، قال لا بل تطولتَ وأبرمتُ ، قال حبلَ ودادي)

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان لمحمد بن ابرهيم الاسدي . (١) البيت لابن المعتز . (٢) البيت لبشر بن أبي خازم . (٣) الشعر لجندل بن المثنى الطهوي يصف الثلج وقبله : (كأنه بالصحصحان الانجل) .

أي المراد فيه الثريا ، لان العرب كانت تزعم أن الثريا تطلع في أول الليل وتغرب في آخره ، والشاعر يريد أنه يواصله في أوله ويهجره في آخره

فإن قلتَ : : أليسوا يقولون قبلنا أياديْكم ، بإسكان ياء أيادي ، والقياس يقتضي نصبها لفظاً ، وليس ذلك واقعاً في الشعر ليجوز للضرورة كما في قوله [١] :

كأنّ أيديهنّ بالقاع القَرِقْ أيدي جوارٍ يتعاطين الورِقْ

حيث أسكن الياء الثانية من أيدي الاولى ؛ قلت نعم ، مثل ذلك إنما يكون ضرورة عند بعض النحاة ، حتى قال المبرد إنه ضرورة ؛ لكن قال بعضهم : إنه لغة لا ضرورة ، وعليه جاء قولهم في المثل « إعط القوس باريها » وعليه يُخرّج قول الناس الآن : قبلنا أياديكم .

١٠ ـ = ومن ذلك قولهم : مِنْتِن [٢] ، بكسر الميم تبعاً للتاء ، مع أن اسم الفاعل من غير الثلاثي المجرّد مبدوءٌ بالميم المضمومة ، ففي تسهيل ابن مالك : إنها ربما كسرت في مفعل او ضمت عينه ؛ وفي الصحاح النتن : الرائحة الكريهة ، وقد نتُن الشيء وأنتن بمعنى فهو مُنتِن ومِنتِن كسرت الميم اتباعاً لكسرة التاء .

---

(١) يصف ابلاً بالسرعة ، والبيت ينسب لرؤبة بن العجاج ؛ ومعنى القرق المكان المستوي وهو بفتح القاف وبكسر الراء ، وقال ابن بري : ويقال فيه أيضا القرق بكسر القاف وسكون الراء . (٢) كذلك تلفظ عامة دمشق منتن بكسر الميم ، واما (منعيد) في الفقرة التالية فنفتح سينها على الفصحي ، وتسكن الباء من (بعيد) اذا اتصل بالموصوف فنقول مكان بعيد ، وتكسر كسرة خفيفة اذا لفظت بعيد وحدها .

١١ ٠ = ومن ذلك : سِعيد وبِعيد بكسر أولها ، ففي شرح الشافية للشيخ الرضي : إن كسر فاء فعيل جائز في كل ما كانت عينه حرف حلق ٠

١٢ ٠ = ومن ذلك قولهم : أو ميتُ اليه ، فعن الصغاني ، وهو ممن تأخّر عن الجوهري وتقدّم بحكاية كثير مما فاته ، انه قال : أوَميتُ مثل أومأت ، وحيث قال ماقال فلا عبرة بقول الجوهري : أومأتُ اليه أشرت ولا تقل أوميت ؛ فإن قلتَ لعله نهى عن ذلك لكونه لم يثبت في اللغة ، قلتُ : الظاهر انه لم يثبت عنده بقرينة انه عقب ذلك بقوله : ووَمأت اليه أَمأُ وماءً لغة وأنشد [1] : (وما كان الاّ وَمؤُها بالحواجب)

ومثل أوميتُ عنده توضَّيت ، وذلك انه قال : وتوضأت للصلاة ، ولا تقل توضيت [2] ، وبعضهم يقوله ، اللهم إلا ان يكون مراده بهذا البعض بعض العرب الخلَّص ، فيكون نهيه عن ان يقال : توضَيتُ ، لكونه مخالفاً للغة الاكثرين منهم ٠

١٣ ٠ = ومن ذلك قولهم : إسمعين في إسماعيل ، وهو لغة حكاها أبو منصور موهوب الجواليقي في كتاب المعرّب وأنشد :

---

(١) البيت للقناني ، وهو في لسان العرب (مادة ومأ) :

فقلت السلام فاتقت من اميرها * فما كان الاومؤها بالحواجب

اما عامة دمشق فلا تستعمل اليوم الفعل وتستعمل المصدر محرفا (الوَما) لسهولة النطق بفتح الميم وتسهيل الهمزة ، فتقول : (فلان يتكلم بالوما) اي بالاشارة لا بالعبارة ، كذلك تلفظ اسماعين بالنون ٠ (٢) قال أبو عمر الهُذَلي : « قد توضيت » فلم يهمز وحولها ياء وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز (اللسان ١ / ١٤) ٠

قال جواري الحيّ لما جينا هذا، ورب البيت، اسماعينا

فان قلت هذا لا يصلح شاهداً على اسمعين وإلا لقيل: اسمعين، مع تطبيق المصراع الاول عليه؟

قلتُ التقدير في البيت: لما جين اسماعينا، بنصب اسمعين بجين، فيكون الف اسماعينا للاطلاق كألف جينا، ويكون هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والجملة مقول القول.

وجوّز ابو محمد عبد الله بن برّي بن عبد الجبار بن بَرّي المقدسي، على ما وجدته بخطه، ان يكون الاصل اسماعيننا بنونين وبالإضافة إلى نا، فحذفت الاولى منهما، وذكر ان القالي رواه هكذا:[1]

(هذا ورب البيت إسرائينا)

---

(١) الامالي ٢/٤٤ ورواية أبي علي فيها:

قد جرت الطير أيامنينا * قالت: وكنتُ رجلا فطينا

هذا ورب البيت اسرائينا

(أنظرها في القلب ٩ والعيني ٢/٤٢٥ والمعرب ٩).

وجاء في سمط اللآلي الممتع للعلامة الميمني ٢/٦٨١ مانصه: قال الفراء صاد أعرابي ضبًا فاتى به السوق يبيعه فقيل له: انه مسخ من بني اسرائيل فقال:

مالك يا ناقة تأتلينا علي والنطاف قد فنينا

يقول أهل السوق لماجينا هذا ورب البيت اسرائينا

وكنتُ فيهم رجلا فطينا

الأتلان: أن يقارب خطوه في غضب ... قوله: أيامنينا، جمع أيمن أيامن ثم جمع الجمع بالواو والنون، وانتصاب اسرائينا من ثلاثة وجوه: احدها على أضمار فعل كانها قالت: أرى هذا اسرائينا، كما تقول: أرى فلانا شيطانا، والوجه الثاني: ان —

١٤ • = ومن ذلك قولهم [1] : إشنان ، بكسر الهمز في أُشنان بضمها قال الجواليقي : والأُشنان فارسيّ معرب ، وقال أبو عبيدة فيه لغتان : الأُشنان والإِشنان وهو الحُرض بالعربية •

١٥ • = ومن ذلك قولهم : رُزّ ، في الأَرُزّ • ذكر الجوهري : أنه لغة فيه ، وزاد الجواليقي من لغاته الأُرُزّ بضم الهمزة والراء معاً مع تشديد الزاي وبدونه ؛ والأُرْزُ بضم الهمزة وسكون الراء معاً وتخفيف الزاي ، والرُّنْز بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي ، وأنشد :

يا خليلي كلْ إوَزّه واجعل الحوذانَ رُنْزه

والحوذان بفتح الهاء المهملة وإعجام الذال نبت نوره أصفر ، وكأنه أراد بذلك صرف الذهب بالفضة لشراء ما أمره بأكله •

١٦ • = ومن ذلك قولهم وَزّ بفتح الواو في الإِوَزّ بكسر الهمزة وفتح الواو ، ذكر الجوهري أيضاً انه لغة فيه •

ـ اسرائي لغة في اسرائيل، تقول هذا اسرائيل واسرائي وهذا اسرائينا ، والوجه الثالث ان تريد هذا اسرائيننا ؛ فتحذف النون الواحدة لاجتماع النونين اه •

أقول : والبيت من شواهد ابن عقيل ، على ان فعل قال أجري مجرى الظن في العمل لا المعنى لان هذه المرأة لما أتى لها زوجها بضب ورأته قالت هـذا اسرائين ؛ هذا مفعول أول لقالت واسرائين مفعول ثانٍ والالف للاطلاق ، وهو على حذف مضافين أي ممسوخ بني اسرائين أو اسرائيل ، فهذا وجه رابع في الاعراب •

(انظر شرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي ص ١٤٠)

(١) وعامة دمشق تلفظ إشنان بكسر الهمزة ، ورُز بضم الراء في الفقرة (٢) ، ووَز بفتح الواو في (٣) والخير في (٤) بكسر الخاء أيضاً •

١٧ . = ومن ذلك قولهم : يا أهل الخير ، بكسر الخاء المعجمة ، وهو مما يقع في كلام بعض أهل بدو هذا الزمان ، والخِير كما قال الجواليقي الفضل والكرم ، وذكر أبو عبيدة : انه فارسي معرب ، يقال : رجل ذو خير إذا كان ذا فضل وكرم .

١٨ . = ومن ذلك قولهم : دِرْهِم بكسر الدال والهاء ، وهو لغة في دِرهَم بكسر الدال وفتح الهاء ، وعلى تلك اللغة الأخيرة أنشد الجواليقي بعد أن ذكر أنه معرب(١) :

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ماباع أمرؤ مكس دِرهَم

والإتاوة بالهمزة المكسورة والمثناة الفوقية : الخراج .

١٩ . = ومن ذلك قولهم : سِبِتّ بكسر المهملة والموحدة وتشديد التاء المثناة الفوقية في شِبِتّ بكسر المعجمة والموحدة وتشديد المثناة الفوقية ، قال الجواليقي قال الأزهري : وأما السبِتّ لهذه البقلة المعروفة فهي معربة ، قال: وسمعت أهل البحرين يقولون لها : سِبِتّ بالسين غير معجمة وبالباء ، وأصله بالفارسية شِوذ ، وفيها لغة سِبطّ بالطاء .

٢٠ . = ومن ذلك قولهم : المارَستان بفتح الراء في البيمارِستان حكاه

(١) البيت أنشده الجوهري والزمخشري لجابر بن حنيّ التغلبي ، وعامة دمشق تلفظ درهم بكسر الهاء أيضا ، وأما سبت المذكورة في الفقرة (١٩) فغير مسموعة في دمشق بالسين ولا الشين ، وأما المارستان (٢٠) فتلفظ في دمشق مرستان بضم الميم والراء ويطلقونه على دار المجانين ، وأما مستطب العقلاء فهو المستشفى . تلفظ بدمشق بضم اللام وتعالي بكسرها مثلما تلفظها العامة في حلب .

الجواليقي أيضاً فقال : والمارَستان بفتح الراء فارسي ولم يجئ في الكلام القديم .

٢١ . = ومن ذلك قولهم : تعالُوا وتعالي [1] ، بضم اللام في الأول وكسرها في الثاني ، والمشهور فتحها فيهما ، لأن تعالَ بفتح اللام أمر من التعالي ، وهو الارتفاع ، وكان أصله على ما ذكره بعضهم لدعاء الإنسان إلى مكان مرتفع ، ثم جعل الدعاء إلى كل مكان ، والمشهور في مثله من نحو تَسامَ من التسامي أن يُعتدّ بما حُذف منه ، فتبقى لام الفعل مفتوحة في جميع الأمثلة فيقال : تعالَ ، تعالَيا ، تعالَوْا ، تعالَيْ ، تعالَيا ، تعالَين ، وعليه ورد كلام رب العزة : قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء ، فتعالَيْنَ أمتعكُنّ ؛ ولكن حكي الضم في تعالوا لغة ، قال الصغاني في كتاب له جمع فيه شوارد اللغات ونوادرها ، وقرأ نبيح والجرّاح وأبو واقد : تعالوا الى كلمة سواء ، يعني بضم اللام ، على عدم الاعتداد بالحذف ؛ وصرح الشهاب ابن السمين في عمدته بأن عدم الاعتداد به قد نقل فيما نحن فيه ، فيقال تعالِي بالكسر ، وتعالُوا بالضم وأنشد :

(تعالِي أقاسمك الهموم تعالِي)

إلا أنه نبّه على ان ما أنشد غير محتج به فقال: والشعر لبعض الحمدانيين فيستأنس به ولا يستشهد به .

٢٢ . = ومن ذلك قولهم : عليه السِكينة [2] بكسر السين حكى

---

(١) تعالوا تلفظ بدمشق بضم اللام وتعالي بكسرها مثلما تلفظها العامة في حلب .

(٢) السكينة تلفظ في دمشق بفتح السين .

كسرها الصغاني ، وحكي عن زيد بن علي أنه قرأ : ثم أنزل الله سِكينته على رسوله ·

٢٣ · = ومن ذلك قولهم : كَسالى[1] ، بفتح الكاف في جمع كسلان وهو مما جاء فيه التثليث ، وبالكسر قرأ يحيى والنخعي : إلا وهم كِسالى ·

٢٤ · = ومن ذلك قولهم : يَسبُق ، بضم الموحدة ، وهو لغة في يَسبِق بكسرها ، قال الصغاني وقرئ : لا يسبُقونه بالقول ·

٢٥ · = ومن ذلك قولهم : رَسَمْتُ شِكْل هذا الشيء ، بكسر شين شكل بمعنى مثل ، وهو لغة في شكل بفتحها ، وقرأ مجاهد : وآخرُ من شِكله ·

٢٦ · = ومن ذلك قولهم : النقاوة بفتح النون ، وهي والنقاة بفتحها أيضاً مع المد ، والنُقاوة والنُقاية والنقاة بضم النون فيها مع المدّ في الأخير لغات حكاها الصغاني ·

٢٧ · = ومن ذلك قولهم : شَكَيتُ في شكوت ، وهو لغة فيه حكاها الصغاني أيضا ، وان كان المشهور الواو كما قال تعالى : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ، وفي شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّ الرمضاء في أكفنا وجباهنا فلم يُشكنا ، أي فلم يزل شكوانا ، لأنه من قبيل أفعل الذي يفيد معنى الازالة ، أيْ فلم يأمرنا بأن نتقي ذلك بأطراف ثيابنا ·

(١) كسالى تلفظ في دمشق بفتح الكاف · ويسبق (٢٤) بضم الباء مثلهما في حلب وتلفظ عامة دمشق ما في الفقرات (٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) لفظ عامة حلب

٢٨٠ = ومن ذلك قولهم : كتمت سرّي من فلان ، مع مجيءُ فعل الكتمان متعدياً إلى مفعولين في قوله تعالى : ولا يكتمون الله حديثاً ، وقول الشاعر : (١)

كتمتُك ليلاً بالجمومين ساهراً وهَمَّين : هماً مُستسِراً وظاهرا
أحاديثَ نفس تشتكي ما يُريبها وورد هموم لم يجدنَ مصادرا

فإن منصوب (كتمتُك) مفعول أول لكتم و (ليلا) مفعول ثان له بتقدير أمرَ ليل أو أحاديثَ ليل ، و (أحاديث) بالنصب إما بدل من هذا المفعول ، أو بتقدير أعني ، ولا يكون (ليلا) ظرفاً ، لأنه لا يراد أنه كتمه في ليل كائن بالجمومين كذا .

ووجهُ قولهم ما قيل في قوله تعالى : ومن أظلمُ ممن كتم شهادة عنده من الله ، ان (من) الثانية بمعنى عن ، بناءً على أنها تعلقت بكتم ، على جعل كتمانه عن الأداء الذي أوجبه الله كتمانه عن الله ، وما جزَم به صاحب تلخيص

---

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يرثي بها النعمان ، والجمومان بالجيم لا بالحاء كما في المخطوطة ، وهو اسم موضع ولعله سمي بجمومين كانا فيه والجموم البئر الكثيرة الماء ، قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي شارح ديوان النابغة: واختلف في إعراب (همين) ، والاحسن عندي أن يكون معطوفا مقدما على (أحاديث) أي كتمتك أحاديث وهمين ، فأحاديث معدّى لكتمتك ، وهمين معطوف عليه لكنه قدم ، ومثل ذلك : عليك ورحمة الله السلام ، وقيل جعل الليل معدى على السعة لكتمتك ، وعطف عليه همين ، وأحاديث بدل من همين اه . أقول : وعلى وجه المعطوف المقدم تكون (ليلا) ظرفا على خلاف رأي المصنف ؛ ولعل جعلنا (أحاديث) بدلا من (ليلا) أقوى من جعلها بدلا من (همين) .

المفتاح في (أحوال متعلقات الفعل) في قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتمُ إيمانَه ، من أن قوله (من آل فرعون) لو أُخّر عن قوله (يكتم ايمانه) لتوهم أن [١] من صلة يكتم ، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون؛ لكن في مغنى اللبيب ردّ الأول بدعوى أن كتم لا يتعدّى بمن، وفي كلام الشيخ بهاء الدين السبكي ردّ الثاني بأن هذا التوهم إنما يصح أن لو كان هذا الفعل يتعدّى بمن ، وليس كذلك ، فإنه يتعدّى بنفسه قال : فهذا التوهم ليس له بجال ، وما يقع في كلام الناس من تعدية كتم بمن ، فالظاهر أنه لا أصل له، هذا كلامه؛ وفي شرح مغنى اللبيب للدماميني منع أنّ في كلام صاحب التلخيص تصريحا بأن كتم يتعدّى بمن ، وذلك حيث قال : ليس في كلام صاحب التلخيص تصريح بأن كتم يتعدى بنفسه إنما فيه : إنه على تقدير التأخير يُتوهم ان من آل فرعون صلة ليكتم ، وهو صحيح على أن تكون (من) للتعليل ، وهذا لا يمكن دفعه ، وهو مخل بما قصد من كونه هو نفسه من آل فرعون • انتهى كلامه ، وأنت تعلم ان المثبِتَ مقدم على النافي ، على ما تقرّر في محله ، وان انتصاب مفعولي كتم في محل أو محلين مثلا لا يقوم دليلا على منع انجرار أحدهما بمن ، ألا ترى إلى قوله تعالى : واختار موسى قومه سبعين رجلا ، حيث لم ينتصب قومه دليلا [٢] على منع أن يقال : اخترتُ من كذا كذا ، مع أنه قد قيل واستعمل في كلام من يوثق بعربيته •

---

(١) كذا وصوابه : أنه • (٢) لعل الأصل : ان فيه دليلا على •••

٢٩ ٠ = ومن ذلك قولهم[1] : نعمِه، ورحمِه، وسلامِه ، وغلامِه ونحو ذلك مما أمالوا فيه في حالة الوقف الفتحةَ التي قبل هاء التأنيث نحو الكسرة، فقد نقل مثل ذلك عن بعض العرب في كل فتحة تلتها هاء تأنيث موقوف عليها ، وقرأ بذلك الكسائي في مواضع معدودة من القرآن نحو : نعجه وسفينه وهمزه في كلمات أخرى ، و كانت هذه اللغة طباعَ أهل الكوفة لأنهم بقية أبناء العرب ٠

٣٠ ٠ = ومن ذلك قولهم :[2] كنت بَالبيت و بَالقرية، واستعنت بَك ورضيت بَك ونحو ذلك مما فتحت فيه باء الجر مع غير ياء المتكلم ، ففي شرح الدرة الالفية لأبي جعفر الغرناطي الأندلسي : إنها إن جرّت ياء المتكلم فاتفق العرب على كسرها ، وإن جرّت غيرها فاللغة الفصيحة كسرها ليناسب لفظها عملها سواء دخلت على الظاهر او المضمر غير ياء المتكلم ٠

٣١ ٠ — ومن ذلك قولهم : بزاق في بصاق ، وهو جائز فيه كبساق ، وثلاثتها جائزة بجواز سراط وصراط وزراط ، وسين سراط هي الأصل ، والصاد والزاي بدل منها ، وفي كنز المعاني[3] في شرح حرز الاماني أن الصاد لغة قريش في كل سين بعدها عين أو خاء او قاف او طاء ومن ذلك قولهم صطل في سطل ٠

---

(١) وكذلك تقول عامة دمشق ٠ (٢) والعامة في دمشق تكسر الباء على اللغة الفصيحة ، كذلك تقول بزاق ، وهي لغية معروفة لا تصحيف بصاق (٣) الحرز هو منظومة الشاطبية المشهورة في القراءات السبع ، والكنز شرح له ٠

٣٢ . — ومن ذلك قولهم (١) مَرَه في مَرْأَه بحذف الهمزة بعد نقل فتحتها إلى الراء .

٣٣ . — ومن ذلك قولهم : جلست عَندَك ، بفتح عين عَند وهو لغة في كسرها كضمها ، قال الجوهري : وأما عند لحضور الشيء ودنوّه وفيها ثلاث لغات : عِنْد وعَند وعُند ، وقال ابن هشام في مغنيه : وكسر فائها أكثر من ضمها وفتحها ، وهو يقتضي ان كلا من الضم والفتح كثير على خلاف ما ذكره صاحب التسهيل فيه حيث قال : وربما فتحت عينها أو ضمت فأشعر بقلتهما ، ويمكن التوفيق بينهما بأن الكثير في مقابلة الاكثر قليل ، ومن ذلك قول بعض الشعراء المولدين :

(ومن أنتم حتى يكون لكم عندُ ؟)

وإن قال النحاة : إن عند لا تقع إلا ظرفا او مجروراً بمن . وأما قول العامة ذهبت إلى عنده فلحن بنصٍّ من ابن هشام . واما قول الحريري في قول بعض المولدين أيضاً :

كل عندٍ لك عندي لا يساوي نصفَ عندِ

(١) كذلك نقول (مرة) في دمشق ، وهي لغة صحيحة لم يشر المصنف الى صحتها أو لعل الناسخ حذف الاشارة ، فقد جاء في اللسان : قال ابن الانباري : وللعرب في المرأة ثلاث لغات : يقال هي امرأته وهي مرأته وهي مرّته وجاء فيه أيضا :وقد أنثوا فقالوا مرأة ، وخففوا التخفيف القياسي فقالوا (مرة) بترك الهمز وفتح الراء وهذا مطرد . ونلفظ أيضا في دمشق عند بفتح العين ، ونقول : (ذهبت لعنده) وهو لحن و (جاء لعنا) بدل لعندنا وهو لحن مضاعف يوم اللعنة فيستحق اللعن أي الطرد من لغتنا العامية .

إنه لحن فمدفوع بنص منه أيضاً ، ومثل ذلك قول أبي الطيب فيما أنشده عنه ابن برّي :[1]

وتمنعني ممّن سوى أبن محمد أيادٍ له عندي يضيق بها عندُ

ووجه الدفع عنده أن كل كلمة ذكرت مراداً بها لفظها فسائغ أن تتصرف تصرّف الأسماء ، وإن كان الذي أريد بها لا يتصرّف ، وإن تعرَبْ فيقال حينئذ : ضَرَبَ فعل ماضٍ ، وليت حرفٌ يَنصب ويَرفع بتأويل هذا اللفظ كذا وأن يُحكى أصلها فيقال مثلا ضربَ فعل ماض بفتح الباء ، وليتَ حرف يَنصب ويَرفع بفتح الآخر من كلمة ليت ، والاكثر حكاية بنص من الشيخ الرضي ، وعلى الأول قد ورد قول الشاعر فيما وجدُته في كتاب اشعار الهذليين جمع السكري :

ياليتَ عمرواً وماليتٌ بنافعة لم يغز مهماً ولم يَهبطْ بواديها

حيث اعرب ليتاً الثانية مصروفة ، وإنْ أوّلها بمؤنث كالكلمة بدليل قوله بنافعة دون بنافع نظراً إلى أنها ثلاثية ساكنة الوسط فيجوز صرفها كهند وشبهها .

٣٤ . — ومن ذلك قولهم : أخذه مِنِّ ، بحذف ياء المتكلم من مني والاجتزاء بكسرة ما قبلها كما فعل أشعر الفقهاء وأفقه الشعراء زين الدين عمر بن الوردي المعرّي حيث قال في قصيدته الموسومة بتذكرة الغريب [2]

(١) يمدح علي بن محمد بن سيار ، ورواية الديوان تضيق بها عند (٢) تذكرة الغريب منظومة في النحو ذكرها لابن الوردي صاحب كشف الظنون .

في المنطق وفي شاذ النحو للتقريب :

إن الذي مِنْ مُنتقما سبا ... بالعدل في اللاء يقولوا كذبا

فاراد مني ، وفي البيت أيضاً تخفيف إنّ الناصبة للاسم الرافعة للخبر مع اهمالها ، وتشديد ياء الذي الموصولة كما هو لغة بعضهم ، واسكان قاف (منتقما) كما قالوا : أراك مُنتفخا ، بإسكان الفاء واستعمال اللاء بكسر الهمزة بمعنى الذين وحذف نون الرفع دون جازم ولا ناصب كما في قوله :[1]

كل له نية في بغض صاحبه ... بنعمة الله نقليكم ونقلونا

وقد كثر حذف ياء المتكلم في النداء وغيره مثل : يا أبت ، ورب ارجعونِ ، واياي فارهبون ، مما اجتزئ فيه بالكسر وقول الراجز :[2]

قالت سليمى ليت لي[3] زوجاً يمن ... يغسل جلدي وينسيني الحزنْ

وحاجة ما إنْ لها عندي ثمن ... ميسورة قضاؤها منه ومنْ

قالت بنات العم : ياسليمى وإن ... كان فقيراً معدما قالت : وإنْ

مما حذفت منه الكسرة ايضا حالة الوقف ليكون الوقف بالسكون ، وقوله يمن أي يمني ، فهو من باب حذف غير ياء المتكلم ، بخلاف قوله : منه ومنْ .

٣٥ — ومن ذلك قولهم : يفعلوا ويقوموا ويقعدوا ، ونفعلي ونقومي ونقعدي ، ونحو ذلك مما حذفوا منه نون الرفع دون جازم ولا ناصب ، وهو

---

(١) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . (٢) الراجز رؤبة ابن العجاج . (٣) ويروى بعلا ، والبيت الثالث من الضرائر الشعرية .

عند ابن مالك جائز في الكلام الفصيح من غير ضرورة ، ومن ذلك في النثر قراءة ابي عمرو في رواية عنه : قالوا ساحران تظاهرا ، والاصل تتظاهران ، فأدغمت التاء في الظاء ، وحذفت نون الرفع التي هي نون التثنية ، ورفع ساحران بتقدير : انتما ساحران ، وله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا) بحذف نون جمع المذكر من تؤمنوا وتدخلوا المنفيين بلا ، فمن روى هذا الحديث هكذا ، وفي النظم ما انشدناه قبيل هذا [1] ، وقول الآخر :

أبيتُ أسري وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

بحذف نون الواحدة المخاطبة مرتين .

٣٦ ٠= ومن ذلك قولهم : توم بالمثناة في ثوم بالمثلثة ، ومثله خبيت في خبيث ، ومبعوت في مبعوث ، قال الزين بن الوردي : وقد أبدلت خيبر والنضير من الثاء تاء في كثير من الحروف فقالوا في ثوم توم وفي مبعوث مبعوت وفي خبيث خبيت وأنشدوا فيه : [2]

---

(١) اي بيت (كل له نية ٠٠٠) ، كذلك تحذف عامة دمشق نون الرفع دون جازم ولا ناصب في الافعال الخمسة كلها (٢) البيت للسموأل اليهودي ، وجاء في اللسان : وسأل الخليل الاصمعي عن الخبيث في هذا البيت فقال له : أراد الخبيث في لغة خيبر ، فقال الخليل : لو كان ذلك لغتهم لقال الكثير ، وانما كان ينبغي لك ان تقول : انهم يقلبون الثاء تاء في بعض الحروف ، وقال ابو منصور في بيت اليهودي أيضاً : أظن ان هذا تصحيف ، قال : لان الشيء الحقير الرديء انما يقال له : الخبيت بتاءين وهو معنى الخبيث فصحفه وجعله الخبيت .

اقول : والعامة عندنا في دمشق تقول خبيث بالثاء المثلثة ، وتوم و كتير بالتاء المثناة .

ينفع الطيّب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيثُ

قال وروي أن الخليل قال للاصمعي : لمَ قال الخبيث ؟ فقال : هذه لغتهم انتهى ؛

ويقال في الثوم فوم بالفاء كما قال الله تعالى : من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، خلافاً لمن قال : إنه في الآية الحنطة ، والى الاول ذهب الكسائي في جماعة وقالوا : هو أليق بالبقل والقثاء والعدس والبصل ، ولما في قراءة ابن مسعود : وثومها .

٣٧ . = ومن ذلك قولهم : مَشاء الله ، ومثل هذه تسمى اللخلخانيّة ، قال الزين بن الوردي : واللخلخانية تعرض في لغة اعراب الشحر وعُمان يقولون في ما شاء الله : مَشاء الله ، فيحذفون الالف من ما ، انتهى . قال الجوهري : واللخلخانية العجمة في المنطق ، رجل لخلخاني اذا كان لا يفصح ، انتهى كلامه ، واللفظان فيما ذكره بخاءين معجمتين ولامين مفتوحتين .

٣٨ — . ومن ذلك قولهم : يجي بدون همزة ، قال صاحب التسهيل : وبعض العرب يحذف همزة يجيء ويسوء واحدى ياء يستحي ، ويجريهن مجرى يفي ويسبي في الاعراب والبناء بالافراد وغيره .

٣٩ . — ومن ذلك قولهم : افعل أما هذا وأما ذاك ، بفتح همزة أما ، فقد حكي عن بعضهم : مررت برجل أما راكع وأما ساجد ، بفتحها ، وأنشد بعضهم على هذا بيت الخنساء [١] :

(١) البيت للخنساء من مرثية لها في صخر ، ولم يشر الديوان الى هذه اللغة . انظر الديوان أنيس الجلساء بيروت ١٨٩٥ ، والأغاني ١٣/١٣٦ .

سأحمل نفسي على آلة فأما عليها وأما عليها

وإلى ما قلته أشار صاحب مغني اللبيب .

٤٠ — ومن ذلك قولهم : فلان يأكلْ ويشربْ ويلعبْ ويضحكْ ، ونحو ذلك مما أُسكن فيه لام المضارع المستحقة للضمة الإعرابية وصلاً ، إجراء للوصل مجرى الوقف ، نحو قراءة أبي عمرو : ومـا يشعرْكم ، وينصرْكم بإسكان الراء ، وما يعدهمْ الشيطانُ بإسكان الدال ، وقول الشاعر :

وناعٍ يخبّرنا بمقتل سيّدٍ تقطّع من وجدٍ عليه الأناملُ

وقول امرئ القيس :[1]

فاليوم أشربْ غير مستحقبٍ إثماً من الله ولا واغلِ

بإسكان الباء من أشربْ ، وهو عند بعض النحاة من إجراء المنفصل مجرى المتصل ، إذ هم يقولون في عضُد عضْد بسكون الضاد فأجري مجراه رَبْ غ (أشربْ غير) ، وهكذا يقولون في كَبِد : كَبْد

(١) وفي لسان العرب (أسقى) وعلى ذلك لا شاهد فيه وقال ابن جني في خصائصه : سألت أبا علي عن قوله : (أبيت أسري وتبيتي تدلكي .... فخضنا فيه ما واستقر الأمر فيه على أنه حذف النون من تبيتين كما حذف الحركة للضرورة في قوله : (فاليوم أشربْ غير مستحقب ..) كذا وجهته معه ، فقال لي : فكيف تصنع بقوله : (تدلكي) قلت : نجعله بدلاً من (تبيتي) أو حالاً فنحذف النون كما حذفها من الأول فاطأن الامر على هذا ، ويجوز ان تكون (تبيتي) في موضع النصب ، بإضمار أن في غير الجواب كما جاء في بيت الأعشى :

لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوي إليها المستجير فيعصما

بسكون الباء فأجري مجراه لتق ، ومن (انه من يتق ويصبر) فيمن قرأ بسكون القاف .

٤١ — ومن ذلك قولهم : فلان لا عزه ولا جزمه ، بإبدال تاء التأنيث من عزة هاء ساكنة ، كما في الوقف إجراء للوصل مجراه كما في قوله : [1]

لما رأى أن لا دعة ولا شبع مال الى أرطاة حقف فاضطجع

٤٢ — ومن ذلك قولهم : عملهم قليل وأملهم طويل ، بإسقاط حركة الإعراب من عمل وأمل ، إجراء للوصل أيضاً مجرى الوقف نحو قوله : [2]

قمت وفي رجليك مما فيهما وقد بدا هنك من المئزر

أي هنك بالنون المرفوعة ، ومثل ذلك مما يقع في كلام بعض المشارقة من نحو : أملك وعملك ، بسكون لامها .

٤٣ — ومن ذلك قولهم : هم الذي قالوا وهم الذي فعلوا ، حيث استعملوا الذي في موضع الذين بحذف نونه ، كقوله تعالى : وخضتم كالذي

---

(١) البيت لمنظور بن حبة الاسدي ، ويروى : فالطجع ، بإبدال اللام من الضاد ، وقبله : يارب أباز من العفر صدع تقبض الذئب اليه واجتمع

الأباز القفاز من الظباء العفر ، والضمير في (رأى) يعود الى الذئب : اي لما رأى أن الظبي لا يشبعه وقد اتعبه ادراكه مال الى شجرة من الارطى فاضطجع في ظلها ، والحقف المعوج من الرمل . (٢) لم نعثر على قائلها ، ويروي ابن يعيش البيت في شرح المفصل (٤٨/١) والكتاب ٢٩٧/٢ رحت بدل قمت ، ثم يقول : اراد هنك بالرفع أعربه بالحركة وهي لغة ، وسكنه تشبيهاً بعضد ، وبعضهم يجعله من الضرائر الشعرية .

خاضوا ، في أحد تأويليه ، وقول الأشهب بن رُميلة :[1]

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم هُمُ القوم كلُّ القوم يا أمَّ خالدِ

٤٤ . = ومن ذلك قولهم في حالة الوصل : هُوَّه فعل ، وهِيَّهْ فعلت ، بزيادة هاء السكت إجراءً له مجرى الوقف ، وإعطاء حكمه جائز نثراً ونظماً ، ومن النثر قوله تعالى : لم يتسنَّهْ ، وفبهداهُمُ اقتدِهْ ، وأما تشديدهم واو هوّ وياء هيّ باقيين على فتحتهما فلغة همدان ، وعليها جاء قوله :[2]

وإن لساني شُهدةٌ يُشتفَى بها وهوَّ على من صبَّه الله عَلقمُ

وقوله :

والنفس إن دُعيت بالعنف آبيةٌ وهيَّ ما أُمرت باللطفِ تأتمرُ

٤٥ . = ومن ذلك قولهم : أنا فعلت ، بإثبات ألف أنا وصلاً ، وهي لغة تميم وبعض قيس وربيعة كقول الأعشى :

فكيف أنا وانتحالي القوافيَ بعدَ المشيب كفى ذاك عارا

وكقول أبي النجم : (أنا أبو النجم وشعري شعري) ، ومن قال في

(١) ويروى زميله بالزاي وهي أمه ، والاشهب شاعر مخضرم قاله : يرثي قوماً قتلوا بفلج ، والنحاة يرون حذف النون استخفافا لطول الاسم بالصلة ، فهم يعللون كل ماخالف قانونهم النحويّ من لغات العرب ابداً . (٢) هذا البيت والذي يليه من الشواهد التي لايعرف قائلها ، وهمدان احدى قبائل اليمن ، قال الكسائي هيَ أصلها أن تكون على ثلاثة أحرف مثل أنت فيقال : هِيَّ فعلت ذلك ، وقال : هيَّ لغة همدان ومن في تلك الناحية (انظر اللسان ٢٠/٢٥٣) وقال ابن يعيش : والتضعيف لكراهية وقوع الواو طرفا وقبلها ضمة (شرح المفصل ٣/٩٧)

قوله تعالى: لكنا هو الله ربي، إنه من باب إجراء الوصل مجرى الوقف، والأصل: لكن أنا هو الله ربي، فهو صارف للآية بهذا عن أن تدخل في سلك تلك اللغة، أو قائل إن تلك اللغة من ذلك الباب.

ومن ذلك قولهم: فعلته أنه، بجعل الهاء مكان الألف وقفاً، كقول حاتم الطائي: هذا قزدي أنه[1]، أي قصدي أنا، وعلى عكسه قول الشاعر:[2] (وقد وسطتُ مالكاً وحنظلا)

قال الجوهري: أراد وحنظلة، فلما وقف جعل الهاء ألفاً، لأنه ليس بينهما إلا الهتّة.[3]

٤٦ ـ ومن ذلك قولهم: وَنا، يريدون وأنا فيحذفون الهمزة تخفيفاً كما قال الشاعر:

---

(١) كذا في الاصل والصواب بالفاء، وقد قلبت الصاد زايا لأنها ضعفت وهي ساكنة، والزاي من مخرج الصاد، قال ابن يعيش (٣/٩٤) وقد قالوا: أنَهْ فوقفوا بالهاء، حكي عن بعض العرب، وقد عرقب ناقة لضيف فقيل له: هلا فصدتها واطعمته دمها مشوياً، فقال: هذا فزدي أنه أي فصدي، وقال الشاعر:

إن كنتُ أدري فعليَّ بدنَهْ من كثرة التخليط فيَّ من انَهْ

(٢) هو غَيلان بن حُريث (اللسان ٩/٣٠٨)، وبعده (صيَّأ بها والعدد المجلجلا)، وذكر ابن بري أنه لحريث بن غيلان وانه اراد (وحنظل) لأنه رخمه في غير النداء ثم أطلق القافية، قال وقول الجوهري: وجعل الهاء الفاً وهم منه؟ أقول: وابن بري يتابع سيبويه فقد استشهد بالبيت في (باب ما رخمت الشعراء في غير النداء اضطراراً) ولم يذكر اسم الراجز (الكتاب ١/٣٤٢) (٣) كذا في الاصل، والصواب (الهة) وفي القاموس المحيط هَهَّ يَهِهُ ههاً وهَهَّة لثغ واحتبس لسانه.

قلت للشيطاني وشيطاناتي ... لا تقرباني ونا في الصلاة

٤٧ = ومن ذلك قولهم: فلان وفلان جاءوني : لأن من عادة العرب إجراء الاثنين مجرى الجمع ، وفي شرح تذكرة الغريب للمصنف حكاية نقلها عن الشعبي أنه قال في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءوني ، فقال عبد الملك : لحنت يا شعبي ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لم ألحن مع قول الله تعالى : هذان خصمان اختصموا في ربهم ، فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقين فقد شفيت وكفيت !

٤٨ · = ومن ذلك قولهم : لاَنْ أفعل كذا ، يريدون الآن ، كما قال الشاعر : [1]

وقد كنت تخفي حب سمراء خفيةً ... فبحْ لَان منها بالذي أنت بائحُ

أنشده ابن الوردي ؛ فإن قلتَ : أليس هذا ضرورة فلا يجوز في السعة ، قلت : لا ، بل في ذلك نقل حركة همزة القطع الى لام التعريف ثم حذف الهمزة مع الاستغناء عن همزة لام التعريف كما في لَحمر في الأحمر ، وهذا جائز في سعة الكلام ·

٤٩ · = ومن ذلك قولهم : ابن أبو الفضل وابن أبو الجود ، بالواو في موضع الياء ، ووجهه أنه على الحكاية ، قال ابن الوردي : ومن الحكاية

---

(١) أنشده الأخفش ، وصواب الرواية فيه « حقبةً » بدل خفية ، قال الجوهري : وربما فتحوا اللام وحذفوا الهمزتين ، وأنشد البيت · قال ابن بري : قوله حذف الهمزتين يعني الهمزة التي بعد اللام نقل حركتها على اللام وحذفها ، ولما تحركت اللام سقطت همزة الوصل الداخلة على اللام · (اللسان ١٦ / ١٨٥)

في حديث وائل بن حجر : من محمد رسول الله الى المهاجر بن أبو أمية ، ومنه ما وجد بيد اليهود من خطّ علي رضي الله عنه ما صورته : كتب علي ابن أبو طالب ، قال : وعندي أن الواو في أبو هنا ، إنما هي لتنبيه على الأصل في الخط ، ولم ينطق بها في اللفظ ، كالواو في الصلاة والزكاة فاعرفه فإنه حسن ، هذا كلامه ، ونظيره في منع اعتبار الحكاية ماجزم به ابن هشام في قوله : [1] (لعل أبي المغوار منك قريبُ)

من ان الجر بلعل لغة قوم باعيانهم بنقل الأئمة ، اذ هو منع لما اعتبره بعضهم فيه من الحكاية ، إلاّ أن القول بأنْ واو الصلوة والزكوة انما هي للتنبيه على الاصل ، خلاف ما عليه الكشاف من أن رسمها على لغة من يميل الالف نحو الواو ، وهو الراجح عندي لاطراده في (الحيوة) اليائية .

٥٠ — ومن ذلك قولهم : زوّجْ بناتَك ، بنصب بنات بالفتحة ، ولكن على ما حكاه الكوفيون من : سمعتُ لغاتَهم ، ورأيت بناتَك ، بفتح التاء .

٥١ — ومن ذلك قولهم : هذا أبيض من ذلك ، أي أشد بياضاً منه ، وذلك أخصر من هذا ، أي أشد اختصاراً منه ، مع أن افعل التفضيل لا يبنى قياساً من لون ، ولا مزيد ، ولا لتفضيل المفعول ، فقد حكى النحاة : أخصر ،

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي ، وصدره :

(فقلتُ أدعُ أخرى وارفع الصوت جهرةً)

وابو المغوار كنية أخي الشاعر مات فرثاه واسمه هرم او شبيب (أنظر لعل في مغني اللبيب)

بالمعنى المذكور، وهو من الاختصار ولتفضيل المفعول معاً، وجاء في حديث الحوض: إن ماءه أبيضُ من اللبن، وهذا من اللون، وعن ابن مالك انه خرّج هذا على وجهين: احدهما أن يكون هذا من باض الشيءُ، اذا فاقه في البياض، قال فالمعنى على هذا: أن غلبة ذلك الماء لغيره من الاشياء المبيضة اكثر من غلبة بعضها بعضا، فابيض بهذا الاعتبار ابلغ من أشد بياضا؛

الثاني: ان يكون أبيض على بابه الا ان (مِن) لا تتعلق به، وانما تتعلق بمحذوف دلّ عليه أي: ماؤه أبيضُ أخلصُ من اللبن، وعلى هذا ابيض من قبيل الوصف، ومؤنثه بيضاء، ولقد عيب على أبي الطيب قوله في صفة الشيب:

إبعَدْ بَعِدتَ بياضًا لا بياضَ له لأنت أسودُ في عيني من الظلمِ

فتأوّل ذلك بعضهم بمثل هذا، قال الحريري في (درّة الغوّاص): ويكون على هذا التأويل قد تم الكلام وكملت الحجة في قوله: (لانت اسود في عيني...) وتكون من في قوله (من الظلم) ليبين جنس السواد، لأنها صلة أسود، قال: ومعنى قوله (لا بياض له) اي ماله نورٌ ولا عليه طلاوة؛ واما (الخَصَر) بفتحتين في قوله[1]:

لو اختصرتم من الاحسان زرتكمُ والعذبُ يهجر للافراط في الخَصَرِ

فليس مجرد الاختصار ليكون منه أخصر، بل هو اسم معناه البرد.

(١) البيت لأبي العلاء المعري: انظر شرح التنوير على سقط الزند، بولاق ١٢٨٦ ص ٣١

٥٢ ـ ومن ذلك قولهم : جا فلان[1] ، بدون همزة ، وهو وارد على لغة من يقول : شا يَشا ، بألفٍ لا همزة بعدها فيهما ، وعلى هذه اللغة خرج قوله : (لو يشا طار بها ذو صبغة[2])

بهمزة ساكنة في (يشا) مبدلة عن الألف على حدّ العألم والخأتم ، وقراءة من قرأ : ولا الضألين بالهمزة شذوذاً ، خلافاً لمن جعل لو ههنا معطاة حكم إن في الجزم ، وجعل يشا على اللغة المشهورة .

٥٣ ـ ومن ذلك قولهم قليلاً : أَسمي فلان ، بفتح همزة أسم ، فقد نقل هذه اللغة عن بعض المتأخرين الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد المعري الشافعي المعروف بابن الركن في كتابه : (ضوء الذبالة)[3] ، وكذا نقلت في بعض شروح (المصباح) في النحو .

٥٤ ـ ومن ذلك قولهم : أكلتْ كبابْ وشربتْ شرابْ بإسكان

---

(١) والعامة بدمشق ومدينة حلب بخلاف ضواحيها تقول : (إجا فلان) بزيادة همزة مكسورة ، وتقول (إسمي) بكسر الهمزة ، وكبابْ وشرابْ بسكونٍ تقف به على جميع الاسماء ، والإعراب في بلاد العرب اليوم غير معهود في الخطاب ومعدود من التكلف والإغراب . (٢) كذا في الاصل ، والقائل كما في الحماسة امرأة من بني الحارث ، وعزاه العيني لعلقمة ، وتمام القطعة مع البيت مصححاً :

فارسٌ ما غادروه مُلحَما غيرَ زُمّيلٍ ولا نكسٍ وَكلْ
لو يشا طار بـه ذو ميعـة لاحقُ الآطالِ نهدٌ ذو خُصَل
غير أن البـأسَ منـه شيمة وصروف الدهر تجري بالاجل

(انظر باب المراثي في الحماسة ، ومغني اللبيب في بحث لو ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٢٨) . (٣) هو الشرح المختصر لكتابه الدرة الخفية في الألغاز العربية .

الآخر حالة الوقف في ذلك وما شاكله مما هو منصرف منصوب على لغة قبيلتنا ربيعة ، حيث لا يقفون عليه بالألف كما هو لغة غيرهم ، ولكن بالسكون كالمرفوع والمجرور بلا فرق ، فيقولون : قام زيدْ ورأيت زيدْ ومررت بزيدْ ، بإسكان الدال في جميع الأحوال ، وعلى هذه اللغة جاء قوله :

ألا حبذا غُنمُ وحسن حديثها لقد تركت قلبي بها هائماً دَنِفْ

وعليها أيضاً بنيت قولي :

ولما كان لي نسب شهير إلى قوم من العرب الأصائلْ

سُئلتُ : الى ربيعة أنت تعزى فقلت : اكفف فلست أجيب سائلْ

أريد لنني ربعي كما قال بعضهم :

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسبْ فأجاب : ما قتلُ المحبِّ حرامُ

يريد أنه تميمي لانه أهمل (ما) العاملة عمل ليس ، كما هي لغة تميم .

٥٥ — ومن ذلك قولهم : فعلت كذا[1] ؟ بحذف همزة الاستفهام ، فيقال فعلت ؟ ومثله قولهم للزاني : وتزني ؟ وللسارق : وتسرق ؟ على ما عليه الأخفش من قياسه حذفها في الاختيار عند أمن اللبس نحو قراءة ابن محيصن[2] سواء عليهم أنذرتهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام بقوله : وإن زنى وإن سرق ؟ وقيل في قوله تعالى : أذّن مؤذن أيتها العيرُ إنكم

---

(١) وعامتنا بدمشق لا تنطق بالهمزة وهل الاستفهاميتين ، ولا بلى وأمّا (٥٧) الجازمتين ، أما الحمد لله ، فنلفظها بضم للدال والحمد لله . (٢) محمد بن عبيد الرحمن السهمي مقرىء أهل مكة ، توفي فيها (— ١٢٣) .

لسارقون ، تقديره : أئنكم ، لأنه في الظاهر يؤدي الكذب ؛ وقيل : أراد سرقتم يوسف من أبيه ، لا انهم سرقوا الصاع ، قال الاستاذ النحوي أبو الحسن علي بن الحسين الاصفهاني الحنفي الملقب بجامع العلوم في كتابه الموسوم بـ (جواهر القرآن) ونتائج الصفة وهذا سهو لان إخوة يوسف لم يسرقوا يوسف ، وإنما خانوا أباهم فيه وظلموه ، قال : وقيل قالوه على غلبة الظن ، ولم يتعمدوا الكذب ويوسف لا علم له ، فيكون التقدير : إنكم لسارقون في غلبة ظنوننا ، قال وقال ميمون بن مهران : ربما كان الكذب أفضل من الصدق في بعض المواطن ، وهو إذا دعا إلى صلاح لا فساد وجلب منفعة لا نهي .

٥٦ . = ومن ذلك قولهم : الحمدِ لله ، بكسر الدال تبعاً للام المكسورة بعدها ، وقد قرئ بذلك في الشواذ في صدر سورة الفاتحة ، كما قرئ أيضاً بضم اللام تبعاً للدال المضمومة قبلها ، الا ان هذه التبعية أقيس لتأخر التابع كما في (منحدُر) بضم الدال بخلاف (مِنتِن) بكسر الميم وقد مر ذكره .

٥٧ . = ومن ذلك قولهم : لم آكلُهُ ولم أشربُهُ ، بسكون هاء الضمير مع ضم ماقبلها مع اقتضاء (لم) سكونه ، يقولون ذلك وشبهه وصلاً ووقفا . أما وصلا فاجراء الوصل مجرى الوقف ، وهو وإن كان شيئاً عزيزاً نادراً ، كما قطع بذلك (جامع العلوم) ، إلا أنه جائز نثراً ونظما ، كما نص على ذلك ابن الوردي على ما علمت ؛ وأما وقفا فجريا على قاعدة الفعل المذكورة

في باب الوقف ، إذ قد سُمِع منهم نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الذي قبله بشروط ذكرت ثمة نحو :

فمن كان ناسينا وطولَ بلائنا فليس بناسينا على حالة بَكُرْ

بضم كاف بكر ، ونحو[1] :

عجبتُ والدهر كثير عجبُهْ من عنزيٍّ سبني لم أضربُهْ

بضم الباء الموحدة من قوله : لم أضربُه ، و «عنزيّ» في هذا البيت نسبة إلى عنزة بفتح المهملة والنون بعدهما زاي ، أبي حيٍّ من ربيعة ، وهو عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ وأما عِنْز بسكون النون فابن وائل ابن قاسط بن هِنب بكسر الهاء وسكون النون ، بن أقصى بالقاف ، ابن دُعمي بضم المهملة الأولى وسكون الثانية ، بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار ، على ما ذكرناه في كتابنا الموسوم بـ «الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة» .

٥٨ ـ ومن ذلك قولهم : الحلبيْ والشاميْ والمصريْ ، ونحو ذلك مما خففت فيه ياء النسبة ففي (كنز المعاني) في شرح قول الشاطبي :

«روى أحمد البزيْ لهُ ومحمدٌ»

(١) هذا البيت لزياد الاعجم كما نسبه سيبويه في كتابه والشنتمري ٢/٧٢ ، وابن يعيش في شرح المفصل ٩/٧٢ ، وهو من عبد القيس قيل له الاعجم للكنة كانت في لسانه .

إشارة إلى أن تخفيفها لغة ؛ وأما قول امرئ القيس [1] :

فقِـلِ في مقيلٍ نحسه متغيبي

ففي الموشح شرح الكافية : إن قوله « متغيبي » في الأصل متغيبيّ بياء المبالغة ، كقولهم في أحمر أحمريّ وفي دوّار دوّاريّ ، نخفف في الوقف ، وهو أحد التأويلين المذكورين هناك لدفع توهم أن الشاعر أراد : فقِل في مقيلٍ متغيّب نحسه ، فقدّم الفاعل وهو نحسه على عامله ، واشبعت كسرة آخر متغيب ، فتولّد عنها تلك الياء ، فهي ياء خفيفة من أصلها لا تخفف ·

٥٩ · = ومن ذلك قولهم : خَبّطُ ، بتشديد الطاء في خبطتُ ، وخصطُ بالطاء في خصتُ ، ففي التسهيل : وقد تبدل تاء الضمير طاء بعد الطاء والصاد ·

٦٠ · = ومن ذلك قولهم : أخنّ ، في أغن بابدال الغين خاء على عكس ما روي عن العرب أيضاً من قولهم : غطر في خطر ، وقد صرّح ابن مالك بوقوع التكافؤ في الإبدال بين هذين الحرفين ، ووقع التمثيل له بهذين اللفظين ، ومن كلام بعض المولدين [2] :

كم أعجميّ ألكنٍ أخنِّ حصّل بالتكرار كل فنِّ

(١) البيت من قصيدته في ام جندب التي مطلعها (خليليّ مرّا بي على أم جندب) ، وصدر هذا البيت : (فظل لنا يوم لذيذ بنعمةٍ) ؛ وكذلك تخفف العامة في دمشق ياء النسبة أبدا ، ونقول : خبّط وخصط ٥٩ كما نقول أخن بالخاء أيضاً ٦٠

(٢) الأخن هو المسدود الخياشيم والانثى خنّاء والجمع خُن من الخُنّة ، قال المبرد : الغُنّة ان يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها ، فاللفظة على ذلك فصيحة —

٦١ ٠ = ومن ذلك قولهم[1]: مَحُّمْ ، بالميم المفتوحة والحاء المهملة المشددة المضمومة في (معهم) ، فقد وقع في (التصريح) بأن الحاء قد تبدل من الهاء بعد عين أو حاء أخرى إن أوثر الادغام ، ومثل لذلك بـ (مَحُّم) بادغام العين في الحاء المنقلبة عن الهاء أولاً ، و (إمدح حلالا) بادغام الحاء في الحاء المنقلبة عنها أيضاً ٠٠

٦٢ ٠ = ومن ذلك قولهم : أنطيته ، يريدون به معنى أعطيته ، قال الجوهري : والانطاء الاعطاء بلغة أهل اليمن ؛ ونقل غيره عن الزمخشري انها لغة بني سعد ، وهي الآن واقعة في كلام أهل زماننا من اهل البدو[2] ٠

٦٣ ٠ = ومن ذلك قولهم : أكلتيه و شربتيه بالاشباع ، وهي لغة عند بعضهم ، قال صاحب (التقريب) في قوله : والله لانعطيكهنّ ، ويروى نعطيكاهنّ بالاشباع نحو : بئس ما جزيتيها ، وإلا أخبرتيها وعصرتيه ، وهي لغة حكاها يونس وأنكرها الأصمعي انتهى ٠

قلتُ : وعلى هذه اللغة جاء قوله صلى الله عليه وسلم لبريرة رضي الله عنها : لو راجعتيه ، رواه صاحب كتاب (المصابيح) في باب المباشرة منه ٠

— قديمة ، وليته استشهد لها بشعر قديم لا نُوَلَّد كقول دَهلب بن قُريع :

جلوبة لينشــد من الوَخشن ولا من السود القصار الخُنز

(١) وتقول عامة دمشق : راح مَحُّم ١ هـ ٦١ واكلتيه ٦٣ ، ونم نم في الجواب ٦٤ ٠

(٢) وهو كذلك الى يوم الناس هذا ٠

٦٤ = ومن ذلك قول الإنسان إذا طرق باب صاحبه: نعَمْ نعَمْ، مريداً للاعلام بحضوره، ولقد أخبر العلاّمة الدماميني شارح مغني اللبيب وهو بمكة في أواخر سنة ثماني عشرة وثمانماية أو أوائل سنة تسع عشرة: أن شيخه قاضي القضاة كمال الدين أبا الفضل النويري الشافعي قاضي مكة سأل الشيخ جمال الدين بن هشام مصنف مغني اللبيب عما جرى به العرف في تلك الأزمنة من أن الإنسان إذا طرق باب صاحبه يقول: نعمْ نعمْ، مريداً للاعلام بحضوره، وهل لهذا أصل في لسان العرب؟

فقال: نعمْ، وقد ذكرتُ ذلك في كتاب مغني اللبيب، وأفادَ العلاّمة الدماميني أن ذلك في موضعين من كتابه، أحدهما: أن نعم تقع جواباً لسؤال مقدر، والثاني: مانقله بعد ذلك من ابن عصفور في جحدر:

ألیس اللیل یجمع أمَّ عمرو وإیانا وذاك بنا تداني
نعمْ، وأرى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني

وأما (نعم) في بيت جحدر، فجواب لغير مذكور، هو ما قدّره في اعتقاده، من أن الليل يجمعه وأم عمرو، قال: وكذلك قول هذا الطارق: نعم نعم، هو جواب لما قدّره في اعتقاده من أن صاحب المنزل لشدة احتفاله به والتفاته إليه يسأل: هل حضر فلان؟ انتهى كلامه؛ وقد ذكر في هذا البيت احتمالان آخران، أحدهما: أن نعم جواب لقوله: (وأرى الهلال ...) البيتَ، وقدّمه عليه؛ والثاني: أنه جواب لقوله: (فذاك بنا تداني)، قال ابن هشام، وهو أحسن انتهى، وعلى هذين

الاحتمالين ، فنعم في البيت جواب لمذكر مؤخر على الاحتمال الأول ، ومقدّم على الثاني ، ولذا كان أحسن .

٠٦٥ – ومن ذلك قولهم : صابَه السهمُ ، ففي الصحاح إنّ : صابَ السهمُ القرطاسَ يَصيبه صَيْباً ، لغة في أصابه ، وعلى هذه اللغة جاء قول المتنبي :[1]

ورمى وما رمتا يداه فصابني سهمٌ يعذّب والسهامُ تريحُ

قال الدماميني في شرح مغني اللبيب عند ذكر الألف التي تكون علامةً للتثنية لا ضميرها على قولٍ في نحو : قاما الزيدان ، شارحاً لهذا البيت : يعني أنه نظر إليه فرمى بطرفه سهماً أصاب فؤاده ، ولم ترمِ يداه ، على أن هذا السهم الصائب لم يجرِ على عادة السهام التي ترميها الأيدي فإنها تقتل فتريح من نصب الحياة ، وأما هذا السهم الصائب فإنه يعذب دائماً بما يهيجه من لوعة الغرام ويزيده من لاعج الشوق ، قال : وصاب السهمُ القرطاس يصيبه صيباً لغة في أصابه ، وفي المثل : مع الخواطئ سهم صائب ، يضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي الأحيان بالصواب .

٠٦٦ = ومن ذلك قولهم : لسعتني الحية ولسعته بلساني ، مع قول بعض

---

(١) من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي مطلعها :

جللا كما بي فليك التبريحُ أغذاء ذا الرشأ الاغن الشيحُ

وقوله : وما رمتا يداه ، على لغة يتعاقبون ، والجملة حال ، ونقول عامتنا بدمشق : صابه السهم ، ولسعته الحية وفلان يلسع بلسانه (٦٦)

اللغويين في تأليف له : كل ضارب بمؤخره (يلسع) كالعقرب والزنبور ، وكل ضارب بفيه (يلدغ) كالحية وسام أبرص ، وكل قابض بأسنانه (ينهش) كالكلب وسائر السباع ؛ ففي الصحاح : لسعته العقرب تلسعه لسعاً ، وفي الجمهرة : واللسع لسع العقرب والزنبور ، قال ابن دريد فيها : ثم كثر ذلك حتى قالوا : فلان يلسع الناس بلسانه : إذا كان يؤذيهم ، ومنه قول بعض السلف لرجل ذكر عنده رجلاً بسوء فسجع في كلامه ، فقال : أراك سجّاعاً لساعاً ، أما علمت أن أبا بكر نضنض لسانه وقال : هذا أوردني الموارد ، انتهى .

والنضنضة بنونين ومعجمتين : تحريك الحية لسانها على ما ذكره الجوهري أيضاً .

٦٧ . = ومن ذلك قولهم : قَلَم [1] ، للقصب الذي يُبرى ، فيكون قلماً مع قول بعض اللغويين : إنه لا يقال قلم إلا إذا كان مبرياً ، وإلا فهو قصب ، كما لا يقال : كوز ، إلا إذا كانت له عروة ، وإلا فهو كوب ، إذ من الجائز أن يكون ذلك منهم على المجاز إطلاقاً لاسم الشيء على الشيء باعتبار ما يؤول إليه .

٦٨ . = ومن ذلك قولهم : نعش للسرير قبل أن يوضع عليه الميت ، مع أنه في كتب اللغة لا يقال له سرير إلا ما دام هو عليه ، إمّا باعتبار ما كان عليه أو باعتبار ما يؤول اليه .

(١) كذلك تلفظ عامتنا بدمشق الفاظ الفقرات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

٦٩ ـ ومن ذلك قولهم : سَلامْ عليكم بدون تنوين سلام ، فقد حكاه أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي عن أبي الحسن عن العرب ، قال في كتابه الذي ضمنه شرح أبيات العز [1] قايلها أعرابها ودفن في غامض الصنعة صوابها ، كأنهم حذفوا التنوين لكثرة هذه اللفظة في الاستعمال انتهى ؛ ومما حذف فيه التنوين في النثر ، ولكن لالتقاء الساكنين قوله تعالى : (ولا الليل سابقُ النهارَ) فيمن نصب (النهارَ) من غير تنوين (سابق) ، قال الفارقي : قال أبو علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرّد أنه سمع عمارة بن عقيل [2] يقرأ : (ولا الليل سابقُ النهارَ) بنصب النهار ، فقلت له : ما تريد ؟ فقال : (سابقٌ النهار) ، قلتُ : فهلاّ قلته ، قال : لو قلته لكان أوزن .

٧٠ ـ ومن ذلك قولهم : هذا لَأبي وذاك لَأخي ، ونحو ذلك مما فتحوا فيه لام الجر مع الاسم الظاهر في غير المستغاث به ، وفي كتاب الفارقي : إن ذلك لغة ، وقد أنشد فيه قوله :

تواعدني ربيعةُ كلَّ يوم   لَأهلكها واقتنيَ الدجاجا

بفتح اللام الداخلة على الاسم الظاهر ، ولكن لا حقيقة [3] بل تأويلا أي لاهلاكها .

---

(١) كذا في الأصل وفي العبارة غموض . (٢) وحكى هذا القول أيضاً ثعلب عن عمارة ، انظر نزهة الألباء ٢٩٦ (٣) يفهم من قوله (لا حقيقة) أنها لا تدخل على الظاهر الا مؤولا مع ان ابن يعيش في شرح المفصل يقول ٢٦/٨ : « وقد شبه بعضهم المظهر بالمضمر ففتح معه لام الجر فقال : المال لَزيد . »

٧١ — ومن ذلك قولهم : يا با ، يريدون بذلك يا أبي ، فيقلبون ياء المتكلم ألفاً كما في (يا حسرتا ويا غلاماً) ، ويحذفون همزة أبا كما في قوله صلى الله عليه وسلم : يا با بكر! لعلك أغضبتهم ، الحديث . وليس ذلك في الأصل يا أبا مثل يا عصا على لغة من يستعمل الأب مقصوراً كالأخ نحو قوله : [1]

تقول ابنتي لما رأتني شاحباً   كأنك فينا يا أباةُ غريبُ

فيمن جعل تاء أباة زائدة ؛ وذهب ابن السكيت في كتاب القلب والإبدال الى أنه مقلوب من أبَتا ، قال الفارقي : وهو قول جيد ، ولا شاهد فيه ، وأنشد على لغة أخا :

قالوا : تفردتَ لا خلاّ ولا سكنا   فقلتُ : من أين للحرّ الكريم أخا

قوله : لا خلاّ ولا سكنا ، أي لا تصحب لا خلاّ ولا سكنا .

٧٢ = ومن ذلك قولهم : شر ، بتخفيف الراء في نثر الكلام وقفاً ، وكذا وصلاً إن وقع إجراء للوصل مجرى الوقف عند استعمالهم ذلك وصلاً ، لأن العرب كما يشددون الحرف الأخير في الوقف فيقولون : جاءني جعفرّ بتشديد الراء ، كذلك يخففونه على سبيل المعاوضة ، فإذا وقع تخفيفه وصلاً كان من إجراء الوصل مجرى الوقف نحو : وما أدراك ماهيهْ نار حاميهْ ، مما زيدت فيه هاء السكت وصلاً لتلك العلة ، مع أنه قد

---

(١) أنشده أبو علي الفارمي عن أبي الحسن ، وأنشد صدره يعقوب بن السكيت : (تقول ابنتي لما رأت وشك حالتي) انظر اللسان ١٨/١٠ ففيه مزيد بيان .

قرأ بعضهم : وما أدراك ما هي ، بدون تلك الهاء ، كما نبه عليه الفارقي ، وأنشد على تخفيف راء شرّ وصلاً قوله :

إني اذا ما لم أجدْ غيرَ الشرْ كنتُ أمرءَ بنَ مالكِ بنِ جعفرْ

وأنشد قوله :

وأنتمُ معشرٍ لئامٌ نلقى لديكمُ أذًى وبُوسِ

بجرّ راء معشر ، على أن الأصل (مَعَ شرٍّ) وإنه خفف الراء للضرورة ؛ وهـذا البيت مما يلغزُ به ، وإذا كتب جعل قوله مع شر بصورة معشر للإلغاز ، وحينئذٍ فلئامٌ بالرفع خبر أنتم لا صفة معشر ليشكل رفعه ؛ وأما قوله : (وبوس) بالجر فعطف على شر لا على أذى ليشكل جرّه .

٧٣ = ومن ذلك قولهم : أنَ ، بفتحتين وصلاً ووقفاً يريدون به أنا ، قال الفارقي في كتابه : حكى أصحابنا في (أنا) خمس لغات[1] : أنَ فعلتُ ، بإسقاط الألف من اللفظ في الوصل وإثباتها في الوقف وهي أفصحها ؛ وأنا فعلتُ ، بإثباتها وصلاً ووقفاً ؛ وأنَ فعلتُ بحذفها وفتح النون وصلاً ووقفاً ، وأنْ فعلتُ بإسكان النون في الحالتين ، وآنَ فعلتُ كل ذلك جاءَ عنهم قال أبو النجم :

(أنا أبو النجم وشعري شعري)

فأثبت الألف وصلاً ، وقال آخر :

(وآنَ الليث محميُّ العرينِ)

وقال بعض النحويين :

(١) انظر اللسان ١٦/١٧٩ وابن يعيش على المفصل ٣/٩٣

وأنْ أوردتهم حوض المنايا   وجيتُ بن بقي زُمراً قطينا

وقرأ الفرّاء : أنا أُحيي وأُميتُ ، وأنَ أُحيي بحذف الألف وصلاً ووقفاً ، وإثباتها هذا كلامه ؛ وقد استعملت ثانية هذه اللغات في عبارات أهل زماننا على ما علمتَ آنفاً ، وعلى الأولى والثانية يتخرّج قول بعض العرب : إنّ قائم ، إذ أصله : إنْ أنا قائم أو إنْ أنَ قائم ، بكلمة إنْ المكسورة الهمزة الساكنة النون المفيدة للنفي ، ولا اختلاف بين الأصلين على هاتين اللغتين في اللفظ ولكن في الخط ، والحملُ على الأولى أوْلى ، وكذا قال ابن هشام : أصله إن أنا قائمُ فحذفت همزة أنا اعتباطاً ، وأدغمت نون (إنْ) في نونها ، وحذفت ألفها في الوصل ، قال : وسمع أن قائماً على الأعمال : أي على أعمال إن الثانية ، وهذان التركيبان مما يُلغز به .

٧٤ . — ومن ذلك قولهم : أكلت الدجاج ، وإن كان المأكول ديوكاً لقول جرير :

لما تذكرتُ بالديرين أرّقني   صوتُ الدجاج وضرب بالنواقيسِ

قال الجوهري : إنما يعني زقاء الديوك انتهى ؛ وصرّح الفارقيّ بأنه يقال للديك دجاجة ، ذكر ذلك في كلامه على قول لبيد :

باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ   لأُعلَّ منهـا حين هبّ نيامها

أي باكرتُ لاحتياجي الى الخمر بكور الديوك بسحرة لأُسقى منها مرة بعد مرة حين انتبهَ من نومه نيامها .

٧٥ . — ومن ذلك قولهم : جعلَ له كذا وجعلتَ لك كذا ، بفتيح

التاء ، وجعلتُ لي كذا بضمها ، مع اشتهار أنه لا يتعدى فعل الضمير المنفصل الى ضميره المتصل إلا في باب ظن وفي فقد وعدم ، فلا يجوز مثل زيد ضربه على معنى ضرب نفسه ؛ فإن قلت : فما وجه ما نقلتَ من أقوالهم المذكورة ؟ قلتُ : الوجه فيها أن الأصل لنفسه ولنفسك ولنفسي ، وإن ذلك من باب حذف المضاف إليه نحو قوله تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) ، إذا قدّر (لهم) معطوفاً على (لله) ، و (ما) معطوفة على (البنات) ، إلا أن تقدير المضاف في هذه الآية تكلُّف ، وإن كان العطف لا يصحّ إلاّ به بتصريح من ابن هشام في مباحث جملة الاعتراض في مغني اللبيب ، وذلك لأن وجهاً في الآية يغني عن تقدير الشيءُ ، وذلك أن يقدّر (لهم) خبراً و (ما) مبتدأ ، والواو للاستئناف لا عاطفة جملة على جملة ، ويقدر الكلام تهديداً كقولك لعبدك : لك عندي ما تختار ، وأنت تريد بذلك إبعاده أو التهكم به .

٧٦ - ومن ذلك قولهم : قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج ، مستعملين سائراً في ذلك بمعنى الجميع ، وزعم الحريري في (درّة الغوّاص في أوهام الخواص) أن ذلك من الأوهام الفاضحة والأغلاط الواضحة ، وأن سائراً في كلام العرب بمعنى الباقي ، وتعقّبه العلاّمة أبو محمد عبد الله ابن بري بن عبد الجبار المقدسي فيما كتب بخطه على هذا الكتاب ، فأنشد شواهد كثيرة تدل على مجيءُ سائر بمعنى الجميع ، كما جاء بمعنى الباقي ، منها قول ابن الرّقاع :

وحجراً وزباناً وإن يكُ مِلقَطٌ تُوفيَ فليُغفر له سائر الذنبِ

وقول ابن أحمر :

فلا يأتنا منكم كتاب بروعةٍ فلن تعدموا من سائر الناس ناعيا

وقول ذي الرمة :

مُعرِّساً في بياض الصبح وقعته وسائر السير إلا ذاك منجذبُ

قال ابن برّي : قوله (إلا ذاك) : استثنى التعريس من السير فسائر اذاً بمعنى الجميع ، وقال ابن أحمر أيضاً :

قضباً من الريحان عكّسه النّدى مالت جناجنُه وسائره ندي

أي مالت أوساطه وصدره لِلينه ورطوبته وجميعه ندٍ ، وأنشد أيضاً للأحوص :

وإني لأستحييكمُ أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مجمعُ

وعلى هذا المعنى ورد قول أبي العلاء المعري :

أُشرب العالمون حبك طبعاً فهو فرضٌ في سائر الأديانِ

المجلد السادس عشر ١٧٢ و ١٧١ الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار و نيسان سنة ١٩٣٧ م

ذو الحجة والمحرم سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً	
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً	

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ثمن كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة «	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة «	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة «	«	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

تأملات عامة في اللهجات العربية

إن الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي بدمشق وكاتب سره وصديقي الأمير جعفر الحسني محافظ دار الآثار بدمشق ، قد رغبا إليّ في أن أشرح في هذه المجلة القواعد العامة للأبحاث التي عُنيت بها ، فقبلتُ هذا الاقتراح بسرور عظيم ، وأنا الآن مبين بإيجاز كيفية فهمي لعلم اللهجات Dialectologie ، ولا سيا العربية منها .

ويحسن بنا أن نعرّف باديَ الرأي علم اللهجات :

إن من النادر أن نجد لغةَ تخاطب ، وهي على مساحة متسعة من الأرض ، تحافظ على شكل واحد ؛ والأشكال المختلفة التي تتخذها هذه اللغة في بقاع الأرض المختلفة التي يتكلم بها ساكنوها هي اللهجات لهذه اللغة ؛ وإن إحدى هذه اللهجات ، وإن ارتفعت الى مستوى لغة دينية أو أدبية أو سياسية ، وهو ما يحدث غالبًا ، فإن سائر اللهجات الأخرى تعيش وتكون كثيرة في معظم الأحيان ، مثال ذلك لهجة باريس الفرنسية ، فقد أصبحت اللغة السياسية والأدبية لفرنسة بأجمعها ؛ بيد أن اللهجات الأخرى (التي أثرت قديمًا تأثيراً أدبيًا) قد ظلت حيةً الى يوم الناس هذا ، كذلك وبنسبة أكبر لبثت اللهجات الإيطالية عامة . وكما نجد لهجات ألمانيةً عديدة لا تزال حيةً في ألمانية ، نجد الى جانبها أنّ لغة علمية ، هي لغة الديوان النمسوي السكسوني، قد أصبحت اللغةَ الأدبية والرسمية لألمانية كلها . إن هذه الحالة شبيهة بحالة العالم العربي ، فإن اللهجات المحلية لا تزال لغة الخطاب بين معظم الشعب ، على الرغم من وجود لغة كبيرة دينية وعلمية وأدبية : إن اللغة العربية الفصحى (المدرسية) المبني جانب منها على لغة

شعرية قديمة كانت في بلاد العرب الوسطى ، والجانب الآخر منهما مبني على لهجة قديمة هي لغة الحجاز ، هي اللغة الأدبية التي تعمل بأزاء اللهجات العربية ، ذلك العمل الذي عملته اللاتينية أزاء اللهجات الرومانية المنتشرة بأوروبة في القرون الوسطى .

ولقد نخطئ كثيراً اذا تناسينا استقلال اللهجات بالنظر الى اللغة الأدبية : إن اللهجات الفرنسية هي غير الفرنسية الأدبية وهي فرنسية باريس المتحولة المتكاملة ، وكذلك اللهجات الإيطالية ليست هي اللغة الإيطالية المدرسية التي حوّلتها الجماعات الشعبية ، واللهجات العربية ليست كذلك مما حوّله الأميون عن العربية الفصحى ، فإنهما غير مرتبطة بها ، ولذلك ينبغي أن لا نحاول تفسير جميع تلك اللهجات المختلفة بالرجوع الى العربية الفصحى ، وهو ما يخطئ الناس في عمله كثيراً .

وإن الذي ساعد على انتشار هذا الخطإ هو اعتبار : اللهجات لغةً فصيحة شوّهها الشعب ، ولعل هذا هو شأن اللغة اللاتينية ، ولا ريب أن اللغات الرومانية المختلفة : (البرتقالية والإسبانية والفرنسية والبروفنسالية والايطالية والرومانية) هي اللاتينيةُ المتكاملة بروعة ؛ بيد أن الناس يعلمون أن جميع العالم الغربي قد فتح بلدانه سكانُ مدينة رومة وضواحيها المجاورة ، وكان هؤلاء السكان يتكلمون تقريباً لغةً واحدة ، وليس هذا الامر شبيهاً بحالة اللغة العربية ، إذ ليس سكان مكة والمدينة ولا الحجاز هم الذين فتحوا المملكة (الامبراطورية) العربية فحسب ، لانا نعلم أن معظم قبائل جزيرة العرب قد أعانت على هذا الفتح ، ولهذا نرى نحاة العرب القدماء يذكرون اختلافات عديدة في اللهجات في جوف البلاد العربية القديمة ، فالفتح العربي قد نشر بين الناس اختلاف اللهجات التي كانت في الجزيرة إبان الهجرة .

فإذا عرّفت اللهجات بهذه الصورة كان البحث عنها موضوعَ علم اللهجات ، وفي درس أية لغة من اللغات يجب أن يعنى بعلم اللهجات عنايةً خاصةً ، وعلينا أن نلاحظ أن اللغات الفصحى (المدرسية) ليست إلا جزءاً من الحقيقة اللغوية : ذلك أنه لا نستطيع أن ندرس بطريقة علمية تاريخ اللغة الفرنسية وتكاملها مع الاقتصار على الفرنسية الفصحى وحدها : إن كثيراً من المسائل الخطيرة لا تظهر معانيها إلا بواسطة اللهجات أو

بعدفهمها ؛ وإن درس اللهجات بجاراته لدرس اللغة الفصحى مما يساعد على الاطلاع على جملة اللغة اطلاعاً كاملاً ؛ بل اطلاعاً دقيقاً ، لان اللهجات هي الحقيقةُ الحية ، بينا نرى ان اللغة الفصحى ، وإن كان لها نصيب من التخاطب ، يرافقها شيءٌ من التصنع والتفصح ·

إن خطأ كبيراً أن نجعل لدرس علم اللغة أو لاحد فروعها ، وهو بحث اللهجات ، غاية نفعية · ومن الناس من يظن أن هدف علم اللغة أن يميز في اللغة صحيح القول من فاسده ، (وهو هدف النحاة الفرنسيين في القرن السابع ، والهدف الذي رمى اليه من قبلهم نحاة العرب المتقدمون) ؛ ومنهم من يرى — وهو رأي مشتق من المتقدم — أنه يجب أن نختار من بين اللهجات أقربها من الفصحى وأجدرها بالاتباع : إن هذه الآراء ضعيفة ، وتخالف رأينا كل المخالفة ·

ليس موضوع علم اللغة المفاضلة بين الأشياء ، فهو لا يعنى بفن الاستبداع والجمال Esthétique ، بل يرى أن أحط اللهجات لا يقل درسها فائدة عن اللغة الادبية المهذبة كما أن بلورة الملح لا تقل عن الماسة في نظر الكيماوي · ان علم اللغة هو علم ومثل جميع العلوم لا يتخذ له هدفاً غير معرفة موضوعه ، وبتعبير آخر غير وصف أحوال اللغة وتطوراتها (علم اللغة القراري Statique وعلم اللغة الحراكي Dynamique وعلم اللغة القراني Synchronique وعلم اللغة اللاقراني Dischronique)

هذا ما يقال عن الخطة العامة ، فلننظر ما يجب أن يتجه علم اللغة العربية ولهجاتها : ان من البين ان العمل الضروري الذي يجب القيام به هو وصف اللهجات وان العربية الفصحى قد درست درساً كبيراً ، ومن الممكن أن نعتبر أبحاث الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات قد نضجت نضجاً كافياً ، وبعكس ذلك لا يعلم الناس من أمر اللهجات العربية إلا قليلا : وإذا كنا نعرف بعض الشيء عن بعض لهجات المدن (كبيروت ودمشق وحلب والقدس والقاهرة) فإنا لا نزال نجهل لهجات القرويين والبدو (وهي في الأغلب أشد بالاصل ارتباطاً ، وبقاعها الجغرافية أشد من غيرها انبساطاً) ان بحث هذه اللهجات مما لا غنى عنه ، لأن تقدم التعليم وانتشار الصحافة وسهولة المواصلات مما زاد انتشار اللغة الفصحى أو لغة التخاطب القريبة منها ، ونرى أمام هذه

اللغة الجليلة أن اللهجات ولاسيا لهجات القري والبدو تتأخر ، والأمر يؤول بها إلى الاضمحلال والزوال .

لنتفاهم جيداً ، فإني لا أجد في التفاهم شراً بل خيراً : إن الاختلاف اللغوي شر ، والوحدة اللغوية خير عظيم . واني في حالة العرب خاصة لافهم كل الفهم وأرى من الحق أن يشعر العرب المتباعدة أقطارهم بحاجتهم الى لغة واحدة هي رمز وحدتهم الروحية ، وان هذه اللغة الواحدة لا يمكن أن تكون سوى الفصحى ، وأرجو أن يؤذن لي بضرب المثل الآتي : حينما يوجد أثر قديم من الأبنية ، عديم نفع وقليل جمال ، وهو على قارعة طريق ينتفع الناس بسلوكه ، ولا يستطيعون أن يستعيضوا عنه بغيره ، نجد من الحق الشرعي ان نفادي بهذا البناء وان نهدمه ونزيله عن طريق الناس ، ذلك أن حاجات حياة المدينة تتقدم على الانتفاع بعلم نظري صرف ؛ غير أن علم الآثار يتطلب بحق أن يعنى بتخطيط هذا الأثر القديم ، وان تصوّر منه المواضع الضرورية تصويراً شمسيًا قبل أن يُمحى من الوجود .

ان هذه الحالة لتنطبق على اللهجات العربية ، التي تريد أن تنقضّ وتنقرض ، ولا ريب أن من المفيد انقراضها : إذ لا يرمي علم اللهجات الى المحافظة على هذه اللهجات أصلا ولا الى تجديد حياتها ، وانما يهمه أن توصف وتعرف قبل فقدها . يجب أن نعجل بالأمر : فقد طال في اللغة الفرنسية بنا الانتظار ، وان الابحاث التي يقوم بها علماء اللهجات منذ أواخر القرن الماضي قد تأخرت عن وقتها بعد أن ضاع كثير من الدقائق اللغوية الخطيرة .

وقد عنيتُ بوصف اللهجات العربية منذ بضع سنين ، فبدأت بكتابة وصف نحويّ للهجة التدمرية سنة ١٩٣٢ ، وبعد هذا العمل الاول شرعت في درس اللهجات لجماعات كبيرة : وسأنشر في هذا الخريف بحثًا بعنوان : « تعليقات على بعض اللهجات البدوية في سورية وفلسطين » ، كما اني درست الخطوط الاصلية لمبحث الاصوات والصيغ في نحو عشر لهجات بدوية ، وأنا الآن مهتمٌّ بوصف لهجة كورة واسعة ، هي حوران (مع شمال مشارف الشام : شرق الاردن) ، وقد شرعت في هذا العمل منذ ١٩٣٣ ، وسينشر بحثي بلا شك في سنة ١٩٣٨ . كما شرعت في بلاد المغرب في البحث

بإيجاز عن الخطوط الكبيرة من لهجات إفريقية الشمالية كلها (طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش) ، وأرجو أن ينتهي هذا البحث سنة ١٩٤٠ • ومن المحتمل بعد ذلك أن أهتمّ باللهجات الشرقية ، بحيث أبدأ على الاقل بذلك التخطيط اللغوي للهجات السورية الفلسطينية العراقية ، وهو تخطيط ضروري جداً ، وقد حاولت في هذه الابحاث أن أجمع أفضل وسائل التحقيق العلمي : كالتسجيل في أقراص الحاكي [1] والمقاييس الصوتية الدقيقة •

هذه هي الخطوط الكبيرة للعمل الذي أنا قائم به ، وأرجو كل الرجاء أن يهتم بها الجمهور العربي ، لانها أبحاث تتعلق بلغته ، وأن يشارك بها ولو بعض المشاركة ، فإن كثيراً من الدقائق اللغوية تخفى على الاجنبي الذي ينقصه الاطلاع على روح اللغة أبداً ، ولهذا أتقبل بامتنان كل ما يرسل إليّ من نقد وملاحظة ، لان البحث اللغوي ما زال من بعض جوانبه : عملاً جمعيًا لا فرديًا •

ج • فانتينو

أستاذ علم اللغة العام والالسنة السامية
في جامعة الجزائر

تعليق

إن مؤلف هذا البحث الممتع قد عني كل العناية باللهجات الشامية ، ولا سيما لهجات بادية الشام ، وقضى ما بين ظهراني البدو زمنًا طويلاً ، فكتب ما كتب عن علم وخبرة ، وبحثه هذا يشف عن روح إنصاف طيبة ، فمن الحق أن يجيبه الى طلبه علماء اللغة العربية فيساهموا في البحث عن اللهجات العربية الحية ، وقد قام من بعض الوجوه بواجبه من علمائنا الشيخ رضي الدين محمد بن ابرهيم الحنبلي مؤلف كتاب « بحر العوّام » الذي نشره المجمع العلمي في هذا الجزء من المجلة ، فإنه قد بحث منذ نحو أربعة قرون عن لهجات بلاد الشام الشمالية عامة ولا سيا لهجة حلب وكورها المحيطة بها ، ومنها بلدة « تادف » التي ينتمي المؤلف اليها ، وهنالك ، كما ذكر المستشرق دلائل جمة على أن اللهجات العامية العربية مصيرها الانقراض ، وإن « الفصحى » أيد الله دولتها ، تزداد على الايام حياةً وقوةً وانتشاراً •

---

(١) كوانات الفنغراف •

المصدر اليائي أو اليائيُّ الصيغة

أخطأ من يسميه بالمصدر الصناعي

كثيراً ما قرأتُ في كتب قواعد العربية المطبوعة في مصر ، كلاماً على « المصدر الصناعي » ، وذلك منذ نحو من خمسين سنة أو دُوَين ذلك ، وقد بحثت نعماً عن هذه التسمية ووجودها في كتب أهل الصناعة ، فلم أجد لها ذكراً ، وقد قضيتُ في هذا البحث الايام الطوال ؛ بل الاعوام العداد ، فلم أرجع عنهُ إلا بما رجع به حنين ، فاستنتجتُ أن هذا الوضع حديث عائد الى اصحاب « الدروس النحوية » لمنشئيها : حفني ناصف ، ومحمد دياب ، والشيخ مصطفى طموم ، ومحمد صالح . وقد ظهرت هذه الدروس مطبوعة لأول مرة في سنة ١٣٠٥ ، ولم أجد لهذه التسمية ذكراً قبل ظهور هذا التصنيف .

وإني لا أظن هذه التسمية صحيحة ، بل أعدها من الخطإ الصريح القبيح المرغوب عنه ، لان قولك : « المصدر الصناعي » كقولك : « مصدر الصناعة ، لان الاضافة ترِدُ بمعنى النسبة وبعكس ، حتى أن سيبويه سمى النسبة إضافة . وما ذلك إلا من باب الترادف ، فقولك مثلاً : « آلة زراعة » يكاد يكون كقولك : « آلة زراعية » وان كان بين المعنيين فرق لا يخفى على المتأمل ، فآلة الزراعة تمحض معنى الكلمة للصناعة المذكورة ، وأما الآلة الزراعية فتفيدك أن تلك الآلة تتصل بالصناعة المذكورة بمنحىً من المناحي ، بعيداً كان أو قريباً : ففي « النسبة » معنى عام ، وفي « الإضافة » معنى خاص ، فقولك : « بيت ملك » خصوص وهو ظاهر ، وقولك « بيت ملكي » عموم : أي ان البيت يتصل بالملكية بمنحى أياً كان . وكل من

النسبة والاضافة لا تأتي بمعنى المفعول ، وكذلك لا يأتي المفعول بمعنى احدى تينك التسميتين ، فإنك لا تقول مثلاً « آلة مزروعة » وتريد بها « آلة زراعة أو آلة زراعيـة » ويظهر فساد تسمية المصدر اليائي بالمصدر الصناعي ، من أنك تعرف أن الآلة لا تُزرع وانما يعتمل بها للزراعة .

فإذا كان الأمر كذلك اتضح لك فساد تسمية قولك : « المصدر الصناعي » ، وكان الحق أن يقال « المصدر المصنوع أو الموضوع أو المصوغ » لانه يصنع أو يوضع أو يصاغ صوغاً قياسياً بصناعة معروفة أو بعمل مقرر في تآليفهم . فكان يجب على الواضعين الاولين — ليصح كلامهم وتعبيرهم — أن يقولوا « المصدر المصنوع » الى آخر ما قلناه . ولذلك وجب أن ينبذ نبذاً وحياً — قول القائل « المصدر الصناعي » لفساده .

٢ — اتخاذ المصدر اليائي

كيفية اتخاذه أن تعمد الى الكلمة مشتقة كانت أم غير مشتقة — مصدراً كانت ام غير مصدر — وتزيد على آخرها ياء مشددة وهاء ، وتسمي تلك الياء « ياء المصدر » ولا نقل « ياء النسب » فاذا تمّ ذلك سميت الكلمة « بالمصدر اليائي » ، وسمي كذلك لاختتامه بالياء المذكورة وهي التسمية التي جرى عليها اصحاب الفن .

وقد ورد مثل هذا المصدر منذ اقدم الازمنة ، بل من عهـد الجاهلية ، بل لفظة « الجاهلية » نفسها هي من هذا النوع من المصدر ، ولهذا اخطأ من انكر صحة « الجمعية والعملية والنشرية » وما كان على هذا البناء .

٣ — قياسية هذا المصدر نقلاً عن رواية الأئمة

كنتُ قد قرأت منذ زمن مديد في ترجمة ابي الطيب المتنبي ما هذا معناه :

« استنشد سيف الدولة يوماً ابا الطيب المتنبي قصيدته التي اولها :

«على قدر اهل العزم تأتي العزائم » فاندفع ابو الطيب ينشدها فلما بلغ قوله فيها :

وقفتَ وما في الموت شك لواقف ‌ ‌ ‌ كأنك في جفن الردى وهو نائمُ

تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال سيف الدولة : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأني لم أركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم اسبإ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين . كان ينبغي لامرىء القيس أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

ولم اسبإ الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت ومافي الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي : أيد الله مولانا ، ان صح أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا كان اعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لان البزاز لا يعرف[1] جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لانه هو الذي اخرجه من « الغزلية » الى « الثوبية » . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت ، أتبعته بذكر الردى وهو الموت ، ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح ، وثغرك باسم ، لاجمع بين الاضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . » اه

أوردنا هذه الحكاية على ما كنا قد وقفنا عليها منذ نحو خمسين سنة ، ولم نقيد في مدوناتنا الصفحة والجزء اللذين وردت فيها لبعد العهد وعدم وجود ديوان المتنبي لشارحه العكبري لدينا في هذا الوقت ، لاعارتنا اياه بعض الاصدقاء . وقد أوردناها على ما كنا دوناها ولعل فيها زيادة أو نقصاً ، على أن المراد من سردها هنا توجيه

(١) كذا في الاصل ، ولعل الصواب (لا يعرف إلا جملته) . (المجلة)

الانظار إلى وجود « الغزلية » و « الثوبية » وهما من المصادر اليائية التي لم ترد في أي معجم من معاجم اللغة

فنطق المتنبي بهذين اللفظين ، وإثبات الشارحين لديوانه هذين الحرفين ، من غير أن يتعرض أحد لتغليط المتنبي ، دليل واضح على أن الناظم الفيلسوف الفذ (وهو من أبناء المائة الرابعة) ذكر ما ذكر نقلا عن شيوخه . ولم يخطئه من جاء بعده ، ولا سيما شارح ديوانه العكبري وهو من أبناء المائة السادسة . فالاخذ بالمصدر اليائي أخذ مقيس على نهج العرب الفصحاء ولا يمكن أن يتعرض لتخطئة قياسيته من يأتينا في هذه الايام وهو يحجل في كلامه حجل الغراب في مشيته .

فقد انكر بعضهم « السابقية والممنونية والمشروطية والمحظوظية والمحسوبية » وما ضارعها زعمين ان ذلك من التعبير التركي ، ويتضح لك فساد قولهم مما مر بك ومما انقله اليك الآن .

ع — قياسية المصدر اليائي نقلا عن ائمة النحاة .

ذكر الكلنبوي (وهو الميرزا ابو الفتح المتوفى سنة ١٢٠٥) في كتابه « الحاشية على ميزان الادب » الذي هو لمحمد التبريزي الحنفي شارحا آداب البحث لعضد الدين الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ وقد ألف الكلنبوي كتابه في سنة ١١٨٩ هـ فذكر صيغ المصادر اليائية في كلام طويل وقع في أربع صفحات دقيقة الحرف من ص ٦ إلى ص ٩ . ونحن نورد بعض كلامه بحروفه مع حذف بعض منه حبًا للاختصار ، ونشير الى الحذف بثلاث نقاط ، ومن أراد النص بكماله ، فعليه بالكتاب نفسه ، وهو مطبوع في الآستانة في أواخر شوال سنة ١٢٣٤ ودونك هذا النص :

« صيغ المصادر اما مشتركة بين المعنى المصدري ، وبين الهيئة الحاصلة للفاعل والمفعول به ، كما ذهب اليه بعضهم . وإما موضوعة للاول فقط . ولا يستعمل في الثاني إلا مجازاً ، كما ذهب اليه أكثر المحققين . . .

« والمصدر قد يضاف الى فاعله وقد يضاف إلى نائبه . فالمضاف إلى الفاعل نحو كسر زيد الزجاج ، والمضاف إلى نائبه نحو: كُسر الزجاجُ ، بمعنى وقوع الكسر عليه ، لا بمعنى قيام

« المكسورية » به كما يقتضيه تفسير التقييد مبني للمفعول . — نعم يجوز أن تكون المصادر مشتركة ، لكن لا تُنسب ولا تضاف إلا باعتبار استعمالها في المعنى المصدري المقتضي للنسبة إلى الفاعل والمفعول به ...

« إما المعنى الاصطلاحي ، اعني الهيئتين القائمتين بالفاعل والمفعول به ، وإما المعنى اللغوي الشامل لهما ، وللمادحية ، والمعظِّمية والممدوحية والمعظَّمية اللازمتين للحامدية والمحمودية لزوم الأعم للأخص ، اذ المدح والتعظيم أعم من الحمد اللغوي والعرفي : وذلك لأن الحاصل بالمصدر بحسب الاصطلاح موضوع للهيئة الحاصلة للفاعل أو المفعول به ، بسبب المعنى المصدري أولا وبلا واسطة كالحامدية والمحمودية الحاصلتين بسبب الحمد ، ومثل المادحية والممدوحية حاصل ثانيا وبواسطتهما . والمعنى اللغوي للحاصل بالمصدر هو الحاصل بسبب المصدر اعم من يكون حاصلا أولا وبلاواسطة ، وان يكون حاصلا بواسطة كالألم بالنسبة الى الضرب . والمادحية والممدوحية والكلام الحاصل من الحمد على ما صرح بمثله بعض الافاضل ، فيكون المعنى اللغوي اعم مطلقا ، اذ الكلام الذي هو لفظ وصوت ليس هيئة حاصلة لشيء من الحامد والمحمود ، بل هو حاصل للهواء المتكيف ، لكنه حاصل بسبب التكلم الذي هو الحمد . » اه بحروفه .

وفي سر الصناعة لابن جني [1] وشرح الوضعية لعصام الدين ما يشبه هذا الكلام فاجتزأنا بما ذكرنا .

٥ً شواهد اللغويين في المصدر اليائي أو ياء المصدر

قال في التاج في مادة (خ ص ص) : خصّه بالشيء ... خُصوصية بالضم ، ويفتح ، والفتح أفصح ، كما نقله الجوهري ، وبه جزم الفنارسي في حاشية المطوّل ، وهو الذي في الفصيح وشروحه . وكلام المصنّف ظاهره أن الضم أفصح ، والفتح لغة ؛ ولذا قال بعضهم : ولو قال : ويضم ، لوافق كلام الجمهور ، وسلم من المؤاخذة ؛ ثم قالوا : الياء فيها ، اذا فتحت للنسبة ، فهي ياء المصدرية ، كالفاعلية والمفعولية ، بناء على خصوص

(١) في الجزء الثاني من كتابه في « باب الياء »

فعول للمبالغة كأَلمي وأحري ٠— قال شيخنا : وعندي في ذلك نظر ٠ ويقدح فيه أنهم حكموا في الياء التخفيف ٠ بل قيل : هو الأكثر لبوافق الياءات اللاحقة بالمصادر كالكراهية اه

وقال السيد مرتضى في تاجه أيضاً في مادة (و ل د) : الوُلودية : بالضم : الصغر ، عن ابن الأعرابي ، ويفتح ٠ قال ثعلب : الأصل الوليدية ، كأنه بناه على لفظ الوليد وهي من المصادر (اليائية) التي لا أفعال لهـا ٠ وفي البصائر : يقال : وفعل ذلك في وُلوديته ووَلوديته ، أي في صغره ٠ وفي اللسان : فعل ذلك في وَليديّته أي في الحالة التي كان فيها وليداً ٠٠٠ اه

وذكر ابن مكرم في اللسان : « اللص والاسم اللُصوصية (بالضم) واللَّصوصية (بالفتح) ٠ الكسائي : هو لص بيّن اللصوصية ٠ وفعلت ذلك به خَصوصية ٠ وَحروري بيّن الحرورية » اه ٠ وقال الزبيدي في (ل ص ص) : (والمصدر اللصص واللَّصاص واللَّصوصية بفتحهن واللُّصوصية بالضم ٠ الأولان نقلها الصاغاني ٠ والأخير عن الكسائي ٠ والفتح في اللَّصوصية واضرابها أفصح وان كان القياس الضم كما في شروح الفصيح ٠ وفي المصباح عكسه ٠ نقله شيخنا) اه

قلنا : أما الفتح فهو لإمحاض اللفظ للمصدرية أي للمصدرية اليائية ٠ وأما الضم فهو لاشتقاق هذا النوع من المصدر من الجمع المكسر فاذا قلت لصوصية بضم الأول اشتققت المصدر اليائي من اللصوص الذي هو جمع لص ، ولك أن تفتحه لتمحض الكلمة لاسم المصدر الذي هو المصدر اليائي هنا ٠ ألا تراهم قالوا أيضاً (الاعرابية) وهو من هـذا القبيل ومنسوب الى الأعراب جمع عرب ٠ وعندنا أن الأفصح في مثل اللصوصية هو الضم لا الفتح ، والدليل أن اللغويين نقلوا ألفاظاً كثيرة على هذا الوجه وذكروا فيها الضم ولم يذكروا فيها الفتح ، ولو لم يكن الضم فيها أفصح من الفتح لما ذكروه ، إذ بعض اللغويين يذكرون الأفصح ويكتفون به ولا يذكرون الفصيح لأن الأول يغني عن الثاني : فقد ذكروا مثلاً الطُّفولية بالضم ولم يذكرهـا أحد بالفتح ٠ وكذلك قال جمهور ثقات اللغويين : الألوهية والربوبية بالضم ولم يصرح أحد أنها وردتا بالفتح ٠

على أننا نقول بجواز الفتح لإمحاض اللفظ للمصدرية وإخراجه من الحاق الجمع المكسر بياء المصدرية فاحفظه تصبْ .

٦ً شواهد قياسية المصدر اليائي من وجود كثرة الألفاظ

يجوز لك أن تضع مصادر يائية من الألفاظ المشتقة وغيرها . فلقد رأيت ما فعل المتنبي من وضع الشوبية والغزلية وهما غير موجودتين في دواوين اللغة ، فلك أن تجاريه اذا ما احتجت الى وضع ألفاظ اضطرتك الحال الى الافضاء اليها ، ولا تحصر ذلك في وزن دون وزن وفي مشتق دون مشتق - وهذا المصدر سائغ في الذوق قديم الورود في هذه اللغة الكريمة .

ودونك بعض ما ورد في لسانهم مما هو مقيد في المعاجم أو غير مقيد . فالجاهلية مثلاً من أقدم الألفاظ وضعاً ، وقالوا : الولودية بالضم والفتح . والوليدية . قال في اللسان « فعل ذلك في وليديته أي في الحالة التي كان فيها وليداً » . اه وفي التاج : قال ثعلب (في الولودية) الأصل الوليدية ، كأنه بناه على لفظ الوليد وهي من المصادر التي لا أفعال لها . وفي البصائر : يقال : وفعل ذلك في وُلوديته ووَلوديته أي في صغره) .

وقالوا : المهيمنية . ذكرها ابن الأثير في النهاية في مادة (هـ م ن)

ومما جاء على الفاعلية : الخاصيَّة والشاعرية والعالمية

وورد بصيغة المفعول : المخصوصية والرجوحية والمغلوبية والمحبوبية . قال أبو البقاء في كلياته في كلامه على المصدر ص ٥٩٣ من طبعة الآستانة ما هذا قوامه : (صرح صاحب الكشاف في قوله تعالى : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . فان المعنى على تشبيه (محبوبيته) الأصنام من جهتهم (بمحبوبية) الله من جهة المؤمنين اذ لا دلالة في الكلام على الفاعل أعني المؤمنين) اه . فانك ترى أن الزمخشري ذكر (المحبوبية) لاحتياجه الى هذا المصدر . والزمخشري هو من هو . والكلمة لم ترد في أي معجم لغوي كان ، بل لم ترد في أساس اللغة نفسه ، فهل يقال إنها تركية أو إنها غير عربية ؟ — نعم يقول ذلك من يجهل أسرار اللغة وأوضاعها ويجهل أن معاجم اللغة لا تدون

المقيس المشهور من كلام العرب . أو ينكرها من يتوهم أن ألفاظ اللغة كلها مدونة في المعاجم وما ليس فيها لا يعد عربياً .

ومن المصادر اليائية ما صيغت من المصادر المألوفة كالخصوصية والعروبية والحرورية بالفتح وهي مصدر يائي مصوغ من الحرّورة وكلاهما بمعنى الحرية .

ومن هذا القبيل ما ورد مأخوذاً من النعت كالحربة فانها مصوغة من الحر .

ووردت مصادر يائية مأخوذة من أفعل كالألمية والأريحية والأرجحية والأغلبية والأقلية والأكثرية والأفضلية والأحسنية والأجنبية الى غيرها .

ومن هذا المعين وقد ورد مأخوذاً من الأسماء قولهم : القومية والوطنية والعصبية والسليقية والسخرية الى نظائرها .

الخلاصة

المصدر اليائي هو المصوغ من أي كلمة كانت ، وأي وزن كان ، بالحاق (ياء المصدرية) في آخره ، وضم هاء اليها لدفع معنى النسبة عنها ؛ ولا يجوز لك أن تسميه (بالمصدر الصناعي) لفساد هذا التعبير وبعده عن مناحي العرب للمعنى الذي ترمي اليه ، وهو الموفق لسواء السبيل ؟

بغداد الأب أنستاس ماري الكرملي



آراء وأخبار

ديوان الوليد بن يزيد

نشر المجمع العلمي في الجزءين السابقين ١ و ٢ من المجلد الخامس عشر ديوان الوليد ابن يزيد الذي جمعه المستشرق الايطالي ف . جبريالي F. Gabrieli ونشره في « مجلة الابحاث الشرقية » الايطالية Revista Degli Studi Orientali ، فأراح بذلك الأدباء والعلماء من عناء البحث عن معظم الباقي من شعر هذا الخليفة الشاعر ، وقد نوهنا باسمه على غلاف المجلة ، وذهلنا عن إثباته في المجلة عينها لأن الغلاف عرضة للتمزق عند التجليد ، ولهذا نوهنا هنا باسمه شاكرين له عنايته بأدب العرب .

وقد افتتحنا هذا الديوان الصغير النفيس بمقدمة نفيسة ممتعة في حياة الوليد بن يزيد وأدبه الرقيق ، للاستاذ العلامة خليل مردم بك عضو مجمعنا العلمي العربي ، ونشرنا من هذا الديوان على حدة مقداراً ائيلاً ، لينتفع به غير المشتركين بالمجلة من العلماء والأدباء .

***

قل كريات بيضاء

سبق لي أن نشرتُ مقالا في مجلة المقتطف بعنوان « أبقال كريات بيضاء » . فنشرت مجلة المجمع العلمي العربي (هذه) في عددها الصادر في ايلول و ت ١ سنة ١٩٣٥ مقالا للاب أنستاس الكرملي بعنوان (لا تقل كريات بيضاء) خطأني به في ما ذهبت اليه والمَّ بمباحث عديدة . وقد سبق لي أن انشئ رداً وأرسله الى هذه المجلة فامسكت ادارتها عن نشره ، والآن يؤذن لي بان ادافع عن صحة مذهبي اللغوي فاقول:

صاحب البحث في « هل يجوز نعت صيغة الجمع سالما كان او مكسرا (وجمع السلامة هنا جمع للمؤنث) بصيغة فعلاء » فالاب انستاس يقول لا يقال كربات بيضاء ولا أدلة غراء ولا شمائل حسناء ولا هضاب شماء بل يقال بيض وغر وحسان وشم . فهذا البحث وبحثان آخران لا تتسع لها حقول هذه المجلة والمباحث الباقية سأنشرها في كتاب على حدة لا يقل عن ١٦٠ صفحة من قطع هذه المجلة .

البحث الأول يجيء نعت الجمع بصيغة فعلاء

يمنع الاب أنستاس هذا المجيء وأجيزه أنا ومستندي ما جاء في الشعر الفصيح وما رواه العلماء في الشعر الفصيح :

١ – قال امرؤ القيس (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ٧٤) .

ديمة هطلاء فيها وطف　　　طبق الارض تحرى وتدر

والشاهد ديمة هطلاء فالديمة صيغة جمع لدائم كصحبة لصاحب أو لديوم كعمدة لعمود وقد أنزلت منزلة المفرد وهذا الانزال لا يمنع عدها جمعاً ، فان صيغ الجمع التي نقلت فعدت في المفردات تحفظ شأنها الاول ، فالضحى أصلاً جمع ضحوة والهدى أصلاً جمع هُدية وقد أنزلتا في مقام المفردات فنقول ضحى سافر وضحى سافرة وهدى صادق وهدى صادقة . وجنب جمع جنيب كرغف جمع رغيف وقد نقل الى المفرد قال الحطيئة :

والله ما معشر لاموا امرءاً جنباً　　　في آل لأي ابن شماس بأكياس

وصيغ الجمع التي أنزلت في مصف المفردات تزيد عن عشرين صيغة وهي من مباحث علم المباني الذي يزعم الاب أنستاس أنه اهتدى اليه فان كان مدعاه صحيحاً فليورد في مقال تلك الصيغ وعلل نقلها والا كانت دعواه غير صحيحة .

١ – قال زهير (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ٣٩)

هم ضربوا عن كبشها بكتيبة　　　كبيضاء حرس في طوائفها الرجلُ

وحرس جمع حارس ورجل جمع راجل على مثال سفر وسافر وصحب وصاحب . وبيضاء حرس من باب أخلاق ثياب وثوبات بسابس وصافنات جياد

والاصل حرس بيضاء وثياب اخلاق وبسابس ترهات ، فقُدم النعت على المنعوت وأخر المنعوت وجعل مضافا اليه . اذن أصل القول حرس بيضاء فالمنعوت جمع والنعت جاء على صيغة فعلاء

٣ — قال طرفة « ديوانه طبع سنة ١٨٨٦ في بيروت ص ١٣ »

من الشر والتبريح ابناء معشر　　　كثير ولا يعطون في حادث نكرا

فحركة الروي الفتحة ثم يقول

جاد بها البسباس ترهص معزها　　　بنات اللبون والسلاقمة الحمرا

والبسباس نوع من الشجر والمعز منه الصلب ، وبنات فاعل ترهص [1] ، والسلاقمة جمع سلقم وهو البعير الشديد وجمع سلقم على سلاقمة كجمع قسوَر على قساورة ، وإن كانت هذه الصيغة لم يوردها القاموس فان القياس يقبلها والفصيح جاء بها . ولنا في السلاقمة وجها اعراب: الأول عطفها على بنات والثاني عطفها على اللبون والحمرا اصلها الحمراء ولا يصح أن تكون الحمر بضم فسكون كيلا يقع إقواء ، فليس في شعر طرفة اقواء . والحمراء إما نعت بنات والسلاقمة معاً وإما نعت السلاقمة ، فالمنعوت جمع والنعت جاء على صيغة فعلاء .

٤ — قال طرفة (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ١٥)

وإنا إذا ما الغيم أمسى كأنه　　　سماحيق ترب وهي حمراء حرجف

والسماحيق جمع سمحاق كالسرابيل جمع سربال ، وقد قال إنها حمراء ولم يقل إنها حمر .

٥ — قال المتنبي في قصيدته « أمن ازديارك في الدجى الرقباء »

وعقاب لبنان وكيف بقطعها　　　وهو الشتاء وصيفهن شتاء

لبس الثلوج بها عليّ مسالكي　　　فكأنها ببياضها سوداء

---

(١) جاء في لسان العرب : والرهص شدة العصر

أي فكأن الثلوج ثلوج سوداء ، أو كأن المسالك مسالك سوداء أو كأن العقاب عقاب سوداء .

فأكتفي الآن بهذه الشواهد وعندي عليها مزيد - وانتقل إلى ما روي عن أقطاب اللغة فأقول : جاء في معجم المصباح للفيومي في ذيل الجزء الثاني ما يأتي :

قال أبو اسحق الزجاج : « كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً أو مؤنثاً كالابل والارحل والبغال فانه مؤنث ، وكل جمع للتكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتانيثه مثل الرجال والملوك والقضاة والملائكة » ويتضمن هذا القول عد الإبل من الجموع على حين لا مفرد له من لفظه ، اذن تقول ملوك عزلاء كما تقول ملوك عزل ، فيقال اذن : ادلة غراء وهضاب شماء وكريات بيضاء .

البحث الثاني : الجمع بالتاء

انكر الاب انستاس الكرملي الجمع بالتاء ليهدم قولي كتيبة جمع كتيب ومهرية جمع مهري ، والحال أن الجمع بالتاء وارد - والآن انقل اليه ما يأتي :

١ = جاء في القاموس في مادة ملح : الملح م والرضاع والعلم ... ج ملحة

٢ = في القاموس (مادة ع ف و) العفو ولد الحمار .. ج عفوة

٣ = في القاموس (مادة ق ط ن) القاطن .. ج قطان وقاطنة وقطين . فجعل قاطنة اعرق في صيغ الجمع من قطين .

فاذا جاء في جمع قاطن قاطنة صح أن يجيء في جمع مهري مهرية وفي هندسي هندسية وفي كتيب كتيبة ، إذن قول المتنبي :

وستأتيك الجياد وما تحمــــل من مهرية حمراء

شاهد حق لمجيء صيغة فعلاء نعتاً لصيغة الجمع المكسر الوارد بالتاء .

البحث الثالث : تصغير عرب على عُريب

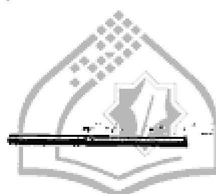
قال الاب انستاس : ومن آرائه (يريد أمين خير الله) المردودة عليه أن تصغير عرب على عريب من الشاذ ، قلت جاء في ابن عقيل على ابن مالك في باب التصغير : (إذا صغر الثلاثي

المؤنث الخالي من تاء التأنيث لحقته التاء عند أمن اللبس وشذ حذفها) إلى أن يقول (وما شذ فيه الحذف عند أمن اللبس قولهم في ذود ذويد .... فقال الخضري (إن الصيغ المؤنثة المصغرة بلا تاء شذوذا جمعها بعضهم في قوله :

ذود وقوس وحرب درعها فرس   ناب كذا نصف عرس ضحى عرب

فعد تصغير عرب على عريب من الشاذ وكذلك تصغير حرب على حريب . وما أورده الخضري أورده الاشموني ونقل عنهما ذلك اليازجي في فصل الخطاب وارجوزة الصرف والمطران فرحات في بحث المطالب والخوري يوسف داود في كتابه الصرفي . فما ينسبه الكرملي الى خاصة هو قول علماء المسلمين والمسيحيين وما يذهب اليه لا يقول به عالم مسلم أو مسيحي فاجتراؤه على تخطئة رأيهم الذي رويته يشهد عليه لا له . ورحم الله من عرف حده فوقف عنده والسلام

امين ظاهر خير الله



منح رتبتين علميتين

منحت الحكومة الفرنسية رتبة (أوفيسية في الاكاديمي) كلا من الحكيمين الفاضلين مرشد خاطر عضو مجمعنا العلمي واستاذ السريريات والامراض الجراحية في المعهد الطبي العربي بدمشق ؛ ونظمي القباني استاذ الجراحة في المعهد المذكور تقديرا لفضلهما وخدمتهما الجليلة الانسانية ، فنهنئهما على هذه الثقة العلمية التي أحرزاها عن استحقاق وكفاية .



مطبوعات حديثة

كتاب أخبار النحويين البصريين

تأليف أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي

اعتنى بنشره وتهذيبه الأستاذ فريتس كرنكو عضو المجمع العلمي العربي

طبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت وعدد صفحاته ١١٦ صفحة

إن هذا الكتاب النفيس هو الجزء التاسع من خزانة الكتب العربية التي يُعنى بنشرها معهد المباحث الشرقية بالجزائر ، أما مؤلفه فهو أبو سعيد السيرافيّ النحوي الذي يقول عنه أبو حيان التوحيدي إنه : (شيخُ الشيوخ وإمام الأئمة معرفةً بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والحديث والهندسة) ، وله من التصانيف : شرح كتاب سيبويه الذي لم يسبق الى مثله وحسده عليه معاصروه ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، وشواهد سيبويه والإقناع في النحو ، وصنعة الشعر والبلاغة ، والوقف والابتداء ، وألفات القطع والوصل ، وشرح الدريدية ، وكتاب جزيرة العرب ، وأخبار النحاة البصريين ، وهو هذا الكتاب الذي ذكر السيوطي في بغيته أنه وقف عليه وأنه كراسة كبيرة .

ويقول الأستاذ الناشر في مقدمته : (وأما النسخة التي هي أصل هذا الكتاب فهي مكتوبة أكثرها بالخط الكوفي الجميل ... تضمن كتاباً لا وجود لنسخة ثانية منه فيما أعلم ، وهو كتاب أخبار النحويين للسيرافي الذي كان الأصل الذي نهل منه المتأخرون

وعلّوا ، ونقلوا عنه الى كتبهم في تراجم أهل النحو فلم يزيدوا على ما أخبرنا به المؤلف ، وقد أخذ منه ابن النديم صاحب الفهرست وغيره ممن جاء بعده لفظاً في كثير من المواضع مع نقصان وزيادة يسيرة من أصول أخر ، ثم تداوله ياقوت الحموي وابن خلكان ومن تبعهما في كتبهم .

وقد نشر هذا الكتاب عن النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة جامع شهيد علي باشا بالآستانة تحت رقم ١٨٤٣ ، وأخبرني العلامة الميمني الراجكوتي أن في الآستانة من هذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، ولدينا منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ملزمة واحدة ذات ثماني صفحات ليس غير .

ويظهر أن الناسخ لم يكن بارعاً في أصول النسخ ولا العربية ، فغلط غير مرة غلطاً فاحشاً ، وعني العلاّمة الكرنكوي بتصحيح هذه الأغلاط في الحواشي ، وبكتابة حواش مختصرة ذكر فيها أسماء الرجال ووفياتهم وشرح فيها بعض غريب الأشعار ، وقد قابلنا بقدر الإمكان أبيات هذا الكتاب ورواياته ببعض النصوص المقتبسة منه كنزهة الألباء وبغية الوعاة وغيرهما ، فظهر لنا شيء من الاختلاف قد يتوصل به الى التصحيح ، من ذلك بيت كعب بن مالك ص ١٤ فقد جاء في الاشتقاق لابن دريد ص ١٠٥ :

جاءوا بجيش لو قيس معظمه ما كان إلا كمفحص الدُّئلِ

وفي ص ٢١ س ١١ عبد الرحمن بن هرمز ، ويعرف أيضاً بكنيته ولقبه وهما : (أبو داود الأعرج) .

وفي ص ٣٢ س ١١ : (ذاك الكمال وهذا جامع) وهو شطر مكسور صحيحه كما في النزهة ٢٨ والمزهر (الجزء الثاني : النوع الرابع والأربعون) : ذاك إكمال وهذا جامع ، واسم الكتاب كما في طبقات السيرافي (المكمل) وكذلك هو في المزهر ، ولعل الخليل بن أحمد ناظم البيتين قد غير الاسم لوزن الشعر ؛ وأما صاحب النزهة فقد سماه الإكمال .

وفي الصفحة عينها والسطر ١٢ : إنها كانت أثياب ، والصواب : أثياباً بالنصب خبر كانت ، وكذا هو في النزهة .

وفي ص ٣٩ س ١٤ : فكن مستعداً لداعي الفني ، وفي النزهة : لداء الفناء .

وفي ص ٤٠ س ٩ : وبينه وبين الكسائي مقارضة ، وفي نسخة دمشق : معارضة ، ولعل الصواب مقارصة وهي من عبارات السيرافي ، ففي صفحة ٦٩ من الاخبار : وكان أبو عبيدة والاصمعي يتقارصان كثيراً ، ويقع كل واحد منهما في صاحبه .

وفي ص ٤٢ والحاشية رقم (١) : كأنه جعله جمعاً للابجد ، لكن أبجد يجمع قياساً على أباجد لا على أبي جاد الذي أراد به اليزيدي (أبجد) أي الحروف الابجدية الهجائية .

وفي ص ٤٥ س ٣ :

فكلهم يعمل في نقص ما به يُصاب الحق لا يأتلِ

وصواب البيت :

وكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلي

وفي السطر ١٠ من هذه الصفحة : (تضرمت الدنيا فليس خلود) وصواب الشطر : تصرّمت الدنيا فليس خلودُ .

وفي ص ٥٠ س ٦ وكان المازني يقول : من أراد أن يعمل كبيراً في النحو ، ونص البغية ص ٢٠٣ : كتابا كبيراً ...

وفي ص ٥٦ س ٦ : ثلاثة أبيات من الشعر سردت سرد النثر أولها (شكوت اليّ مجانبتكم) الخ ...

وفي ص ٦٢ والحاشية رقم (٢) البيت لساعدة بن جدية وصوابه ابن جؤية وزن سمية انظر التاج مادة جأى

وفي ص ٦٣ س ٧ : قوله (واحدة أثقلتني حملها) والصواب : أثقلني، لكيلا يختل الوزن وهو كذلك في ملزمة الظاهرية ؛ وأما (قمت) فالصواب بضم التاء لانه يتكلم عن نفسه .

وفي ص ٦٤ س ١٣ : (والح بك الهجران ...) صوابه ولجّ بك ...

وفي ص ٦٦ س ٨ : (عبرة لم ترد أنت ولا قبل أبٌ لك) الوزن مكسور فلعل الاصل : عبرة لم ترها ...

وفي ص ٧٢ س ٦ : وكان المازني أحدّ منه ، وصوابه : أخذ منه أي من الجرمي : انظر النزهة ٢٠٧ .

وفي ص ٧٤ س ١١ : (أظايم أن مصابكم رجلا) الصواب : أظلوم ... كما في النزهة وغيرها من كتب النحو والادب .

وفي ص ٧٥ س ٦ : أقيمها مقام الوالد ، ولعل الأصل : الولد ، كما في النزهة ؛ وكما يقتضيه المعنى .

وفي ص ٧٦ س ٧ : بِسمَك ، لعل الصواب بضم الميم .

وفي ص ٧٧ س ٧ : وكان دماذ ، بكسر السين وهو في الامالي (النوادر ١٨٦) بفتح الدال واسمه رُفيع بن سلمة بن مُصَلّم بن رفيع العبدي .

وفي ص ٧٧ س ٩ : (إن ما بعدها) والصواب ما بعدهما أي الواو والفاء ؛ وفيها أيضاً : (فنبأفهمه عنه) والصواب : فنبا

وفي ص ٧٨ قصيدة دماذ إلى المازني ، والمنشور منها ثمانية أبيات ، وهنالك في الامالي ٣/١٨٦ خمسة أبيات أخرى ، واختلاف قليل في الرواية .

وفي ص ٨٠ س ٣ : ولا تدعوها تنتزح ، الصواب : فتنزع بالمين ، وتجد وصية الحسن كاملةً في الكامل للمبرد ١/١٢٠ لابيسيك ، وفي اللسان ١٠/١٠٧ .

وفي ص ٨٢ س ٥ : بعض حرمته ، ولعل الصواب حُرَمه لانها جمع حرمة . وفي الصفحة عينها والسطر ١١ ، وقد زوجنا صاحبك ، واعل أصل العبارة كما في نزهة الالباء ٢٤٩ : زوجناك صاحبتك .

وفي ص ٨٣ س ٧ : المثمغة ، والوزن يقتضي : المثمّغة : قال ابن بري (لسان ١٠/٣٠٥) ويجوز ثمغت الثوب بالتشديد وكذلك ثمغت الشعر بالحناء ، ويقال في المصمغة ومصبغة مثل ذلك .

وفي ص ٨٤ س ٨ : وحلف منها ، والاقوى وحلِف مراعاة للوزن ، وإن كانا بمعنى واحد .

وفي ص ٨٨ س ٣ : ابراهيم بن سليمان ، وهو في النزهة ٢٦٩ ابن سفيان ، وفي الكامل لابيسيك : ١٩٤ ابراهيم بن سفيان بن سليمان .

وفي ص ٩٤ س ٣ : يبحر فيها ، وصوابه : يتّجر فيها .

وفي ص ٩٨ س ١٠ : إن للهإخاء على القوم دهشة ، وجاء في التعليق على اخاء: (في الاصل أخل) وصحيح العبارة : إن الداخل على القوم دهشة ، و كذا هي في النزهة ٢٨٣، ولا يزال أهل دمشق يقولون : لكل داخل دهشة ، ولعل هذا التصحيف قد نشأ من كتابة الناسخ (الداخل) في سطرين : (الد) في آخر سطر و (أخل) في أول السطر التالي ، والناسخ كما ذكر صديقنا الكرنكوي في المقدمة كان ضعيفاً في النحو والنقل .

وفي ص ٩٩ س ١ : استحلب مخاطبته ، ولعل الاقوى أن يقال : استجاب كما في النزهة ، وليس الشعر في هذه الصفحة بيتا بل بيتين ، كذلك الشعر في الصفحة ١٠٠ أربعة أبيات لا بيتان .

وفي ص ١٠٢ س ٦ : ومن أبي العباس بن فرات ، أوابن الفرات كما ذكره صاحب الفهرست ١٦٨ والاغاني ١٠٧/١٥

وفي ص ١٠٥ س ٦ : على مثل جمر الغضا المِلهبِ ، ولعل الصواب المُلْهَب بضم الميم، لان الملهب وزان منبر هو في اللغة عن ابن الاعرابي : الرائع الجمال ، والكثير الشعر من الرجال ، ولله وحده الكمال ؟

التنوخي



المجلد السادس عشر ١٧٣،١٧٤ الجزء ٥ و ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٣٧ م
صفر وربيع الاول سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى	ثمن السادسة الى كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
«	السابعة الى الثانية عشرة	«	٢٠٠
«	الاولى الى السادسة	في الخارج	٤٠٠
«	السابعة الى الثالثة عشرة	«	٢٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق



بحر العوام

تتمة

٠٧٧ – ومن ذلك قولهم إذا أصبحوا : سهرنا البارحة [1] وسرينا البارحة ، لقول الجوهري : البارحة أقرب ليلة مضت ، تقول : لقيته البارحة ، ولقيته البارحة الأولى ؛ وذكر صاحب المغرب أن البارحة الليلة الماضية ، إلا أنه قال بعد ذلك والعرب تقول بعد الزوال : فعلنا البارحة كذا وقبل الزوال فعلنا الليلة كذا ؛ وادّعي الحريري أن الاختيار في كلام العرب على ما حكاه ثعلب أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سرينا البارحة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سرينا النهار ، قال الحريري : وقد ضرب المثل في المتشابهين فقيل : ما أشبه الليلة بالبارحة ، كما قال طرفة :

كل خليل كنت خاللته　　لا ترك الله له واضحه
كلهمُ أروغ من ثعلب　　ما أشبه الليلةَ بالبارحه

ومعنى قوله (لا ترك الله له واضحه) : لا أبقى له شيئاً ، وقيل الواضحة هي المال الظاهر ، وعن ابن برّي أنه قال : الذي قاله أبو العباس ثعلب صحيح

(١) انظر تكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي التي نشرها المجمع في مجلته مجلد ١٤ ج ٥ ص ١٧٠ ، وفي الرسالة المطبوعة من التكملة على حدة ص ٦ .

لأن البارحة في الليالي نظيره أمس في الايام ، لأن أمس لليوم الذي قبل يومك الذي أنت فيه ، والبارحة لليلة التي قبل ليلتك التي أنت فيها ، فينبغي على هذا أن لايقال : رأيته البارحة حتى يكون في الليلة الثانية ، أو دخل في حدها،لأن ما بعد الزوال داخل في حد الليل والمساء ، وعلى ذلك قولهم : ما أشبه الليلة بالبارحة ، انتهى

٠٧٨ = ومن ذلك قولهم : لا أكلمه قطُّ ، على قول ابن برّي : إن هذا ليس من أوهام العوام فضلا عن الخواص مخالفاً في ذلك للحريري حيث جزم بانه من أفحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه ، قال وذلك أن العرب تستعمل لفظة (قط) فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة (أبدا) فيما يستقبل منه ، هذا كلامه ، ويعضده قول صاحب مغني اللبيب : أنها لاستغراق ما مضى وتختص بالنفي ، وإن قول العامة : لا أفعله قط لحن ، إلا أن في قوله : باختصاصها بالنفي نظراً ، فقد جاء في الحديث : أكثر ما كنا قط ، دون نفي ، قال صاحب التقريب : قال في الشواهد وهو مما خفي على كثير من النحويين وله نظائر انتهى ، وفي الفائق في حديث جابر : فضرب عجز الجمل بسوط فانطلق أوسعَ جمل ركبته قط ، وفي القاموس : وفي مواضع من البخاري جاء بعد المثبت منها في الكسوف : أطول صلاة صليتها قط ، وأثبته ابن مالك في الشواهد لغة .

٠٧٩ = ومن ذلك قولهم : المشْوَرة مباركة ، يبناء مشورة على مفعلة

بفتح العين ، وزعم الحريري أن الصواب أن يقال فيها مشورة على وزن مثوبة ومعونة ، وأنشد لبشار :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي[1] لبيب أو نصاحة حازمِ
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فان الخوافي رافدات القوادمِ

وتعقبه ابن برى بأن مشورة ومثوبة بضم الشين والثاء فيهما هو القياس، وأن أهل اللغة قد حكوا فيهما الاسكان ، يعني مع فتح الواو ، قال فيكونان من أشد التصحيف فيهما (من) منبهة على الأصل ، وقد قرئ : لمثُوبة من عند الله ، ولمثْوَبة بضم الثاء واسكانها ، يعني بذلك الاسكان مع فتح الواو .

٨٠ = ومن ذلك قولهم : قد اصفرَّ لونه من المرض واحمرّ خدّه من الخجل ، وزعم الحريري أن عند المحققين أنه إنما يقال : أصفرّ واحمرّ ، ونظائرهما في اللون الخالص الذي قد تمكن واستقر وثبت واستمر ، فأما اذا كان اللون لسبب يزول ومعنى يحول ، فيقال فيه : اصفارّ واحمارّ ، ليفرق بين اللون الثابت والتلوّن العارض ، قال : وعلى هذا جاء في الحديث : فجعل يحمارّ مرة ويصفارّ أخرى ، وتعقبه أيضا ابن برّي فقال : هذا القول غير معروف عند أحد من البصريين ، ألا ترى أن الخليل وسيبويه وجميع أصحابه يرون أن احمرّ مقصور من احمارّ ، وأدهمّ مقصور من ادهامّ ، كما جعلوا مفعلا

(١) ويروى عجز البيت الاول : برأي نصيح أو نصيحة حازم ، وفي صدر الثاني : تجعل بدل تحسب وعجزه : فان الخوافي قوة للقوادم .

من باب المفاعلة الذي وضعه للمشاركة بين أثنين لا يعطف احدهما على الآخر ولكن ينصب بعده أو بين أكثر منهما ؛ والعجب من ملاّ زاده انه بعد ما حكى ما ذكرناه أنكر أن يقال : صاحب زيد عمراً معَ بكر ، فذكر انه لم يجزه ، مع أنه اذا جاز في كلامهم ان يقال في : ضرب زيد عمراً ، ضرب زيد عمراً مع بكر ، فليجز في صاحب زيد عمراً أن يقال ذلك لانتفاء المانع الذي ذكره الحريري في كل منهما أن لو كان مانعاً يعتدّ به .

٨٢ — ومن ذلك قولهم : للأمور بالبِرّ والشمّ : بِرّ والدك وشُمّ يدكَ ، بكسر باء (بِرّ) وضمّ شين (شُمّ) ، وقول الحريري : الصواب ان يفتحها ، قد ردّه ابن برّي بأن أهل اللغة قد حكوا شَمِمتُه أشمُه ، وشممته أشُمه ، قال : والأولى أفصح يعني شَمِمتُه أشَمه كعلمته أعلمه ، ويعضد ذلك قول صاحب المغرب شم الرائحة معروف من باب لبِسَ ، وقد جاء في باب طلب .

٨٣ — ومن ذلك قولهم : فلان أشر من فلان ، إذ هو من قبيل الشاذّ ، لا من قبيل ما لحنوا فيه ، قال صاحب عمدة الحفاظ : المشهور في مادة الخير والشر إذا بُني منهما أفعل تفضيل الاّ تثبت همزتهما فيقال : زيد خير من عمرو وشرّ من بكر ، وشذّ ثبوتهما فيهما لقوله : بلال خير الناس وابن الاخير ، وقرئ شاذاً : سيعلمون غداً من الكذّاب الأشرّ ، فقد لحن فيهما ولم يطابقه أحدٌ عليهما ، وذلك بعد أن قطع بأن الصواب بان يقال : هو شرٌّ من فلان ، قال تعالى : إنّ شرّ الدوابّ عند الله الصمّ البكم ، وأنشد :

إن بَنيَّ ليس فيهم بَرُّ   وأُمّهم مثلهمُ أو شرُّ
اذا رأوها نَبحتني هرُّوا

قال : وفي البيت الاخير شاهد على أن المسموع نبحته الكلاب لا كما تقول العامة : نبحت عليه ·

٨٤ · = ومن ذلك قولهم : أراضٍ ، في جمع ارض على خلاف القياس لقول الجوهري : وزعم ابو الخطاب انهم يقولون : أرض وأراض كما قالوا : أهل وأهالٍ ، والاراضي أيضاً على غير قياس كأَنهم جمعوا آرُضا أي بمد الهمزة وضم الراء في جمع أرض ليكون الاراضي جمع الجمع ، وحكم الحريري بخطئهم في ذلك خطأً ، لا سيما مع ما ذكره ابن برّيـ حيث قال : حكى أبو سعيد السيرافي أنه يقال أرض وأراض وأهل وأهال كما قالوا : ليلة وليال كأن الواحد ليلاة وأرضاة ؛ قال ابن برّي : وزعم أنه كذا في كتاب سيبويه في أصح الروايتين ، وانما قلت في أصح الروايتين لأنه رُوي في الكتاب : أهال واراض على وزن أفعال ، هذا كلامه ، والحق ان الاراضي ليس بجمع ارضاة لعدم سماعه فيما نعلم أو جمعه ، إلا أنه ترك استعماله ، وكثيراً ما يترك استعمال الأصول في كلامهم · وأما الليالي فجمع ليلاة تحقيقاً لقول الشاعر * في كلِّ ما يوم وكل ليلاة * ذكره ابن هشام في مغني اللبيب عند تلحين المتنبي في قوله :

أحادٌ أم سداس في أحادِ   لُيَيْلتنا المنوطة بالتنادي

بأمور منها تصغير ليلة على لُيَيلة ؛ وانما صغرتها العرب على لييلية [1] ·

(١) قال الفراء : ليلة في الاصل لَيلِيَة ولذلك صُغّرت لُيَيلة ، ومثلها الكيكة البيضة كانت في الاصل كيكية وجمعها الكياكي ·

٨٥ . — ومن ذلك قولهم : حوائج في جمع حاجة على غير قياس ، قال الجوهري : كأنهم سمعوا حائجة ، قال وكان الاصمعي ينكره ويقول هو مولد ، وانما النكرة [١] مخروجة عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، هذا كلامه ، وقال ابن برّي : حاجة عند الخليل على ما وجّه في كتاب العين اصلها حائجة ، فلهذا جمعت على حوائج ، وقد حكى عن ابن دريد وأبي عمرو بن العلاء انهـا قد سمع فيها حائجة ، ويدلك على صحة حوائج قول النبي صلى الله عليه وسلم ، استعينوا على انجاح الحوائج بالكتمان لهـا ، وقال أيضاً : اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه ، وحكى سيبويه [٢] : تنجز فلان حوائجه واستنجزها وعلى ذلك قول الاعشى [٣] :

الناس حول قبابـه أهل الحوائج والمسائلْ

إلى أن أنشد ابن بري للفرزدق ، [٤]

ولي ببلاد الهند عند أميرها حوائج جماتٌ وعندي ثوابُها

وأنشد عن الفراء :

---

(١) كذا في الاصل وصحيح كلام الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس الخ . . . (٢) انظر الكتاب ٢-٢٤١ ، وأدب الكاتب طبع السلفية ص ٣٥١

(٣) ميمون بن قيس والبيت هو الثالث من القصيدة التي مطلعها :

قالت سمية من مدحتَ فقلت مسروقَ ابن وائل

انظر ص ٢٢١ من كتاب الصبح المنير في شعر ابي بصير طبع يانه ١٩٢٧ ، ولسان العرب ٣-٦٧ . (٤) انظر شرح ديوان الفرزدق للصادي ص ٩٤ .

نهار المرء أمثلُ حين يَقضي[١] حوائجه من الليل الطويلِ

ثم نقل عن ابن جني : ان حوائج جمع حائجة وإن لم ينطق بها ، وحينئذ فقد ظهر بطلان ما زعمه الحريري[٢] من وهم بعض المحدثين في قوله :

إذا مادخلتُ الدار يوماً ورُفعت ستورُك لي فانظر بما أنا خارجُ

فسيّان بيتُ العنكبوت وجوسقٌ رفيعٌ إذ لم تقضَ فيه الحوائجُ

٨٦ — ومن ذلك قولهم : المال بين زيد وبين عمرو ، بتكرير لفظة بين خلافاً للحريري[٣] إذ زعم أن الصواب فيه أن يقال : بين زيد وعمرو ، ولقد جزم ابن برّي بان إعادة بين هنا جائزة على جهة التأكيد كقوله تعالى ولا الضالين ، حيث لم يكتف تعالى بذكر غير ، وكقوله تعالى:ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، فاعاد لا الثانية توكيداً ، ثم أنشد أبياتاً كثيرة تدل على صحة ذلك التركيب منها قوله[٤] :

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قيد أظفورِ

وقول ابن الزبير الأسدي :

جمع ابن مروان الاغرُّ محمدٌ بين ابن اشترهم وبين المصعبِ

وقول الفرزدق[٥] :

فما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميم غيرُ حزّ الحلاقمِ

(١) ورواية اللسان ٣ــ٦٧ : حين تقضى حوائجه . (٢) انظر درة الغواص طبع ليبسيك ٥٤ ، وفي مادة (حوج) من اللسان شواهد جمة على صحة حوائج من الشعر القديم . (٣) درة الغواص ٦٠ (٤) ويروى : اذا ازدردت وقيس أظفور كما أورده صاحبا اللسان والقاموس (٥) انظر شرح ديوان الفرزدق للصادي ص ٨٥٥

إلى أن قال: فعلمت بهذا أن اعادة بين لا تفسد المعنى كما ذكر، يعني الحريري ، ولو فسد المعنى باعادة (بين) في قولك : المال بين زيد وعمرو لفسد المعنى في قولك : المال بيني وبين عمرو ، لانه لا فرق بين الاسم المضمر والمظهر في ذلك ، هذا كلامه ·

ونظير تكرير (بين) ولاسيما فيما ذكر لافادة التأكيد تكرير (من) في قولهم : أخزى الله الكاذب مني ومنك أي منا ، فانه لافادة التأكيد على ما ذكره بعضهم في قوله تعالى : هذا فراق بيني وبينك من أنه مثله في افادته·

٨٧ ·= ومن ذلك قولهم : للفرصاد التوت[1] ، بمثناتين من فوق ، وأما بالمثناة الفوقية ثم المثلثة فتصحيف عند الحريري ، وفي الصحاح التصريح بالنهي عن أن يقال : هو بهما ، وفي كتاب المعرب للجواليقي : ان التوت فارسي معرب ، وأن أصله التوث[2] بالمثناة الفوقية ثم المثلثة، ويقويه ماذكره ابن بري حيث قال فيما كتبه على (درة الغواص) حكى أبو حنيفة أنه يقال بالتاء والثاء، والثاء هي من كلام الفرس، والتاء هي لغة العرب وانشد البيتين وهما :

روضة من رياض الحزن أو طرف ‏ ‏ ‏ من القرية حزن غير محروث
أشهى وأحلى لقلبي إن مررت به ‏ ‏ ‏ من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث

---

(١) الدرة ٦٦ (٢) وفي المزهر عن شرح أدب الكاتب : إن التوت أعجمي معرب واصله باللسان الاعجمي توذ وتود ، فابدلت العرب من الثاء المثلثة والذال المعجمة تاء ثنوية لان المثلثة والذال مهملان في كلامهم ·

ورأيت بخط ابن بري على هامش كتاب المعرب المذكور : ان أبا حنيفة قال : لم أسمع أحداً يقول بالتاء [١] ، وانما هو بالثاء ، وأنشد لمحبوب النهشلي هذين البيتين ، لكن رأيتهما بخطه وفيهما (لعيني) بدلا عن قوله (لقلبي) ، وكأنها رواية أخرى .

٨٨ ‎· = ومن ذلك قولهم : جلستُ في فَيء الشجرة، خلافا للحريري [٢] إذ ادعى أنه يقال في ظل الشجرة ، كما جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، إقرأوا إن شئتم : وظل ممدود ، قال : والعلة في ما ذكرناه أن الفيَّ يسمى بذلك لأنه فاء عند زوال الشمس من جانب إلى جانب أي رجع ، ومعنى الظل الستر ، ومنه اشتقاق المظلة لأنها تستر من الشمس ، وبه أيضا سمي سواد الليل ظلاً لأنه يستر كل شيء فكأن اسم الظل يقع على ما يستر من الشمس وعلى ما لا تطلع عليه، وذرى الشجرة ينتظم هذين الوجهين ، قال فاما قوله عليه الصلاة والسلام: السلطان ظل الله في أرضه ، فالمراد به ستره السابغ على عباده المنسدل على بلاده ، هذا كلامه ، وقد تعقبه ابن بري فقال: إعلم أن الفيءَ وإن كان على ماذكره فانه لا يمنع أن يقع موقع الظل من حيث كان ظلا يستظل به فيقال قعدت في فيء الشجرة أي في ظلها ، وعليه جاء بيت الجعدي :

---

(١) وجاء في اللسان قال ابو حنيفة : ولم يسمع في الشعر الا بالثاء والبيتان من قطعة شعرية في اللسان ذات ستة أبيات لمحبوب بن العَشنط النهشلي . (٢) الدرة ٩٢ .

فسلام الاله يغدو عليهم وفُيوء[1] الفردوس ذات الظلال

فأوقع الفيءَ موقع الظل ، وإن كان الفيء أخص منه ، ألا ترى أن الجنة لا شمس فيها فيكون فيها فيءٌ انتهى كلامه ، ويؤنسه ما حكاه صاحب التقريب من قولهم : فاء الشجر أظل ، وما حكاه صاحب (تهذيب الخواص من درّة الغوّاص) من ان في كتب اللغة : تَفيّأَتِ الشجرة كثر فيئها وتفيأتُ أنا فيها ؛ وما في (القاموس) من حكاية قول من قال : ان الظل هو الفيء ، ومنهم من يقول : انه بالغداة والفيء بالعشي ، وإلى هذا ينظر قولنا

الفيءُ للظلّ مُنافٍ فقـلْ ليذهب الإشكالُ واللّبسُ

الفيءُ ما ينسخ شمسَ الضحى والظلّ ما تنسخه الشمس

هذا العرف مذكور في المغرب .

٨٩ . = ومن ذلك قولهم : سررت برؤيا فلان ، إشارة إلى مرآه ، خلافاً للحريري[2] إذ قال انهم يوهمون فيه كما وهم أبو الطيب في قوله لبدر ابن عمار وقد سامره ذاتَ ليلة إلى قِطع من الليل :

مضى الليلُ والفضل الذي لك لا يمضي

ورؤياك أحلى في العيون من الغُمضِ[3]

قال والصحيح أن يقال : سررت برؤيتك ، لان العرب تجعل الرؤية لما يُرى في اليقظة، والرؤيا لما يُرى في المنام كما قال سبحانه إخباراً عن

(١) فيء يجمع على فيوء وأفياء . (٢) انظر درة الغواص ٩٨ .

(٣) ويروى : في الجفون ، ولو قال أبو الطيب: (ومرآك أحلى) لسلم من التوهيم .

يوسف عليه السلام « هذا تأويل رؤياي من قبل » هذا ما ذكره ، وقد ناقشه فيه ابن برّي ، فذكر أن أصل الرؤيا أن تكون في المنام ، إلا أن العرب قد استعملتها في اليقظة ، وأنشد قول الراعي يصف ضيفاً طرقه ليلاً :

رفعتُ له مشبوبةً عصفت لها   صَبّاً تزدهيها مرّة وتقيمها
فكبَّر للرؤيا وهشّ فؤادُه   وبشّر نفساً كان قبلُ يلومُها

قال : وعلى هذا فسر في التنزيل وعليه جلة المفسرين ، وهو قوله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، يعني ما رآه ليلة المعراج فكان نظراً في اليقظة دون المنام انتهى .

٩٠ — من ذلك قولهم : دَستور ، بفتح الدال خلافاً للحريري[1] إذ عدّه من اوهام الخواص ، وذكر ان قياس كلام العرب فيه ان يقال بضم الدال ، وظاهر كلامه كما قال ابن برّي يقضي بأن جميع ما عربته العرب من كلام العجم قد الحقته بابنيتها ، قال ابن برّي : وهذا ليس بصحيح بدليل قولهم : صَعفوق ، ولو الحقوه بأبنيتهم لضموا اوله ، وكذلك قولهم : بَهرام للنجم ، ولو ألحقوه بابنيتهم لكسروا أوله ، وكذلك (فِرِند) لو ألحقوه بأبنيتهم لفتحوا ثانيه حتى يكون مثل حبَجر وسبَطر ، وهذا أكثر من أن يحصى ، فعلمت بهذا أنه إنما يرجع في هذه الأعجمية إلى السماع لا إلى القياس ، انتهى كلامه . ومقتضاه تجويز فتح دستور كصعفوق فيجوز فتحه وإن صرّح في (القاموس) بضمه .

---

(١) أنظر الدرة ١٠١ وصعفوق في ص ١٠٢ منها .

٩١ · = ومن ذلك قولهم : للداء المعترض في البطن المغَص بفتح الغين على ما ذكره ابن القوطية انه يقال مغَس مغَساً ومغص مغصاً ومغْصاً فجعل الفتح والاسكان لغتين ، وأنكر الحريري[1] الفتح وفاقاً لابن السكيت إذ كان لا يرى فيه إلا الاسكان بنص من ابن برّي ، وفي الصحاح عن ابن السكيت انه قال : المغص بالتسكين تقطيع في المعى ووجع ، والعامة تقول مغَص بالتحريك .

٩٢ · = ومن ذلك قولهم: ركض الفرسُ بفتح الراء خلافا للحريري[2] إذ ذكر ان الصواب فيه أن يُقال رُكِض بضم الراء، فقد حكى ابن القوطية في ما نقله عن ابن برّي انه يقال : ركضتُ الدابة استحثثتها ، وركض الطائر والفرس أسرعا ، قال ابن برّي فعلى هذا يكون قولهم : ركض الفرس وركضته من باب رجع ورجعته .

٩٣ · = ومن ذلك قولهم : للمريض به سِلٌّ ، بكسر السين ، وإن قيل إن وجه القول أنه يقال به سُلال بضم السين، فقد قال سيبويه : اذا قالوا جُنّ وسُلّ فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل فأثبت لفظة السلّ، وأنشد ابن بري شواهد على ذلك منها لعروة ابن حزام :[3]

بيَ السلّ أو داء الهيام أصابني فإياك دعني لا يكنْ بك ما بيا

٩٤ · = ومن ذلك قولهم: جاء القوم بأجمعهم بفتح الميم لقول الجوهري

(١) الدرّة ١٠٥ (٢) الدرة ١٢٩ (٣) انظر اللسان (سل) ويروى فيه عني بل دعني .

يقال : جاء القوم بأجمعهم وأجمُعهم أيضاً بضم الميم كما تقول : جاؤا بأكلبهم جمع كلب فلا عبرة بإنكار الحريري [1] اياه ، ودعواه أنهم توهموا أنه أجمع الذي يؤكد به ، وان الاختيار أن يقال بأجمعهم بضم الميم ، وقد وقع في كلام ابن بري ما نصه : قال ابو علي ليس أجمع ههنا هي التي يؤكد بها وإنما هي لفظة أخرى بمعني الجماعة ، ويدلك على أن أجمعهم ليس هو أجمع الذي للتأكيد اضافته للضمير انتهى .

٩٥ . ومن ذلك قولهم : طرده السلطان ، وما قيل [2] من أن وجه الكلام أن يقال أطرده : لأن معنى طرده أبعده بيده أو بآلة في كفه فمردود ، قال ابن برّي : لا يلزم أن يكون الطرد بآلة بل قد يكون بغير آلة ، تقول طردت زيداً أي قلت له : إذهبْ عني ، فإن أمرتَ بإخراجه عنك قلت أطردته ، وقال أيضاً قال ابن السكيت : اطردته جعلته طريداً ، وطردته قلت له : إذهب عني ، هذا ما نقله عنه ، وفي المغرب : الطرد الإبعاد والتنحية يقال طرده إذا نحّاه ، واطّرده السلطان جعله طريداً لا يأمن .

٩٦ . — ومن ذلك قولهم : قتله الُحب ، زعم الحريري [3] أن الصواب أن يقال اقتتله ، وغيره يقول بعموم القتل في الحب وغيره ، ويشهد له ما أنشده ابن برّي من قول امرىء القيس :

أغركِ مني أن حبكِ قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يَفعلِ

وأما قول الحسين بن مطير :

---

(١) الدرة ١٦٧ (٢) القائل هو الحريري في درّته ص ١٧٦ (٣) الدرّة ١٨٢

فيا عجباً من حبّ من هو قاتلي كأنيَ أجزيه المودّة من قتلي

فإنه لم ينسب فيه القتل إلى نفس الحب ، فقد نسبه إلى المحبوب القاتل بحبه ، قال ابن برّي ، فإذا بني الفعل للمفعول قلت في قتل الحب : اقتتل ، و كذلك من الجن ، ولا تقل قتل لان اقتتل خاص بالحب، وقتل عام في الحب و غيره ، ويعضده قول الجوهريّ : قتل الرجل ، فإن كان قتله العشق أو الجن قيل اقتتل .

٩٧ — ومن ذلك قولهم : قرضته بالمقراض وقصصته بالمقص ، وزعم الحريري[1] انه مما وهم فيه كما وهم بعض المحدثين حين قال في صفة متهم بالقيادة :

إذا حبيب صدّ عن إلفه تيهاً وأعيا كلّ روّاض
آلّف فيما بين شخصيهما كأنه مسمارُ مِقراض

قال والصواب ان يقال : مِقراضان و مقصان ، والحق ما عليه ابن برّي من مجيء مقراض ومقص بالافراد عن العرب ، ومن شواهد المقراض التي انشدها في هذا المقام قول الشاعر يخاطب الشيب :

فعليك ما اسطعت الظهورُ بلمتي وعليَّ ما القـاك بالمقراض

ومن كلام ذلك المحدث ايضاً وهو ابن الروميّ قوله في إفراد[2] المقراض ايضاً :

ومـا تكلمتَ الا قلتَ فاحشةً كأن فكّيك للأعراض مقراضُ

(١) الدرّة ١٨٥ ، و (آلّف) في البيت الثاني تُروى ألّف .

(٢) والاصل: في أفراض المقراض ، ومما جاء من الشعر في الافراد قول أبي الشيص :
(وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريب الزمان تحيُّف المقراضِ)

وانشد صاحب الاقليد فيه ايضا :

ولا تقرضْ اخاكَ ولو بحبَّهْ فإن القرض مقراضُ المحبهْ

وقال الجوهري : المقص والمقراض ، وهما مقصان هذا كلامه ، وقال صاحب (تهذيب الخواص من درّة الغوّاص) قال ابن سيده : وقد حكاه سيبويه مفرداً في باب ما يُعتمد .

٩٨ . - ومن ذلك قولهم : حصل لي الاياس من كذا ، لما حكاه ابن القوطيَّة من : ايِس من الشيءُ اِيْساً واياساً فهو ايس وآيس وبه ردّ بعضهم زعم من زعم انهم يقولون : اشرف فلان على الاِياس من طلبه ووجه الكلام ان يقال : اشرف على اليأس .

٩٩ . - ومن ذلك قولهم : نجزت القصيدة ، بفتح الجيم إشارة إلى انقضائها ، خلافاً لمن قال : إن معنى نجز بالفتح حضر ، فأما إذا كان بمعنى الفناء والانقضاء فهو بالكسر كما قال النابغة :[1]

فكان ربيعاً لليتامى وعصمةً فملكُ إبي قابوس أضحى وقد نَجِزْ

قال الجوهري : أي انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت اه

وقد حكى ابن برّي : نجِز الشيءُ بالكسر ذهب وانقضى ، ثم قال : وقد أجاز قوم من أهل اللغة نجز أيضاً بالفتح بمعنى ذهب وأنشد :

فملك أبي قابوس أضحى وقد نَجَزْ

(١) في اللسان مادة (نجز) أنه الذبياني ويروي فيه (فكنت ربيعا ..) ولم أجد البيت في ديوانه ولا في مجموع الخمسة الدواوين مع شرح البطليوسي .

بالفتح ، فيكون في هذا الشعر على هذا وعلى ما مرّ روايتان الفتح والكسر وهي رواية الجوهري ، وقد ذكر هاتين الروايتين صاحب (تهذيب الخواص من درّة الغواص) قال : والأكثر على الفتح .

١٠٠ = ومن ذلك قولهم : للاثنين زوج ، ففي تهذيب الخواص من درة الغواص نقلاً عن ابن شميل أنه قال : الزوج اثنان ، يقال اشتريتُ زوجين من خِفاف أي أربعة ، قال: وأنكر النحويون ذلك انتهى كلامه؛ وقد أنكره من الأدباء الحريري[1] فقط بأن قولهم للاثنين زوج خطأ، لأن الزوج في كلام العرب هو الفرد المُزاوج لصاحبه ؛ فأما الاثنان المصطحبان فيقال لهما : زوجان ، كما قالوا : عندي زوجان من النعال أي نعلان ، ورُدَّ عليه بما ذكرناه .

١٠١ = ومن ذلك قولهم : للناهضين في سفر أنشوه قافلة ، وما قيل[2] من أنهم يقولون : ودَّعتُ قافلة الحاجّ ، فينطقون بما يتضاد الكلام فيه ، لأن التوديع إنما يكون لمن يخرج إلى السفر ، والقافلة اسم للرفقة الراجعة إلى الوطن ، فقد رُدَّ بما قال ابو منصور : سميت القافلةُ قافلةً تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته ، قال وظن ابن قتيبة أن عوامّ الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر أنشوه قافلةً ، وانها لا تسمى قافلة إلا منصرفة إلى وطنها ، قال : وهذا غلط ما زالت العرب تسمي الناهضين في ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بأن يُيسر الله تعالى القفول ، وهو شائع في كلام فصحائهم انتهى منقولا من تهذيب الخواص من درة الغوّاص .

(١) الدرة ١٨٥ طبع ليبسيك (٢) القائل هو الحريري درّته في ١١٩ .

١٠٢ = ومن ذلك قولهم : للاستحياء حشمة ، لانها الاستحياء والغضب أيضاً بنص من الجوهري ، وعدم استعمالها الآن في الغضب لا يفسد استعمالها في الاستحياء ، نعم ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في أدب الكاتب[1] في باب ما يضعه الناس غير موضعه إن من ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء معتمداً في ذلك على قول الأصمعي بأنه ليس كذلك ، إنما بني بمعنى الغضب ؛ لكن الجوهري ردّ عليه ، والغرض خلافه .

١٠٣ = ومن ذلك قولهم : أنهم يقولون في الفرح الطَرَب بفتحتين وفي الجزَع : الطَّرْبة بلفظ المرّة ، مع إطلاق الطرب في لغة العرب على خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشده الجزع على ما ذكره صاحب أدب الكاتب[2] ، وأنشد على الثاني قول الشاعر :[3]

يقلن لقد بكيتَ فقلتُ كلا وهل يبكي من الطرب الجليدُ

ومثل ذلك قول الجوهري : الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . هذا كلامه ، ولا يضر الناس الآن تركهم استعمال الطرب في الأمر الآخر استغناء عنه بغيره مما يُراد فيه كما أماتوا ماضي (يَدَعُ)

---

(١) أنظر طبع السلفية ص ٢٠ ، وفي ٢١ منه ذكر القافلة .

(٢) انظر طبع السلفية ص ١٩ .

(٣) هو أبو جنة حكيم بن عبيد خال ذي الرمة ، ونسبته لبشار غير صحيحة ، قال البطليوسي في شرحه لادب الكاتب ١٠٧ : الصواب (فقلن) بدل فقلتُ لان قبله :

كتمتُ عواذلي ما في فؤادي وقلتُ لهن ليتهم بعيدُ

وقد أورد الجواليقي في شرحه ١٢٢ من هذا الشعر ستة أبيات .

استغناءً عنه بـ (ترك) فيمن قال إنه قد أميت ·

١٠٤ · = ومن ذلك قولهم : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين إلا عند صاحب القاموس ، إذ جزم بأن استعمال التنزه في الخروج إلى البساتين وللخضر وللرياض غلط قبيح ، قال صاحب أدب الكاتب فيه[1] : وكان[2] بعض أصحاب اللغة يذهب في قول الناس (خرجنا نتنزه:إذا خرجوا إلى البساتين) إلى أنه غلط ، وقال : إنما التنزه التباعد عن الماء والريف ، ومنه يقال : فلان يتنزه عن الاقذار ، وينزه نفسه عن الأقذار أي يباعد نفسه عنها ، وفلان نزيه أي كريم ، إذا كان بعيداً من اللوم ، قال : وليس هذا عندي غلطاً ، لان البساتين في كل مصر وكل بلد إنما تكون خارج المصر ، فإذا أراد الرجل أن يأتيها ، فقد أراد أن يتنزه أي يبعد عن المنازل والبيوت ، ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخضر والجنان انتهى ·

١٠٥ · — ومن ذلك قولهم : شاخ فلان حتى بقي قُفة ، يريدون بذلك استعارة لفظة القفة له ، ففي أدب الكاتب[3] انهم يقولون : كبر حتى صار كأنه قفة ، وهي الشجرة اليابسة البالية ·

١٠٦ · = ومن ذلك قولهم : لمن يصنع النعلَ والسُرموزة : إسكاف دون غيره من الصناع ، مع تصريح صاحب أدب الكاتب بأن كل

---

(١) انظر ادب الكاتب ص ٣٥ (٢) ابن السكيت (المزهر ١ ـ ١٥٢) بولاق
(٣) 〃 〃 〃 ص٤٩ وشرحه للجواليقي ١٦٢ ولسان العرب ١١ـ١٩٥

صانع عند العرب إسكاف ولذا قال : [1]

وشعبتا ميس براها إسكافْ

فأطلقه على النجار ، وربما اختص بما ذكر بطريق الغلبة نحو غلبة الكتاب عند النحاة على كتاب سيبويه .

١٠٧ — ومن ذلك قولهم : للمدح تقريض بالضاد ، مع أن صاحب أدب الكاتب يقول : التقريظ [2] مدح الرجل حياً جاعلا ذلك بالظاء ، ففي الصحاح : التقريض مثل التقريظ ، ويقال : فلان يُقرّض صاحبه ، إذا مدحه او ذمه ، وعلى ذكر ذي الظاء اقتصر صاحب الجمهرة فقال: ويقال يقرّظ فلاناً إذا مدحه، وبهذين النقلين يتضح انهم يزيدون اللام حيث يقولون قرّضتُ لفلان ، وإنما هي في عبارات المتقدمين معدومة ، ولعلهم يضمنون قرّضتُ معنى شكرت ، فيعدونه بها كما يقال : شكرتُ له ، وإن قيل أيضاً : شكرتُه .

١٠٨ — ومن ذلك قولهم : لراكب الفرس راكب ، نعم قال صاحب أدب الكاتب : [3] لا يقال : راكب إلا لراكب البعير خاصةً ، ويقال :

---

(١) الشاعر وهو الشماخ بن ضرار في سفر يحدو به أصحابه في قصة طويلة، وقبل هذا الشطر : قالت ألا يُدعي لهذا عرّافْ لم يبق إلا منطق واطراف

ورَيطتان وقميص هفهاف وشُعبتا مَيْس براها إسكاف

انظر ادب الكاتب ١٤٦ وشرحه للجواليقي ٢٤٠

(٢) 〃 〃 ١٥٧ ، والاقتضاب ١٥٨ ولسان العرب (قرظ)

(٣) 〃 〃 ١٥٩

فارس وحمّار وبغّال،قال : وقد يقال لغير راكب الفرس : فارس وأنشد[1]

وعندي لأرباب العِراب مزية على فارس البرذون او فارس البغلِ

لكن قال صاحب المغرب أيضاً : ركب الفرس ركوباً وهو راكب وهم ركوب كراكع وركوع ، ومنه : صلّوا ركوباً أي راكبين .

١٠٩ — ومن ذلك قولهم : لمن قال أين أسير ، أينما ، يريدون بذلك أينما كان ، أي أينما كان السير ، فيختزلون من الكلام ما لايتم إلا به تحقيقاً وايجازاً ، كما قال النمر بن تولب فيما أنشده صاحب أدب الكاتب :[2]

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفُه أينما

أراد أينما ذهب ، أو أينما كان فحذف ، ومثل هذا عند البديعيين من باب الاكتفاء كقول ابن مطروح :

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ما دمتُ في قيد الحياة ولا إذا

أي ولا إذا مت .

١١٠ — من ذلك قولهم : المرأة زوجة الرجل بالتاء ، وإن ذكر صاحب أدب الكاتب[3] : أن العرب لا يكادون يقولون زوجته ، ففي الصحاح : الزوج زوج المرأة بعلها ، وزوج الرجل امرأته ، ويقال أيضاً : هي زوجته ، وفي المغرب ويقال : هو زوجها وهي زوجه ، وقد يقال : هي

(١) ويروى الصدر : (واني امرؤ للخيل عندي مزية) ، والبيت من شواهد اللسان والتاج ولم يذكرا قائله .

(٢) انظر ادب الكاتب ١٦٥ وشرحه للجواليقي ٢٥٨

(٣) 〃 〃 〃 ٢٢٠

زوجته بالهاء وفي جمعها زوجات ، قال الفرزدق :[1]

وإن الذي يَسعى ليفسد زوجتي كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها

وأنشد ابن السكّيت :

يا صاح بلِّغْ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عُرى الذنبِ

قال صاحب المغرب : والاول هو الاختيار بدليل ما نطق به التنزيل : « أمسكْ عليك زوجك ، اسكن أنت زوجك ، وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وأزواجه أمهاتهم ، يا أيها النبي قل لأزواجك » وادعى غيره أن الزوجة لغة رديئة ؛ وقال صاحب عمدة الحفاظ : قد ورد ذلك في الحديث فإن ثبت فلا رداءة ، قال : وادعى الفرّاء ثبوتها .

١١١ ٠ — ومن ذلك قولهم : تزوجت بامرأةٍ ، على ما نقل عن الفرّاء انه قال : تزوّجت بامرأة ، لغة في أزد شَنوءة ؛ وقال يونس : يقولون[2] العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة ، وليس من كلام العرب تزوجت بامرأة ، قال وقول الله تعالى : « وزوجناهم بحور عين » أي قرناهم بهنّ ، من قوله : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » أي قرناءهم ، قال الهروي[3]

(١) وفي شرح ديوانه للصادي ٦٠٥ يروى الصدر : وان امرءاً يسعى يخبّب زوجتي ، وفي رواية اخرى يحرش بدل يخبب ،وفي اللسان روايتان الاولى في مادة (بول) (وان الذي يسعى ليفسد زوجتي) ، والاخرى في مادة (زوج) : يحرّش بدل ليفسد ، ومعنى يستبليها : يأخذ بولها في يده .

(٢) لعل الاصل : العرب يقولون ، او انها على لغة يتعاقبون .

(٣) هو أبو عُبيد صاحب الغريبين .

ليس في الجنة تزويج ، ولذلك أدخل الباقي في قوله (بحور) ، ويقول الفرّاء صحّ استعمال الفقهاء كما صرّح بذلك صاحب المغرب .

١١٢ . = ومن ذلك قولهم : با ، تا ، ثا ، بالقصر ، قال صاحب أدب الكاتب [1] : وحروف المعجم يمددن ويقصرن ، فإذا قصرن كتبت كل واحدة منهن بالالف إلا الزاي فإنها تكتب بياء بعد ألف انتهى .

١١٣ . = ومن ذلك قولهم : أوقف بيته ، ولكنه لغة رديئة ، قال في المغرب : وقفه حبسه وقفاً ، ووقف بنفسه وقوفاً ، ومنه : وقف أرضه أو داره على ولده ، لانه حبس الملك عليه ، قالوا ولا يقال أوقفه إلا في لغة رديئة ، وقيل يقال وقفه فيما يحبس باليد ، وأوقفه فيما لا يحبس بها ، ومنه أوقفته على ذنبه أي عرّفته إياه ، والمشهور وقفته ، انتهى ملخصا ؛ وفي أدب الكاتب [2] : يقال لكل ماحبسته بيدك مثل الدابة وغيره وقفته بغير ألف ، وماحبسته بغير يدك أوقفته ، وتقول أوقفته على الامر ، وبعضهم يقول وقفته في كل شيء وهو أجود ، وفيه أيضاً : اوقفت عن الأمر أمسكت ، وهذا الذي حكاه خلاف ما عليه العوام ، لأن من حذف الهمزة في صورة معنى أمسكت ، فلا عبرة إذاً بما هم عليه .

١١٤ . = ومن ذلك قولهم : قد أرميت العدل عن ظهر البعير ألقيته ، وتقول : إن ركبتَ الفرس أرماك ، حكاها صاحب أدب الكاتب [3] في

(١) طبع السلفية ص ٢٢٥ (٢) ص ٢٦٤ (٣) ص ٢٧١

(باب ذكر ما يهمز والعوام تسقط همزته) ، ومثل ذلك : أغلقت الباب وأقفلتُه ولا يقال غلقته ولا قفلته .

١١٥ ـ ومن ذلك قولهم : عَتقه في موضع أعتقه ، ففي المغرب يقال : عتق العبد عتقاً وهو عتيق وأعتقه مولاه ، وقد يقام العتق مقام الاعتاق ، ومنه قوله: مع عتق مولاك إياك ؛ وحكى صاحب أدب الكاتب :[1] أعتقت العبد فعتق ثم قال : ولا يقال عتقته .

١١٦ ـ ومن ذلك قولهم : رجل أعزب ، وعن أبي حاتم أنه لا يقال رجل أعزب ، قال الأزهري وأجازه غيره ومنه قوله : ما في الجنة أعزب ، قال النووي في جميع نسخ بلادنا بالألف وهي لغة ، والمشهور في اللغة عَزَب ، وقال صاحب المغرب : رجل عزب بالتحريك لازوج له ويقال أعزب ، وقد جاء في حديث النوم في المسجد عن نافع قال أخبرني عبد الله أنه كان ينام في مسجد النبيّ عليه الصلاة والسلام وهو شاب أعزب .

١١٧ ـ ومن ذلك قولهم : القوصَرَة ، بتخفيف الراء ، وقد عدّها صاحب أدب الكاتب[2] فيما يشدّد والعامة تخففه وأنشد :

أفلح من كانَ له قوصَرّه يأكل منهــا كل يوم مرّه

وروى الجوهري : تمره ، منبهاً على قلة تخفيف راء قوصرة ، وصاحب المغرب لم يفاوت بينهما قلةً وكثرةً فقال : والقوصرة بالتخفيف والتشديد

---

(١) طبع السلفية صفحة ٢٧٢ (٢) صفحة ٢٧٦ وشرح الجواليقي ٢٨٦ ويروى بيت القوصرّة لعلي بن أبي طالب ، وقد كُني بها هنا عن المرأة كما يكنى عنها بالقارورة وليست هذه اللفظة من لهجات الشام .

وعاء التمر يتخذ من قصب ، قال : وإنما تسمى بذلك ما دام فيها التمر والا فهي زنبيل انتهى . وأنشد صاحب الجمهرة البيت المذكور بالواو وانه الاولى بعد أن قال : وأما القوصرّة التي تسميها العامة قوصرة فأحسبها دخيلا ، ثم قال : ولا أدري ما حجة هذا البيت .

١١٨ . — ومن ذلك قولهم : على فلان قُبول[1] ، بضم القاف مع شهرة فتحها فقد حكى صاحب التقريب : قبلتُ الشيء رضيته ، قال ومنه : فتقبلها ربها بقبول حسن ، وقوله : ثم يوضع له القبول في الأرض : أي المحبة في القبول والرضى . قال وقال ابن الأعرابي قبله قُبولا بالضم لغة في القَبول بالفتح .

١١٩ . — ومن ذلك قولهم : في ظُفر اليد ، ظِفر بكسرة بعدها سكون مع منع صاحب أدب الكاتب[2] من أن يقال ، وكذا صاحب الجمهرة حيث قال : والظفر ظفر الإنسان والجمع أظفار ولا يقال ظِفر يعني بالكسر فالسكون ، وإن كانت العامة قد أولعت به ، فقد عدّد ما فيه من اللغات صاحب التقريب في علم الغريب ، وهو متأخر عنهما ، فقال : الظُفُر للانسان مذكر بضمتين ويسكن وكحِمْل وبكسرتين وأظفور وأنشد :[3]

ما بين لقمته الاولى إذا انحدرت وبين أخرى تليها قِيدُ أُظفورِ

أي قدر أظفور ، وبمعناه القيس في رواية الجمهرة ، ومثله في كسر القاف ؛

(١) انظر ادب الكاتب ٢٩٠ (٢) ص ٢٩٣ (٣) ويروى : ازدردت بدل انحدرت ، وقيس بدل قيد ، وهي رواية اللسان والقاموس أيضاً .

وبما عدّده ظهيرٌ من جملة لغاته الظِّفِر بكسرتين ، ومثله يجوز فيه الإسكان قياساً الظاهر قول صاحب الشافية ان نحو إبِد وبِلِز يجوز فيه إسكان العين قاصداً ما كان على فِعِل بكسرتين ؛ وأما قوله : ولا ثالث لهما فهو لم يرد به حصر مجيء الفعل بكسرتين فيهما ، وإلا للغا لفظ نحو بلز ، أراد حصر مجيئه فيهما لأن الإِبِد بالدال والبلز صفتان إذ يقال : امرأة إبد أي ولود ، وأتان بلز أي ضخمة [1] ، وأما ان لفظ (نحو) إنما ذكر لوجود أفراد ذهنية لفعل بكسرتين غيرهما لخلاف الظاهر ، مع أنه قد سُمع إطل وهي الخاصرة بكسرتين ، والجوهري قد صرح فيه بحكاية الوجهين .

١٢٠ ـ ومن ذلك قولهم للسمك المملوح : مالح ، ولكن على لغة ، جزم صاحب المغرب بأنها لغة رديئة حيث قال : وسمك مليح ومملوح ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة وهو الذي جُعل فيه ملح ، وقال صاحب عمدة الالفاظ ولا يقولون : ماء مالح إلا في لُغية شاذة ، وصاحب أدب الكاتب [2] والجمهرة على أنه لا يقال مالح ، قال الثاني : ولا يلتفت إلى قول الراجز :

يطعمها المالح والطريّا

ذاك مولّد لا يؤخذ بلغته ، هذا كلامه . وقال أبو محمد بن برّي في فوائده نقلت عنه ، وأما ما أُنكر على الشافعي رحمه الله من استعمال لفظة

(١) وفي الاصل ضخم والصواب ضخمة لان أتان مؤنثة (٢) ٢٩٩ والراجز عُذافر الفقيمي ، وقبله (بصرية تزوّجت بصريّا) وابن قتيبة أخذ برأي الاصمعي في كون عذافر غير حجة لانه كان حضريا غير فصيح ، وقد جاء المالح في شعر كثير كجرير وهو حجة ، وهذا لا يمنع أنها لغة قليلة ، انظر الاقتضاب ٢٠١ وشرح الجواليقي لادب الكاتب ٢٥٩

مالح في بعض كلامه، فإنه جرى في ذلك على عادة الناس في استعمال هذه اللفظة كما استعملها غيره من العرب، وإن كان غيرها أفصح، ثم استشهد بأبيات كثيرة على قولهم: ماء مالح، منها قول عمر بن أبي ربيعة:

ولو تَفلت في الماء والماء مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عَذبا

إلى أن قال: فهذه شواهد كثيرة على قولهم: ماء مالح، وإن كان الافصح ماء ملح، إلا أنه ان كان ملح أفصح، فلا يجب لذلك أن يكون ما سواه خطأ، وأجاز ابن شميل أن تقول: سمك مالح ومملوح ومليح، وقال أبو الدقيش يقال: ماء مالح وملح، وقال ابن الأعرابي ويقال: شيء مالح كما يقال شيء حامض انتهى ما نقله أبو محمد بن برّي عن هؤلاء.

١٢١ = ومن ذلك قولهم: أعدْ عليَّ كلامك من الرأس، على أحد القولين فيه، ففي أدب الكاتب ما نصه [1]: ونقول أعدْ علي كلامك من رأس، قال ابو حاتم عن أبي زيد: من رأس ومن الرأس جميعاً.

١٢٢ – ومن ذلك قولهم: كفر طاب وكفر لاثا بسكون فاء كفر [2]، وأما من يفتحها فغلط لما ذكره صاحب أدب الكاتب حيث قال: وهي كفر توثا [3] ساكنة الفاء ولا تفتح والكفر القرية انتهى. وقال صاحب المغرب: والكفر القرية فضبطه بالسكون، قال ومنه قول معاوية

(١) ص ٣٠٠ ونصه المطبوع: ويقال (٢) وفي الاصل بسكون كاف كفر.
(٣) بضم التاء المثناة من فوقها وفي الاصل كفرثوثا. انظر معجم البلدان تجد عن هذه الكفور ما توده من البيان.

أهل الكفور هم أهل القبور، والمعنى ان سكان القرى بمعنى الموتى لا يشاهدون الامصار والجُمَع انتهى . وقال ابن دريد : وأهل الشام يسمون القرية الكفر فضبطه أيضا بالسكون قال وأحسبه سريانيا معرباً .

١٢٣ . = ومن ذلك قولهم : محيت الكتاب ومضارعه أمحاه [1] مثل محوته أمحوه لغتان .

١٢٤ . = ومن ذلك قولهم : أخطيت [2] في أخطأت ، وأطفيت النار في أطفأت في نظائر أخرى ذكرها صاحب أدب الكاتب في (باب ما همز أوسطه من الافعال) [3] ، ولأنها بمعنى واحد ، ومن جملتها ما ذكره من أوميت في أومأت ، وقد اسلفنا عن الصغاني أنه مثله .

١٢٥ . = ومن ذلك قولهم : تربّب الكتاب ، وفي أدب الكاتب [4] حكاية أترب الكتاب ، والمنع أن يقال تربّب ، وهذا المنع ممنوع ففي القاموس : وأتربه وتربّبه جعل عليه التراب .

١٢٦ . = ومن ذلك قولهم : الزمرد ، بالدال المهملة حكاه صاحب القاموس في بابها ، فقال الزمرد الزمرذ ، ثم قال في باب الذال المعجمة الزمرذ بالضمات وتشديد الراء : الزبرجد معرب ، فيندفع بما قاله منع صاحب أدب الكاتب من الاهمال [5] .

---

(١) والعامة في دمشق وحلب تقول : محيته امحيه (٢) كذلك تقول العامة في بلاد الشام اخطيت وطفيت (٣) وفي الكتاب المطبوع (باب الافعال التي تهمز والعوام تدع همزها) ص ٢٦٧ (٤) ص ٢٨٠ (٥) ص ٢٨٣ ودرة الغواص ٣٥ وتكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي طبع المجمع ٥٩ .

١٢٧ ٠= ومن ذلك قولهم : دابة شموص ، وما في أدب الكاتب [١] من أنه يقال دابة شموس ولا يقال شموص ، فيرد عليه قول صاحب القاموس والتشميص أن تنخس الدابة حتى تفعل فعل الشموص ، إلا أن يكون مراده [٢] بالشموص المطرودة لا التي منعت ظهرها ، وهي الشموص لحكايته قبلُ ذلك : شمص الدواب طردها دون شمست منعت ظهرها، وحكايته شمس الفرس منع ظهره ٠

١٢٨ ٠= ومن ذلك قولهم : هو مني مدّ البصر كما يقال مَدى البصر أي غايته ، وقول صاحب أدب الكاتب : [٣] ولا يقال مد ،فهوعليه رد ، لقول صاحب القاموس وقدر مدّ البصر أي مداه ٠

١٢٩ ٠— ومن ذلك قولهم : حَلبت الشاة عشرة أرطال، ببناء الفاعل، كما يقال حُلبت ببناء المفعول ، فالثانية على الحقيقة والأولى على المجاز كما يقال : عيشة راضية ، وإنما هي مرضية وصاحبها الرضي ، فلا عبرة بما في أدب الكاتب [٤] من منعه ٠

١٣٠ ٠= ومن ذلك قولهم : ما يدري ما طحاها ، وإن كان المنقول عن العرب حسب ما في كتاب الفاخر للمفضّل بن سلمة صاحب الفرّاء : مَن طحاها ، بلفظ مَن وذلك حيث قال وقولهم : ما يدري من طحاها ، قال

---

(١) ص ٢٨٤ (٢) نعم هذا مراده ، وكان الاقوى للمصنف ان يستشهد بما ذكره كراع في كتاب المنضّد ونقله ابن بري وهو : شمصت الفرس وشمست واحد ، والشماص والشماس بالسين والصاد سواء(اللسان مادة شمص) (٣)ص٣٠٤ (٤)ص٣٠٧٠

الاصمعي مدّها يعنون الارض ، قال الله عز وجل : وما طحاها انتهى كلامه وفي هذه الآية أدل دليل على جواز استعمال (ما) في قولهم : مايدري ماطحاها

١٣١ · = ومن ذلك قولهم: هبّت الارياح ، وجعله الحريري[1] وهماً مستهجناً ، والحق خلافه ففي القاموس: ان جمع الريح أرواح و أرياح ورياح وريَح كعنب ، وفي كلام ابن برّي حكاية الارياح عن اللحياني ، قال ابن بري : وقد استعمل هذه عمارة بن عقيل في شعره ·

١٣٢ · = ومن ذلك قولهم ، لاغير ، وقولهم لاغير لحن ، ذكر صاحب القاموس أنه غير جيد ، قال : لانه مسموع في قول الشاعر :

جواباً به تنجو أعتمدْ فوربّنا ... لعن عملٍ أسلفتَ لا غيرُ تسألُ

قال : وقد احتج به ابن مالك في باب القسم من شرح التسهيل ، وكأن قولهم لحن مأخوذ من قول السيرافي : الحذف انما يستعمل إذا كانت إلا وغير بعد ليس ، ولو كان مكان ليس غيرها من الفاظ الجحد لم يجز الحذف ولا يتجاوز بذلك مورد السماع انتهى كلامه وقد سُمع[2] ، انتهى ما ذكره صاحب القاموس ·

١٣٣ · — ومن ذلك قولهم : أكرة في كرة ، وما في أدب الكاتب من أن لايقال أكرة فمردود بما في القاموس في باب الراء[3] من أنها لغية في الكرة ·

---

(١) درة الغواص ٤٠ · (٢) أي في البيت المتقدم فلا يكون لحنا وقد عده ابن هشام ايضا في مغنيه لحنا ، ويؤيد ما ذهب ابن مالك اليه وتلميذه صاحب القاموس ماحكاه ابن الحاجب ومحققو كلامه كالرضي · (٣) مادة أكر : وفسر الزبيدي لغية بلغة مسترذلة ·

١٣٤ = ومن ذلك قولهم لمن أصابه الجُدري : تجدّر ، وقول الحريري[1] بمنعه ممنوع ، ففي القاموس : وخروج الجدري بضم الجيم وفتحها لقروح في البدن تنفط وتقيح ، وقد جَدّر وجُدِّر يعني ويشدّد فهو مجدور ومجدّر ، ومن ذلك الجَدري بفتح الجيم لما نقلنا ·

١٣٥ ·= ومن ذلك قولهم :أعطاه البشارة بكسر الباء وقول الحريري[2] الصواب فيه ضم الباء لأن البشارة بكسر الباء ما بشرت به ، وبضمها هو ما يعطى عليها مدفوع بحكاية صاحب القاموس الكسر والضم كليهما في اسم مايعطاه المبشِّر وعليه الأنصاري·

١٣٦ ·— ومن ذلك قولهم للقائم : إجلسْ ، كما يقال أُقعدْ من غير فرق على أحد القولين ، ففي القاموس : ان القعود الجلوس أو هو من القيام ، من الضجعة ، ومن السجود ، وترديده هذا اشارة اليهما كليهما ·

١٣٧ ·— ومن ذلك قولهم عند الحرقة والحرارة الممضّة : أَخْ ، بالخاء المعجمة ، وما في درة الغواص[3] من أن العرب تنطق بهذه اللفظة بالحاء المغفلة وعليه فُسر قول عبد الشارق[4] الجهني :

فباتوا بالصعيد لهم أُحاحٌ ولو خفّت لنا الكلمى سَرينا

أي بات الكلمى يقولون أَحْ مما وجدوا من حرق الجراحات وحرّ الكلوم

---

(١) الدرة ٩٦ (٢) الدرة ١٤١ (٣) الدرة ١٥٠ وانظر التكملة للجواليقي ٥٦ طبع المجمع العلمي (٤) ابن عبد العزّى من شعراء الحماسة ، والبيت آخر قصيدة من المنصفات مطلعها : (الا حييتِ عنا يا رُدينا نحييها وان كرمت علينا)

فمدفوعٌ بقول صاحب القاموس : والأُحاح بالضم العطش والغيظ وحرارة الغمّ ، وقوله في باب الخاء المعجمة : وأخ كلمة تكرّه وتأوّه . وقال الانصاري في كتب اللغة : أخ بالخاء المعجمة كلمة توجع وتأوه من غيظ أو حزن ، قال ابن دريد : وأحسبها محدثة انتهى كلامه .

١٣٨ . = ومن ذلك قولهم : لم يكن ذلك في حسابي أي ظني على أحد القولين المذكورين في أدب الكاتب [1] قال موءلفه : ليس للحساب هنا وجه ، إنما الكلام ما كان ذلك في حسباني أي في ظني ، قال : ومنهم من يجعل الحساب مصدراً لحسبت، وقد يجوز على هذا أن يقال : ما كان ذلك في حسباني ، هذا كلامه ، والحريري وصاحب القاموس يمنعان ذلك ؛ لكن المثبت مقدم على النافي ، على ما هو معلوم في مقرّه .

١٣٩ . = ومن ذلك قولهم : حضّه عليه وحثّه عليه ، بمعنى واحد على ما في القاموس من تفسير كل بالآخر ، وعن الخليل بن أحمد انه فرّق بين الحث والحض فقال: الحث يكون في السير والسوق وفي كل شيء ، والحض يكون فيما عدا السير والسوق [2] .

١٤٠ . = ومن ذلك قولهم : قِلته البيع ، في موضع أقلته إياه ، ففي التقريب : وقلته البيع لغة قليلة .

١٤١ . — ومن ذلك قولهم : للمرأة الفاجرة قَحبة ، من قَحَب كنصر

(١) ص ٣٠٥ (٢) واستشهد الخليل بقوله تعالى : ولا يحض على طعام المسكين: درة الغواص ١٩٩

أخذه السعال لانها تسعل وتنحنح أي ترمز به خلافاً لمن قال إنها كلمة مولدة وهو قول نبّه عليه صاحب القاموس [١] .

١٤٢ ٠ – ومن ذلك قولهم : للمرأة ستّي [٢] على وجه ففي القاموس : وستي للمرأة أي يا ست جهاتي ، أو لحن والصواب سيدتي .

١٤٣ ٠ – ومن ذلك قولهم : للنُّقرة في الجبل قِلْت ، بكسر القاف وسكون اللام ، وأصله ما حكاه صاحب القاموس فيه من القلب ككَتِف ، حيث قال : النقرة في الجبل والقليلُ اللحم كالقَلِت ككَتِف إذ يجوز في كل ما كان ككتف الكسر فالسكون مطلقاً .

١٤٤ ٠ – ومن ذلك قولهم : مكت بالمكان بالمثناة الفوقية أقام ، حكاه صاحب القاموس ، ثم حكى مكث كنصر وكرُم لبث مكثاً بالتثليث ويحرك .

١٤٥ ٠ – ومن ذلك قولهم : نَصَت في موضع أنصت، حكاه صاحب القاموس كأنصت .

١٤٦ ٠ – ومن ذلك قولهم : دِجاجة بكسر الدال ، فقد حكي فيها تثليثها .

١٤٧ ٠ – ومن ذلك قولهم : لجيل من السودان : زِنج ، بكسر الزاي في الزنج بفتحها .

١٤٨ ٠ – ومن ذلك قولهم: العَود أحمد، مع أنه أفعل من المبني للمفعول

---

(١) وجزم به الجوهري والخفاجي في شفاء الغليل (٢) انظر تكملة الجواليقي ص ٢٩

على وجه ، قال صاحب القاموس : والعود أحمد أي أكثر حمداً ، لأنك لا تعود إلى الشيء غالباً إلا بعد خبرته،أو معناه أنه إذا ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه ، فإذا أعاد كان أحمد أي أكسب للحمد له ، أو هو أفعل من المفعول، أي الابتداء محمود والعود أحق بأن يحمدوه قاله خداش بن حابس[1] في الرَّباب لما خطبها فردَّه أبواها فأضرب عنها زماناً ثم أقبل حتى انتهى إلى حِلتهم متغنياً بأبيات[2] منها :

أيا ليتَ شعريَ يا رَبابُ متى أرى   لنا منكِ نجحاً أو شفاءً فأشتفي

فسمعت وحفظت وبعثت اليه أن قد عرفتُ حاجتك فاغدُ خاطباً ، ثم قالت لأمها : هل أنكح إلا من أهوى ، وألتحف إلا من أرضى ؟ قالت لا . قالت : فانكحيني خداشا ، قالت: مع قلة ماله ؟ قالت : إذا جمع المالَ السيء الفعال فقبحاً للمال ، فأصبح خداش وسلم عليهم وقال : العود أحمد والمرأة تُرشد والوِردُ يحمد انتهى كلامه .

١٤٩ — ومن ذلك قولهم : أتَر بالتحريك لجيل يتاخمون التركَ ، وقد حكاه صاحب القاموس هكذا واقتصر عليه ، وسمعت بعض فضلاء هذا الجيل يقول التاتار ؛ وأما قول الناس التتار فما لم أجده في كتب اللغة .

---

(١) التميمي ، والرباب فتاة ذهلية هام بها زماناً (٢) وتجد قصة خداش هذه مفصلة مع بقية الابيات في مجمع الامثال للميداني والتاج (حمد) وغيره وهي :

فقد طالما غيبتني ورددتني   وأنتِ صفيي دون من كنتُ أصطفي

لحا الله من تسمو الى المال نفسُه   اذا كان ذا فضل به ليس يكتفي

فيُنكح ذا مال ذميا ملوَّما   ويترك حراً مثله ليس يصطفي

١٥٠ ٠ـــ ومن ذلك قولهم : الجلّنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة لزهرة الرمان ، حكاه صاحب القاموس وأفاد انه معرب كُلنار ؛ وأما قولهم : جُنّار بنون مشددة موضع اللام فلم يحكه أحد فيما أعلم ٠

١٥١ ٠ـــ ومن ذلك قولهم : المحبرة بفتح الميم ، قال في القاموس الحبر بالكسر النِّقس وموضعه المحبرة بالفتح لا بالكسر ، وغلط الجوهري وحكى محبُرة بالضم كمقبُرة وقد شدد الراء وبائعه الحبري والحبّار ٠

١٥٢ ٠ـــ ومن ذلك قولهم في الذكر بالذال المعجمة المكسورة : الدكر ، بالمهملة المكسورة ذكر في القاموس في فصل الدال المهملة من باب الراء أن ذلك لغة لربيعة ٠

١٥٣ ٠ـــ ومن ذلك قولهم : الكزبَرة ، بفتح الباء لبعض الابازير ، وقد حكاها في القاموس بضم الباء ثم قال : وقد تفتح الباء ٠

١٥٤ ٠ـــ ومن ذلك قولهم لمجرى الماء : النهْر ، بسكون الهاء ويقال نَهَر بالتحريك حكاه في القاموس ٠

١٥٥ ٠ـــ ومن ذلك قولهم للبازي الباز [1] ٠

١٥٦ ٠ـــ ومن ذلك قولهم لما يعمّى به : اللغز ، بضم اللام مع سكون الغين ، حكاه صاحب القاموس كما حكي أيضاً اللغز بضمتين ، وكصُرد إلى غير ذلك ٠

(١) وفي اللسان (بوز) : الباز لغة في البازي قال الشاعر :

كأنه باز دجنٍ فوق مرقبة جلّى القطا وسط قاعٍ سملقٍ سلقِ

١٥٧ . — ومن ذلك قولهم للمعز بالتحريك : المَعْز [1] ، بالسكون وهو خلاف الضأن من الغنم .

١٥٨ . — ومن ذلك قولهم في الامبر باريس : البرباريس [2] ، بكسر الموحدة الأولى .

١٥٩ . — ومن ذلك قولهم : بَسّ بفتح الموحدة وتشديد السين بمعنى حسب ، حكاه صاحب القاموس ، ثم قال : أو هو مسترذل [3] إشارة منه إلى ما قيل فيه ، وحكاه أيضاً مراداً به الهرة الاهلية ، ثم قال : والعامة تكسر الباء .

---

(١) قال في اللسان (معز) : والجمع معْز ومعَز الخ .

(٢) أهمله الجوهري وصاحب اللسان ونقله الصاغاني كما في التاج ويقال فيه الانبرباريس والبرباريس ؛ وفي المنهاج أيضا : وأمير باريس! وهو الزرشك وبالفارسية زرنك حب حامض منه مدوّر أحمر سهل ومستطيل رملي أو جبلي، وهي كلمة رومية الا انهم تصرفوا فيها بإدخال اللام عليها مفرداً ومضافاً اليها . (٣) كذا قال ابن فارس ووقع في المزهر واللسان انه ليس بعربي ، وفي الكشكول للعاملي : ذكر بعض أئمة اللغة ان لفظة بس فارسية تقوّلها العامة وتصرفوا فيها وقالوا : بسك وبسي الخ ، وليس للفرس في معناها كلمة سواها ، وللعرب : حسب وبجل وقط محققة وأمسكْ واكفف وناهيك ، ومهْ ومهلا واقطع واكتف ، وفي الالفاظ الفارسية المعربة ص ٣٣: وأما (بسُّ) بالبناء على الضم بمعنى حسبُ فمعرب عن بَسْ ومنه بس بالتركية والكردية وبالسريانية الدارجة، هذا هو الارجح وإن جاء أنها عربية ففي المزهر (١ ـ ١٤٨ بولاق) نقلا عن كتاب المشاكهة في اللغة لمحمد بن المعلى الازدي (وعن أبي مالك : البس القطع ، ولو قال لمحدثه بساً ، كان جيداً بالغاً بمعنى المصدر أي بس كلامك بساً أي اقطعه قطعاً وأنشد:

(يحدثنا عبيد ما لقينا فبسّك يا عبيدُ من الكلامِ)

١٦٠ — ومن ذلك قولهم : جزيرة رودس ، بضم الراء وكسر الدال المهملة للجزيرة التي يبحر الروم حيال الاسكندرية حكاها صاحب القاموس ، ثم أجاز فيها إعجام الدال ، وبعض الناس يضم دالها وهو لحن فيما أعلم .

١٦١ — ومن ذلك قولهم[1] : طرابلس ، بفتح الطاء وضم الباء واللام من غير همز للبلد الذي بالشام، كما يقال ذلك للبلد الذي بالمغرب خلافا لمن جعل الشامية أطرابلس بالهمز والمغربية بدونه .

١٦٢ — ومن ذلك قولهم للقسطاس : قصطاس بالصاد حكاه الفيروزاباذي .

١٦٣ — ومن ذلك قولهم : قوسه قويّ ، بتذكير القوس إذ هي من المؤنث ، لكنها قد تذكر وتصغر على قويسة على تقدير التأنيث ، وعلى قُويس على تقدير التذكير .

١٦٤ — ومن ذلك قولهم : الطرّش ، لأهون الصمم ، أو للصميم على ما هو قول الانصاري ، قال صاحب القاموس : أو هو مولد ثم حكي طَرَش كفرح ، وبه طُرش بالضم ، وقوم طُرش ، والأطروش الأصم وتطارش تصامّ .

١٦٥ — ومن ذلك قولهم لكلام يكون في اختلاط : الوشوشة

(١) ومنهم المتنبي القائل : (وكم ترب كلَّ مصرٍ عن طرابلُس)

بمعجمتين [1] ، ونوشوشوا تحركوا وهمس بعضهم الى بعض ، فلا يظن أن ذلك تصحيف وأن الصحيح إهمال الشين .

١٦٦ . — ومن ذلك قولهم في الاجاص بتشديد الجيم : إنجاص، بالنون والجيم المخففة على ما قيل من أنها لغية ، قال صاحب القاموس : الاجاص بالكسر مشددة ثمر معروف دخيل لان الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة بهاء ولا تقل إنجاص [2] أو لغية .

١٦٧ . — ومن ذلك قولهم فِص الخاتم ، بكسر الفاء ففي القاموس الفص للخاتم مثلثة ، والكسر غير لحن ، ووهم الجوهري ، قلت : فلا قبح في الفص حينئذ وإن كان مكسوراً ، وقد حكى ابن مالك تثليثه فيما نقله عنه صاحب التقريب بعد ذكره أن الكسر رديء

١٦٨ . — ومن ذلك قولهم : جاء البعض ، بادخال اللام على بعض على ماجوّزه ابن درستويه ، قال صاحب القاموس : بعض كل شيء طائفة منه الجمع أبعاض ، ولا يدخله أل خلافاً لابن درستويه .

١٦٩ . — ومن ذلك قولهم : أبغُضه ويبغُضني بالضم [3] إلا أنه لغة رديئة بنص صاحب القاموس على ذلك .

---

(١) والسين لغة كما في التاج ، واما توشوش فمنه حديث سجود السهو : فلما انفتل توشوش القوم ورواه بعضهم بالسين ، ولا تزال العامة تستعملها بالشين المعجمة .

(٢) نقله الجوهري ، أو لغية مثل اجار والجار بمعنى السطح شامية يمانية لان عامتنا لا تستعملها اليوم . (٣) أي ضم الغين ، أثبتها ثعلب وحده فانه قال في قوله عز وجل (اني لعملكم من القالين) أي الباغضين ولولا أن بغض عنده لغة لقال : من المبغضين وعامة الشام تستعمل بغض لا أبغض أيضا .

١٧٠ = ومن ذلك قولهم : وهم كذا من الحساب أسقط ، على احد القولين المشار اليهما بقول صاحب القاموس ، ووهم في الحساب كوجِل غلط ، وأوهمَ كذا من الحساب : أسقط ، أو وهم كوعد وورث وأوهم بمعنىً ، وفي أدب الكاتب [1] : المنع من أن يقال : وهم الرجل في كتابه وكلامه إذا أسقط منه شيئًا ، وتصويب أن يقال أوهم بهذا المعنى ، قال مؤلفه : ووهم يَوهم وَهما محركة الهاء إذا غلط .

١٧١ = ومن ذلك قولهم : أُخلف الله عليك ، بهمزة باب الأفعال ، لمن ذهب له مال أو ولد أو شيءٌ يُستعاض منه ، وفرق صاحب أدب الكاتب [2] باستعمال خلف بدون هاء له ، وبهاء لمن هلك له والد أو عم : أي كان الله خليفةً من المفقود عليك ، إلا أن صاحب القاموس يقول : يقال لمن هلك له ما لا يعتاض منه كالأَب والأُم : خلف الله عليك ، أي كان عليك خليفةً ، وخلف عليك خيراً وبخير [3] ، وأخلف عليك ولك خيراً ، ولمن هلك له ما يعتاض منه : أخلف الله لك وعليك وخلف الله لك ، قال أو يجوز خلف الله عليك في المال ونحوه ، ويجوز في مضارعه : يَخلَف كيمنع نادراً ، انتهى .

---

(١) ط السلفية ص ٢٦٢ ، قال شمر : ولا أرى الصحيح إلا هذا ، وهو قول ابن الأعرابي ، وأنشد :

فإن أخطأتُ أو أوهمت شيئًا فقد يَهم المصافي بالحبيبِ

(٢) ص ٢٦٤ يقوله بدون هاء أي غير مهموز ، وعامتنا في الشام يقولونه مهموزاً وغير مهموز . (٣) قاله الأصمعي : إذا دخلت الباء في بخير أسقط الألف .

١٧٢ . — ومن ذلك قولهم : كنيت الرجل في كنوته ، حكاها صاحب التقريب فقال : كنونه كنوا و كنيته كنياً و كنيته تكنية وأكنيته جعلت له كنية بضم الكاف و كسرها انتهى كلامه ، فسقط منعُ من منع كنيته في كنوته .

١٧٣ . = ومن ذلك قولهم : رميت العدل عن ظهر البعير بدون همز : ألقيته ، وأوجب همزه صاحب أدب الكاتب [1] ، وحكى : إنْ ركبت الفرس أرماك أي القاك ، وقال صاحب القاموس : رمى الشيءُ وبه القاه كأرمى ، قال وأرماه القاه من يده .

١٧٤ . = ومن ذلك قولهم : غلق الباب ، فيمن قال إنه لغة إلاّ أنها لغة رديئة ، قال صاحب القاموس : وغلق الباب يغلقه لثغة أولغة رديئة في أغلقه هذا كلامه ، وتلاه صاحب التقريب فقال : وغلق الباب كالضرب لغة نقلها ابن القطاع وحكاها ابن دريد عن أبي زيد ، ومنه قوله : (باب غلق الابواب بالليل) ، وللاصيلي : إغلاق وهو المستعمل قال الشاعر :

ولا اقول لقدر الحيّ قد غليتْ ولا اقول لباب الدار مغلوقُ

قلت : وهذا البيت لابي الاسود الدؤلي كما هو منسوب اليه في صحاح الجوهري ، ومنعه من أن يقال مغلوق من غلق يحتمل أن يكون لكونه لغة رديئة لا لكونه لحناً لا يصح ارتكابه أصلاً .

١٧٥ . = ومن ذلك قولهم : الدخّان ، كالرمان في الدخان بتخفيف

(١) طبع السلفية ص ٢٦٥ و ٢٧١ .

الخاء حكاه الفيروزبادي فسقط ما في أدب الكاتب [١] من منع تشديدها ٠

١٧٦ ٠ — ومن ذلك قولهم : على وجهه طَلاوة ، بفتح الطاء ، وقد ذكرها صاحب أدب الكاتب في (باب ماجاء مضموماً والعامة تفتحه) [٢] ، إلا أن صاحب القاموس يقول : الطلاوة مثلثة الحسنُ والبهجة والقبول ٠

١٧٧ ٠ — ومن ذلك قولهم للمولودين في بطن : توأم ، ففي القاموس : إن التوأم من جميع الحيوان المولود مع غيره في بطن من الاثنين فصاعداً ، أو أنهما إذا جمعا فهما توأمان وتوأم ؛ وأما قولهم : توم بدون همز فغلط ، وبما ذكرناه سقط قول صاحب المغرب : وقولهم هما توأم وهما زوج خطأ ، وقول صاحب أدب الكاتب [٣] : ولا يقال توأم ، إنما التوأم أحدهما ٠

١٧٨ ٠ — ومن ذلك قولهم : لا يَسوَى هذا الشيءُ درهماً ، وما في أدب الكاتب [٤] من أنك تقول : لا يُساوي هذا الشيءُ درهماً ، ولا يقال لا يسوى ، فمدفوع بما في القاموس من أن لا يسوى كيرضى قليلة ٠

---

(١) ص ٢٧٧ (٢) ص ٢٩١ ، إلا أنه ذكر طلاوة أيضاً ص ٣١٤ في (باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفهما) ، فقال ويقولون : عليه طَلاوة وطُلاوة ، وذكرها أيضاً في باب (فَعالة وفُعالة ص ٤٢٦ : وعليه طُلاوة من الحسن وطَلاوة ، فابن قتيبة يجيز الضم والكسر كابن سيده والجوهري ، ويرى كالأزهري الضم أجود ، وابن الأعرابي يرى الفتح الأجود لقوله : ماعلى كلامه طَلاوة ولا حلاوة بالفتح ولا أقول بالضم إلا للشيءُ يطلى به ، وذهب صاحب القاموس الى التثليث لأنه قول أبي عمرو بن العلاء (٣) ص ٣١١ وذكر ص ٤٢٣ جواز تُؤام في توأم ٠ (٤) ص ٣٠٤ ٠

١٧٩ · = ومن ذلك قولهم : حكّني رأسي ، بمعنى دعاني الى حكه ، حكاه الفيروزبادي ، ومثله حكّني موضع كذا من جسدي ، خلافاً لصاحب أدب الكاتب [١] إذ جعله خطأً ، وقال : إنما يقال : أكلني فحككته ·

١٨٠ · = ومن ذلك قولهم : هي رأس العين ، ففي القاموس : ورأس عين أو العين بلد بين حرّان ونصيبين ، وبه سقط المنع [٢] من أن يقال : رأس العين باللام ·

١٨١ · = ومن ذلك قولهم : البصط بالصاد في البسط بالسين مع فتح بائهما حكاه صاحب القاموس فقال : البصط البسط في جميع معانيه ·

١٨٢ · = ومن ذلك قولهم : صلّطه تصليطاً لغة في سلّطه ·

١٨٣ · = ومن ذلك قولهم : غرناطة بفتح العين المعجمة لبلدٍ بالاندلس خلافاً لمن قال انه لحن ، وأن الصواب أغرناطة بزيادة همزة كما في أطرابلس ومعناه بالأندلسية [٣] الرمّانة ·

١٨٤ · = ومن ذلك قولهم لدار ملك الروم : قسطُنطينيّة بضم الطاء الاولى كالقسطَنطينيَة به أيضاً من غير زيادة الياء المشدّدة ، والكثير فيها فتحها ·

١٨٥ · = ومن ذلك قولهم في النِفط بكسر النون : النَفط ، بفتحها خلافاً لمن جعله خطأً ·

١٨٦ · - ومن ذلك قولهم لأحد أيام الاسبوع : الاربَعاء بفتح الباء [٤]

(١) ص ٣٠٥ (٢) يشير الى منع صاحب أدب الكاتب ص ٣١٩ (٣) Granada
(٤) صاحب الكاتب ص ٣١٤ لغة الكسر أجود ·

إذ فيها التثليث مع الألف الممدودة .

١٨٧ . — ومن ذلك قولهم : سبَعة رجال بتحريك البـاء على قول ، ففي القاموس حكايته مع ذكر أنه قلما يُستعمل ، وأن منهم من أنكره وقال : إن المحرّك جمع سابع .

١٨٨ . ومن ذلك قولهم للاسبوع من الأيام : سُبوع ، بضم السين كما ضُمت همزة أُسبوع .

١٨٩ . — ومن ذلك قولهم : النَّطع ، بفتح النون وسكون الطـاء في النِطَع كعنب للبساط الذي يكون من الأديم .

١٩٠ . — ومن ذلك قولهم : السدغ ، بالسين المضمومة في الصدغ بضم الصاد .

١٩١ . — ومن ذلك قولهم : ألف واحدة ، وقد جزم صاحب القاموس بان الالف مذكر إلا انه قال : ولو أنّث باعتبار الدراهم جاز .

١٩٢ . — ومن ذلك قولهم : الدّف ، بفتح الدال للذي يُضرب به إلا ان الضم أعلى[1] .

١٩٣ . — ومن ذلك قولهم : رِعف فلان ، بكسر الراء والعين أي خرج من أنفه الدم ، فقد حكى صاحب القاموس من لغاته رَعِف كسمع ، ومعلوم أن ما كان كسمع وعينه حلقية ففيه جواز كسر الاوّلين كما في نِعِم وشِهِد .

١٩٤ . — ومن ذلك قولهم : هاوَن ، بفتح الواو خلافاً للحريري[2] ،

---

(١) انظر أدب الكاتب ٤٠٤ (٢) درة الغواص ليبسيك ص ١٧٧ .

ففي القاموس: والهاوَن بفتح الواو وبضمها ، والهاوون بواوين الذي يدق به ، وممن حكى لغة الفتح الجوهري وابن قتيبة ، ومثله من الاسماء الاعجمية لاوَذ بن نوح .

١٩٥ .= ومن ذلك قولهم : الصَّندوق بالفتح ، وان كان الكثير الضم [1] ، وكذا قولهم : السندوق بالسين ويقال بالزاي أيضاً .

١٩٦ .= ومن ذلك قولهم : أنطاكية ، بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة ، وهو ما حكاه صاحب القاموس واقتصر عليه ، وفي التقريب : إنها مشدّدة الياء عند ابن الجواليقي [2] .

١٩٧ .ـ ومن ذلك قولهم : الرَّطل ، بالفتح الذي يوزن به ، قال في القاموس : ويكسر .

١٩٨ . ـ ومن ذلك قولهم : الشروال ، بالشين المعجمة فيه بالمهملة .

١٩٩ . ـ ومن ذلك قولهم : أشعلت النار ، ألهبتها كشعلتها .

٢٠٠ . ـ ومن ذلك قولهم : أشغله كما يقال شغله ، إلاأن في القاموس أن أشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة .

٢٠١ . ـ ومن ذلك قولهم : أمحل البلد فهو ممحل، والكثير ماحل ، وإن كان فعله أمحل، ألا تراهم يقولون : أيفع الغلام فهو يافع .

٢٠٢ . ـ ومن ذلك قولهم : مَنديل ، بفتح الميم للذي يتمسح به في

(١) وذكره صاحب أدب الكاتب ٢٨٥ في (باب ما جاء بالصاد ، وهم يقولونه بالسين) . (٢) في كتابه (تكملة إصلاح ما تغلط به العامة) ص ٥٣ وهو الذي نشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٣٦ . ، وكذلك هي عند الخفاجي في شفائه .

المنديل بكسرها

٢٠٣ — ومن ذلك قولهم : النُقل بضم النون ، لما يُتنقَّل به على الشراب على أحد القولين ، والقول الآخر أن ضمها خطأ ، وأن الفتح هو الصواب .

٢٠٤ — ومن ذلك قولهم : بَسْطام بالفتح ، خلافاً لمن جعله لحناً فصوّب الكسر .

٢٠٥ — ومن ذلك قولهم : التُرجُمان بضم التاء والجيم ، لمن يفسر اللسان ، كما يقال بفتح التاء وضم الجيم .

٢٠٦ — ومن ذلك قولهم : خاتِم بكسر التاء ، لحلي مخصوص بالإصبع ، حكاه صاحب القاموس كالخاتم بفتحها .

٢٠٧ — ومن ذلك قولهم : رُستُم ، بضم التاء أيضاً وإن كان قليلاً ، والكثير الفتح مع ضم الراء .

٢٠٨ — ومن ذلك قولهم : سَم ، بفتح السين للقاتل المعروف ، وقد جاء فيها الكسر والضم أيضاً .

٢٠٩ — ومن ذلك قولهم للرجال والنساء معاً : قَوم ، إلا عند من يخص القوم بالرجال ، ويؤنسه ما ورد في التنزيل من مقابلة القوم بالنساء كما في قوله [1] : «أقومٌ آل حصنٍ أم نساء» .

---

(١) أي زهير بن أبي سُلمى ، وصدر البيت : «وما أدري وسوف إخال أدري» والعبارة توهم أن شطر البيت من التنزيل ، ولعل في النسخ مسخاً وأن الأصل : كما في ـ

٢١٠ . = ومن ذلك قولهم : يضِنّ ، بالكسر بمعنى يبخل في يضَن بالفتح ضناً بالكسر .

٢١١ . = ومن ذلك قولهم : واخيته في آخيته بالمد إلا أنها لغة ضعيفة [1] .

٢١٢ . — ومن ذلك قولهم : جَرو ، بالفتح لولد الكلب ، ويجوز فيه الكسر والضم أيضاً .

٢١٣ . — ومن ذلك قولهم : فعل الغير ذلك ، بادخال الالف واللام على غير بدليل وقوع ذلك في عبارة الإمام الشاطبي في أول بيت ذكره في فرش حروف حرز الاماني ، وأبيات أخر بعده ، وكان متقناً لاصول العربية على ما ذكر في ترجمته فلا عبرة بزعم من زعم أن محققي النحويين يمنعون ذلك وهو الحريري [2] .

٢١٤ . — ومن ذلك قولهم : مَبيوع ومَعيوب ، كما في كتب العربية من أن بني تميم لا يُعلّون اسم المفعول المعتل العين اليائي من الثلاثي المجرد كما قال الشاعر [3] :

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيدٌ معيونُ

أي مصاب بالعين ، فلا عبرة بمنع الحريري من أن يقال ذلك .

ـ قوله تعالى : لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ، (الحجرات : ١١) ، وكما في قول زهير : « أقوم ... » .

(١) انظر أدب الكاتب ص ٢٧٠ فإن صاحبه لا يجيز غير الكسر . (٢) درة الغواص ٤٣ . (٣) عباس بن مرداس .

٢١٥ ٠— ومن ذلك قولهم : الفاكهاني ، لبائع الفاكهة ، حكاه صاحب القاموس وعزاه الانصاري الى كتب اللغة ردّاً على الحريري[1] إذ جعله خطأ وادّعى أن وجه الكلام أن يقال فاكهي ، ولم يشعر أنه : ما كل صيغة منسوب خالفت القياس فهي خطأ بحسب الاستعمال، بدليل صنعاني بنون قبل ياء النسبة في النسبة الى صنعاء ، وحلواني بها في النسبة الى الحلواء .

١٥٢ ٠— ومن ذلك قولهم للشيخة : عجوزة ، بالهاء على أحد القولين ففي القاموس مانصه: والعجوز الشيخ والشيخة، ولا تقل عجوزة أو هي لغية .

٢١٦ ٠— ومن ذلك قولهم في جمع فم بتخفيف الميم : أفمام ، ففي القاموس حكايته فلا عبرة بعدّ الحريري[2] إياه من أفضح الأوهام .

٢١٧ ٠— ومن ذلك قولهم :البَلّوعة[3] بفتح الموحدة وضم اللام المشدّدة للبالوعة ، وهي البئر التي تحفر ضيقة الرأس ليجري فيها ماء المطر وغيره .

٢١٨ ٠— ومن ذلك قولهم : شقائق النعمان بضم النون ، إما لأن النُعمان بالضم هو الدم ، وقد أُضيف الشقائق إليه لحمرته ، وإما لأن النعمان بن المنذر حماه ، وكان كما قال في القاموس في مادة (شق) : أول من حماه فأُضيف إليه ، كما قيل في معرة النعمان لبلد اجتاز به النعمان بن بشير فدفن فيه ، ولذا أُضيف إليه ، ومن قال : شقائق النعمان بفتح النون ، فإنما أراد نَعمان الأراك ، وهو واد بين جبلي نعيم وناعم ، وهذا

(١) درة الغواص ٨٤ (٢) درة الغوّاص ٦٨ (٣) وهي لا تزال لغة الشام ، ونقل الصاغاني أنهما يجمعان على بلاليع وبواليع ، وبلاّعة لغة مصر وبليعة كجميزة كما في التاج .

كما قيل في نسمية كتاب ألفه الزمخشري في مناقب إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه : شقائق النعمان في دقائق النعمان ، وكما قيل في مدحه رضي الله عنه :

أيا جبلَيْ نعمان إنَّ حصاكما لتحصى ولا تحصى مناقب نعمانِ

جلائلُ كتب الفقه طالعْ تجدْ بها دقائق نعمانٍ شقائق نعمانِ

٢١٩ ـ = ومن ذلك قولهم : سايلته بالياء ، في موضع ساءلته ، قال صاحب القاموس : وأما قول بلال بن جرير :

إذا ضِفتهم أو سآيلتهم وجدتَ بهم علةً حاضرهْ

فجمع بين اللغتين : الهمزة في ساءلته ، والياء التي في سايلته ، ووزنه فعايلتهم ، قال : وهذا مثال لا نظير له .

٢٢٠ ـ = ومن ذلك قولهم : الدَّيوان بالفتح ، ففي القاموس : والديوان ويفتح : مجتمع الصحف والكتاب يكتب فيه الجيش وأهل العطية ، وأول من وضعه عمر رضي الله عنه ، الجمع دواوين ودياوين وقد دوّنها ، وهذا يسقط قول أبي عمرو فيما نقله الجواليقي عن الأصمعي عنه : وديوان بالفتح خطأ[1] .

* * *

(١) أوردها الجواليقي في المعرب ، والخفاجي في شفاء الغليل ٩٤ : (بالكسر والفتح خطأ جمعه دواوين ، قال الاصمعي فارسي معرب) وإليه ذهب أبو عبيدة ، وقال الكسائي : هو بالفتح لغة مولدة ، وممن ذهب الى عربية ديوان واشتقاقه سيبويه إذ يقول في كتابه ج ٢ ص ٣٧٣ مبيناً أن واو ديوان مبدلة من الواو مانصه : « وإنما هي ـ

نجز « **بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام** » تأليف الحبر المحقق والنحرير المدقق العالم العلاّمة البحر الفهامة محمد بن إبرهيم الحنبلي الحلبي القادري الحنفي ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه أعلى غرف الجنان ، بمحمدٍ سيد ولد عدنان ، آمين .

تمّ الكتاب تكاملت   نِعمَ السرور لصاحبهْ
وعفى الإله بجوده   وبفضله عن كاتبهْ

وكان الفراغ من تعليقه على يد العبد الفقير المقيد بأسباب التقصير الراجي عفو ربه القدير علم الدين ابن الشيخ محمد شمس الدين الكومي ، ختم الله تعالى له بالإسلام ، وغفر الله له ولوالديه ولمن دعى لهم بذلك ، ولجميع المسلمين ، في عشرين شهر رجب الفرد

بدل من الواو كما أبدلت ياء قيراط مكان الراء ألا تراهم يقولون : دُوَيوين في التحقير ودواوين في الجمع فتذهب الياء . . . ولكنك جعلتها فِعّال ثم أبدلت كما قلت تظنّيت ، ولذلك قلت قراريط فرددت وحذفت الياء » ، وقال المرزوقي في شرح الفصيح : هو عربي من دوّنت الكلمة اذا ضبطتها وقيدتها لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدوّن ، هذا هو الصواب وليس معرباً ، ويطلق على الدفتر وعلى محله وعلى الكتّاب ، ويخص في العرف بما يكتب فيه الشعر ، وبقول الجوهري قول سيبويه : أصله دِوّان فعوّض من احدى الواوين ؛ والناشر يميل الى عروبة ديوان لاشتقاقها ولاستعمالها في اللسان المبين قبل عهد التدوين ولأنه لم يجدها في المعاجم الفارسية المعتبرة كبرهان قاطع لمحمد حسين التبريزي ، ولسان العجم الملقب بفرهنك شعوري ، وكالألفاظ الفارسية المعربة وغيرها، وقد تكون من الالفاظ المتواردة في عدة لغات كما ذهب اليه أحمد عاصم العينتابي في اوقيانوسه ٣/٣٦١ والله أعلم .

من شهور أحدى عشرة بعد الالف من الهجرة النبوية
المحمدية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف
التسليم ، والحمد لله ربّ العالمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين
آمين
تم

يا أيها القارئ استغفرْ لمن كتبا فقد كفتكَ يداه النسخَ والتعبا
بالله يا مستفيداً من فوائده لا تبخلنَّ بأن تدعو لمن كتبا



خاتمة الناشر

لقد بلغت أقوال هذا الكتاب التي صوّب المصنف كثيراً منها ٢٢٠ قولاً صححنا نصوصها جهد الطاقة بمعارضتها على مآخذها كالقاموس والصحاح ودرّة الغوّاص وأدب الكاتب وشفاء الغليل وغيرها ، وبيّنا في تعليقاتنا المهم منها ، وأغفلنا ذكر بعض الأغلاط من بعد تصحيحها لشدة وضوحها ، كما حاولنا بسائر ما علقناه على هـذا الكتاب إما تفصيل إجمال ، أو حل إشكال ، أو بيان مرجع يميل الباحث إليه ، ويعوّل اللغويّ عليه .

أما مخطوطة « بحر العوّام » التي وصفناها في المقدمة ، فقد اشتراها في حلب الشيخ حمدي السفرجلاني أحـد تجار الأسفار بدمشق ونقلها من من الشهباء الى الفيحاء ثم ظفر المجمع بهـا لديه فسارع الى اشترائها منه واقتنائها لدار الكتب الظاهرية ، وقـد أخبرني صديقي الأستاذ الطباخ مؤرخ الشهباء أنه لا يعلم لهذه النسخة ثانية في الخزائن الحلبية فإن كان الواقع كذلك فلا يبعد أن تـكون مخطوطتنا هذه هي الوحيدة الباقية من مخطوطات النسخة الأصلية ، فنرجو ممن يعثر من العلماء في حلب أو غيرها على نسخة أخرى من بحر العوّام أن يتفضل بإنباء المجمع بذلك ؛ هذا وإنّ في نشرنا لهذه المخطوطة في مجلة المجمع العلمي ، وفي العدد القليل الذي طبعناه للعلماء على حدة ، حياةً جديدةً كتبت لهذا الكتاب اللغوي أمنا بها عليه من الضياع ، فأبقينا به الانتفاع ، والحمد لله ربّ العالمين .

محاضرات في تاريخ لغة العرب

٦

هل يجب الحاق المعرب بأوزان الكلام العربية

ذهب بعض اللغويين الى أنه يجب إلحاق المعرب بأوزان كلام العرب · قال الحريري : من مذهب العرب أنهم إذا عربوا الاسم الأعجمي يردونه الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة ، وقد كرر هذا الرأي في غير ما موضع من كتابه « درة الغوّاص في أوهام الخواص » ، منها ما جاء في الصفحة ٦١ من طبعة الجوائب في بحث دستور ، وفي الصفحة ٨٠ في بحث الشطرنج ، وقد أنكر عليه شراح كلامه هذا الرأي وعدوه من أوهامه ·

والذي عليه جمهور علماء العربية أنه لا يجب في المعرب أن يردّ الى أوزان كلام العرب ، وقد حكاه في كتاب سيبويه أن الاسم المعرب من كلام العجم ربما ألحقوه بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه ، فما ألحقوه بأبنيتهم : درهم وبهرج ، ومما لم يلحقوه الافرند والآجر الى آخر ما فصله ، وقد أوضح هذه الناحية أبو منصور الجواليقي في كتاب المعرب ، وابن السيد البطليوسي في كتاب : (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) في باب ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حروفه في الصفحة ٢١٥ من طبعة بيروت سنة ١٩٠١ ·

وبالجملة فإن الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد المعربات الى أبنية اللغة العربية ولكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة بأوزانها ، ولذلك استعملوا نيروز أكثر من نوروز ، لأن نيروز أدخل في كلامهم وأشبه به ، لأنه كقيصوم وعيثوم ، وبهذا تعلم سخف ما يذهب اليه بعض المعاصرين المتشددين من وجوب إلحاق المعربات بأوزان العرب ·

تنبيه :=

أول من حاول استيعاب ابنية الأسماء والافعال في اللغة العربية سيبويه : فاحصى للاسماء ٣٠٨ من الامثلة ثم جاء ابن السراج فذكر منها ما ذكره سيبويه وزاد عليه ٢٢ مثالا وزاد أبو عمر الجرمي أمثلة يسيرة وكذلك فعل ابن خالويه . فقرى أبو القاسم علي ابن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع ابنية الاسماء العربية وبذل جهده في الاستقصاء فاستوى لديه ١٢١٠ من الامثال في هذا الباب ، فلا يجوز لاحد أن يقضي بخروج بناء ما عن أبنية اللغة العربية ما لم يستقص هذه الامثلة ويتقنها معرفة وضبطا .

تصريف المعرب

ينقسم المعرب إلى قسمين : الأول الاعلام والثاني اسماء الاجناس .

فالأعلام الأعجمية المنقولة إلى العربية لا يبحث في العربية عن أصول اشتقاقها أو جمودها . وانما تستعمل أعلاماً في العربية كما كانت أعلاماً في العجمية ، ولا يدخلها من التصريف الا أحكام مخصوصة من جمع وتصغير ونحوهما .

فلا يجوز بعد هذا إن يقال أن ابليس — مثلا — مأخوذ من الابلاس بمعنى اليأس والانكسار ، واسحق من اسحقه الله اذا أبعده لان إبليس واسحاق علمان اعجميان ولا يعقل أن يشتق الاسم الاعجمي من لفظ عربي .

نعم يجوز أن يؤخذ من بعض الاعلام بعض التصاريف مثل اعرق اذا صار الى العراق — على القول بان العراق اعجمي — ودولب اذا قصد دولاب وهي مدينة اعجمية ، ويقولون تبغدد اذا تشبه بالبغداديين ، ومن هذا يعلم أنه يجوز اشتقاق بعض الصيغ من بعض الاعلام الاعجمية المنقولة الى العربية ولا يجوز قطعا أن يزعم زاعم اشتقاق علم اعجمي من لفظ عربي ، ولا يغرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل لانه صادر عن ذهول في الغالب .

وأما الضرب الثاني : وهو اسماء الاجناس المعربة فلا ينبغي أن يبحث في العربية عن اشتقاقه ، لان هذا الاشتقاق إما أن يكون من أصل أعجمي لا شأن للعربية فيه ، فيكون البحث عنه من قبيل الخلط الذي قد يؤدي الى التخليط ، وإما أن يكون

الاشتقاق من لفظ عربي ، وهو محال ؛ إذ لا يعقل أن يشتق الأعجمي من العربي كما لا يعقل العكس ، وإنما تشتق الألفاظ بعضها من بعض في اللغة الواحدة لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ، ولا يعقل أن يتولد الشيء من غير نوعه ، قال بعضهم في هذا الشأن : ومن المحال أن تنتج النوق إلا حوراناً ، وتلد المرأة إلا إنساناً ، ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الحوت ، وما ورد في كتب اللغة مما يخالفه هذا الأصل فهو تخليط لا يعبأ به ولا يجوز أن يصار إليه .

هذا هو الرأي في اشتقاق الاسم الاعجمي المعرب من غيره ، وأما الاشتقاق من اسم الجنس الاعجمي المعرب ، فمعروف في العربية شائع فيها ، والعرب كثيراً ما تجري على هذا الضرب من المعربات الأحكام الجارية على العربي الصميم ؛ ألا تراهم تصرفوا في اللجام ، وهو معرب تصرفهم في لفظ عربي أصيل : فقالوا ألجم يلجم إلجاما ورجل ملجم وفرس ملجم ، وقالوا للجم يتلجم تلجما ، كما تصرفوا في الديوان وهو دخيل فقالوا دوّن يدون تدوينا ، والرجل مدوّن والعلم مدوّن ، وقالوا بهرجه اذا أبطله واصله من قولهم درهم بهرج أي رديء ، وهو معرب نبهره ويراد به الزغل والباطل ، والخلاصة : أنه لا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون الاسم الاعجمي المعرب مشتقا من لفظ عربي سواء كان الاسم الاعجمي علماً في اللغة الاعجمية أو نكرة ، أما الاشتقاق من الاسم الاعجمي المعرب فيكثر في النكرات ويندر في الاعلام ؛ فاذا سمى بعض العرب ابنه قابوس تعريب كاووس أو ابنته شيرن ، فلا يبحث عن كون هذين العلمين مشتقين أو أنهما أصل يشتق منهما ، وعربوا زيوه — مثلا — فقالوا زئبق ، ولم يسألوا هل هو مشتق ومن أين هو مشتق ؟ ولكنهم تصرفوا به واشتقوا منه فقالوا : زأبق الدرهم ودرهم مزأبق إذا كان مطليا بالزئبق ، وقالوا فيه الزوق والزاووق وقالوا تزوق تزويقا اذا تزين وتحسن ووجه مزوق بمعنى مزين ، وتحرفه العامة اليوم فتقول (مزروق) .

وعلى هذا الاصل مشى اسلافنا في تصريف كثير من اسماء الاجناس المعربة : فقالوا فلسفة وتفلسف ورجل متفلسف ، وقالوا قرطس من القرطاس (وهو أعجمي معرب) ومعنى قرطس أصاب القرطاس وهو الهدف ، لانه يكون من القرطاس في الغالب .

وإذا علمنا أن (الكهربا) معرب (كاه ربا) بالفارسية ، ومعناه فيها جاذب التبن يريدون به المادة التي يعمل منها هذا الخرز الاصفر المعروف اليوم باسم (الكهرب) لذا علمنا واطلقنا اليوم هذه اللفظة على القوة المخصوصة جاز أن نتصرف بها فنقول تكهرب الجسم وجسم متكهرب وقد كهربنا الصندوق وصندوق مكهرب ، وكذلك اذا قبلنا تعريب كلمة التلفون مثلا كان لنا على أسلوب الاسلاف أن نقول : تلفن فلان يتلفن ... الخ .

وفي هذا ما فيه من تذليل العقاب الماثلة أمام المترجين والمؤلفين في العلوم الكونية المختلفة التي فاض فيض المصطلحات فيها وطغى تيارها ..

كيفية التعريب

قلنا إن التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية إلى اللغة العربية بتغيير أو بغيره ؛ ولكن الغالب فيه التغيير قليلا كان أو كثيرا ، وذلك أن يكون بالزيادة أو النقص أو الابدال ، وعلى كل اما يكون لازما أو غير لازم وهاك الامثلة على ذلك :

مثال التغيير اللازم بالزيادة (الدستجة) بمعنى الحزمة معرب (دسته) بدلت فيها الهاء جيما وزيدت التاء في آخرها للدلالة على الوحدة ، و (صك) معرب (جك) زادوا في آخره حرفاً من جنسه وادغموه فيه لان الاصل في الاسم العربي الا يقل عن ثلاثة أحرف .

ومثال التغيير غير اللازم بالزيادة (سكر) زيدت فيه الكاف بعد السين وادغمت في الكاف بعدها ؛ ومثال التغيير اللازم بالنقص (رست) معرب (راست) بمعنى صحيح حذفت الالف دفعاً لالتقاء الساكنين ، و (ابزن) مثلث الهمزة حوض يغتسل فيه ويتخذ من نحاس ليجلس فيه المرضى للتعريق ، وقد يتخذ من الخشب ، قال أبو دواد الايادي يصف فرسا منتفخ الجنبين : -

أجوف الجوف فهو منه هواء   مثل ما جاف ابزنا نجارُ

أي مثلما وسع النجار جوف الابزن ، وهو معرب (آب زن) حذفت الفه دفعاً

لالتقاء الساكنين ، ومثال النقص غير اللازم (سرداب) للبناء المعروف فانه معرب (سرد آب) بمعنى الماء البارد ، وسمي به البناء المعروف لانه كان يعد لتبريد الماء ، وقد حذفت الفه عند التعريب من غير لزوم • والنقص قد يكون في أول الكلمة مثل (بهرج) بمعنى الباطل والزغل ، وهو معرب (نبهره) حذفت منه النون •

وقد يكون في الوسط كما تقدم في كلمة سرادب ، وقد يكون في الاخر مثل كلمة (النشا) فانها معربة من كلمة (نشاسته) •

والنقص قد يكون بحرف واحد وقد يكون باكثر كما رأيته في الامثلة الآتية

والابدال على قسمين : الاول ابدال حرف بآخر ، والثاني ابدال حركة أو سكون بغيرهما •

وابدال الحرف بغيره قد يكون لازما وقد يكون غير لازم : مثال الابدال اللازم (بد) بمعنى الصنم فانه معرب (بت) ابدلت الباء الفارسية المثلثة بالباء ابدالا لازما لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه وأبدلت التاء بالدال ابدالا غير لازم لقرب ما بين مخرجهما •

وبالجملة فانهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى أقربها مخرجا في الغالب، وربما أبعدوا في الابدال لاسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون غامضة •

ومثال الابدال غير اللازم (برنامج) فانه معرب (برنامه) ابدلت فيها الهاء جيما •

ومثال ابدال حركة بحركة اخرى (سكر) معرب (شكر) كما مر ابدلت فتحته بالضمة •

ومثال ابدال حركة باخرى وسكون بحركة ، وحركة بسكون كلمة (سيبويه) فان العجم تنطقه سيبويه فابدلت العرب ضمة الباء بفتحة وسكون الواو بحركة (هي الفتحة ايضا) وابدلوا فتحة الياء الثانية بالسكون •

وربما دخل في الكلمة الواحدة انواع شتى من التغيير مثل كلمة (ترهة) فانها معربة من كلمة (دوره) بمعنى الطريق البعيد فابدلت الدال بالتاء وحذفت الواو وجوبا

لالتقاء الساكنين، وادغمت الواو في الراء وحركت الهاء الساكنة بالفتحة وزيدت بعدها تاء للدلالة على الوحدة ، فأنت ترى أنه قد دخلها النقص والزيادة والابدال بأنواعه . ويقارب هذه كلمة (زئبق) تعريب (زيوه) فان الابدال لحق جميع حروفها والتغيير هو الغالب في التعريب . وأغلب ما يقع في الكلمات التي تبعد أوزانها عن الاوزان العربية أو تشتمل على حروف لا وجود لها بين الحروف العربية مثل (پ . چ . ژ . گ ڤ) فان الضرورة تقضي بابدال الحرف الاول بالفاء او الباء لان العجم تلفظه بين هذين الحرفين ، ولذلك قال العرب (فرند) و(برند) في تعريب كلمة (برند) الفارسية وفرند السيف وبرنده جوهره ووشيه) .

وكذلك تقضي الضرورة بابدال الحرف (چ) بحرف يقاربه من الحروف العربية، وقد اعتادوا أن يبدلوه بالصاد ويقولون (صك) في تعريب (چك) و (صين) في تعريب (چين) و (صفانه) في تعريب (چغانه) وهي من آلات اللهو ، وربما أبدلوه بالشين فقالوا (شاكري) في تعريب (چاكر) وهو الاجير المستخدم .

وربما أبدلوه بالجيم فقالوا (جوالق) في تعريب (چواله) وهو العدل لان العجم تلفظه بين الشين والجيم ، والضرورة تقضي أيضاً بإبدال الحرف (ژ) بحرف من الحروف العربية يقاربه في المخرج . ولما كان العجم يلفظونه بين الزاي والجيم ابدلته العرب بالزاي فقالت (زئبق) في تعريب (ژيوه) و زون (في تعريب ژون) وهو الصنم .

وكذلك أبدلوا الحرف (گ) بالجيم لانه يلفظ بين الجيم والكاف فقالوا (جزاف) في (گزاف) و (جلنار) في (گلنار) وهو زهر الرمان (وجناح) في (گناه) وهو الذنب و (جوز) في (گوز) الثمر المعروف .

وأبدلوا الحرف الخامس من الحروف الخمسة المذكورة بالفاء أو الواو لانه ينطق بينهما .

فأنت ترى أن الاسلاف لم يدينوا الا للسليقة يستخفون ما تحكم بخفته ، ويستثقلون ما تحكم باستثقاله وحكم السلائق فوق تحكم القواعد الوضعية .

وصفوة القول : إن التعريب من عوامل نماء اللغة ، ووسائل غنائها وقد قدره

الاسلاف حق قدره ، واستمدوا فيضاً من سيبه ؛ ولكنهم جروا فيه على سنن الطبيعة ، وعلى سجية اللغة ، ولم يفزعوا اليه إلا عند الحاجة ؛ إلا أنهم لم يقيدوا الحاجة بالاغلال التي قيدها غلاة المحافظين من المعاصرين ، ولا تساهلوا فيها تساهل المتطرفين من المجددين ، فان الأولين لا يرون الحاجة ماسة إلا بعد أن ينفضوا المعاجم نفضاً ، ويطرقوا أبواب الشعر بف ، ويسبروا ألوان التعبير ، وتمييهم الحيل ، ثم لا ينزلون على حكم التعريب إلا مكرهين ، فيقولون — مثلا — الف الف ، والف الف الف ذراع فرنجية ولا يقولون (مليوناً أو مليار متر) ويقولون مصور جغرافي ، ولا يقولون (خارطة) ونسوا أن لفظة (جغرافية) معربة ، وأن أولينا عربوا (القرطاس) وهو أصل الخارطة في اللغة الاجنبية .

وأما الآخرون فانهم يميلون كل الميل في هذا الشأن ، ولا يبالون ان يصبح أمر اللغة فوضى ، ولو أنها شتى ، حتى تكون لا شرقية ولا غربية ، ولذلك تراهم يملؤون أفواههم ، ويلوون ألسنتهم بكلمات أعجمية ، مع أن ما يقابلها من العربية أقرب اليهم من أنوفهم .

وهؤلاء لاشأن لنا معهم لان جمهرتهم ممن لم يضرب في آداب العرب بسهم،ولا يصد في رأيه هذا عن تحقيق خليق بالاعتبار .

أما الاولون فيرون أن جمال اللغة وكمالها موقوفان على نقائها من دخيل الكلم،وفاتهم أن رأيهم هذا يؤدي إلى التقليل من عوامل نماء اللغة ووسائل غذائها ، فهم أشبه بمن يشير على كل إنسان بتحامي أكل اللحوم رغبة في الصحة ، ولم يدر أن هذا النوع من الحمية يؤدي الى الضوى،ولاسيما إذا كان المحتمي ممن اعتاد الاغتذاء باللحوم من قبل .

ومن الظلم بمكان أن نحمي على اللغة مراتعها ، ونذودها عن ينابيع ريها لئلا يمتزج بلحمها ودمها عنصر غريب ، ثم نريد منها بعد هذا الشح أن تحمل من العلوم وتعي من الفنون ما تنوء به اليوم أقوى اللغات بنية وأوسعها بسطة وأثراها مادة . لعمري حارت لغتنا بأمرها وأمرنا ، تمد يدها الى الاشتقاق ، فندفعها عن معظم وجوهه بحجة أنها سماعية، وتلتفت إلى جهات أخرى فنصدها عنها للحجة نفسها ، وتفزع إلى التعريب فتدفع في

صدرها لئلا تشقى بالدخيل ، أليس عملنا هذا يشبه عمل الفتاة الصينية التي تلبس قدميها نعلين من الحديد للاحتفاظ بجمال شكلهما ، والمحافظة على غضارتهما ونضارتهما ، ولكنهما بالأخير تضويان وتعجزان عن القيام بوظيفتهما .

فاذا كنا نريد من لغتنا أن تتسع لوعي ما يتطلبه العصر من علم وفن ، وتمشي مع الحضارة جنباً إلى جنب ، فعلينا أن نفتح أمامها مغاليق التقييد ، ونفك أغلال التقليد ، لكي يخصب مرتعها ويعود اليها نشاطها ومرحها .

طه الراوي



آراء وأخبار

كافور وسيف الدولة

أنكر الاستاذ سعيد الأفغاني تحت هذا العنوان في مجلة المجمع العلمي العربي ما جئت به للاستدلال على شذوذ الطموح في أبي الطيب المتنبي لما استذل لطمعه إذ قلت: إن روح أبي الطيب في الإباء قوية ، لكن طمعه في الولاية ولذة الامر والنهي وإفراطه في هذا الطمع غطى على هذا الاباء في بعض المواقف ، وإلا فما معنى قوله في كافور بعد أن ترك سيف الدولة : «قواصد كافور الخ . . » ثم قلت : « يقول هذا وكثيراً مثله فيه وهو (في نظر المتنبي طبعاً لان ما بعده حل انظمه) العبد الزنيم الذي أذنه سيف يد النخاس ،دامية وقدره وهو بالفلسين مردود (الخ) ثم قلت وهو (أي أبو الطيب) يعلم أن الفرق بين سيف الدولة وكافور علماً وأدباً ونسباً وشرفاً ونوالا كالفرق بين الدرّة والبعرة لا يقاس بحد ، وما كان كل ذلك إلا طمعاً في الولاية ، ولعله طمع في خداع هذا الأسود بما يحسبه من ضعف العقل في السودان فازداد في تملقه »

إن كلامي هذا ظاهر في أني لم أكن في بحث المفاضلة بين سيف الدولة وكافور ، بل في الاستدلال على استخذاء أبي الطيب لطمعه ، فلُمته على عمله في غير مايراه ويعتقده من صفات كافور ، ولم أتعرض للحكم عليها بنفي ولا بإثبات ، وقولي (وهو يعلم) (وبما يحسبه) يدل على ذلك ، وإذا كان المتنبي يرى كافوراً أسود مخصيّاً أذنه دامية في يد النخاس وقدره دون الفلسين فكيف يجعله فوق العالمين ، أفلا يكون بهذا مستخذياً

لطمعه الذي أثاره فيه حسبان كافور ضعيف العقل لانه سوداني ·

لكن الاستاذ الافغاني حسب أنني حكمت بذلك حكماً ، فوعظني بأنه ما كان لمؤرخ أن يصدر حكماً على رجل لقول شاعر فيه (الخ) فجاءت موعظته لي في غير موردها ·

رأيته ، ثبته الله بالقول الثابت، ينكر إنكاراً شديداً كون كافور زنيما بعد تسليم كونه عبداً أسود ويلح علي بأن أقيم البينة على ذلك من التاريخ ولا يقيلني من الجواب البتة ، فكأنه لم يبحث معنى الزنيم في لغة العرب ، فالزنيم فعيل من الزَنمة ، وهي اللحمة المتدلية في الحلق ، قاله الليث وغيره وهي العلامة كما جاء في التاج ، والتزنيم من سمات الابل (أي علاماتها) كما قال الأئمة وقالوا معز زنيم كأمير له زنمتان ، وقالوا إن الزنمة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً وإنما يفعل ذلك بكرام الابل قاله الجوهري · وقال الاحمر : السمات في قطع الجلد · الرعلة وهي أن يشق من الاذن شيء ثم يترك معلقاً ومنها الزنمة ، وهو ان تبين تلك القطعة من الاذن · وقال في التاج ومن المجاز الزنيم كأمير ، المستلحق في قوم ليس منهم ، وبه فسّر الفراء قوله تعالى: عتل بعد ذلك زنيم، زاد غيره لا يحتاج اليه فكأنه فيهم زنمة ، وفي لسان العرب وقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم ، قيل موسوم بالشر لان قطع الأذن وسم ، وفيه أيضاً ان الزنيم الذي يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها ، فاستعمال الزنيم بمعنى الموسوم بسمة استعمال صحيح جاء على سنن العرب ، وكافور كان عبداً اشتراه ابو بكر محمد بن طغج الاخشيد من محمود ابن وهب بثمانية عشر ديناراً كما جاء في وفيات الاعيان ، والثمن بخس كما ترى يدل على زهد بائعه فيه ، واذا كان الاخشيد رفع منزلته بين مواليه وصيّره اتابك ولده أبي القاسم محمود وأبي الحسن علي ، فكافور لم يرعَ لسيده حق هذه النعمة لما نحّى ولد ابنه أبي الحسن عن عرش مصر وجعله لنفسه وقد أشار أبو الطيب الى ذلك بقوله :

أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمهيدُ

وكافور كان موسوماً بسمة العبيد لانه كان مخصياً ، وهذا لا يحتاج الى دليل ؛ ثم ان في شعر أبي الطيب ما يدل على أنه كان مثقوب الشفة ، وهذه سمة أخرى من سماتهم ، فهو زنيم حقيقة من هذه الجهة ، وكافور كان لئيم الأصل ، وقد جاء في لسان

العرب في مادة ل ء م « اللؤم ضد العتق والكرم واللئيم الدنيء ، الاصل » وفي مادة ش ر ف « الشرف الحسب بالاباء ، والشرف والمجد لا يكونان الا بالاباء ، ويقال رجل ماجد : له آباء متقدمون في الشرف » فكافور زنيم مجازا من هذه الجهة أيضا، ومن كلام الائمة ان الشرف والمجد لا يكونان الا بالاباء تعلم ان النسب له قسط وافر في اجلال صاحبه وتكريمه وارتفاع شأنه في النفوس ؟ وإذا كان الشرع الاسلامي العادل لم يجعل تفاوتا في الناس بين شريف ومشروف في احكامه وواجباته وفرائضه فكذلك لم يجعل تفاوتاً فيها بين الصبيح والدميم مثلا،ولكنه لم يحظر على الناس ميلهم النفسي واجلالهم واستملاحهم لشريف النسب وصبيح الوجه ونفورهم من دنيء الاصل ودميم الخلقة ، وقد اكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنة حاتم الطائي لان اباها حاتم ، وحذر من خضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء .

نعم ان الشرف ليغطي عليه العمل السيء ودناءة الاصل يسترها العمل الصالح ، وما أحسن قول القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

اذا الحسب الرفيع تداولته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا

واني أرى الاستاذ الأفغاني لم يعمل بما وعظني به اذ طغت فيه حفيظته فلم يقف موقف التجرد والانصاف ووزن الاقوال وما لابسها من ظروف ، ولم يعمل بالتروي والاناة والاستقصاء في بحثه ، هذا اذ وقف في حديثه عن سيف الدولة وفي الحكم عليه موقف المغيظ المحنق ، ولا أريد أن أقول ان الشعوبية حملته على ذلك لانني لم أتحقق السبب الذي جعله ينكر كل حسنة لهذا الامير العربي المجاهد الذي أحيا الادب العربي بعد أن كادت تدرسه سلطة الموالي، وحفظ ثغور العرب والمسلمين بعد أن كادت تجتاحها جيوش الروم ، ولو أنه تنازل الى التسليم بما قاله الاستاذ العلامة صاحب خطط الشام من انه كان من الذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ولكن حسناته أكثر ، لالتمسنا له عذراً . اما ان يجرده من كل حسنة ، بل يجرّد من صفات الانسانية والرحمة كل من يرضى ان يعد سيف الدولة في حيز الطغاة العتاة من كبار المجرمين في التاريخ ، فذلك تحامل

ظاهر لا يدل على التجرد في البحث وفي خدمة التاريخ مع أن سيف الدولة كما قال أهل التاريخ قد أفنى نصف عمره في حفظ ثغور المسلمين وحماية ديارنا السورية العربية من هجمات البيزنطيين القوية ، بل حفظ لهذه الارض كيانها العربي وهي قرة عين كل ناطق بالضاد لما أراد الروم أن يذلوها ويجوسوا خلالها ويجلوا عنها أهلها وأن يقضوا على كلمة التوحيد في منابرها ومنائرها كما فعلوا في طرسوس يوم سلمها اليهم رشيق النسيمي وأوجبوا على كل من اختار المقام فيها ان يترك دينه،ومن لم يفعل فليرحل ولايحمل غير ما استطاع حمله من متاعه ثم خربوا المساجد وأحرقوا المصاحف . لمثل الدفاع عن هذا وقف سيف الدولة موقفه الشريف الذي يفتخر به كل من يجري في عرقه الدم العربي . واسمع ما يقول المؤرخون من أن سيف الدولة جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئا عمله لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فانفذوا وصيته .

وما يقول ياقوت في معجمه عند ذكره في الثغور ثغر طرسوس « ثم لم يزل هذا الثغر وهو طرسوس واذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بايدي المسلمين والخلفاء مهتمين بامرها لا يولونها الا شجعان القواد والراغبين منهم في الجهاد، والحروب بين أهلها والروم مستمرة والامور على هذه الحال مستقرة حتى ولي العواصم والثغور الامير سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء بن حمدان فصمد للعدو وامعن في بلادهم، وانسق أن قابله ملوك اجلاد ورجال أولو باس وجلاد وبصيرة بالحرب والدين شداد فكانت الحرب بينهم سجالا »

وأرى أن الاستاذ الافغاني لم يعمل بوزن الاقوال وما لابسها من ظروف في بحثه هذا إذ لم يقدر قوة جهاد هذا الامير العربي الصميم في حفظ كيان هذا الوطن العربي العزيز بمثل جهوده الجبارة ازاء هذه الملوك الاجلاد واولئك الرجال ذوي البأس والجلاد . ازاء قوى الامبراطورية البيزنطية (وما اشبهها في بعض الوجوه بجهود فلسطين العربية الجبارة امام المطامع الصهيونيه وقوى الامبراطورية الانكليزية) هاجم البيزنطيون هذه الديار بجيشهم المنظم الوفير العدة الكثير المدد يقوده قواد عظام أمثال نيسفور فوكاس وبارزاس فوكاس وكانت تجريدته في أكثر هجماته لا تقل عن مائتي الف مقاتل منظمة في خططها ومواصلاتهـا تحمل السلاح الفتاك وتسلط النار الاغريقية وترسل الدبابات الضخمة وإلى جانبها اسطولهم العظيم وليس للامير العربي سوى

رقعة صغيرة من هذه الديار وليس وراءه من ملوك المسلمين والعرب الا من لا يعضده في جهاده ولا يؤازره في دفاعه وليتهم اقتصروا على ذلك فان الكثير منهم كان عونا لاعداء الوطن عليه إذ كانوا يشغلونه عن جهاده بمحاولاتهم فتح ما كان في يده من هــذه الرقعة فضلا عن خيانة بعض رجاله الطامعين في عرشه كابن أخيه ناصر الدولة وهبة الله صاحب حران اللذين اغتنما فرصة شغله في جهاد الروم فارهقا الرعية ظلما وجوراً ليستعينا على امتلاك عرشه واظهرا الغدر والخيانة لاميرهما المغوار ، ومثل غلامه نجا الذي أرسله لاخماد ثورتهما فخانه هو أيضا بعد أن ارتكب من الظلم والجور في الرعية الوانا ، كافراً بنعمة سيده بينما سيده في ميا فارقين يرابط في الثغر ويكابد مضض المرض ويفادي أسرى المسلمين ، وكانوا يومئذ الفي أسير أخرج في فدائهم مائة وستين الف دينار ولما لم تقم بها خزائنه رهن درعه الجوهر المعدومة المثال ·

وكمولاه رشيق النسيمي الذي سلم ثغر طرسوس للبيزنطيين بشروط ثقيلة مرهقة أجلت المسلمين عنها إذ أثار أهل أنطاكية منذ رجع اليها وسار بهم إلى حلب مع من انضم اليه من مرتزقة الديلم وغيرهم لينتزعهــا من قرعويه غلام سيف الدولة وسيف الدولة في الثغور يفادي الاسرى ·

ولم تكن تجريدة سيف الدولة في أعظم واقعة له مع جيش الروم اللجب تزيد على ثلاثين الف مقاتل، وفي بعضها كانت لا تتجاوز أربعة آلاف وليس لها من السلاح سوى السيف والرمح وقلوب ملؤها الايمان وحب العروبة والاسلام ·

وإذا كان سيف الدولة وحاله هذه وأنت تعلم وأنا أعلم أن الجهاد لا يقوم بغير نفقة ومال ، فهل يكون سيف الدولة جباراً عتياً إذا فرض الضرائب للقيام بامر هذا الجهاد ، وماذا يفعل المال مع الباخلين به إذا اجتاح عدوهم أرضهم وديارهم واستصفى كرائم أموالهم وذبح أطفالهم ونساءهم كما فعل بطرسوس · انه إذا فرض الضرائب فانما يفرضها لذلك لا لأجل أن يجيز شاعراً مدحه بقصيدة !! ولئن فعل وقوى روح الادب في الامة بشيء من هذه الاموال (وبقوة الادب تقوى الامة وتعلو ثقافتها) أو أراد بذلك تأييد الدعوة للالتفاف حوله في مثل هذا البحر الزخار بامواج الفتن التي اقبلت تترى كقطع الليل

المظلم وهدفها إفناء العرب واذلال بلادهم فهو معذور أيضا ولا يكون بذلك جباراً عتياً بل يكون ذلك من لوازم جهاده •

وأما أن الاستاذ الأفغاني لم يعمل بالتروي والاستقصاء فانه أخذ على سيف الدولة ما نقله عنه الشريف العقيقي لاهل دمشق من أن غوطة الشام لا تصلح الا لرجل واحد،وأنها لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرأ منها أهلها • لكن هذا الكلام لم يروَ الا عن الشريف العقيقي،ولعل هذا الشريف كان له ضلع مع الاخشيدية اوهو من دعاتهم سراً فاختلق هذا الحديث أو حرفه بما يثير به الدمشقيين على سيف الدولة لينفضوا يدهم من طاعته وينحازوا الى الاخشيديين • ولو صحت الرواية و كان سيف الدولة قال هذا القول فهل خرج عن ان يكون حديثاً مما يتحدث به الناس من خطرات سانحة لا تلبث ان تضمحل ،وإلا فلمَ لم يفعل ذلك سيف الدولة ان لم يكن في غوطة دمشق ففيما يشابهها من البلدان التي كانت تحت أمره وهل يحاسب المرء على قول قاله ولم يفعله ؟

ثم انه جعل أول ميزات كافور « انه كان يتهجد ويمرغ وجهه ساجداً ويقول اللهم لا تسلط عليّ مخلوقا » ونعم العمل طاعة الله والتهجد وتعفير الوجه له وارسال وقر بغل من صرر الدراهم كل ليلة عيد للعلماء والزهاد والفقراء » ولكن ألم يكن من أحسن الصدقات وأفضل القربات إلى الله يومئذ أن يجعل نصيبا من وقر هذا البغل لحماة الثغور الجاهدين في سبيل الله وهم يومئذ وفي مثل تلك الحال أحق وأولى،ولمَ لم يفعل ؟!! ثم ما هو وقر البغل من الدراهم يرسل كل عام مرتين ولا يزيد في المرة على أربعين الف درهم وإن شئت قل نحو الفي دينار وأين هي من مائة وستين الف دينار بذلت دفعة واحدة في فداء اسرى المسلمين وفكاك مجاهديهم من ربقة الاسر وأين اتساع رقعة ملك كافور وهو يضم الديار المصرية كلها وقسما كبيرا من الديار الشامية من رقعة ملك سيف الدولة وهو لا يتعدى حلب والعواصم والثغور ، ثم ماذا يغني التهجد وتعفير الوجه والعدو على الباب يريد الفتك بذوي التهجد وامتهم ودينهم إذا لم تعدّ له الامة وملوكها ما استطاعوا من قوة ، وما الذي فعله

صاحبك كافور في هذا السبيل ؟ امثل هذا كان صاحبك سماء وصاحبنا أرضا ؟!!

ثم ماذا كان سيف الدولة جباراً عتيا سفاكا للدماء : ابتأديبه الباغين عليه ليستقيموا له فيتفرغ لمناصبة عدوهم وعدو وطنهم ؟ ام بفتكه بالبيزنطيين في دفاعه عن ارض العروبة والاسلام ؟ ام بماذا ؟

اني ايها الاستاذ ما كنت محباً لمثل هـذا الجدل ، فالحقيقة ظاهرة يعرفها كل منصف مدقق لولا انك ألحفت بطلب الجواب عن كون كافور زنيماً ولم تقاني منه ، فوداعاً ايها الاستاذ .

النبطية . جبل عامل . ٢٨ المحرم سنة ١٣٥٦ و٩/٤/١٩٣٧

احمد رضا



رسالة تاريخية

من الشيخ صالح قطنا الى السيد علاء الدين عابدين

كتبت سنة ١٢٧٩ للهجرة

إن التاجر الدمشقي الوجيه السيد سعدي الفرّا سبط السيد علاء الدين ابن السيد محمد أمين عابدين عظيم الحنفية في عصره قد عثر خلال كتب جده السيد علاء الدين على رسالة تاريخية مفصلة كتبها الشيخ صالح قطنا مفتي دمشق يوم كان شاباً يطلب العلم على السيد علاء الدين أرسلها اليه وهو في الحجاز يؤدي فريضة الحج ، وعبارات الرسالة تدل على ضعف انشاء الكاتب الذي كان لا يزال يوم كتابتها أنيّ يطلب العلم ، وقد أطال فيها المقال على استاذه وفصّل له كثيراً من حوادث دمشق ، شأن رسائل ذلك العهد المحروم من الجرائد ، فكان الدماشقة ينتظرون بريد القسطنطينية ليطلعوا على أخبار جرائدها (القظيطات بلغة ذلك العهد) .

والحوادث التي اشتملت هذه الرسالة عليها منها العمرانية كدخول الكارّة (الكروزة) لدمشق ؛ وبيان حالة شوارعها الضيقة وحوانيتها ذوات المساطب ، وترميم الجامع الاموي ، وخبر عزم الانكليز على انشاء سكة حديد من طرابلس الى حمص فحماة فحلب فبغداد ، ومنها الاقتصادية كالضرائب المضروبة على دمشق ، ومنها السياسية كتنقلات الولاة ، وما شاع يومئذ من تعيين الامير عبد القادر الجزائري على بلاد اليونان إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية الممتعة .

إن مثل هذه الرسائل الشعبية تعتبر من الوثائق التاريخية التي يستمد منها المؤرخ

كثيراً من حقائق القرون المتأخرة الغامضة ، ولذلك يرجو المجمع من قرائه الافاضل ان يبعثوا اليه بما لديهم من أمثال هذه الرسائل التاريخية ليحفظها بين وثائق دار الكتب الظاهرية ، كما فعل التاجر الدمشقي الكريم الذي عثر على هذه الرسالة ، فقد أهداها الى مجمعنا الذي يشكره عليها كثيراً ، وهذا نص العنوان الذي نستهجنه اليوم ويعد في زمنه مستحسناً :

الى مكة المكرمة المشرفة

يحظى ويتشرف غاية التشريف بلثم أنامل جناب فخر العلماء العاملين
وعمدة الفقهاء والمدرسين ، وزبدة الاولياء المكرمين ، المقتفي
أثر سلفه الصالحين ، العالم الفقيه العمدة ، والفاضل الصالح
النخبة ، سيدي واستاذي العارف المتين الشيخ السيد
محمد علاء الدين افندي عابدين ، كان الله
له ولي عوناً ومعين ، وأمين فتوى
دمشق حالا ، زاده الله
إجلالا
آمين

واليك نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

ان أبهى ما وشحت به صدور الكتب والدفاتر ، ونطقت به السنة الاقلام عن افواه المحابر ، حمد الله الذي يستكشف الكرب ، ويضمحل بالالتجاء اليه كل الخطب ، وبالصلاة على اشرف خليقته ، وأفضل بريته تنجلي عن القلب المهموم ، وتنفرج الغموم ، فعليه صلاة الله وسلامه الدائمان ، وآله وصحبه ما توالي الملوان . أما بعد فهذا كتاب من العبد الفقير العاجز الحقير أقل الخليقة بل من لا شيء في الحقيقة ، فقير رحمة

ربه ، وأسير وصمة ذنبه ، كثير الذنوب ، وعاء العيوب ، المذنب الضعيف والخاطئ النحيف خويدم نعال الفقراء والعلماء محمد صالح قطنا أزال الله عنه كل هم وعنا ، الى جناب الحضرة العلية السنية ، والطلعة البهيجة البهية ، معدن الاسرار الربانية والمعارف الصمدانية ، الامام المبجل والهمام الذي هو بالكمال مفضل ، منبع الاسرار مطلع الانوار واسطة عقد الاخيار سراج الطائفة الخلوتية والبكرية [1] والسادة المتخلقة بالاخلاق النبوية المتحققين بالحقائق العرفانية والرقائق الرحمانية ، بحر المعارف معدن اللطائف ملجأ كل عاني منتهى الآمال والاماني، قدوة الفضلاء تاج الاذكياء والنبلاء مربي السالكين ، سراج المسترشدين قطب العارفين ، من أشرقت في سماء فؤاده شموس المعارف، وانتظمت من درر أفواله أسماط العوارف، الجامع بين علمي الباطن والظاهر ، السائر ذكره الجميل مسير المثل السائر ... من درس الرسوم سلالة المجد الذي أشرقت شموسه وابتمت ... المجد معدن ... الرسول صفوة بني الزهراء البتول الحائز لشرفي الحسب والنسب المتحلي بدقائق العلوم ورقائق الادب السيد المحب الصادق والخليل الحبيب الموافق بل الوالد المشفق الذي هو بمكارم الاخلاق متخلق وبكل وصف جميل متحقق، وليس أنا في وداده بمتملق، الفاضل الكامل حاوي رتب الفضائل العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر العلماء العاملين وعمدة الفقهاء والمدرسين وزبدة الاولياء المكرمين والمقتفي أثر سلفه الصالحين الفقيه العمدة والصالح النخبة ، من فاق أقرانه على الاطلاق وانتهت اليه الرسالة باستحقاق ، الولي الفالح والمربي الناصح العارف الصالح والاستاذ الناجح والقطب الشهير والشمس المنير والناقد البصير والبدر الخبير مفيد الطالبين ... استاذي وقدوتي ... العارف بربه المتين ... حفظه أرحم الراحمين وصان عمره آمين وكان له عونا ومعين وأمتعنا الله والمسلمين بحياته أجمعين آمين .

غب اهداء السلام الاسنى والتحيات المباركات الحسنى ، ورفع الادعية المقبولة التي هي ان شاء الله بالاجابة موصولة ، ونشر بعض ما انطوى من مكنون الاشواق وبث ما كن في الصدور لدى سطور رسائل الاشتياق، والتمثل بهاتيك البوادي وارتواء

(١) لانه أخذ الطريق عن الشيخ المهدي الذي أخذ عنه علماء دمشق الطريق ولم يتفق علماء الظاهر على أحد من أهل الباطن مثلما اتفقوا عليه .

أفئدة الصوادي ، فالسبب في تسطيرها كثرة الاشواق التي عجزت عن حصرها الاوراق فان سنح ذكر هذا الداعي في شريف الخواطر البهية فإني على العهد من الاستقامة في نيل شرف العبودية والشكر لمرسلات امواج أفضال السيادة، من تفقدي بالسؤال عني حسب املي وزيادة ، فلا غرو ان صرفت عنان جواد الايام في الثناء على هذا السيد الاستاذ العام ، وان كنت لست من سباق هذا الميدان ، ولا ممن يصلح لهذا الشأن لما له علي من المنن في السر والعلن ، وقصارى الحال استمطار ادامة انظاره على هذا العبد في المآل ، وتفقدي دائماً ولو بالسؤال ، والذي ابديه لجناب سيادة سعادتكم اولا السؤال عن شريف الخاطر العاطر الكريم وانقياد لطيف المزاج الفاخر السليم ، وثانياً بينما أنا مترقب أخبـاركم اذ ورد علي عزيز كتابكم ، المنبيء عن صحة جنابكم ، وذلك قبل تاريخه بيومين فقرأته وحمدت الباري سبحانه الذي جنابكم بخير ، وجميع ما شرحتم لنا صار معلوم هذا الداعي حرفيـاً ، وبه عرفتونا عن وصولكم إلى محروسة مصر وان مرادكم التوجه الى أم القرى بعد ثلاثة أيام من تاريخ مكتوبكم، نسأله سبحانه وتعالى أن يبلغكم السـلامة ونؤمل الآن أن تكونوا وصلتم لها بغاية من الصحة والسلامة أنتم ومن معكم خصوصاً سيدتي الوالدة ، ووارِدنا من جنابكم التعريف عن ذلك ، ثم أخبرتونا بخصوص بوليصة السيدمصطفى الرفاعي ان جنابكم قبضتم منه مبلغهـا بعد تأخره ، وانه قبل سفركم تأخذون نسخة التفسير وترسلونها تحت يد احد من الاخوان ، والى الان ما علمنا تحت يد من ارسلت يكون معلوم جنابكم ، ومتى علمنا نخبر جنابكم لا يكون لكم فكرة من هذه الجهة النسخة لحافظ[1] افندي الساعاتي وصلت والكتب للسيد أحمد[2] السكري أيضاً وصلوا ، وكذلك سحارة الكتب للشيخ محمود الكتبي وصلت كونوا بغاية من راحة البال . أفدتونا بخصوص الكتب التي بادئين بطبعها وان مطبعة الميري اشتغلت ، وعن أسعار الكتب المطبوعة الان كل ذلك فهمناه جزاكم الله عنا كل خير ، قوي حصل لنا سرور بذلك ، وأخبرنا سعادة

(١) ساعاتي تركي وجوهري بسوق الحميدية وابنه اليوم قيم مسجد الشهداء بدمشق .

(٢) والد الشيخ محمود السكري عم خطيب جامع الدرويشية اليوم الشيخ نسيب السكري .

مفتي افندي(١) أن تأخذ له من السيد سليم(٢) العوّا مصاري وتعطيه إيام ، أخبرنا الشيخ علي العطار عن ذلك حيث هو يجيء الى عنده .

الاخ أبو حسن رجل ما قال شيء ، وإنما ذلك من الشيخ علي ، حيث تحققنا المصلحة وجدناها عنه صحيحة ، بل قال إلى الآن وما دمت حياً أنا خادم الشيخ ، وليس مراده قسمة أو ترك الحصة أو قلة الزرع ، هذا كله من الشيخ علي تزاعل معه وأصلحناهم .
بخصوص مصلحة السيد أحمد السكري ، عرفتونا بأنه يلزم ان كنا نعرفه أن جنابكم أشهدتم له ، سيدي المحترم ! والله ما عندي خبر بذلك ، بل هو سأل السيد عبد الله القناطري قال له ما أرسل اشهاد(٣) فبعد ذلك كتب لشريكه فجاوبتوه جنابكم ، فقوي حصل له تغيّظ من نفسه الذي كتب لشريكه عن ذلك خوفاً على زعل سيادتكم فهذا ذنب جرى مني كوني قصّرت بذلك ، فأرجوكم العفو والعذر لديكم مقبول . وكذلك استعذرت منه . بخصوص أهل البيت لله مزيد الحمد بغاية من الصحة ، لا يكدر عليكم سوى مفارقة ... المكاتبة نصف المشاهدة وتارة تكون المشاهدة كلها ، نرجوكم مواصلتهم بكتبكم السارة . بخصوص المدرسة(٤) .. عشرين يوم أو ثلاثين قبل تاريخه لا أعلمها حيث اني ما دخلتها إلا ما قل وندر ، لاسباب : منها أنهم تباردوا عليّ الجماعة وطردوني ، ومنها تكلموا معي بكلام بذي وما تكلمتهم معهم بشيء قط ، وسمعت على لسانهم كلاماً ليس لائقاً من أحد ، ومنها بخصوص درس الملتقى بطلوا بقروّه وذهبوا قرأوا على الغير : بعضهم قرأ على أحمد(٥) افندي الاسلامبولي الدر ، وبعضهم قرأ على الشيخ أمين

---

(١) كان المفتي في ذلك العهد الشيخ أمين الجندي عم لجد صديقنا الاستاذ سليم الجندي ، وكان معاصراً لسميه الشاعر الحموي المشهور .

(٢) كان بزازاً في سوق الحميدية ، وابنه الدكتور توفيق العوا طبيب في الصحية ولعله شقيق صفوت باشا العوا ، وأما علي العطار فلم نعرفه .

(٣) إقرار كتابي من تعابير المحاكم .

(٤) هي مدرسة التعديل بجي القنوات كان المرحوم السيد علاء الدين يقرىء الطلاب فيها ، وغرفته الخاصة لا تزال فيها الى يومنا هذا ، وقد عمر منارتها ونقش اسمه عليها .

(٥) من مدرسي الاموي وفقهاء الحنفية تركي الاصل دمشقي المولد كان يسكن ـ

البيطار [١] مراقي الفلاح ، وبعضهم قعد بطالا . وعدم قراءتهم الملتقى لامور منها كوني صغير السن [٢] وجاهل جداً ، ومنها كوني قررت مسائل خطأ فعرفوها ، ومنها تكبرهم عليّ وغير ذلك من الامور ، ومن الأسباب الموجبة لانقطاعي عن المدرسة : إذا بدأت لهم ورد بعد المغرب فأياً ما أذ كر لهم ربع ساعة فيقولون طولت علينا ، أبقى اذ كر المغرب وذلك بشأن الدرس ، فبعضهم يقولون قصرت وبعضهم يقول غير ذلك ، وأسباب كثيرة جداً لا يمكن أن تستقصى بالكتابة الا باللسان ، لذلك عاهدت نفسي أني لا أدخلها حتى تشرفون الى هذا الطرف إلا في أوقات الضرورات ، فان من بعض منسياتكم أن الضرورات تبيح المحظورات أسأله سبحانه وتعالى أن يبلغكم السلامة ، وأن يجمعنا بكم على أحسن حال بجاه محمد والآل ، وأن يبتني بحياتكم وأن يطول عمركم بجاه كل ذي جاه لديه . فهذا عذري وهو مقبول عند جناب سيادتكم حيث جنابكم لم ترضوا لي الكلام الغير اللائق وكان لي قدرة على غير ذلك بحول الله وقدرته ، ولكن تركت أمري الى الله خصوصاً بشأن جناب سيادتكم ، فان أقدامكم على راسي ، يكون معلوم سيادتكم فقط طلب مني الشيخ مصطفى سليق [٣] كتب ورقة في الحث على تعمير المساجد والمدارس حيث مراده شراء شمع ، وتكبير شمعي المدرسة ، فبحسب دعائكم كتبت له ما تيسر ، وجمع من أهل الخير كم قرش واشترى نحو عشرين رطل فوق مقدارهم السابق ، ومراده تسويتهم وجابهم إلى المدرسة ، وذلك كله بحسب دعائكم ونفوس (أنفس) سادتكم ، وقبل تاريخه قد توفي السيد عبد الرزاق السقطي [٤] وعبد اللطيف ابن العمري ابن شقيقة شيخ صالح العش [٥] وجناب الفاضل الشيخ يوسف المغربي [٦]

ـ الفقيه ، وله مؤلفات في الحج (مناسك مطبوعة) و كان له ديوان خطب يحفظه الخطباء بدمشق ، ولا يزال له عقب بدمشق .

(١) كان الامام الحنفي في السنانية ولم يكن من آل البيطار القاطنين في الميدان وله اليوم أحفاد بدمشق . (٢) لعله كان يومئذ يناهز العشرين من عمره .

(٣) آل سليق أسرة معروفة في حي القنوات بدمشق .

(٤) اليوم تجار وملاحون وكانوا بيت علم معروف بدمشق . (٥) بيت مجد وعلم في الخضيرية . (٦) له الشيخ بدر الدين حافظ الشام رحمه الله .

وعبده القناطري الذي هو مجاور بالمدرسة ، البقية إن شاء الله تعالى بعمركم وعظم أجركم وأجر المسلمين آمين بجاه سيد المرسلين وآله وصحبه والتابعين .

الحوادث .ـ جرت على الالسن من الاولاد عجيبة وهي جداً غريبة ، ان جميع الاولاد صاروا ينطقون بفقرتين (طاطا يا طاطا صحنين سلطا ، كبه على رغيف قولوا يالطيف) أما فقرة (كبه على رغيف قولوا يا لطيف) هذه لا يغيرونهـا ، وأما الفقرة الاولى ينوعونها ، تارة يقولون : (ناوى ما ناوى صحنين بقلاوى) وهلم جرا ، نسأل الله العافية والحسنى . بخصوص الكرّوزه[1] وصلت إلى بين النهرين ودخلت الى الشام الى خان الكمرك حيث كانت حاملة الرزق وقوي حصل ضرر من ذلك[2] فكان مراد الباشا[3] وأولياء الامور خرب مصاطب الدكاكين جميعها لاجلها ، فبعد ذلك لله مزيد الحمد عدلوا عن ذلك ونبهوا على المتكلمين عليها أن لا يدخلوها إلى البلد ، فعمروا محل عند الجسر الذي عمروه جديد وينفذ منه على البحصة في بين النهرين ، نسأل الله تعالى خراب ذلك كله .

ثم قبل تاريخه بنحو عشرين يوم شاع خبر بأن السيد عبد القادر المغربي مراده السفر إلى الحجاز وصحبته الشيخ عبد الغني الميداني وسليم أفندي حمزة بعد ثلاثة أيام ، فصادف آخرهن يوم الجمعة كنا في الدرس في بيت الشيخ الكزبري[4] وكان الشيخ عبد الغني أيضاً في الدرس ، فبعد خلوص الدرس سألته : بأي وقت جنابكم مسافرين قال لي بالجواب : لا أعلم هل في يوم الاحد أو الاثنين أو غيرهما ، فذهب كل واحد لمحله

---

(١) لعلها الكارة التجارية التي يجرها بضعة أحصنة أو بغال ويريد بالنهرين بردى وبانياس ، وكان مقر ادارتها محل المصرف السوري واصطبلاتها محل مقهى العباسية اليوم

(٢) لوجود المساطب في أسواق دمشق المعدة لنشر البضائع ، فكان الطريق يضيق بها ، وقد ضج السكان خوفاً على مساطبهم من مرور الكارّة .

(٣) الباشا بلغة ذلك العهد الوالي وهو شرواني محمد رشدي باشاولي سنة ١٢٧٩ وكان يعرف بدمشق باسم شرواني باشا (٤) الشيخ أحمد مسلم الكزبري من المحدثين وشيوخ قبة النسر ، والشيخ عبد الغني تلميذ الشيخ عبد الرحمن الكزبري والد الشيخ مسلم .

وصليت صلاة الجمعة ، وحين طلوعنا من المسجد أخبرنا أن السيد[١] والشيخين الموحى اليهم ذهبوا مشاة الى عند الشيخ الاكبر هناك ، وبعد الصلاة جاءت الدواب وركبوا وسافروا الى الحجاز فوصلوا الى بيروت وجاء وصولهم ، والى الآن من اسكندرية ماحضر وصولهم : فقبل تاريخه بيومين أخبرونا بان السيد عبد القادر المذكور انتخب بان يكون ملكا على الموري[٢] حيث ملك الموري طردوه ، فبعضهم منتخب السيد مع بعض الملوك ، وبعضهم منتخب ابن ملكة الانكليز ، فلا ندري بعد ذلك كيف يبت الحال ، وبعده نعرف جناب سيادتكم على حقيقة الحال نسأل الله حسن الاحوال . ثم يوم تاريخه جاءت بوسطة اسلامبول وفيها مكاتيب رسمية وقظيطات متضمنين بأن وقع عزل وتنصيب بعزل خمسة أنفار من رجال غيرهم ، ففضل فؤاد باشا وعالي باشا وغيرهما حتى قبولي أفندي . . معلومكم ذلك ، كذلك نهار تاريخه الباشا وأعضاء المجلس احضروا رؤساء الاثمان (وطلبوا منهم) بواقي الذهبية التي كانت طلبت من الناس من قديم الزمان ، فأخبرونا بأنه خص ثمن القنوات عشرون الف قرش ، وكل ثمن على حسب بواقيه كذلك ، وبتوا[٣] مجلس خصوصي بشأن بواقي الطرابية من سنة ٦٨ الى سنة ٧٩ نسأل الله تعالى اللطف في المقدور ، ونخبركم بأن كيخة الباشا فصل عن منصبه ، وصار قيما في محكمة ووضع في محله ديوان افندي الباشا . وايضاً بخصوص الحاج شريف الكلارأميني[٤] اعتمدوا (على) السابق فارس آغا كدره[٥] وعلى الصاطي[٦] وعلى المقومين السابقين أولاد سكر وكل شيء على حاله ، حتى أخبرونا بخصوص التنبيه على أسعار (العملة) وعلى أسعار المأكول : أما العملة فبعضها غلت كالليرة المجيدية وغيرها مثل المجيدي والليرة الفرنساوية والانكليزية وجنس الليرة ، وأما أسعار المأكول كله على حاله ، والتشديد الذي كان حينما كنتم مشرفين بطرفنا كله صار خفيفاً . ونخبركم أخبركم الله بكل خير ووقاكم من كل أمر وضير ان جامع الاموي وضعوا فاصلا بنصفه من حد المقصورة من بيت الخطابة ، مرادهم العمارة به ، حيث جاء له أمر بالف وخمسمائة كيس[٧]

---

(١) أي الامير عبد القادر الجزائري (٢) اسم لشبه جزيرة اليونان . (٣) يعني قرروا . (٤) لا تزال هذه الامرة بدمشق . (٥) لعله جد صاحبنا فارس بن خالد بن فارس كدره . (٦) من آل الساطي المعروفين بدمشق . (٧) الكيس في ذلك العهد ـ

ومرادهم يعمروا الثلاث معازب[1] اللاتي بجهة القوانين بكون معلومكم ذلك . بخصوص بيت أفندينا مفتي افندي لله مزيد الحمد بغاية من العفة والصيانة والاتقان والديانة ، وذلك كله بوجود جناب الفاضل الاستاذ الشيخ محمد افندي البيطار[2] كونه بهذا الفن إماماً ومشربه على مشرب سيادتكم وصار لي محسوبية على جنابه كمحسوبيتي على جناب سيادتكم وحاصل بيني وبينه غاية التوافق حتى كاني أنا وهو عضو واحد : القول والفعل واليد واحدة نسأل الله تعالى الثبات على ذلك وأن يجمعنا بسيادتكم عن قريب بجاه الحبيب حتى نصير ثلاثة انتما رئيسان وهذا الداعي عبد لكما فجزاكما الله كل خير ، وقرأت عليه سبط الماردني في علم الفرائض وبدأت قبل تاريخه عليه أيضا بالشنشوري ولله مزيد الحمد والمنة الان صرت أفهم بعض مسائل بذلك وأعمل مناسخات وذلك كله ببركة دعائكم ونفوس سيادتكم وتوجهاتكم الصادرة بانوار المعارف عامرة أرجو الله تعالى أن يفتح علينا فتوح العارفين وينور قلبنا بذكره آمين . وكذلك بلغنا خبر بان مراد الانكليز أن يعمروا كروزة من على طريق طرابلس إلى حمص إلى حماة إلى حلب إلى بغداد ، وتارة يقولون على طريق صيدا ، لكن طريق حديد مثل طريق اسكندرية ، هذا الذي سمعناه والله أعلم بحقيقة الحال ، والحمد لله على كل حال ، وأظن أنه بعد تاريخه لا بد أن يفصلوا أولياء أمور طرفنا عن مناصبهم ويوضعوا غيرهم من حيث صار عزل في اسلامبول . سيدي المحترم الاجل الاكرم نرجوكم عدم (نسياني) من خاطركم الشريف وتفقدي بدعائكم المنيف ومواصلتي بكتب سيادتكم السارة، وأرجوكم الدعاء في أوقات الاجابات خصوصا عقب الصلوات وبعد الذكر والعبادات وفي الخلوات والجلوات وفي مواضع مظان الاجابات وكلما خطرت بذهنكم الشريف وخصوصا تجاه الكعبة المشرفة وبالحجرة المكرمة وبكل موضع و (مزار) لا سيما أرجوكم الدعاء العام بالفرج أو الموت أسأل الله تعالى الفرج لنا ولجميع

---

(1) أي الثلاثة الاروقة الواقعة في الجهة الغربية من حرم الجامع الاموي . — عبارة عن ٥٠٠ قرش فالمبلغ اذن ٧٥٠٠٠٠ ق أو ٧٥٠٠ ليرة ذهبية

(2) أسرة البيطار الميدانية بيت مجد وعلم قديم ومنها عضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ محمد المذكور في الرسالة كان أمين الفتوى بدمشق ومن أكبر فقهاء الحنفية فيها .

المسلمين وأيضاً أرجو عدم براح الاجازات من خاطركم اللطيف ، وهذا مالزم لنا عرفناكم وأعرضناه لدى جناب سيادة سعادتكم ، ومهما يلزم لكم من الخدم شرفونا بقضائه على الرأس والعين . وبلغوا سلامنا ومزيد اشواقنا إلى جناب سيدتي الوالدة المحترمة مع تقبيل أياديها الكرام وأقدامها العظام وسؤالها الدعاء في تلك المواضع المشرفة زادها الله تكرمة وتشريفا وتفخيما وتعظيما ، وأيضاً بلغوا سلامنا إلى جناب الحاج أبو علي سليق وولده السيد سعيد وإلى جناب السيد محمد الزعفرنجي [1] وأخيه السيد أمين وإلى جناب السيد عبد الرحمن الطويل وإلى أبو عبد الله المنجد وإلى فارس [2] وإلى جناب أحمد أفندي المدني الافخم وإلى جميع من يسأل عنا وما حوى منزلكم العامر . ومن هذا الطرف جناب جدنا المحترم وأخوالنا المكرمين وجميع اخواننا المحترمين الجميع بخير وصحة يسلمون عليكم ويقبلون أياديكم .. وأهل البيت بخير وصحة كل واحدة بمفردها تقبل أياديكم وتسلم عليكم ودمتم والله تعالى يحفظكم ويديم نعمكم ويبقيكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ودمتم في ٢٩ ب سنة ١٢٧٩

الفقير اليه عز شأنه كاتبه :

محمد صالح

خويدمكم غني عنه

حاشية : سيدي المحترم (والدنا) وضع في محل فؤاد باشا (كامل) باشا المصرلي وسمعنا أنه عزل ثلاثة عشر واحد من رجال الدولة نسأل الله تعالى اللطف فيما جرت به المقادير و (اليوم) انتقلنا للمربع الذي تجاه أودة الفتوى في بد المفتي لأجل الافتاء ودمتم والسلام عليكم .

---

(١) تلميذ الشيخ علاء الدين وكان منقطعاً لطلب العلم في مدرسة التعديل ولاقامة الحضرة فيها وفي جامع السادات . (٢) كان خادماً للشيخ علاء الدين .

مطبوعات حديثة

معالم السنن

للإمام ابي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٨٨

وهو شرح سنن الإمام ابي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥

طبعه وصححه الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي

تقوم إلى جانب هذه النهضات المباركة في البلدان العربية - نهضة دينية اجتماعية ، تتفجر ينابيعها من سلسبيل الإسلام الصافي ، وتُسقى أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تخلق جدته ، وهل الإسلام إلا القرآن والحديث ؟ ولعمري إن دواوين السنة الصحيحة ليست إلا شارحة للقرآن مبينة له ، فهي تفصل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية مثلا كالصلاة والزكاة والحج والصيام على الوجه المطلوب من غير أن يدرس حديث الرسول (ص) وسيرته العلمية

أما كتاب السنن لأبي داود السجستاني فهو أحد دواوين الإسلام المعتبرة عند المحدثين والفقهاء ، كجامع الترمذي ومجتبى النسائي ، فان هذه الكتب تلي صحيحي البخاري ومسلم صحة وحسناً ، وتفوق المجامع والمسانيد التي جمعت بين الصحيحين والحسن والضعيف والمعروف والغريب ، والشاذ والمنكر كما هو معروف عند المحدثين ، فقد كان مصنفوها رحمهم الله معروفين بالوثوق والعدالة والتبحر في فنون الحديث ، قال أبو داود : كتبت عن رسول الله (ص) خمسمائة الف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته كتابي السنن ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث ، وثمانمائة حديث ، من الصحيح وما يشبهه

ويقاربه ، فان كان فيه وهن شديد بينته » وحسبك علماً بقدر هذا الكتاب وتعريفاً بمزاياه ما وصفه به المحقق الشهير ابن قيم الجوزية رحمه الله من أنه شمل أحاديث الاحكام ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء .

وأما شرحه « معالم السنن » للامام الخطابي رحمه الله فهو «قد تكفل بإيضاح» ما يشكل من متون ألفاظه ، وشرح ما يستغلق من معانيه ، وبيان وجوه أحكامه والدلالة على مواضع الانتزاع والاستنباط من أحاديثه ، والكشف عن معاني الفقه المنطوية في ضمنها كما جاء في طليعته . والكتاب مع الشرح يقع في أربعة أجزاء ، وهو يبلغ نحو (١٤٣٠) صفحة .

وقد وضع له الأستاذ الطباخ مقدمة — كعادته في مطبوعاته ومصححاته — جاءت في اثنين وثلاثين صفحة عرف فيها بالسنن وشرحها ، وما قاله بعض الائمة الحفاظ فيهما

ووصف النسخ التي عثر عليها منهما بعد البحث والتنقيب ، وأودع مقدمته شذرات من ترجمة صاحب السنن وشارحها ، وذكر سنده المتصل بسنن أبي داود وسائر مصنفاته على طريقة المحدثين . وقد ألحق الاستاذ الناشر في خاتمة الكتاب مقدمة الحافظ الكبير أبي طاهر السلفي (المتوفى سنة ٥٧٦) لكتاب السنن وشرحه التي أرسلها اليه من الحجاز صديقانا الفاضلان الشيخ سليمان الصنيع والاستاذ محمد افندي نصيف ، وهي مقدمة جليلة وفيها أن أبا داود قد تلمذ على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعنهما أخذ علم الحديث ، وعلق عنه أحمد حديثاً واحداً وأثبته بخطه في دفتره .

وأقول: إني لم أر في هذه التراجم إشارة لكتاب مسائل الامام أحمد بن حنبل الذي ألفه تلميذه صاحب السنن الامام أبو داود فهو من أعظم المآثر وأجل المفاخر ، وهو أقدم كتاب في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق ، فقد كتب سنة ست وستين ومائتين أي في حياة راويه أبي داود لان هذا توفي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر بمطبعة المنار سنة ١٣٥٣ بعد أن صححناه وعارضنا مسائله بكتابين آخرين من مسائل الامام أحمد في مكتبة دمشق أيضاً .

قال الاستاذ الطباخ: ومما يقتضي التنبه له أن الخطابي رحمه الله تعالى لم يشرح جميع

الاحاديث بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات ، فاذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلا شرح أكثر من ذلك على حسب ما يتراءى له ، والى ذلك الإشارة بقوله : ومن باب كذا .

وأقول : انه رحمه الله لم يورد أحاديث المتن كلها في كتابه بل طريقته فيه أنه يورد بعض أحاديث الابواب، ويستغني بها عما يرى أنه بمعناها ، ولعله يشير بقوله : ومن باب كذا الى ذلك الاختصار متناً وشرحاً ، وقد سمى كتابه (معالم السنن) وهي ما يستدل بها على سائرها . وقد رأيت اختلافاً في أسماء بعض الرواة كقوله في الحديث الثاني من كتاب الطهارة حدثنا مسدّد الى قوله (عن الزبير) عن جابر بن عبد الله وفي عون المعبود (عن أبي الزبير) هو محمد بن مسلم المكي وثقه الجمهور وضعفه بعضهم لكثرة التدليس .

ومن لطائف ما تجده في السنن أنك ترى أسماء الروايات المحدثات مبثوثة في كثير من الابواب ، ومنهن من تأخذ العلم عن أمها وجدتها وعمتها (انظر ص ٥٠ ج ٣ باب الركز) وبهذه العلوم النافعة كانت تعنى النساء والفتيات في عصور الاسلام الذهبية فهل نجدد بذلك عهداً ونعيد للجنس اللطيف ما فقدنه من ذلك التراث العظيم ؟

وقد كان الشارح الخطابي شاعراً مجيداً ، كما كان محدثاً فقيهاً ، ومما اشتهر قوله رحمه الله :

وما غربة الانسان في شقة النوى	ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها	وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

وبست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة ؛ كثيرة الاشجار والانهار، وقد سئل عنها بعض الفضلاء ؟ فقال : هي كتثنيتها يعني بستان .

فجزى المولى الاستاذ الراغب ناشر هذا الكتاب النفيس أفضل ما جازى عباده الصالحين .

محمد بهجة البيطار

اسواق العرب في الجاهلية والاسلام

تأليف سعيد الافغاني

٤٦٥ ص متوسطة — المطبعة الهاشمية بدمشق

الاستاذ سعيد الافغاني من أفاضل المعلمين الذين لم تصرفهم صناعة التعليم عن طلب العلم ، فهو يقضي أوقات فراغه في البحث والمطالعة، ومن نتائج تتبعه المستمر هذا الكتاب الممتع ، فقد جمع فيه ما تفرّق من أخبار أسواق العرب .

وقد مهد للكلام على الاسواق بما هو وثيق العلاقة بموضوعها كبيوع الجاهلية ورباها واسهب في الكلام على قريش الفريق التاجر من العرب ؛ وقد تخلل هذه الابحاث كثير من الأدب والتاريخ والصناعة والتجارة ، و كثير من الوصف لمجالس هذه الاسواق الادبية وبلاغاتها النثرية والشعرية . وعني المؤلف بشرح ما يشكل من غريب أو معنى مغلق .

والكتاب مطبوع بحرف جديد جميل على ورق صقيل ؛ وأما ما ذكره في الخاتمة مما اشتمل معرض دمشق الاخير من القمار والفجور فما لا بد لمديره فيه لما عرف به من متانة الخلق وفرط الحمية العربية .

وقد ذكر المؤلف ص ٣٢١ أن أذرعات (هي اليوم تعرف بأزرع) والاقوى أنها المعروفة بدرعا ، ولا تزال تاء التأنيث مسموعة من أفواه البدو ، وهنالك أدلة أخرى تدل على ذلك . وفي الصفحة ٢١٢ والسطر الثالث من الحاشية « وأين بُنّة الابل الصادرة » ضبطت البنة بضم الباء المعجمة ولعلها من أغلاط الطبع ، والصواب فتح الباء فيها ، وهي الرائحة الطيبة .

إن هذا الكتاب النفيس من أقل ما طبع في الشام ومصر أغلاطاً ، وأكثر مانشر فيهما من الابحاث تحقيقاً ، فجزى الله المؤلف الفاضل أفضل ما جازى به منقباً عن اتقانه أو محسناً للادب ولغة العرب عن احسانه .

التنوخي

عدي بن الرقاع العاملي

١

حياته

هو ابو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي من بني عاملة . وهم من عرب اليمن ينتهي نسبهم الى كهلان ثم الى قحطان . نزحوا عن اليمن الى الشام مع من نزح من اليمانيين قبل الاسلام . يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب : (ديار عاملة مجاورة للاردن وجبل عاملة مشرف على عكا من قبل البحر يليها ويطل على الاردن) . ويقول أيضاً : (وأما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر) . ويقول ابن خلدون في كتاب العبر: (إن بني عاملة بطن متسع ومواطنهم ببرية الشام) ويقول القلقشندي في صبح الاعشى : (ان بجبال عاملة من بلاد الشام الجم الغفير من بني عاملة). ونسب الناس عدياً الى الرقاع وهو جد جده لشهرته .

وقد زعم بعض النساب أن عاملة من معد بن عدنان وليست من قحطان ، ولكن عدياً نفسه يتولى الرد عليهم بقوله :

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندق بن نزار

وفي لغة عدي أيضا ما يصحح دعواه قال :

فانك والشعر ذو تزجي قوافيه كمبتغي الصيد في عريسة الاسد

يريد (الشعر الذي تزجي قوافيه) وذو بمعنى الذي في لغة طيء، وطيء من قحطان .

نحن لا نعلم على التحقيق في أي سنة ولد عدي ولكن يغلب على الظن أن يكون مولده حوالي العقد الرابع من القرن الاول لان من أول ما روي عنه من الشعر أبياتا قالها في زمن يزيد بن معاوية وأنشده اياها . ويزيد بويع بالخلافة سنة ستين وتوفي سنة أربع وستين . فلا نكون مخطئين إذا قدرنا أن عديا كان وقتئذ شابا .

اما منزله فقد كان بدمشق كما نص على ذلك صاحب الاغاني . وقال أيضا « هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم » ولقبه ابن دريد في كتاب الاشتقاق بشاعر أهل الشام وعده محمد بن سلام الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الاسلام .

نشأ عدي في دمشق عاصمة الدولة الاموية وكان هواه مع بني أمية (يمدح أحياءهم ويرثي أمواتهم) كما قال الوليد بن عبد الملك ، ولا يقف عند هذا الحد بل يرى رأيهم ويقول بقولهم ويؤيد سياستهم ويتحمس لهم وهو سلم لمن أطاعهم وحرب على من عصاهم ، ينصرهم بلسانه وبسيفه لا عن رغبة بل عن رأي وعقيدة . قال يمدح عبد الملك ابن مروان بعد أن ظفر في الوقعة التي كانت بينه وبين مصعب بن الزبير وانتهت بمقتل مصعب بدير الجاثليق :

لعمري لقد اصحرت خيلنا	باكناف دجلة للمصعب
فقد منا واضح وجهه	كريم الضرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به	ومن ينصر الله لم يغلب
فداؤك أمي وأبناؤها	وان شئت زدت عليها أبي
وما قلتها رهبة إنما	يحل العقاب على المذنب
اذا شئت نازلت مستقلا	أزاحم كالجمل الاجرب
فمن يك منا يبت آمنا	ومن يك من غيرنا يهرب

أفلا ترى صدق اللهجة في قوله (وما قلتها رهبة ....) فضلا عن بقية الابيات التي تنبيء بان الشاعر حارب في جيش عبد الملك .

فلما توفي عبد الملك وخلفه ابنه الوليد اختص عدي به ومدحه بقصائد من حر الشعر في منها قصيدتان مطلع الاولى :

عرف الديار توهما فاعتادها   من بعدما شمل البلى ابلادها

ومطلع الثانية :

طار الكرى وألم الهم فاكتنعا   وحيل بيني وبين النوم فامتنعا

وأبيات من قصائد خلد بها مآثره واشاد باعماله العظيمة كما مدح ابنه عمر بن الوليد فقربه الوليد وقدمه وكان يدعوه (شاعرنا) . ولئن أحب عدي بني أمية عامة فلقد آثر الوليد منهم خاصة وأخلص في حبه كثيراً حتى تمنى أن يموت بحياته فقال من قصيدة يمدحه بها :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده   وان نكون لراع بعده تبعا

ولكن هذه الامنية لم تتحقق فقد توفي الوليد وبويع بعده أخوه سليمان بن عبد الملك فاستقدم عديا وعاتبه ووصله واجتمع مرة عنده مع الفرزدق وجرير وكثير . وتوفي سليمان وخلفه عمر بن عبد العزيز وعدي حي وقد ذكره بشعره إذ يقول :

لو لا اختياري أبا حفص وطاعته   كاد الهوى من غداة البين يعتزم

ولم يذكر صاحب الاغاني ولا ابن عساكر في التاريخ الكبير ولا ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ولا ابن قتيبة في الشعر والشعراء خبراً لعدي بعد عمر بن عبد العزيز الذي بويع بالخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومابة فلا يبعد أن يكون عدي توفي في خلافته .

وكأن تقدمه عند بني أمية أثار حسد الشعراء له فقد تعرض له جرير في مجلس الوليد بن عبد الملك فناقضه عدي ثم لم تتم بينهما مهاجاة لان الوليد منع جريراً من هجائه فهجاه جرير تعريضاً ولم يصرح باسمه خوفا من الوليد . وهجاه الراعي فرد عليه عدي وكان كثير يبغضه لانه كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره .

وكان له بنت شاعرة اسمها سلمى فاتاه ناس من الشعراء ليناتنوه وكان غائباً فسمعت بنته وهي صغيرة فخرجت اليهم وقالت :

تجمعتم من كل أوب وبلدة على واحد لا زلتم قرن واحد

فافحمتهم • ويستدل من كنيته على أنه كان له ابن اسمه داود وسماه بعضهم دواداً ولا نعرف من خبره شيئاً • كما أن قوله : (فداؤك أمي وأبناؤها)

ينبيء بان له اخوة خفيت علينا اسماؤهم •

وله ديوان شعر ذكره ابن النديم في كتاب الفهرست • وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الادب ج ١ ص ١٠ أنه اطلع على ديوان عدي بن الرقاع وعده في جملة الدواوين التي اعتمد عليها في تأليف الخزانة • ولكن لا يعلم الآن مكان ذلك الديوان •

صفاته واخلاقه

لم ينص أحد ممن ذكر ابن الرقاع على شيء من صفته غير ابن عساكر فقد ذكر أنه كان أبرص • ويصفه لنا عبيد الراعي الشاعر بانه قصير أوقص اذ يهجوه ويقول :

جُنادف لاحق بالرأس منكبه كأنه كودن يوشى بكلاّب
من معشر كحلت باللؤم اعينهم قُفْد الاكف لئام غير صُياب

جنادف أي قصير أراد أنه أوقص والكودن البرذون ويوشى يستحث والكلاب المهماز واقفد الكف مائلها والصياب السادة • والله يعلم مبلغ هذه الصورة من الصحة • على أن بعض أخباره التي أوردها صاحب الاغاني وابن عساكر مع البقية الباقية من شعره يمكن ان تصف لنا شيئاً من نفسه واخلاقه •

كان عدي يفخر بما يفخر به فتيان العرب الحب والشجاعة والفصاحة وفي ذلك يقول :

فلقد ثنيت يد الفتاة وسادة لي جاعلا يسرى يديّ وسادها
وأصاحب الجيش العرمرم فارساً في الخيل أشهد كرها وطرادها
وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

وكان وافياً لاصحابه في سرائهم وضرائهم لا ينحرف عنهم بانحراف الزمان والسلطان ، عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الاردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به من أتاه متوجعا واثنى عليه فائتوني به فأتى عدي بن الرقاع وكان عبيدة اليه محسنا فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقا ولكن الى الخيرات سباقاً جوادا

وكنت اخي وما ولدتك امي وصولا باذلا لي مستزادا

وقد هيضت لنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ماأرادا

فوثب المتوكلون به اليه فادخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيظ عليه الوليد وقال له أتمدح رجلا فعلت به ما فعلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه كان الي محسنا ولي مؤثراً وبي برّاً ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟ فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك وعنه لك فخذه وانصرف . وانصرف به الى منزله .

وكان شديد العارضة حاضر الجواب ، دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع فقال له الوليد اتعرف هذا ؟ فقال لا يا أمير المؤمنين ، فمن هو ؟ قال هـذا عدي بن الرقاع . فقال جرير : فشر الثياب الرقاع ، فممن هو؟ قال من عاملة . قال جرير : أمن التي قال الله تعالى فيها عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ثم قال :

يقصر باع العاملي عن الندي ولكن = العاملي طويل

فقال له عدي :

أأمك كانت اخبرتك بطوله أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير : لابل أدري كيف أقول . فقال الوليد واللهلبر كبنك شاعرنا ومادحنا والراثي لاموانتا ، تقول هذه المقالة ؟ والله لئن هجوته لافعلن ولافعلن . فلم يصرح جرير بهجائه وعرض فقال قصيدته التي أولها :

حي المدملة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به :

أقصر فان نزارا لن يفاخرهم فرع لئيم واصل غير مغروس

وابن اللبون اذا ما لز في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس
قد جربت عركتي في كل معترك   غلب الاسود فما بال الضغابيس

وكان عدي مدح الوليد بن عبد الملك بقوله :

عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده   وأن نكون لراع بعده تبعا

فلما توفي الوليد وبويع بالخلافة لسليمان بن عبد الملك استدعى عديا فلما دخل عليه قال ان كنت لكارها لخلافتي . قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال حين تقول في مدحة الوليد :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقده   وان نكون لراع بعده تبعا

قال ابن الرقاع والله ما هكذا قلت يا امير المؤمنين ولكني قلت :

عذنا بذي العرش ان نبقى ونفقدهم   وان نكون لراع بعدهم تبعا

قال او كذلك ؟ قال نعم . فوصله واذن له بالانصراف .

ومن شعره ما يدل على انه كان تياها كثير الاعجاب والذهاب بنفسه قال من قصيدة :

وعلمت حتى ما اسائل واحداً   عن علم واحدة لكي ازدادها

واتفق ان عديا لما انشد الوليد بن عبد الملك القصيدة التي منها هذا البيت كان عنده كثير فلما انشد هذا البيت قال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك امير المؤمنين بان يسألك عن صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فضحك الوليد ومن حضر .

وروي عن محمد بن المنجم أنه قال : ما احد ذكر لي فأحببت ان اراه فاذا رايته امرت بصفعه الا عدي بن الرقاع قيل : ولم ذلك قال لقوله :

وعلمت حتى ما اسائل واحدا   عن علم واحدة لكي ازدادها

فكنت اعرض عليه اصناف العلوم فكلما مر به شيء ولا يحسنه امرت بصفعه .

وقد سماه جرير الشاعر المغرور حين عرض به فقال :

اني اذا الشاعر المغرور جربني   جار لقبر على مران مرموس

ولكنه مع هذا الاعجاب بنفسه لم يقو على مصاولة جرير بل خافه فقد روي أنه

لما اجتمع بجرير عند الوليد بن عبد الملك وهدده جرير بالهجاء وثب عدي إلى رجل الوليد فقبلها وقال اجرني منه ·

وإذا صح أن تكون الصفات التي ينعت بها الشاعر نفسه دليلاً على أخلاقه جاز لنا أن نقول إن عدياً كان جلداً لا يتضعضع لريب الدهر لقوله :

ونكبة لو رمى الرامي بها حجراً أصم من يابس الصوان لانصدعا
أتت عليّ فلم أنزع لها سلبي ولا استكنتُ لها شكوى ولا جزعا

وإنه كان حمولاً على نفسه غير سؤول لقوله :

فسترت عيب معيشتي بتكرمٍ وأبيت في سمة النعيم سدادها

ومهما يكن من مبالغة في هذه الصفات فانها تضرب بعرق إلى الحقيقة في نفس الشاعر · أما هواه السياسي فقد كان مع بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في حياته ؟

يتبع : خليل مردم بك



بحث في اللغة العربية (1)

لا يعرف نواقص لغتنا العربية في هذا العصر إلا من عانى الترجمة منها واليهـا في موضوعات مختلفـة زمناً طويلاً ، خذ ابن الأثير وابدأ بترجمة بعض صحائفه مما يتعلق بالعصر العباسي مثلاً ، فإنك لا تلبث أن تقف حائراً أمام كثير من الألفاظ التي دخلت اللغة بتوسع حضارة العرب ، ولا تجد لتلك الألفاظ أثراً حتى في المطولات كاللسان والتاج ، كأن اللغة عبارة عن الشعر الجاهلي وما رواه الرواة من كلام أهل البادية ، وإن كل ما خرج عن ذلك هو من اللغو الذي لا يلتفت اليه ، أو كأن اللغة جسم مات بعد ذلك الدور فكفن بأكفان تلك الأشعار والألفاظ، ودفن في قبور ضيقة من حديد بلا بعث ولا نشر ؛ وتناول كذلك كتاباً يبحث عن صناعة من الصناعات الحديثة في لغة أخرى وحاول ترجمته الى العربية ، فإنك تقف في ذلك الموقف نفسه وتأخذ منك الحيرة كل مأخذ ، فتتوقف في أكثر المصطلحات ولا تجـد معجماً يهديك إلى ما يقابلها في العربية ، فتضطر أحياناً أن تخلق لها لفظاً من عندك أو أن تفيد معناها بألفاظ عديدة ، والأمر فوضى في يد المترجم وقد يحسن وقد يسيء .

ازداد نمو اللغة العربية بعد دوريها الجاهلي والإسلامي وتوسعت بمـا دخلها من مئات

---

(1) المجمع : كان الاستاذ زكي مغامز عضو مجمعنا العلمي قد أرسل قبيل وفاته هذا البحث إلى المجمع ، فعدَت عوادٍ حالت دون نشره ، واليوم ننشره تجديداً لذكرى فقيدنا الذي كان رحمه الله يحرص على ان ينشر في حياته ، وفيه من الآراء ما لا يوافقه المجمع عليه ، وقد أشير في التعليقات اليه .

الألفاظ الجديدة من أسماء المأكول والمشروب والملبوس والأثاث وتنوع أسباب المعايش ومصطلحات الصناعات والحرف والعلوم الإسلامية والدخيلة ، دع المصطلحات الإدارية والقضائية والعسكرية والمالية التي حدثت بعامل توسع الدولة كما هو معروف ، لان السلف الصالح من العرب قد نقلوا علوم الاوائل إلى لغتهم وتوسعوا فيها بالاختراع والابتكار ، واقتبسوا من الامم التي تقدمتهم في المدنية كل ما ليس عندهم ، وقد كتب علماء العرب كل ذلك في مؤلفات مخلدة ما زالت تشهد لهم بالذكاء المتكامل والجهاد العظيم في سبيل العلم فتوسعوا في اللغة وأفادوا بها كل معنى دخلها ووضعوا لكل علم مصطلحه وجعلوا كل ذلك ملكاً حلالا للغة ، كما توسع الناس من جميع الطبقات في مظاهر العيش وانتشرت بينهم أسباب الرخاء والترف مما لم يكن لهم به عهد في سالف الزمن ، وعينوا لكل شيء ما يميزه من الاسماء والألفاظ وتداولوها في أحاديثهم وكتاباتهم ؛ ولكن علماء اللغة عدوا كل ما لم ينطق به قدماء العرب من الدخيل الركيك ، وجعلوا الاعتداد به عيباً وعاراً ، فخلت المعاجم العربية من هذه الألفاظ وامتلأت بأشياء لا يحتاج اليها الا المتبحرون من علماء اللغة وهم القليل من أفراد الامة ، وبقي السواد الأعظم بلا معجم عام يرجعون اليه في ما يلزمهم فهمه ولا يفهمونه ؛ زد على ذلك افتراق اللغات العامية عن لغة الكتابة في كل صقع وقطر ، بحيث أصبح العربي العامي غريباً عن لغة آبائه وأجداده ، لا يستطيع الإحسان فيها إلا بعد الجهد الكبير ، كأنه يتعلم لغة أجنبية ، وهي مصيبة عظمى لا يعادلها مصيبة ، مني بها العرب في كل مكان وكانت من أكبر عوامل تأخرهم في هذا العصر وفي العصور التي سبقته ، اذ خالفوا السنة المتبعة في لغات سائر الأمم الراقية من وحدة اللغة تكلماً وكتابة . ولا ريب ان رقي تلك الامم كشف عنهم هذه المصيبة بعكس ما هو عندنا فإن في تأخرنا قد عضل هذا الداء وظل أعظم عثرة في سبيل تقدمنا ، ولا يرجى للعرب نجاة من هذه البلية الا ان يبلغوا شأو الامم الراقية في العلوم والترقي فتأتي وحدة اللغة من نفسها .

اللغة ملك للأمة بأسرها لا ملك أفراد معدودين منها ، والحاجة اليها عامة سواء للخواص والعوام ، فكما أن للغة منهجاً شعرياً وأدبياً فكذلك لها أيضاً مناهج كثيرة أخرى تتألف منها أجزاء اللغة ، فلها منهج لمن يقرؤون الحكايات والقصص ، ولها منهج

لارباب العلوم والفنون على تنوعها ، ولها منهج لاهل الصناعات والحرف على اختلافها وكثرتها ، فالنجار مثلا ينبغي ان يرى في فهرست اللغة المتداولة في أيدي الناس (المعجم) جميع حركاته في صناعته وأسامي آلاته وادواته حتى اصغرها وأدقها ، فإن ذلك جزء من اللغة غير خارج عنها ، وهكذا الجزار والطباخ والحوذي والصباغ والحائك والعطار والبقال والبزاز والملاح والحلاق والتاجر والصراف والصحاف والفلاح والحداد والإسكاف والبيطار والحجام والكحال والحجار والصقال والقصار الى ما لا يحصي من الصناعات والحرف القديمة ، فضلاً عما جد من الصناعات العصرية وأهلها ، ومن جملتها الآلات المختلفة الحديثة التي تتحرك بقوة البخار كالقاطرات في سكك الحديد، أو بقوة الكهرباء كالترام الكهربائي او بالمحركات الكهربائية (موتور) على اختلاف أشكالها وقوتها كالسيارات والطيارات والدراجات والغواصات وما شابهها . ان كل ذلك يلزم أن يسمى بأسماء معينة لا يشوبها ظن ولا ريب ويجمعه معجم مختصر مفيد (منقح متناسب متناسق) بأسلوب عملي خال من التعقيد موضح بالصور والمصورات مراعي فيه المنفعة العامة لا براعة اللغويين (ممن يليق ان نسميهم كتاب العصور الوسطى الذين يعيشون في هذا العصر بذلك الرأس) على مثال معجم لاروس الصغير الجامع لكل شيء متصل بالحاجة بعيد عن الزوائد التي لا تمس الحاجة اليها ، وهذا المعجم (أي معجم لاروس) هو مثال ينادي بأن كل أمة لا يكون لها معجم مثل هذا لا يطلق عليها اسم امة راقية .

زارني أحد أصدقائي القدماء ، وهو عربي الأصل ، ولكنه لا يعرف اللغة العربية حق معرفتها لأنه نشأ في المدارس التركية وقضى أوقاته في وظائف الحكومة ولم يشتغل بالعلم بعد المدرسة ، وكأنه قد شعر في الزمن الأخير بأنه أخطأ في إهماله لغة آبائه وأجداده ، فأحب أن يمارس قراءة الكتب العربية تلافياً لما فاته منها ، فسألني عن معجم عربي تسهل مراجعته ولا يمل قارئه بزوائد ليس له حاجة بها ليستعين به على فهم ما يشكل عليه فهمه من ألفاظ اللغة ، وبعد أن أعملت الفكر ونظرت إلى مقدار استعداد صديقي لم أستطع أن أرشده إلا الى (المنجد) ذاك المعجم الصغير المختصر طبع اليسوعيين مع علمي بنقصانه وببعض أغلاط رأيتها فيه من قبيل المصادفة وهي أغلاط

وقعت في بعض أسماء الحيوان والنبات ، وكاتبه معذور في ذلك فإن تلك الأسماء جاءت من معجمات اللغة التي يكثر فيها الاكتفاء بقول (اسم حيوان) أو (اسم نبات) بلا تعيين وإيضاح فاضطر المؤلف إلى تعيين أسماء وصور لمسميات أخرى ؛ والسبب في اختياري (المنجد) على سواه هو علمي بأن صديقي لم يعتد إلا مراجعة المعاجم الفرنسوية أو التركية السهلة الخالية من الزوائد وليس له جلد على قراءة صحيفة أو صحيفتين للوصول إلى الكلمة التي يريدها كما هو الحال في محيط المحيط واللسان والتاج والقاموس ، وهو فوق ذلك لا يعرف تجريد الكلمات إلى الثلاثي أو الرباعي ليهتدي إلى أماكنها ، والمجرد هو العمدة في معاجم لغة العرب كما هو معلوم ، وهو بالطبع يجهل تماماً البحث عن الألفاظ بأحرفها الأخيرة كما في اللسان والتاج والقاموس وسائر المعاجم القديمة ، بل يضيق صدره إذا رأى أقرب الموارد وهو من أحدث المعاجم وأجودها طبعاً وورقاً وأحرفاً يتألف من ثلاث مجلدات ضخمة يزيد على حالة المبتدئ والمتوسط ولا يغني المنتهي اللغوي الجشع ، وهو أيضاً عمدته الثلاثي والرباعي المجردان لا أحرف الالفاظ كما هي الحال في معاجم اللغات الأخرى ، وكل فضيلة في هذا المعجم هي في حسن الترتيب والتنسيق في الكلمات وحذف الألفاظ المستهجنة التي لا توافق هذا العصر ، وقد أوصيت صديقي بأن يقتني أيضاً المعجم الفرنسوي طبع اليسوعيين من الفرنسوية إلى العربية ، ومن العربية إلى الفرنسوية ، حتى إذا أشكل عليه فهم كلمة راجعها في هذين المعجمين [1] ولا يستغني عن معجم لاروس الصغير فإن ذلك يتلافى ما لا يراه في هذين المعجمين وينفعه كثيراً ، لأني فرضت أن حالة صديقي تعادل حالة تلميذ في مدرسة عربية متوسطة ولا يجوز تحميله أشياء فوق طاقته .

وهنا لا بد لي من أن أعترف بحقيقة لازمتني في حياتي العلمية في كتابة الجرائد والترجمة وهي أني لم أستفد من اللسان والتاج الا نادراً ، بل اني ما زلت في عجب

---

(١) كل هذه المعاجم هي معاجم ناقصة ابتدائية لا تفي بالحاجة الا أنها تصلح أن تكون أساساً لمعاجم أكمل منها تكتب بعدها .

عجيب[1] أن يبقى العرب محتاجين في هذا العصر الى مراجعة معاجم كتبت قبل مئات من السنين، وهذا يكفي وحده للدلالة على أنهم مازالوا يعيشون في تلك العصور القديمة ولا يعلمون ان حق هذه الكتب ان تحفظ في المتاحف كالمتحجرات القديمة ، وان حقهم في هذا العصر أن يكون لهم معاجم عصرية راقية ؛ ولكني قد استفدت كثيراً من محيط المحيط وترجمة الفيروزابادي في التركية ، لاحتواء الاول على ألفاظ دخيلة لا غنى عنها في مطالعة الكتب العلمية العربية ، وعلى بعض فوائد خارجة عن موضوع المعجم اللغوي ، علمها المؤلف في أثناء مطالعة الكتب الاخرى فأضافها الى معجمه عند تأليفه وقد أحسن عملا وأفاد ، ولولا ذلك لما كان حوى هذا المعجم فضلا يمتاز به على غيره ، إلا ما كان من تسهيل المراجعة بالحرف الاول من الالفاظ؛ اما ترجمة قاموس الفيروزابادي فقد أضاف المترجم خلال الترجمة الى الاصل أشياء ذات فائدة لا تنكر، وعين لبعض الاسماء مسمياتها بالتركية ، مما دل على غزارة علمه وكفايته لمثل هذه الترجمة ، وكل ذلك جاء فيه بوضوح تام بحيث أصبحت الترجمة احسن من الأصل واوسع مادة واصح قولا لمن يعرف التركية ؛ ولو استطاع أحد الكتاب العصريين أن يجرد من هذه الترجمة الاصل العربي ، ويعتمد على ما يقابلها في التركية من الالفاظ ، وينسقها في صورة معجم عصري ، لتألف من ذلك احسن معجم كتب بالتركية للتركية حتى الآن ، لان هذه الالفاظ مازالت مستعملة في معظم أنحاء الاناضول وشتان بينهـا وبين ما يتشدق به بعضهم من الالفاظ الطورانية القديمة التي تذهب هباء بعد وضعهـا ولا يستعملها الآتي بها الا مرة ، فجامع الفاظ قاموس الفيروزابادي بالتركية قد ضم الالفاظ التركية الصحيحة المستعملة .

وكذلك استفدت من المعاجم الفرنسوية لليسوعيين ومعاجم شمس الدين سامي بك بالفرنسوية وبالتركية ، فكنت كلما اشتبهت بلفظ من الالفاظ أبحث عما يقابله في احدى الثلاث اللغات التي أعرفها العربية والفرنسوية والتركية،فأهتدي الى ما يلزمني في الكتابة

---

(١) المجمع : وهذا رأي غريب ، فان من ينقر عن ألفاظ المصطلحات العلمية ، والذي يكتب في موضوعات علمية يحتاجان الى المعاجم القديمة ابداً .

والترجمة بفضل مثل هذه المقابلة والتحقيق ، وما ذلك الا لان هذه المعاجم مكتوبة على نمط عصري،ويكفي ان يراجع الانسان الكلمة التي يريدها ليجدها بسرعة ولا يضيع الوقت عبثاً ، وقد ضاق الوقت في هذا الزمان بحيث لا يستطيع الانسان اضاعته في غير محله ؛ ومن الفوائد التي وجدتها في المعجم التركي لشمس الدين سامي بك إشارته الى أصول بعض الالفاظ الدخيلة العربية وخصوصاً الالفاظ التي عربها العرب من اليونانية والفارسية والعبرانية والسريانية وتثبيته الاصول بأحرف اللغات التي نقلت منها لان المؤلف كان له المام بلغات عديدة ،وهذا لم يفعل مثله مؤلفو المعاجم قديماً وحديثاً ، وكل ما أشاروا اليه في بعض ألفاظ دخيلة اكتفاؤهم بقولهم انها من الدخيل فقط غير مصرحين باللغات التي جاء منها اللفظ الدخيل ، وهذا يؤيد ما روي من القول عن احد كبار الاساتذة المحدثين في احدى المقالات التي نشرت في مجلة مجمعنا العلمي من انه يجب على الذين يشتغلون بعلوم اللغة العربية أن يكون لهم المام باللغات اليونانية والعبرانية والسريانية والفارسية والحبشية والمصرية القديمة والحميرية الخ لان هذه اللغات كان لها تأثير كبير في العربية سواء في دورها القديم اوفيما بعده .

وليست غايتي مما تقدم من القول ان أنتقد المعاجم او أمدحها ، أو أن اطلب للغة العربية معجماً راقياً مثل قاموس لاروس الصغير ، وأعيب على العرب تأخرهم وعجزهم عن ذلك ، لان معجم لاروس هو نتيجة رقي تلك اللغة وتفوق أهلها على العرب زمناً لا يقل عن قرن أو قرنين ، وليس للعرب لغة مترقية مثل تلك اللغة ، ولا علماء قديرون مثل أولئك العلماء ، ولا أحرف ومطابع وطابعون مثل أحرفهم ومطابعهم وطابعي الكتب عندهم، ولا رواج للعلم عند العرب كالرواج الذي عند اولئك ، فمعجم لاروس مثلا يباع منه في السنة مئات الالوف ، وكلما مر على طبع الكتاب برهة من الزمن يضيفون اليه ما جد في اللغة ، ويكررون طبعه في شكل أحسن واكمل بأحرف جديدة وطبع نظيف متقن ، والطابع عندهم يستورد رأس مال الكتب التي يطبعها في سنة او سنتين فيطبع غيرها ، هكذا تنمو وتزداد مطبوعاتهم على عكس ما في بلاد الشرق القريب ،فان المعجم او الكتب العلمية الاخرى التي تطبع فيها قد لا يستوفي طابعها رأس المال الذي وضعه إلا بعد عشر سنين أو عشرين سنة ، وقد لا يستوفيه بعد خمسين سنة ، وما ذلك إلا

لقلة ميل الناس للعلوم ولا سيما النافعة منها ، وهناك بون شاسع بين حروفهم وحروف العربية ، وإذا شئت أن تعلم ذاك الفرق العظيم فخذ صحيفة من صحائف معجم لاروس وترجم ما فيه الى العربية ، واجمعه بأحرف مطبعية ، واطبعه فانك ترى الصحيفة أصبحت أربع صحـائف ، وذلك لان احرفهم صغيرة لا تشغل محلاً كبيراً من الورق ، وهي جميلة جيدة لانها تتجدد في كل وقت ، وحالتهم الاقتصـادية تسمح لهم بالتجديد والتحسين على الايام ، وبالجري على ما يقضي به الزمان والحـاجة ، وهذا ما لم يسمح به الزمان للعرب ولا لطابعي كتبهم الى اليوم ، ولذلك ترى معظم الجرائد السورية والمجموعات والكتب التي تطبع في بلاد الشام في منتهى التأخر والقبح من حيث أحرفهـا القديمة المكسرة وجمع الاحرف على غير قاعدة علمية وطبعها بشكل وسخ وبلا قياس (عيار) منتظم بين الصحائف ولا سيما الصفحة الاخرى التي في ظهرها ؛ وهذا يقال عن الاكثرية ، ولكن هناك مطابع قد اتقنت صناعة الطبع بما في وسع الاحرف العربية من إمكان الاتقان كالمطبعة التي طبعت (مجمع اللآل) الاحدب وهي مطبعة فذة في بابها ، ليس لها ما يعادلها في بلاد الشام ولا في غيرها من البلاد العربية الاخرى أو غير العربية ، ولا بأس ببعض مطابع مصر وإن كانت لم تبلغ مدى مطبعة مجمع اللآل[1] ، ولكن محاسن الطباعة العربية ضئيلة أمام أكثرية في منتهى التأخر ، وما زلت أتعجب والترك يضحكون من طبع معظم الجرائد المصرية بأحرف كبيرة من نوع ٢٤ بنطاً ، وجرائد أمم الغرب تسعى لتصغير أحرفها حرصاً على تزييد المادة الفكرية بما يتسع لها من المجال من صغر الاحرف ، ويكفي أن يلقي الانسان نظرة الى الانسيكلوبيدية الانكليزية المطبوعة بأحرف دقيقة على ورق رقيق لا يتمزق بسهولة ليرى الفرق بين مطبوعات الامم الراقية ومطبوعاتنا المتأخرة ويعلم سر تفوق تلك الامم وقوتها وسيطرتها ؛ وهذا يجوز لي أن أذكر السبب الاساسي الذي جعل الترك يتركون الاحرف العربية ويستبدلونهـا بالاحرف اللاتينية ، والسبب الحقيقي ليس افتراق العرب فقط عن الترك كما يظن بعضهم ، ولا عداؤهم للعرب فقط بعث بهم الى هذا التبديل ، بل ان القضية اجتماعية وتاريخية ، لا مسألة عواطف وغضب ، فان الترك لما رأوا تقدم امم الغرب اقدموا على إصلاح الاحرف

(١) أما اليوم ففي مصر مطابع تفوق مطبعة الآل في الاتقان والجمال .

العربية بكل ما لديهم من الجهد والغيرة ، وهم الذين خدموا الخط العربي عصوراً طويلة خدمة لا ينكرها عليهم احد ، والمصاحف التي كتبها خطاطو الترك المتداولة والمخطوطات المحفوظة تشهد لاولئك الخطاطين بالفضل الكبير على هذا الخط ، ولكن كلما كان النابغون من الترك يتقدمون خطوة في سبيل ترقية الطباعة بالاحرف العربية كانت الموانع الكامنة في اشكال الخط العربي ككتابة الاحرف بعضها فوق بعض واتصال بعضها ببعض والنقط والحركات ترجعهم الى الوراء خطوات ؛ ومن المعلوم ان اللغة التركية ليس فيها بعض الاحرف العربية كالثاء والحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والقاف والواء (بتلفظها العربي) فكانوا يستعملون هذه الاحرف على الاغلب في الكلمات العربية ولا يتلفظون بها كما يتلفظ بها العرب ، وكانوا يضيفون الى الاحرف العربية الباء المثلثة والجيم المثلثة والزاي المثلثة والكاف الفارسية والكاف الصامتة التركية لتأدية بعض الالفاظ التركية والالفاظ الفارسية المستعملة في اللغة التركية ؛ وقد بلغ عدد اشكال الاحرف العربية ـ التركية في صفات المطابع خمسة وثمانين شكلا على النمط البسيط ، وبلغ عدد أشكال الصفة الكاملة الجامعة للاحرف الهوائية أيضاً مائة وعشرين شكلا ، ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت لجامعي الحروف ، وقد أرادوا الكتابة بآلات الكتابة الحديثة كما يفعل الغربيون حتى الروم والارمن من الامم المحكومة الشرقية فلم ينجحوا ، لكثرة الاحرف وقبح منظرها كلما قل عددها ، فضلا عن الصعوبة التي يصادفها العامل على الآلة ، ثم ارادوا ايضاً جمع الاحرف المطبعية بالآلات المستعملة في اوربا بعد اقتنائهم آلات الطبع السريعة العمل (روتاتيف) وتفرغ لهذا الامر بعض جامعي الاحرف وسافروا الى لوندرة وقضوا فيها زمناً طويلا في صب الحرف العربي وترتيبه على الآلة والتمرن عليه ، ثم عادوا واشترت المطبعة العامرة (التي أصبح اسمها الآن مطبعة الدولة) آلتين من هذا النوع تتحرك كانت بالكهرباء حتى اذا نجحتا يقتني أصحاب الجرائد والمطابع مثلهما تخفيفاً للنفقات الكبيرة التي يدفعها أصحاب الجرائد والمطابع أجرة الى جامعي الأحرف ، لان أعظم نفقة في الجرائد كانت أجرة جامعي الأحرف ، وكانت حملا ثقيلا عجز أكثر أصحاب الجرائد عن تحمله ، والجامع الواحد على آلة الجمع يستطيع أن يقوم بعمل ستة من الجامعين ؛ ويصب الأحرف صباً

كما جمعها فتكون أحرفاً جديدة وتطبع الجريدة بها قطعة واحدة أو بعض قطع بشكل نظيف وطبع متقن • ثم تذاب بعد انتهاء الطبع ولا يتحمل صاحب الجريدة الخسارة التي تأتي من كثرة استعمال الأحرف وعتقها وتجديدها من آن لاخر ؛ ولكن هذه التجربة أيضاً لم تأت بفائدة فان الآلتين كانتا لا تجمعان الاحرف بسرعة ، و كانتا في كل يوم تتعطلان فيقف الجامعون بلا عمل إلى حين إصلاحهما ، و كانت الاحرف التي تجمع بواسطة الآلة مختصرة بعض الاختصار من حيث الخط كما هي الحالة في آلة الكتابة ، فما كان يستحسنها الناظر اليها لنقصها عن حسن الاحرف التي تجمع باليد ، فلما تحقق عدم إمكان استعمال هذه الآلة بالاحرف العربية تركها أصحابها وذهبت النفقات هباء منثوراً • ثم توسلت العسكرية قبل الحرب العالمية للكتابة بالاحرف منفصلة بلا وصل بينها ، فحدث من جراء ذلك فوضى لم يعهد الناس مثلها في الجندية ، فعدل المبتدعون عن بدعتهم وعادت الامور الى ما كانت عليه قبلا ؛ ولكن بقي النشء الجديد من الاتراك يتذمرون من الاحرف العربية وعدم قابليتها للاصلاح ، و كانوا كلما نظروا الى تقدم الغرب ازداد حنقهم على الاحرف العربية وعداؤهم لها ، ومما زاد نفورهم من الاحرف العربية والالفاظ العربية المستعملة في اللغة التركية هو ان اكثر النشء الجديد التركي انصب على تعلم اللغات الغربية منذ اكثر من أربعين سنة وضاق الوقت أمامه عن تعلم اللغة العربية بعكس ما كان في القديم ، بل صعب عليه تعلم القواعد العربية الواردة في الصرف التركي فبقي يجهلها وأصبح يكتب لغته ويكثر من الاغلاط القبيحة فيها ، و كان هذا يأتي بالشديد من انتقاد المتضلعين في اللغة فنشأ من ذلك حزبان حزب المحافظين وحزب المجددين ، واتصلت بينهما المناقشات عهداً طويلا حتى كان الظفر في نهاية الامر للحزب الثاني مع ارتكابه الغلط وجهله بآداب اللغة ، لان الزمان كان في عونه ، كما ان حزب تحرير المرأة قد فاز وحزب المحافظة على الحجاب قد انخذل ، وليس الفضل في الظافرين الا للحاجة ودواعي الزمان لا سعي الساعين فقط ؛ ولما انتهت الحرب العالمية بافتراق العرب عن الترك وأحرز الكماليون بعد ذلك الظفر على اليونان ، وقضوا على مطامع الغرب كما يقولون ، ولم يبق لهم في البلاد معارض من الحزب القديم ولا وجل من العرب الذين كان لهم اكبر تأثير في الشؤون الاسلامية ، تولى الغازي مصطفى كمال

باشا قيادة الثورة الادبية التي قام بها النشء الجديد التركي ، وأعلن إبطال الأحرف العربية ، واستعمال الاحرف اللاتينية في محلها ، وهي فكرة قد جاءت بتأثيرها ، بعدما اختمرت أحقاباً طويلة كما مر ، ولا يتحقق الشيء إلا بعد أن تتهيأ أسبابه ، وعلى ذلك أحضر الناس والحكومة من أوربة عشرات الالوف من آلات الكتابة بالاحرف اللاتينية ، وعم استعمالها في مصالح الحكومة ومكاتب المحامين وبيوت التجارة وإدارات الجرائد ، بحيث انك لا ترى بعد هذا الانقلاب محلا خالياً من هذه الآلات ، وأعظم المولعين بهذه الالات اليوم هم الشبان والاولاد والفتيات خصوصاً العاجزين منهم عن حسن الخط والكتابة بلا غلط ، وقد أحضر بعض أصحاب الجرائد آلات جمع الأحرف ، وأخذوا يجمعون أحرف جرائدهم بهذه الالات ، ومن يمر بجادة الباب العالي (وهي جادة أنقرة الآن) يرَ صفحة أو مجموعة جريدة (مليث) معروضة على أنظار العابرين ، وفيها ثلاث أو أربع آلات كبيرة وأمام كل آلة جامع يجمع الاحرف وهو قاعد على مقعد كأنه يكتب على آلة الكتابة ، ومثل هذا الانقلاب العظيم لا يقال عنه انه خطوة الى الامام بل هو من قبيل الطيران المحلق في الجو المجهول العاقبة الذي لم يسبق له أمثال في التاريخ منذ ظهور الكتابة في دور العمران البشري . ولم يذكر لنا التاريخ ان أمة ذات لغة وكتابة قطعت مراحل كثيرة في العلوم والأدب كالامة التركية أبدلت فجأة أحرفها بأحرف أخرى ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يتنبأ منذ الآن بما عسى أن تكون نتيجة هذا الانقلاب ، هل تكون خيراً أم شراً ؛ ولكن النشء الجديدالتركي يرى أن لا إمكان لتأورب الترك (أي أن ينقلبوا أوربيين) وتقدمهم في العلوم والتمدن ولحوقهم أمم الغرب المترقية الا بهذا الانقلاب ، فاما أن تعيش أمتهم في مصاف تلك الامم ، واما أن يفعل الله بها ما يشاء ؛ وعندهم أن الانتحار أفضل من أن تعيش أمتهم مصابة بأدواء عضالة قديمة لاتستطيع النهوض منها، من جملتها الاحرف العربية المخالفة لفن الكتابة والطباعة العصري ، وتسلط اللغة العربية على لغتهم ، والعرب متأخرون في كل مكان ، ولم يبق للترك منفعة من اهتمامهم باللغة العربية ولا بالعرب ، بل لا يكون لهم من التصاقهم بالعرب الا التأخر والسقوط .

هذا ما يقوله شبان الترك ، والمنصف الذي يأخذ الامور على حقائقها يرى أن

الباعث للترك الى تغيير أحرفهم واستبدالها بالاحرف اللاتينية ليس الا يأسهم من ماض طال عهده ولم يأت بالتقدم الذي يطلبه العصر ؛ وهم غيورون على استقلالهم ، فرأوا أنهم اذا لم يتشبهوا بالغرب وترقيه ضاع منهم الملك والاستقلال ضياعاً لا يمكن تداركه ، وما أصاب البلاد الاسلامية في كل مكان من الاسر والرق والعبودية كان لهم أكبر عبرة اعتبروا به ، فهجروا القديم من قوانين وعادات ومعيشة وعلم وأدب ، ولبسوا الجديد من الأساليب العصرية ، وهم دائبون في هذه الطريق ، والغاية التجرد من التشرق ، والتأورب في كل شيء ، وقد يبلغون غايتهم عاجلا او آجلا ما لم تحدث أمور عظيمة غير منتظرة كظهور حرب عالمية في وقت قريب واشتراك تركية بها ، ومهما يكن من الامر فانهم فرحون بما فعلوا ويفعلون وتسليتهم في ذلك انهم فعلوا الممكن واجروا الواجب عليهم امام التيار الجارف الناشئ عن ترقي امم الغرب .

إن غايتي من هذا البحث هي لفت أنظار العرب ولاسيما أرباب الاقلام منهم الى ما يحتاجون اليه من نهضة سريعة عصرية في اللغة ووسائطها ، لان اللغة هي آلة الترقي والتقدم وعجزها ونقصانها يوجب العجز والنقصان في جميع اسباب الترقي والتقدم ، وقد التزمت تطويل البحث تعمداً وتوسعت في البحث كثيراً ، والرائد الاصلي هو الترقي في العلوم العصرية حتى تترقى اللغة ويشمل الترقي كل شيء ، وهذا لا يكون الا بمتابعة الامم الراقية في العصر الحاضر التي بلغت في التقدم شأواً لم يبلغه احد قبلها لا من العرب ولا من غير العرب متابعة بلا تردد ولا توقف ولا مناقشة ولا مكابرة .

وها انا اذكر باختصار آرائي فيما يتعلق باللغة العربية ولا ادعي العصمة والصواب ؛ ولكني اعتقد ان الصواب ليس بعيداً عما اقول ، واني اقوم بواجب وجداني للامة العربية باختياري اللهجة الواضحة في اقوالي ، ولا يهمني ان رضي بعضهم او سخط آخر ، فان الزمان أصبح شديد الوطأة لا يهمل ولا يمهل ، وكفى ما افتخرنا به من المكابرة والجهل والرياء الذي موّه به ، ومازال يتاجر به كثير من كتاب الغرب الذين يستثمرون الغفلة المستولية على الامة العربية في كل مكان ، واول ما اقول هو ما يقوله الترك لامتهم : يجب الخروج من الحالة الشرقية والتأورب في كل شيء ، واليك التفصيل بالبيان الصريح :

اولا ـ يجب ترك [1] جميع الكتب التي الفها العرب او ترجموها في عصورهم القديمة وحفظها في دور الكتب ككتب تاريخية في العلوم القديمة يطالعها من يشاء من المتبحرين في تاريخ تلك العلوم ، وعدم طبعها وتداولها بعد الآن ، كما يفعل علماء المشرقيات في الغرب بأمثالها ، فهذه الكتب ألفت لزمان انقضى وجيل مضى ولهجتها لهجة ذاك الزمان ، وكانت مفيدة يتداولها الناس في ذلك الزمان القديم ، اذ كانت جامعة لمنتهى ما وصل اليه الناس من العلوم ؛ ولكنها اليوم أصبحت ضارة اذا أضاع الناس أوقاتهم بمطالعتها وحصروا أذهانهم بما توحيه اليهم من تأثير قهقرى وضيق فكر وتأخر وخذلان ، لان العلوم قد ترقت وتبدلت وبعدت عن تلك الدائرة بعداً شاسعاً ، فابن هذا العصر لا يتغذى بمثل ذلك الغذاء ، فاذا تغذى به قتلت ذاكرته وعميت بصيرته ؛ ولا استثني منها كتاباً حتى كتب التاريخ والادب ؛ وعلى طابعي الكتب العربية أن يطبعوا الكتب العصرية من نتائج الترقي الحاضر ، ولاسيما الترجمة الصحيحة الجيدة منها التي تجعل قارئها ابن العصر الحاضر بدلا من طبع الكتب القديمة التي تجر بقارئها الى العلم الابتدائي الخاص بالعصور الوسطى وبذلك تزداد المادة العصرية ويقف تيار التقهقر الذي مازال يجرف تقدم الامة العربية .

ثانيا ـ تحويل اللغة العربية الى شكل بسيط سهل الفهم ، سهل الكتابة ، مع عدم الاخلال باساس اللغة ، ومن حظ العرب أن الزمان قد نسج هذا النسيج ونمت اللغة البسيطة نمواً طبيعياً ، وهي لغة الجرائد ولغة بعض الكتاب والمؤلفين الذين ينظرون الى المعاني لا الى الالفاظ ، فترى عباراتهم سلسة لا يحتاج قارئها الى قراءتها ثانيا وثالثا ليتمكن من فهم المعنى ، الا أنك ترى من جهة أخرى أنه ما زال كثير

(١) المجمع . — هذا رأي مضر كل الضرر . افكان يظن الكاتب ان الامة العربية يمكنها التخلي عن تلك الثروة ، او ان الانكليز والفرنسيين مثلا يمكنهم التخلي عن الثروة التي تركها لهم كتابهم في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر لا في الآداب فحسب بل في أسس العلوم الحاضرة ؟

ومن قال له إننا لا نطبع كتباً في العلوم الحديثة وهل يظن أن هذه تغني عن كتبنا القديمة ولاسيما الادبية منها ، فما هذا الرأي ؟

من كتاب العربية وأدبائها يتوخون في الكتابة الجمل المغلقة والالفاظ المهجورة أو شبه المهجورة اظهاراً لبراعة الانشاء ، فتأتي كتاباتهم عبارة عن الفاظ بلا معنى وجعجعة بلا طحن ، وسبب طبي عدم الاخلال باساس اللغة هو ان المتكلمين بالعربية منتشرون في ممالك مختلفة ، وكل مملكة بل كل بلد منها له لغة عامية تختلف عن الاخرى ، ولا قياس أو معادلة بين ترقي مكان منها وترقي المكان الآخر، والكل في تأخر وتدني مختلف الدرجات بالنظر الى ترقي حضارة العصر الحاضر ، ولا يوجد بين هذه الممالك الشاسعة الاطراف جامعة أو رابطة الا جامعة اللغة التي احتفظ بها السلف الكريم وتركوها خير ذخر للخلف واكرم تراث ورثناه عنهم ، ولكن الضغط الاتي من رجحان كفة الغربيين أخل بتوازن الحالة الاجتماعية في الشرق وكان له تأثير كبير في كل شيء ، حتى في اللغة فلم تسلم منه، وهل اللغة غير شيء من الحياة الاجتماعية للامة تعلو باعتلاء حضارة الامة وتتأخر بتأخرها ؟ وكان من جملة التأثير الذي أصاب اللغة العربية محاولة بعضهم اقامة اللغة العامية محل لغة الكتابة التي بقيت واحدة عند العرب مهما اختلفت المذاهب والديار بينهم ، وما تولد مثل هذه الاراء الا أمر طبيعي لا يستغرب ظهوره ما دامت اللغات العامية في كل قطر غير لغة القطر الآخر وغير لغة الكتابة ، فالمحاولون لمثل هذه البدعة قد يجدون استعداداً واسعاً إذا لم يتدارك امره الغيورون على الجامعة العربية ولذلك أرى من الضروري تقريب لغة الكتابة من أذهان العوام ، وهذا لا يكون الا بجعل لغة الكتابة بسيطة سهلة القواعد لاتحتوي إلا على الالفاظ التي يحتاج اليها الكاتب العملي وترك الزوائد التي أهملها الزمان .

ثالثاً ـ لاجل الوصول الى ذلك يجب اصلاح معاجم اللغة وكتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان ونشر القراءة بين أعلى الطبقات وادناها ، ويقوم اصلاح المعاجم بحذف جميع الالفاظ والمعاني القبيحة والمشتقات التي لم يستعملها السلف الا نادراً ، وهي كثيرة جداً فانك لا تجد اصلا من الثلاثي أو الرباعي ولا من مزيداتهما الا وترى فيه معنى أو معاني كثيرة تدل على العلاقة الجنسية أو ما شابهها ، ومثل هذا لا تراه في معاجم اللغات الاخرى ، وكذلك ترى كثيراً من الالفاظ قد ملأت المعاجم ، ولم يستعملها الا شاعر جاهلي ، أو جاءت في ضرب مثل أو غيره نقل عن البادية ولم

ولم يستعمله الناس الا في الكتب ، فهذه الالفاظ يجب حذفها أيضاً ، وهكذا يجب حذف كثير من الفاظ أهل البادية التي أصبح أهل البادية أنفسهم يجهلونها ولا يتكلمون بها ولم يعد لها فائدة الا تسويد بطون الاوراق عبثا وتشويش الاذهان بمطالعتها . كل ذلك مما يجب حذفه وتجريد معاجم اللغة منه ، وبذلك يخف عن اللغة نصف الحمل وتبقى الالفاظ اللازمة للغة هذا العصر ، ومن شاء أن يتوسع في علم اللغة ويطالع أشعار أهل الجاهلية وما كتبه أئمة اللغة وفحول الشعراء والبلغاء (أصحاب المقامات العجيبة الشكل والمعنى) فلا يصعب عليه مراجعة المعاجم وكتب اللغة التي كتبت في تلك العصور لاهل ذاك الزمان ، ولا تجد في العرب واحداً في الالف يميل الى هذا التوسع ، ولا يهمنا هذا العدد القليل بل يهمنا التسعمائة والتسعة والتسعون ، وهم ركن الامة ، ومتى انطوت تلك الالفاظ وفرغ مكانها يجب ملؤه أو ملء قسم منه بما دخل اللغة من الفاظ جديدة كالطيارة والسيارة والدراجة والمنطاد والمدفع والبندقية والكهرباء والبرق والهاتف والقطار والمحطة والمطار والمعمل (فابريكة) والمصحة (كلينيك) والمشرحة والباخرة والبارجة والمدرعة والطرادة والغطاسة والغواصة والمرجل والرفاس والقذافة والشاحنة والقاطرة والمنطاد المسير (ديريجابل) والحفلة الساهرة وكثير من أمثال هذه الالفاظ التي دخلت اللغة وثبتت لسهولة استعمالها وشدة الحاجة اليها . وسيدخل اللغة مئات اخرى من أمثال هذه الالفاظ بعامل الرقي الحاضر ، وهذا غير ما دخل ويدخل اللغة عن طريق الاقتباس والتعريب كالميكروب [1] ورسم الكروكي وغاز الكبريتيك والتحليل البكتريولوجي والتيفوس الطفحي والملارية والحمى التيفوئيدية والدفتريا (الخناق) والانفلونزة والتيتانوس والدوسنطارية والبالة والبلاج والكازينو والروليت والترام والكوبون والبترول والترانسيت وكثير غيرها من الاسماء والمصطلحات

(١) المجمع : قد وضع لاكثر هذه الالفاظ اسماء عربية غم استعمالها كالتحليل الجراثيمي والكزاز (التتانوس) والارومة (الكوبون) والنفط (اسم عربي قديم للبترول) ومن هذه الاسماء الاعجمية ما يمكن تعريبه كالترام (للتراموای) والراد (للراديو) والبت في ذلك لمجمعي اللغة العربية في الشام ومصر .

في سائر العلوم والحرف والاشياء التي اكتشف العلم والحضارة مسمياتها في العصور الاخيرة ولم تكن معروفة عند العرب ، وسيدخل اللغة الفاظ اخرى من صفات وافعال واسماء لتأدية المعاني التي تنقل من اللغات الاخرى ولا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية كتعريب السلف عن الفارسية (تازه) بلفظ طازج و (ساده) بلفظ (ساذج) وغيرهما من الالفاظ ، ولا يعرف حاجة اللغة لمثل ذلك الا من عانى الترجمة من اللغات الاخرى .

وبمثل هذا التكمل والانقلاب يمكن تحويل اللغة العربية الى لغة عصرية جامعة لما كان وما يكون في السماء وفي الارض ، ويمكن وضع معجم عصري على مثال لاروس يتكامل مع الزمان ؛ ويجب قبل كل شيء تحرير اللغة من عبوديتها البدوية وترك الحكم فيها لعوامل التمدن الحاضر ؛ اما كتب الصرف والنحو والقراءة والانشاء والبيان فينبغي ايضاً أن نأخذ فيها مأخذ كتب اللغة ، فالقواعد يجب أن توضع للالفاظ المستعملة والامثال يجب أن تؤخذ من الكلام الشائع بين الناس لا أن يؤتى بكل ما نطق العرب به ويوضع له قواعد ويؤخذ مثالا لها كما هو الواقع في كتب الصرف والنحو عند العرب . وأمامنا أمم قد اعتلت علواً كبيراً في سماء التمدن الحاضر وعلوها هذا قد شمل جميع وسائل الحياة العلمية ، فينبغي أن نجعل كتبنا في الصرف والنحو والانشاء والبيان وأشكال التعليم والتدريس قدوة لنا ، وان نأخذ الامثلة من أقوالنا المصرية المشبعة بما وصل اليه الترقي الحديث ، لا ان نقلد القديم وننقل القديم الذي لا يلائم هذا العصر ونحن في غفلة لا ننتبه منها .

رابعاً – التسامح في توسيع المجاز عند ايجاد ما يقابل الالفاظ الجديدة ، على شرط أن تكون الالفاظ معروفة لا مهجورة ليسهل قبولها واستعمالها والا فانها تذهب عبثاً ؛ وينبغي منذ الآن التسليم بأننا مهما اجتهدنا وبالغنا في البحث والتنقيب فاننا لا نستطيع أن نجد لكل شيء حديث اسماً في العربية يميزه عن غيره ، ولذلك لا بد من تعريب كثير من الالفاظ الاجنبية وادخالها في اللغة ، واضرب لذلك مثالا صغيراً وهو اننا قد اطلقنا اسم (سيارة) للاوتوموبيل ولكن للسيارة انواع وكل منها له اسم مخصوص وهذا فضلا على الكاميون والكاميونيت والاوتوكار ، فكل هذه الاسماء تحتاج الى ما يقابلها في اللغة العربية ، ولو اردنا ان نجمع هذه الالفاظ من كل مبتكر حديث لبلغ عددها

الالوف . ولذلك لا بد من تعريب أكثر هذه الألفاظ الحديثة ، إذ ليس في الامكان ايجاد ألفاظ عربية لها كلها ؛ ومتى عربناها دخلت في ألفاظ اللغة ودواوينها

خامساً ـ أرى أنه لا بد من ضم اربعة أحرف الى الالف باء العربية وهي الباء المثلثة والجيم المثلثة والكاف الفارسية واستعمال الغين والواو والهاء في الاسماء الخاصة الاجنبية في محل G و V و E مع إثبات حروف الحركات ، وبذلك يمكن التلفظ بتلك الالفاظ كما هي في أصولها وحفظها من المسخ والتحريف الذي يطرأ عليها من التعريب ، فلا تصبح مشكلة يصعب معرفة أصلها كما هي الحالة في كثير من المعربات ، يجب أن يكتب پيەر في محل بيار أو بيير ، وبوانكاره في محل بوانكاري ، ووپانه محل فينا ، وويكتور هوغو في محل فيكتور هيكو ، وبورتوآلله غرو محل بورتواليغرو ، ودانته في محل دانتي ، وچاپلي في محل جابي أو شابي ، ومارسيليه في محل مرسيلية وهكذا في جميع الاعلام نتابع فيها تلفظ الاصل .

سادساً ـ إصلاح الشعر العربي بتحريره من اللهجة البدوية والفاظ البادية والتوسع في الاوزان والقوافي وترك الالفاظ المهجورة التي يستعملها الشعراء اضطراراً لضيق الوزن والقافية ، ولا يفهمها من يقرأ تلك الاشعار الا بعد مراجعة المعاجم وضياع لذة الشعر ، فقد وضع اهل الجاهلية هذه الاوزان والقوافي ومعاني البادية قبل عهد لا يقل عن الف وخمسمائة سنة ، وكانت متناسبة مع عصرهم وكانوا الموجدين المبدعين فيها ، فهم آباء الشعر العربي كما ان بقراط كان ابا الطب وهيرودوت أبا التاريخ ، وقد انقضى عهد الجاهلية وخلقنا في عصر لا شبه بينه وبين العصور القديمة ، فكما ان كل شيء توسع وتكمل تابعاً للترقي الحاضر فكذلك لابد من توسيع نطاق الشعر وجعله ملائماً لحاجة هذا العصر .

سابعاً ـ اني ألفت النظر الى الموسيقى الغربية لانها الموسيقى الملمية التي لا بد لكل أمة تطلب الحياة أن تقتبسها ، ولا يجسر أحد على التنبؤ بأن العرب سيبقون في تأخرهم الحاضر ولا يتأوربون ، ولا يشتد ساعدهم فيجارون حملة الحضارة في الامم الحاضرة ؛ بل أقول إنه لا بد من أن يأتي يوم قريب أو بعيد ينظم فيه شعراء العرب الوقائع المرسحية على شكل اوپيره او اوپيريت ، وتقوم جوقة من

العرب تترنم بهذه الأشعار ، وكل صوت له نغمته الموسيقية تحت قيادة مؤلفة من خمسين أو ستين موسيقياً ؟ وليست القضية الا قضية زمان ليس غير ، ولذلك أرجو من قادة الشعر العربي الواقفين على علوم الغرب أن ينظروا الى المستقبل عند نهضتهم في الشعر ، فان الامة متى ترقت لا تتغذى الا بالموسيقى العلمية وهي موسيقى الغرب فيلزم أن تنتبه الأذهان منذ الآن الى ذلك .

ثامناً — أكرر لفت النظر الى آلات الكتابة وآلات الطبع فكما ان اللسان هو الآلة الناطقة ، فآلات الكتابة والطبع ، وفي جملتها الاحرف ، هي آلات النطق الصامت ، ولا يمكن ان تترقى الامة في عامة الامور الا اذا ترقت في وسائط الكتابة والطبع . وكما ينبغي استعمال احدث الالات في الطيران واللاسلكي كذلك يجب استعمال احدث آلة وجدت للكتابة والطبع ، ولهذا الفت النظر واترك الفكرة فيه لمن يقومون بالنهضة الحقيقية للعرب لاعلاء شأن العرب الى مستوى الغرب وتأريبهم .

فهذا ما اردت كتابته ولفت النظر اليه ، وارجو ان يتأمل فيه كل من يهمه شأن هذه الامة ويبدي فكره بكل صراحة كما فعلت ، ولا يهاب فيما يقول الا ضميره . ومرمى نظري هو البعيد لا الحالة الحاضرة ، ولكن اذا لم يفكر الانسان بالبعيد يمر الوقت ولا يصل الى الغاية المقصودة ، وهذا هو سبب استمرار تأخر العرب في هذا العصر . وخلاصة القول اني اطلب للعرب التأورب في كل شيء ومتى عزموا وتوسلوا بالاسباب وفوا حق وجدانهم امام سيل ترقي الغرب الذي لا ينصف ولا يرحم الا اذا قوبل بمثل تفوقه وتقدمه .

زكي مغامز

عضو المجمع العلمي العربي



المجلد الخامس عشر ١٧٥ و ١٧٦ الجزء ٧ و ٨

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تموز وآب سنة ١٩٣٧ م
ربيع ثاني وجمادى الاولى سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة			
من السنة الاولى ، ثمن السادسة الى كل سنة منها		في الداخل	٢٥٠
«	السابعة الى الثانية عشرة	« «	٢٠٠
«	الاولى الى السادسة	« في الخارج	٤٠٠
«	السابعة الى الثالثة عشرة	« «	٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق

طرائف لغوية

مقتبسة من سيرة « السيد رشيد رضا »
تأليف عضو مجمعنا العلمي الامير شكيب
أرسلان ، وفي هذا الجزء من المجلة
بيان وتقريظ لهذه السيرة الجليلة ٠

يقول أمير البيان في حاشية الصفحة ٣٤٦ من هذا الكتاب ما نصه :

« كنت دائماً إذا وجدت في كلام السيد لفظة لا أجد لها أصلا في اللغة أعترض عليه فيها ، وأسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة ، وكان هو يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لأن فيها فوائد لطلاب العربية ٠ »

جاء في رسالة للسيد رشيد رضا رحمه الله ص ٣٤٤ ما نصه :

(الدعاية) وردت في كتاب النبي (ص) إلى هرقل قال : « أدعوك بدعاية الإسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من أول صحيح البخاري ، وهي كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى اليه ، فأحببت استعمال الكلمة الطريفة في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياسية ودينية ، واتبعني بهـا كثير من الكتاب (١) ٠

وجاء في رسالة أخرى للسيد رشيد ص ٦٩٥ ما نصه :

« سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعاية وقد خطرت في بالي الآن فذكرتها

هنا بغير مناسبة لئلا أنساها بعد كما نسيتها من قبل فأقول : انها وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) إلى الملوك كما تراه في البخاري وغيره ، وأنا الذي روّجتها في الاستعمال ، فهي من شواهد حجتك على الذين ينكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة ، ونقل رواة الصحاح من الحديث أوثق من رواة اللغة ، وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو في الكسر ياء لمناسبة الكسرة ، وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام » .

وجاء في رسالة أخرى للسيد ص ٦٦٨ ما نصه :

« وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته إلى الجرأة على ما نقول في الحديث النبوي ، فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي أصح الروايات ، وهو مقيس ومثله الشكاية من شكا يشكو ، وهو أيضاً منقول في لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس (٢) ... هذا وإنني لم أذكر لك أن لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة إلا لبيان أن كون أصل المادة واوية لا يمنع قلب الواو ياء لمناسبة كسر أول الكلمة ، وجملة القول أن لفظة الدعاية وردت بأصح الروايات وهي مقيسة . »

وعلق مؤلف هذه السيرة الرشيدية الامير شكيب أرسلان على الرقم (١) من الشذرة الأولى ما نصه :

« نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج (بروباغندا) وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب ، وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ تقي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأيد كلام السيد رشيد ، وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أي بدعوته ؛ ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الإسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ، واقتصر صاحب المصباح على الدعاوة ، ولهذا تمسك بعضهم بأن دعاية قد تكون خطأ نسخ ، وأن أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها ، وعللوا ذلك بأن الفعل واوي ، وأن الدعابة بالباء ، والحقيقة أن نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى ، فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ

لكان العلماء أصلحوها ، ومن المعلوم أن علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء ، فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك ؛ وأما كون الفعل واويًا قد يمنع من انقلاب الواو ياء ، ولذلك أمثال كثيرة ، جاء في لسان العرب : سنت السانية تسنو سنواً إذا استقت ، وسنابة وسناوة ، وهو في صيّابة قومه وصوابة قومه ، والنقاوة والنقاية من كل شيء ، والنفاوة والنفاية من كل شيء ، وهي النفية والنفوة ، وداهية دهواء ودهياء ، وله غنم قنوة وقنية وقنوان وقنيان ، وأهل العالية يقولون القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ، وأتوت به أتاوة وإتاية ، ورغاية اللبن ورغاوته ، وجباية الخراج وجباوته وهو بلو سفر وبلي سفر وهلم جرّا مما لا يحصى .

وجاء في التعليقة الارسلانية على الرقم (٣) من الشذرة الرشيدية الثالثة ما نصه :

« جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي : وأرى كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير علة ، إما لمعاقبة عند القبيلة الواحدة من العرب ، وإما لافتراق القبيلتين في اللغتين ؛ فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف ، قال الأصمعي : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً لقد نال خيصاً من عفيرةَ خائصا

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال : أراه من قولهم : فلان يخوّص العطاء في بني فلان ، أي يقلله » فكأنّ خيصاً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصاً كما قالوا موت مائت ؛ قلت له : فقد كان يجب أن يقول : لقد نال خوصاً إذ هو من قولهم : هو مخوّص العطاء ، فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لاهل الحجاز وليست بمطردة في لغتهم ، وأنا أذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله . قال ابن السكيت : أهل الحجاز يسمون الصّواغ الصياغ ، قال : ويقولون المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق (وأخذ يورد من الأمثال) المتأوّب والمتأيب

وشيطه وشوّطه ، وقد دوّخوا الرجل وديخوه ، وقد فاد يفود ويفيد في الموت ، وعار يعور ويعير إذا ذهب ههنا وههنا ، وغارني الرجل يغيرني ويغورني إذا أعطاك الدية ، وقد تحيزت وتحوّزت ، وتوّهت الرجل وتيهته ، وطوّحته وطيحته ، وماهت الركية تموه وقد قيل تميه وتماه ، ويقال طال طِولك وطال طيلك ، وضاره يضيره ، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، وأن فلاناً اسريع الأوبة وقوم يحوّلون الواو ياء ، فيقولون سريع الأيبة ، وقوم يقولون : لاته يليته ولغة أخرى يلوته ، إلى أن يقول :

تبوّغ الدم بصاحبه غلبه ، وفي الحديث : إذا تبيّغ الدم بصاحبه فليحتجم وما أعيج من كلامه بشيء ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه ، ويقال : هو من صيابة قومه وصوّابة قومه ، وثور وثورة وثيرة ، وقد تصيّح البقل إذا هاج وتصوّح ، وتصيّم ، وتصوع وأقاوم وأقايم ، وتهير الجرف وتهور ، وفاحت ريحه تفيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً ، والطوْع والطيع ، ويقول بعضهم : حكوت عنه الكلام أي حكيت ، وطما الماء يطمي ويطمو ، وكذلك ينحي وينمو ، ومقا الطست أي جلاها يمقوها ويمقيها ، وقد نثوت الحديث ونثيته ، وفليت رأسه بالسيف وفلوتُ ، وفأيت وفأوتُ ، وداهية دهياء ودهواء ، وغنم قنوة وقنية ، والنفاوة من كل شيء خياره ، والنفاية والنفاوة ، وعزيته إلى أبيه وبنو أسد يقولون : عزوته الى أبيه ، وحثيت عليه التراب وحثوته ، وما كان مرضياً ومرضواً ، وأهل العالية يقولون : القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ؛ وحكى الفراء عن الكسائي : سناها الغيث يسنوها فهي مسنوّة ومسنية ، وسحوت الطين عن الارض وسحيته ، وقد أتوتُ به إتاية وأتاوة ، ورثوته ورثيته ، ورغاية اللبن ورغاوته ، ومحوت أمحو ومحيت أمحي ، وجبوت الخراج وجبيته جباوة وجباية ، وطغوتَ يا رجلُ وطغيت ، وهذوت وهذيت ، ولحوت العصا ولحيتها وطهيت اللحم وطهوته ، وقد صفوتَ وصفيت ، ولغوت ولغيت ، وعلوت وعليت وسلوت وسليت . اه باختصار .

ولم يذكر الفيروزابادي إلا السعاوة بالواو ؛ ولكنه ذكر أن دعيت لغة في

دعوت ، وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس دعاية الاسلام بكسر أوله وهي دعوته .

وقد أعاد الاستاذ الرشيد طبع « آخر بني سراج » في مطبعة المنار ، وهي رواية شاتوبريان المشهورة التي كان الأمير شكيب قد عرّبها في شباب آدابه ، فعثر السيد رشيد على بعض ألفاظ وتعابير لم يرض نسبتها إلى أمير البيان فأرسل إليه رسالة لغوية مطولة ص ٣٨٣ نقتصر منها على ما يلي ص ٣٨٥ :

« النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسمان : أحدهما المفردات والثاني الجمل والأساليب ، فمن المفردات قولكم : الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) ، والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى : (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ويعدى حاق بالهمزة فيقال : حاق به السوء وأحاق الله به .

ويشبهها قولكم : ضجة مهولة ، وإنما يقال : هاله الأمر أو الخطب ، وفي الأساس : أمر هائل وهوّل الأمر جعله هائلا ، ثم في مجازه : مكان مهول أي فيه هول ، ولا يظهر مثله في وصف الضجة ، وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول (١) »

ومنها قولكم : (إن هذا لنبأ عظيم) وهنا غيرتُ الموصوف فقلتُ : الخطب عظيم ، لان النبأ خاص بالكلام ، وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتياد النعاشيب) والنعاشيب نص في مرادكم فإنها النبذ المتفرقة من العشب ، وأظن أن هذه من غلط الطبع ، وإلا فهي من سبق القلم ، والاول أرجح ، فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضعفاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبتها تعاشيب وأردت أن أحيي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريباً عند ضعفاء الكتاب .)

الثاني : الجمل والأساليب ، وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره وقد كاشفتكم بشيء منه قبل الشروع في الطبع ، فعلمتم مما رجعتم إليّ من القول فيه : ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجح أو يمكن أن يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم ، فصححتُ ما رجعت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو أنه أفصح ، وأذكر بعض الأمثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) قولكم : (ومرت الفلك بريح طيبة) استبدلت به (وجرت الفلك به بريح طيبة) ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ، ولا محل لهذا التخصيص ، وان ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجرين بهم بريح طيبة) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تتذكروا الآية ، وقد راجعت أستاذنا (الشيخ محمد عبده) مرة في كلمة كتبها في مقالات الإسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها ، وكانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها ، وعلّل ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن ولو إلى صواب ، والكلمة المذكورة « نصح له » أو « وهب له » لا أتذكر أيهما الآن .

(٢) مثل (وما هو ذلك القصر) ، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء ، وكلمة الماهية مشتقة منه ، وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة اليه ولا مرجع له) والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويزمّجون الضمير مما يصححون ، وفي الكتاب العزيز : (قال وما رب العالمين) .

(٣) قولك : (ولذلك فإنّ بقايا آياته) وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وان الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه في أكثر هذه الاستعمالات

التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير المدققين ، والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فالمذلك يقال كذا .

(٤) كلمة (فضلا عن كذا) في مقام الاثبات ، وقد تكرر في كلامكم لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ، ولكن المتقدمين قلما يستعملونه الا بعد النفي ، لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب ؛ فتقدير الكلام في (فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار) : أنه فقد ملك درهم فقداً فاضلا وزائداً عن فقد ملك دينار الخ . . . ولا بد ان تكونوا اطلعتم على هذا ونسيتموه ، ولا سيما عند الاستعمال فحريتم على ما تقرأون دائما في الكتب والجرائد ، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا ، ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى الى الماء : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فبمَ تنصب كلمة فضلا هنا ؟

واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه لا أعرف له أصلا في اللغة ، وإنما هو عصري حديث ، ولكن لا ادري متى كان استعماله ، ولعلكم تعرفون له اصلا فانني لم أراجع عنه باستقصاء ؟

ومنه قولكم في وصف غناء أو ماء (وتجود بكل نغمة يترنح لها الجلمود فضلا عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا و كذا تفعل كذا و كذا) فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ، ويجوز أيضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ، ولا مثل أبي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحث ؛ ولكن ما أظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي مما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ ، على أني لا اتذكر أني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان ، وإنما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار .

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم : (ولكن كأني بهذا الطريق بدلا عن أن يزداد بهم حركة وأنساً ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن وا أسفاه بدلا من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت التام)

فيقف الذهن هنـا في (بدلا) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتمس لها ناصباً بالتقدير في الـكلام ، وبتأخيرها معا يتعلق بها يزول هذا التعقيد ، ومن الخطأ في الجملة الاولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل منه) كما في الجملة الثانية ، وربما كانت الاولى من غلط الطبع ، والمعاصرون يستعملونها ٠

(٦) ومثله فيما تقدم وحقه التأخير قولكم (وأصلحته تزيد رونقـا وجلالا صباحةَ وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول ، ورونق مفعول ثانٍ ، وتقديمه خلاف الاصل ، فلا ينبغي الا لضرورة شعر او نكتة من نكت المعاني ، وانا أعتقد انك اذا لم توافقني الان على هذا فطنته انك ألفت قراءة هذه الرواية لانها من أوائل ترجمتك ، بل أعتقد انك لولا هذه الالفة لصححت منهـا عند قراءتها الاخيرة ألفاظاً وجملاً كثيرة مما لا تراك تستعمله الان ، واعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما ينافي الفصاحة والبلاغة لا ما ينافي قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط ٠

(٧) قولك (ثم تحفزوا وتواثبوا الواحد على الآخر) ولا يعزب عنك ان معنى تواثبوا وثب احدهما على الآخر ، فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الاخر ٠

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والفصيح يتظاهر بعضهم على بعض ٠

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك : (وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً ، فانه من عدوى الجرائد وأمثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث وبتجنبها من دونك من الكتاب المتأنقين ٠

(١٠) وأتذكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد ، والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فان وجد نقل للاول فلا اذكره ولا أجد وقتاً للمراجعة الطويلة وحسبي من القصيرة انتصار أساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل ٠

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروشة من النارنج والسرو والنخيل ، كلمة (عبارة) خاصة بالكلام ، واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللفظية ، وأنكر هذا بعض اخواننا

من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي تصويب كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وأمثالها فقط ، وفي العبارة ايضاً ان المعروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي ، وغير المعروش ما كان كالصنوبر والنخيل ، وهو ما حققناه في تفسير « جنات معروشات وغير معروشات »

(١٢) قولك : (ان يصلح ذات البين بين الفرسان) الوجه ان يقال : ذات بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى :« واصلحوا ذات بينكم » .

(١٣) قولك في حث البغال وزجرها : (بأن يناديها تارة يا جيدة يا ضريعة ، او ان يزجرها طوراً بقوله عدس ، لا حاجة هنا (لأو) ولا (لأن) فالمقام مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل اصدقائي فضلاً وادبا ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السياسية ونفثات اليراع، الى ان يقول : وما جريت معك في هذا الا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده ، فقد كنت اراجعه في حالة القرب بما أرى انه يحتاج الى اصلاح لفظي او معنوي من كلامه فيسر بذلك جد السرور ويعمل به ، وكنت اصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره اولى ، وقدعلقت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة الاصل ، وقد اذن لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان طبع فيها مصححاً بقلمه ، ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار اصح مما طبع عندهم ، فقد كانت هذه المعاملة من استاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سببا في تمكن تلك العادة التي اشار اليها سيدي الامير ، واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها . . .

هذا بعض ما جاء في هذه الرسالة اللغوية الطويلة ، وقد راجع الأمير صديقه الرشيد في كثير من تصحيحاته ، منها لفظة مهول فقد علق عليها بقوله : « كلا لم نجز لفظة مهول لأجل قولهم مكان مهول ، بل لورود مهول في الكلام العربي . جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول ، وكرهها بعضهم وقد جاء في الشعر الفصيح وقال :

ومهول من المناهل وحش ذي عراقين آجن مدفان

وتفسير المهول أي فيه هول ، والعرب إذا كان الشيء « مُهولة » أخرجوه على فاعل مثل دارع ذي الدرع ، وإن كان فيه أو عليه أخرجوه على مفعول كقولك مجنون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الهمذاني لأبي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول

وبديع الزمان يجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه

وناقشه الأمير في عبارة (وما هو ذلك القصر) بقوله : لا شك أن القاعدة هي ما قال ، ولكن ليس بخطأ أن يقال « ما هو ذلك القصر » وما في ضربه ، وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سيبويه أن هذه الضمائر : أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المجرور والمنصوب والمرفوع وذلك قولك مررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت ، وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت مررت بزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه إذا قلت مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيته هو نفسه ، وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس إذا قلت مررت به هو (إلى أن يقول) : واعلم أن هذا المضمر يجوز أن يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلته في أن يكون وصفاً له لأن الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبد الله أبا زيد ، فأما البدل فمنفرد كأنك قلت زيداً رأيت أو رأيت زيداً ثم قلت إياه رأيت وكذا أنت وهو وأخواتها في الرفع . وأورد سيبويه قوله تعالى « ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » وقال : صارت « هو » هنا بمنزلة ما إذا كانت لغواً في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر ، واعلم أنها تكون في إن وأخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل أن تذكر الفصل (قال) : واعلم أن « هو لا يحسن أن تكون منفصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام (قال) : وقد جعل ناس كثير من العرب « هو » وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني

عليه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان أبو عمرو يقول : إن كان لهو العاقل ، ثم يقول سيبويه إن « هو وأخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحد خير منك وما أجعل رجلاً هو اكرم منك ، فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما أن كلهم وأجمعين لا يكرران على نكرة فاستثقلوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم تصر فصلاً إذاً لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة اه

وقد جاء في مغني اللبيب لابن هشام أن « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وأن « ما » الاستفهامية معناها أي شيء نحو : ما هي ؟ ما لونها ؟ وما تلك بيمينك ؟ قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة أبي عمر وآلسحر بمد الألف فما مبتدأ والجملة بعدها خبر ، وآلسحر إما بدل من ما ولما قرن بالاستفهام وكأنه قيل آلسحر جئتم به ، وإما لتقدير أهو السحر أو السحر هو ، ويقويه قراءة عبد الله ما جئتم به سحر ؛ إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما ، وقد سألت عن هـذا الاعتراض العلامة السيد تقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا أظن أن السيد رشيداً يمنع جوازه كما أنه لم يتبين لي أن الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وإن كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لأن « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من أجل ما الاستفهامية .

وأما إنكار السيد رشيد على الأمير قوله (ولذلك فإن بقايا آبائه) بحجة أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وأن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه وأن الوجه تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك كان كذا ، فقد رده الأمير مستدلاً على صحة قوله ص ٣٩٠ بما نصه : « إن هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيبويه نفسه ففي الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الأول يقول : فعلى هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الأول أيضاً صفحة ١٨٩ : فعلى

هذا نقص المعرفة . وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك نقص هذه الأشياء ، وفي صفحة ١٦٧ : فعلى هذا فقس هذا النحو ، ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً ، وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من مغني اللبيب الذي عليه حاشية الأمير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ ... وقال في الآية الكريمة « وما بكم من نعمة فمن الله » الأرجح أنها موصولة وأن الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه ، وقال الله تعالى : (والذين كفروا فتعساً لهم) .

وأنكر رحمه الله على الأمير استعماله في مقام الإثبات (فضلاً عن كذا) فرد إنكاره بقوله : إن استعمال (فضلاً عن كذا) بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم ، وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول ابي حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لاننا لو تقضنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الامور المعتادة الاجتماعية ايضاً ، فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملا وألفاظاً لا يأخذها الاحصاء ، لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدوياً سئل عن القلم فلم يفهم معناه فقيل له : ماذا تتصور من كلمة القلم ؟ فقال : أتصور انه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئاً وراء ذلك . وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتحامون كثيراً من الاصطلاحات قال سيبويه في باب الجموع : إعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالاشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر . اهـ . فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر ... والحال انه لا يكاد الكاتب ينمق بضعة

استطار حتى يضطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة،وقد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله : فضلا عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان اكثر استعمال فضلا عن كذا يجيء بعد نفي ، ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه قد يجيء ايضاً بعد ايجاب ، والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب الينا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في « المصباح » فانه يقول : لا يملك درهما فضلا عن دينار وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه قال لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً وانتصابه على المصدر والتقدير فقد ملك درهم فقداً يفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح : إعلم ان فضلا يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله ان يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : ولم أظفر بنص على ان هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم . اه .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلا عنه) أما سؤال الاستاذ عن اعراب فضلا في قولي (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً فضلا عن دينار ، وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلا عن لزومه للشرب . أما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو ايضاً مستفيض اكثر من استفاضة الاول ، ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة يعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزاماً فصارهذا الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولولم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد تقي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم

سائغ (قال) وبدا لي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز . قال ابن مالك :

والحال ان ينصب لفعل صرفا   او صفة اشبهت المصرّفا

فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف ؛ واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع   بكثرة كبغتة زيد طلع

وفي ذلك خلاف معروف .

وراجع الامير في استعماله مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد لان المنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) ، فأجابه الامير بما يلي : متفق على ان الافصح ان يقال « نحو من كذا » ولكن ليس بغلط إن قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخيم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون الاسم على فَعل وذلك نحو ضخم وفخم وعبل وجهم اه ، ثم يقول : فهذا يدلك على انه نحو الطويل والقصير ، إذاً يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ، واما المؤلفون من عهد سيبويه الى الان والشعراء فانهم اكثروا من ذلك ، والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا إشكال في جوازه . اه .

وسألته أيضاً عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : (بدلا من قرع الطبول الخ) يظهر لي ان السيد إنما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان يدقق فيها كثيراً ، واما الجواز فلا أراه ينكره وأمر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واسلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه) هذا الاعتراض ايضا من جهة البلاغة بلا شك

ويظهر لي أن الصواب فيه مع السيد رشيد لأن ركاكته بادية ولست أمنعه وما أجبتم به فيه أن استجلاب الفكر لصباحة الوجه أهم وأولى . (قال) : « وبقيت سرايا الفريقين تتردد إلى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لأن لغة الجرائد ولغة عامة مصر أن يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تتردد على غزو بعضها » نعم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا يغزو بعضها بعضها » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يموج في بعض) لكان أولى اه .

وقد ختم الامير هذه المناقشات بقوله : تقدم لنا كلام في أننا ترجمنا هذا الكلام ترجمةً عن الإفرنسية من أربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

ويعثر قارىء السيرة الرشيدية في غير حواشي الوسائل على فوائد لغوية يحسن بنا نشرها إتماماً لهذه الطرائف الممتعة ، منها ما جاء في ترجمة السيد رشيد رضا لنفسه وفيها ألفاظ عامية يرويها السيد على سبيل الحكاية كلفظة (تعبان) ص ٢٧ ، قال الأمير معلقاً عليها ما نصه :

روى الأستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية ، والا ففي الصحيح لا يقال تعبان ، بل هو تعِب ومُتعب على وزن كتف ومكرم ؛ وعلق على لفظة « البخشيش » التركية أنها مصدر « بخش ايتمك » أي أعطى ، ومقابلها في العربي « الحلوان » أو ما يعطى للخادم « النُّحل » والنحلان بالضم ، وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علاتها .

وعلق الأمير على لفظة (صادرت) الواردة في كلام السيد ما نصه :

جاء في لسان العرب : ومن كلام كتّاب الدواوين أن يقال : صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فورق على مال ضمنه . وهكذا نقل ذلك صاحب « أقرب الموارد » بلفظ « فورق » ولكن هذه العبارة نفسها منقولة في التاج بلفظ « قورق » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى « لقورق » هنا ؛ وأما « فورق » فهو للمجهول من فارقه

من حسابه على كذا إذا قطع الأمر بينه وبينه على امر وقع عليه اتفاقهما ومثله صادره على كذا ، وكله مولد ليس من كلام العرب الأُلى . وقد جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال المحسّن بن إبراهيم الصابي الكاتب المتوفى للسنة الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة قوله في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات : « وصودر على مائة وعشرين ألف دينار وصح منها ستون فجيء به من محبسه الخ ... وقوله عن لسان الخليفة المعتضد في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليهما وصادرناهما . وقوله في موضع آخر : وسلم اليه عليّ بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلها في دار بدر اللاني وقرر عليها مصادرة خففها عن علي بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما ، وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في أخبار ديوان الخلافة .



أثر الرحلة في الحياة العلمية والادبية [1]

يكثر الراحلون من بلاد إلى اخرى ، والغاية من هذه المحاضرة النظر في رحلات أهل العلم والادب لنعرف كيف يكون للرحلة أثر عظيم في ترقية العلوم والآداب ، وتهذيب النفوس وإصلاح حال الاجتماع .

ولعل قائلاً يقول : إن فائدة الرحلة قد عرفها الناس على اختلاف أصنافهم وتفاوت طبقاتهم فهي من المعلومات الموضوعة على ظاهر اليد ، والحديث عنها صرف للوقت في غير جدوى فأقول : إني في شك من هذا ، فإن كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة وهيأ لهم وسائلها لا يقبلون عليها وينصرفون عنها ، انصرافهم عن الاشياء التي يرونها خالية من كل فائدة .

على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من آثار صالحة لأضعها أمام نشئنا حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء نظر الى هذه الآثار الحميدة ، فيخف وزن تلك المتاعب وتذهب في جانب هذه الآثار هباء .

الرحلة في نظر الإسلام

لم يدع الإسلام وسيلة من وسائل الرقي ، إلا نبه عليها وندب إلى العمل بها ، وهكذا شأنه في الرحلة فقد دعا إليها رامياً إلى أغراض سامية ، مثل طلب العلم قال تعالى : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

---

(١) عنوان المحاضرة الممتعة التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي العلامة السيد محمد الخضر حسين عضو المجمع العلمي بدمشق والمجمع اللغوي المصري والاستاذ في كلية أصول الدين بالازهر، وذلك في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٦ الموافق ليوم ١١ آب ١٩٣٧ .

قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . ويلحق بالتفقه في الدين كل علم يعد من وسائل الرسوخ في علوم الدين كالنحو والبلاغة ، بل يلحق بالتفقه في الدين كل علم يكسب الأمة قوة ويكون له أثر في نجاحها والاحتفاظ بعزتها كفن صناعة الغواصات والطيارات .

ومن هذه الأغراض أخذ العبرة من أحوال الأمم الماضية ، قال تعالى : قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، ويلحق بأحوال الامم الماضية أحوال الامم الحاضرة متى كان في النظر اليها عبرة ينتفع بها في الوصول الى سعادة الحياة ، ومن هذه الأغراض الرحلة من دار الضلال والبغي الى دار الهداية والعدل ، قال تعالى : ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . هذه الآية وردت في قوم كانوا يقيمون في دار عسف وغواية فحرضهم على الرحلة إلى المدينة حيث يشدون أزر المسلمين ويقفون في صفوفهم ويكثرون عددهم ، واذا تشابهت البلاد في الاستخفاف بأمور الدين فعلى العالم المصلح أن يجاهد في سبيل الدعوة الى الحق والإصلاح بقدر ما يجد من حرية القول أينما كان .

ومن فرائض الاسلام ما لا يؤدى إلا بوسيلة الرحلة وهو حج البيت الحرام ، وفي الرحلة الى الحجاز في أشهر الحج جانب عظيم من معنى التجول في أقطار مختلفة ، حيث يلاقي فيها الرجل طوائف من امم مختلفة الاجناس متباعدة البلاد .

ولا يسعني المقام أن أسوق شواهد من عناية علمائنا بالرحلة لأمثال هذه الاغراض النبيلة ، وأكتفي بأن أسوق على هذه الغاية قصة جابر بن عبد الله الانصاري ، ذلك أنه سمع وهو بالمدينة أن عبدالله بن انيس بالشام يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ فاشترى بعيراً ثم شد رحله وسار الى الشام فسمع الحديث من عبدالله وقفل راجعاً الى المدينة .

المثبطات عن الرحلة وعلاجها

لاأريد من المثبطات عن الرحلة العوائق التي ليس في استطاعة الشخص علاجها ، كفراغ يده من نفقات السفر وكقيامه على اسرة إذا فارقها وقعت في حاجة ونكد من العيش، بل أريد من المثبطات ما يعرض للنفوس الضعيفة ويغلب على أمرها ، ولولا ضعفها لما كان له عليها من سبيل مثل استعظام مفارقة من يعز عليه من أقارب أو أصدقاء ، مثل إمام الحرمين وهو على المنبر لماذا كان السفر قطعة من العذاب ؟ فقال : لان فيه فراق الأحبة .

وفي الناس من يذكر ما في الرحلة من متاعب بدنية فيحجم عنها ، وأكثر من يعرض لهم هذا المثبط اولئك الذين ينشأون في ترف والحلال عزيمة فيخشون ان يفوتهم ما اعتادوا من الرفاهية ولو زمناً قليلاً ، ومنهم من يترك الرحلة حيث تضطره لركوب البحر فرقاً من أهواله ، عزم الحافظ ابو الوليد هشام الوقشي على ركوب البحر الى الحجاز فهاله ذلك فقال :

لا أركب البحر ولو أنني ضربت فيه بالعصا فانفلق
ما إن رأت عيني أمواجه في فرق إلا تناهى الفرق

وقد يحجم الرجل عن الرحلة مخافة أن ترمي به بين أقوام لا يعرفون حسبه وأدبه فيلاقي من مرافقتهم أو معاشرتهم ما لا يليق بمنزلته ويرتاح له ضميره وقد أشار إلى ما يعرض للرجل من هذه الآلام النفسية الرحالة ابن جبير إذ قال :

لا تغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أما ترى الغصن إذا ما فارق الأصل ذوى

وأشار يحيى بن حكم المعروف بالغزال إلى أن الغربة سبب لفقد جانب من العزة . فقال :

فصمصام عمرو حين فارق كفه رموه ولاذنب لعجز المضارب
وما عزة الضرغام إلا عرينه ومن مكة سادت لؤي بن غالب

وتألم الرحالة بن سعيد الأندلسي حين نزل ببعض بلاد الشرق وناداه بعضهم باسم المغربي فقال :

وأنادى مغربياً ليتنى | لم أكن للغرب يوماً أنسبُ
نسب يشركك فيه خامل | ونبيه أين منه المهربُ
أتراني ليس لي جد له | شهرة أو ليس يدرى لي أب

وعلاج أمثال هذه المثبطات الناشئة عن ضعف النفس وقلة تمرينها علَى احتمال المكاره أن يذكر الرجل ما تأتي به الرحلة من ثمرات علمية أو أدبية عامة أو خاصة، فإذا وثقت نفسه بنبل غايتها وحسن عاقبتها سهل عليها كل صعب واستهانت بكل خطر، قال عبد الملك بن سعيد في وصية ابنه علي بن سعيد عندما عزم على الرحلة إلى الشرق :

وكل ما كابدته في النوي | إياك أن يكسر من همتك

وعزم المأمون الخروج الى بعض الحروب فوقفت له جارية ممن شغف بهن ورغبت اليه ألا يخرج فقال لولا قول جرير :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم | دون النساء ولو باتت بأطهارِ

لما خرجت.

وأذكر أن أبا بكر بن العربي الاندلسي الذي قضى في رحلته ثمانية أعوام أورد في بعض كتبه مسألة من مسائل الخلاف حررها وهو في العراق وقال: لو لم أظفر في رحلتي إلا بهذه المسألة لكفتني، على أن ابن العربي قد لقي في رحلته نصباً في البحر ومخاوف في البر [1]

ليذكر الراحل أن ثمرة الرحلة لذيذة باقية، وأن تلك الآلام النفسية والمتاعب البدنية زائلة، قال القاضي محمد بن عيسى أحد الراحلين من الاندلس الى الشرق بعد أوبته :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة | إذا كان من بعد الفراق تلاقِ
كأن لم تؤرق بالعراقين مقلتي | ولم تمر كف الشوق ماء آماقي
ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم | بذات اللوى من رامة وبراق
ولم أصطبح بالبيد من قهوة الندى | وكأس سقاها في الأزاهر ساق

(١) أنظر كتاب القواصم والعواصم له .

وجاء في كتب الادب أشعار يرد ناظموها على من يحاول تثبيطهم عن الرحلة كما قال بعضهم :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا فقلت الى ذاك المقام أطوف

وقال ابن دراج :

ألم تعلمي أن الثواء هو النوى وان بيوت العاجزين قبورُ

وربما كان المثبط عن الرحلة إعجاب الرجل بوطنه إذ يخطر له انه لا يرى في غير وطنه أحسن مما يرى فيه كما قال أبو القاسم عامر بن هشام :

يا من يزين لي الترحال عن بلدي كم ذا تحاول نسلا عند عنين

وأين يعدل عن أرجاء قرطبة من شاء يظفر بالدنيا وبالدين

وإعجاب الرجل بوطنه واعتقاده انه أجمع لمطالب الحياة قد يمنعه من رحلة الانقطاع ولا ينبغي أن يمنعه من الرحلات المحدودة بزمان ·

وترى من الادباء من يمتلئ قلبه حباً لوطنه ولكنه يتغلب على هذه العاطفة ويذكر الداعي الى الرحلة فتطمئن اليها نفسه كما قال ابن سعيد لما خرج من حدود افريقية :

رفيقيّ جاوزنا حدود مواطن صحبنا بها الأيام طلقاً محياها

وما أن تركناها لجهل بقدرها ولكن ثنت عنا أعنة سقياها

فسرنا نحث السير عنها لغيرها الى أن يمن الله يوماً بلقياها

فوائد الرحلة

إذا درسنا تاريخ العلماء والأدباء الذين رحلوا عن أوطانهم ووجهنا النظر الى ما نتج عن رحلاتهم من فوائد عادت عليهم أو على قومهم أو على الاوطان التي نزلوا بها، وجدناها من الاهمية بمكان يدعو الى ان تعد في مقدمة وسائل الرقي والتهذيب ·

ماذا يستفيد الرجل من الرحلة

من أنفس ما يكسب الرجل في رحلته أن يعلم ما لم يكن يعلم، كم من عالم

لم يبلغ المقام الذي يشار اليه بالبنان إلا بالرحلة . والباحث في تراجم العلماء يقف على أسماء رجال كثيرين بلغوا في العلم الذروة ، وإنما بلغوها بما قاموا به من رحلات تقلبوا بها في مدن زاخرة بالعلوم ولاقوا بها كثيراً من اكابر العلماء مثل الامام الشافعي والحافظ بن عساكر و أبي الوليد الباجي وأبي بكر بن العربي وأسد بن الفرات ، ولابن خلدون في مقدمته التاريخية فصل افتتحه بقوله : أن الرحلة في طلب العلم مزيد كمال في التعلم وختمه بقوله : فالرحلة لا بد منها في العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقي عن الرجال .

وللرحلة أثر في سمو الفكر إذ يأخذ الرجل فيها من التجارب ما لايأخذه وهو مقيم في بلد لا يخرج منه الي غيره ، وقد يكنون بها عن قوة العقل وحسن التصرف في الامور ، وانظر الي بديع الزمان الهمذاني حين أراد الدلالة على كمال عقله كيف عبر عنه بركوبه ظهري البر والبحر ، إذ قال في كتاب كتبه الى القاسم العرجي : فإني وإن كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر .

والرحلة أثر في تهذيب الطباع ورقي الآداب ذلك أن كثرة ما يلاقيه الرجل في السفر من المشاق يقوي في نفسه خلق الحلم والمداراة وقد قال بعض الحكماء للغريب :

إن ترمك الغربة في معشر   تطابقوا فيك على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم   وأرضهم ما دمت في أرضهم

ولا يخلو الراحل متى كان بصيراً بمواقع العبرة أن يلاقي رجالاً ذوي آداب سامية فيقتبس من آدابهم ما يزداد به أدباً على أدبه ، وهذا ابن وهب رحل من مصر وتلقى العلم بالمدينة عن الإمام مالك وقال : تعلمت من أدب مالك أفضل من علمه ،وأقام يحيي بن يحيي بن بكير عند مالك بعد ان فرغ من سماع الحديث عنه وقال : إنما أقمت لاستفيد من شمائله .

وقد ينشأ الفتى في نبوغ ويضيق بلده عن انظاره الواسعة فيرحل الى مدينة تكون أوسع مجالاً للاراء الخطيرة فتعظم مكانته ويكثر الانتفاع بحكمته ، ولولا

الرحلة لما عظم شأنه ، ولما كثرت ثمرات نبوغه ، أذكر أن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ر عند خروجه من الشام بالكرك فتلقاه صاحبها وسأله الإقامة عنده ، فقال له الشيخ بلدك صغير عن علمي ، وتوجه إلى القاهرة . وأسوق شاهداً على هذا أن القاضي يوسف بن أحمد بن كج بلغ في العلم مرتبة كبيرة ، قال له بعض من لقيه : يا أستاذ الامم لأبي حامد الغزالي والعلم لك ، فقال القاضي : ذاك رفعته بغداد وأنا حطتني الدينور .

وقد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه أو أدبه وانتشاره في الآفاق ، قال الأديب أبو بكر المعروف بابن بقي :

ولي هم ستقذف بي بلاداً ... نأت إما العراق أو الشآما
لكيما تحمل الركبان شعري ... بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما تعلم الفصحاء أني ... خطيب علّم السجع الحماما
وقد أطلعتهن بكل أرض ... بدوراً لا يفارقن التماما

وربما أدرك الرجل في وطنه ضيق عيش يخشى أن يعوقه عن الازدياد من العلم أو التفرغ لنشره بالتدريس والمذاكرة ، فيرحل حيث يلقى كفافاً أو يساراً يساعده على أن يقبل على الدرس والبحث بنفس مطمئنة : رحل القاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى مصر ، ونبه على سبب رحلته فقال :

سلام على بغدادَ في كل موطن ... وحق لها مني السلام المضاعف
فوالله ما فارقتها عن قِلىً لها ... واني بشطي جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ بأسرها ... ولم تكن الأرزاق فيها تساعف

وكذلك قال أبو سعد النيرماني :

فقد سرت في شرق البلاد وغربها ... وطوفت خيلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً ... ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرق شمائلاً ... وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل لو كان حبك صادقاً ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا

ومما يظفر به الرجل الفاضل في رحلته أن يتخذ في البلاد التي ينزل بها أصدقاء يغتبط بصداقتهم ، والصداقة الخالصة من ألذ ما يتمتع الانسان به في هذه الحياة ، وكتب الأدب مملوءة بالرسائل والقصائد التي دارت بين علماء وأدباء اختلفت مواطنهم وهي عامرة بروابط صداقات ناشئة بوسيلة الرحلة ، وهذا ابن خلدون ارتبط بصداقات كثيرة من علماء البلاد كلسان الدين بن الخطيب وابن زمرك ، وجرت بينه وبينهم مراسلات ، وأذكر من قصيدة بعث بها اليه ابن زمرك بعد نزوله مصر قوله :

بعيشك خبرني ولا زلت مفضلاً أعندك من شوق كمثل الذي عندي

ومثل الحافظ بن عساكر رحل إلى بلاد العجم بعد بلاد العرب وأذكر من قصيدة بعث بها إلى صديقه أبي سعد السمعاني قوله :

أنسيت ثديي مودة بيني وبينك وارتضاعه

ماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته

قد تحظى البلاد بالعلم بعد انقطاعه عنها ، أو تقوم سوقه فيها بعد خمولها ، والفضل في ذلك لرجال يرحلون إلى الحواضر التي هي منبع العلوم ، ثم يعودون وقد امتلأوا مما اغترفوه من العلوم والفنون ، وقد بلغت الحالة العلمية بالأندلس بعد عودة أبي الوليد الباجي من رحلته الشرقية منزلة أرفع وأرسخ مما كانت عليه قبل أن يعود وارتحل أبو القاسم بن زيتون التونسي في أوساط المائة السابعة إلى المشرق فبرع في العقليات والنقليات ورجع إلى تونس فأمتعها بعلمه الكثير وأسلوب تعليمه البديع .

ويرحل العالم أو الأديب من وطنه وهو يحمل علماً غزيراً ويتحلى بأدب سني وينزل بين جماعات من بلاد مختلفة فيرونه مثالاً لأهل العلم والأدب من قومه فيرتفع شأن قومه في أنظارهم ، هذا إلى ما يصفه لهم من محاسن قومه أو ينقله اليهم من ثمرات أفكارهم .

ماذا تستفيد البلد ممن يرحلون اليها

يرحل العالم أو الأديب ، وينزل ببلد ، فيبذر بها متى كانت في حاجة إلى أمثاله — علماً أو أدباً ، ومن ذا ينكر أن بلاد الاندلس قد استفادت من العلماء الذين رحلوا اليها من الشرق ، مثل تاج الدين بن حموية السرخسي ، وأبي علي القالي ، كما استفادت دمشق من أمثال ابن مالك وابن السبكي ، واستفادت مصر من أمثال أبي حيان وابن خلدون .

وهذا المعري يحمد السفر الذي جاء بالقاضي عبد الوهاب بن نصر من بغداد إلى المعرة فقال :

والمالكي بن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تحدث أحيا مالكاً جدلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا

وتفقه البربر في علوم الدين عن عشرة من فقهاء التابعين بعثهم عمر بن عبد العزيز لهذا الغرض خاصة .

ونرى في تراجم كثير من العلماء الراحلين أنهم كانوا يلقون في البلاد التي ينزلون بها دروساً أو يدرسون بها علوماً يتلقاها عنهم بعض أهل العلم .

فرحلات العلماء والأدباء تنقل العلم والأدب من بلد إلى آخر على وجه أثبت وأنفع مما تنقله المؤلفات وحدها .

أثر الرحلة في تنمية العلوم

للرحلة فضل في نماء العلوم واتساع دائرتها ، وكم من كتاب يعد في علمه من أمهات الكتب هو وليد الرحلة ، ذلك أن أسد بن الفرات الراحل من القيروان إلى الشرق ورد مصر بعد أن تلقى العلم في الحجاز والعراق ، وألقى على ابن القاسم أسئلة يطلب الجواب عنها على مقتضى مذهب الإمام مالك ، وجمع تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب كان يسمى الأسدية ، ثم رحل سحنون من القيروان بالأسدية إلى ابن القاسم ، وعرضها عليه ، وهذبها ، وأضاف اليها مسائل أخرى وصارت تسمى المدونة ، وهي المشار اليها بقول بعض أهل العلم :

أصبحت فيمن له علم بلا أدب ومن له أدب عارٍ عن الدين
أصبحت فيهم فقيد الشكل منفرداً كبيت حسان في ديوان سحنون

وبيت حسان الذي لم يرد في المدونة غيره من الشعر قوله :

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

ومن فضل الرحلة أنها حفظت جانباً عظيماً من التاريخ ، حفظته الكتب التي يودعها مؤلفوها ما شاهدوه في أسفارهم من وقائع وأحوال ، مثل رحلة ابن بطوطة ورحلة العبدري ورحلة ابن جبير ورحلة خالد بن عيسى البلوي وغيرها ، فانا نرى في هذه الرحلات أشياء لا نجدها فيما بين أيدينا من كتب التاريخ .

أثر الرحلة في ثراء الأدب

للرحلة أثر في ثراء الادب لا يقل عن أثرها في ثراء العلم ، فكم من قصيدة لا ينظمها الشاعر إلا حين يعزم على الرحلة لالقائها بين يدي ملك او وزير او وجيه مثل قصيدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل الى منجاتها درسا

فان صاحبها ابا عبدالله بن الابار الراحل من الاندلس قد نظمها استنجاداً لأمير تونس وألقاها بين يديه .

ومما يرجع الفضل فيه للرحلة ذلك الشعر الوارد في التشوق الى الوطن او لاهل والاخوان ، ومن هذا الباب قول محمد بن يوسف الدمشقي يتشوق الى دمشق وهو ببلاد الروم :

بعاد يزيد الجوى والحنينا وبين يعلم قلبي الانينا
فراق أذاب الحشا أدمعا فأجرى بصافي الدماء العيونا

الى ان قال:

وجاد الحيا أربعاً بالشآم وسلم صحباً بها قاطنينا
رحلنا فما تابعتنا القلوب وصرنا فظلت لديكم رهونا

واذكر بهذه المناسبة ان استاذنا المرحوم الشيخ سالم ابا حاجب كان قد سافر

الى ايطاليا وبعث برسمه الى بعض اصدقائه في تونس و كتب عليه البيتين:

لما شكت شط النوى روحي التي ابقيتها عند الاحبة بالوطن
ارسلت تمثالي لها[1] بوّاً عسى تسلو فلا تبغي التحاقاً بالبدن

أثر الرحلة في تعارف الشعوب

لا ينزل الرجل الفاضل بوطن إلا التقى بطائفة من فضلائه ، والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية ، ثم إذا عاد الى قومه ، وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها ، فيكون كل من الشعوب التي رحل منها أو نزل بها ، على خبرة من حال الشعوب الاخرى ·

وقد نبهنا على أن الرجل الطيب السريرة ، يتخذ في كل وطن أصدقاء ، وهـذه الصداقات تعد فيما يربط بين الشعوب الرابطة الوثيقة ، وتعارف الشعوب بوسيلة العلماء والادباء ، يثير في نفوسهم عواطف الائتلاف والاحترام ·

وإذا كان من أفضل آثار الرحلة عقد رابطة التعارف والتعاطف بين الشعوب ، فعلى المستطيعين منا أن يخصوا البلاد الشرقية بجانب عظيم من رحلاتهم ولو وجدوا في سبيل ذلك مشاق فوق ما يلاقونه في سبيل الرحلة الى البلاد الاجنبية ·

أدب الرحلة

الآداب السنية كمال الانسانية ، فيجب على الانسان الاحتفاظ بها في وطنه ، كما يحتفظ بها في غير وطنه ، ورأينا بعض الحكماء يوجهون الى الغريب أو من رام الغربة عناية خاصة ، فيؤكد عليه في الاحتفاظ بالآداب الشريفة ، فقال بعضهم : يا غريباً كن أديباً ، ومن هذا القبيل وصية عبد الملك بن سعيد الاندلسي لابنه علي عند عزمه على الرحلة الى بلاد الشرق ، تلك الوصية التي يقول فيها :

اودعك الرحمن في غربتك مرتقباً رحماه في أوبتك
فلا تطل حبل النوى إنني والله أشتاق الى طلعتك

(١) البو جلد الحوار يحشي ثماماً او تبناً فيقرب من ام الفصيل فتعطف عليه ، فتدر ·

وقال:

فليس يدرى أصل ذي غربة وإنما تعرف من شيمتك

ونبهه لآداب سامية فقال:

وامش الهوينا مظهراً عفة وابغ رضا الاعين عن هيئتك
وكل ما يفضي لعذر فلا تجعله في الغربة من إربتك
ولا تجادل حاسداً ابداً فانه أدعى الى هيبتك

وقال:

وانطق بحيث العي مستقبح واصمت بحيث الخير في سكتتك

ومن أدب الراحل أن ينصف البلاد التي ينزل بها فيذكر محاسنها، ويغتبط بما يلاقيه بها اهلها من احتفاء ومؤانسة . ورد تاج الدين بن حموية السرخسي بلاد المغرب، فسأله سلطان المغرب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن قائلا: أين هذه البلاد من بلادك الشامية؟ فقال السرخسي: «بلادكم حسنة أنيقة، وفيها عيب واحد، فقال السلطان: ما هو؟ قال: إنها تنسي الاوطان .»

وممن قاموا على هذا الادب الجميل العلامة المقري صاحب كتاب نفح الطيب، فقد نظم في الثناء على دمشق أشعاراً، وتمثل فيها بأشعار، ومما أنشده قول شمس الدين الأسدي:

إذا ذكرت بقاع الارض يوماً فقل سقيا لجلق ثم رعيا
وقل في وصفها لا في سواها بها ما شئت من دين ودنيا

وأختم هذه المحاضرة بأبيات خطرت لي معانيها عند ما نزلت دمشق، واني لست بشاعر ولكنني درست علم العروض، فأستطيع أن أقول كلاماً موزوناً، والى حضراتكم هذه الابيات:

زارها بعد نوى طال مداها فشفا قلباً مُجداً في هواها
راح نشوان ولا راح سوى أن رأى الشام وحياه شذاها

نظرة في ساحها تذكره ... كيف كان العيش يحلو في رباها
ما شكا فيها اغترابا وإذا ... حدثته النفس بالشكوى نهاها

* * *

من يحث العيس في البيد الى ... بردى يحمد للعيس سراها
فهنا قامت نوادي فتية ... تبلغ النفس بلقياهم مناها
أدب يزهو كزهر بهج ... أرشفته السحب من خمر نداها
خلق لو نصح الحسود به ... ناصح لاتخذت منه حلاها
ملأوا جلق أنسا فأرى ... ليلها طلق المحيا كضحاها
شد ما لاقوا خطوبا فانتضوا ... مرهفات العزم طعنا في لهاها

* * *

عزة الامة في نشء إذا ... نشبت في خطر كانوا فداها
وجناحا فوزها استمساكها ... بهدى الله وإرهاف قناها
هي عين والهدى إنسانها ... فاذا ما فسقت لاقت عماها

* * *

رتل الذكر مليا تره ... يغرس الحكمة أو يدني جناها
أطلق الافكار من أصفادها ... فمضت ترعى الثريا وسهاها
خض علوم الكون أحقابا وسر ... في سماها إن تشأ أو في ثراها
لا ترى في الدين إلا مغريا ... بجلاها أو مزيحا لقذاها

* * *

ذكرونا سلفا قاموا على ... سيرة غراء والدهر طواها
أمة يذكي التقى غيرتها ... مثلما يذكي الندى نار قراها
شرف لو آنسته الشمس في ... افقه الأعلى لظنته أباها

***

أو يجدي مجد أسلاف إذا غرقت أجفان خلف في كراها
امة تلهو بذكرى تالد عن طريف لم ترم عهد صباها

* * *

فابعثوها همما تسمو كما سمت الجوزاء تزهو في سناها
ما الفخار الحق إلا نهضة أحكم الإيمان والعلم عراها



دور الكتب

في حلب قديمًا وحديثًا [1]

سادتي :

لم تقف همة أجدادنا العظام وسلفنا الصالح عند تأسيس المدارس وتشييد بنائها ، بل انهم ذللوا كل عقبة تعوق عن تحصيل العلم وتحول دون الورود إلى مناهله واجتناء ثمراته .

وقد وجدوا أن من أعظم الوسائل لرفع منار العلوم ونشر ألوية المعارف ، تأسيس خزائن الكتب في المدارس التي أنشأوها وتنظيم شؤونها واسنادها إلى أهل الفضل وذوي المعرفة والخبرة بها . فأخذوا في التباري في هذا المضار ، وتسابقوا في حلبة هذا الميدان ، ووقفوا من الكتب على اختلاف العلوم والفنون ما لو بقي إلى الآن لعد بالملايين .

غير أن الحوادث والمصائب العظمى التي حلت بالإسلام في كثير من الأقطار شتتت شمل هذه الخزائن ومزقتها كل ممزق ، ولما انتبه العالم الغربي

---

(١) مجلة المجمع : ألقى الاستاذ محمد راغب الطباخ عضو مجمعنا العلمي هذه المحاضرة النفيسة في حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب ، ويرى القارئ وصف هذه الحفلة في باب الآراء والأفكار من هذا الجزء .

كان في طليعة أعماله أن وجه نظره وهمته إلى الاستحواذ على هذه الكتب بشتى الوسائل فتم له ما أراد ، وأنشأ في العواصم الاوروبية وغيرها مكاتب حافلة اشتملت على آلاف من الكتب العربية والفارسية والتركية ، وكثير منها من النوادر التي لا تجد منها شيئاً في بلاد الشرق ، وأكبوا على ترجمتها ونشرها والاستفادة منها وما زالوا دائبين على ذلك الى وقتنا هذا ٠

ولو أردنا أن نذكر المكاتب التي شيدها سلاطين المسلمين وأمراؤهم وعلماؤهم وذوو اليسار منهم في مختلف الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب لاحتجنا إلى مؤلف حافل ، غير أنا بمناسبة الاحتفال في هذا اليوم بافتتاح دار الكتب الوطنية التي هي فرع المجمع العلمي العربي في دمشق احببنا أن نقتصر بمحاضرتنا هذه على ذكر دور الكتب في حلب قديماً وحديثاً ، ومنها يعلم أن الشهباء كانت غنية بهذه الذخائر الثمينة جارت غيرها من البلاد العربية الكبيرة ، ولاريب أن دور الكتب في الأمم هي مقياس رقيها وعنوان تقدمها ٠

يرشدنا التاريخ الى أن حركة العلم والادب كانت في القرن الاول والثاني ضعيفة في حلب وما حولها الا أنها أخذت تتقوى في القرن الثالث للهجرة ، فقد ظهر فيها وفيما حولها حفاظ في الحديث ونبغاء في الأدب ، وحسبك من هؤلاء الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤

وكانت حلب في ذلك الوقت قد أخذت بحظ وافر من العمران وازدحمت بالسكان فتطاولت اليها أعناق الملوك والامراء ومن جملتهم سيف الدولة بن حمدان فنهض اليها بجيشه واستولى عليها وذلك سنة ٣٣٣ ومن ذلك الحين عظمت الحركة العلمية فيها وقامت دولة الادب ، وذلك لما كان عليه سيف الدولة من العلم والفضل واغداقه الاموال الطائلة على العلماء والأدباء وصارت الشهباء في عهده محط الرحال وموئلا لعظام الرجال ، وأسس فيها مكتبة عظيمة عنها انبعثت أنوار العلوم وتفجرت ينابيع الفنون ومنها انتهل المتعطشون ٠

قال الحافظ الذهبي في تاريخه : كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وكان من جملة المتولين على هذه

الخزانة ثابت بن أسلم الشيعي المتوفى سنة ٤٦٠ فألف كتاباً في كشف عوار الاسماعيلية فحمل الى صاحب مصر فصلبه وأحرقت تلك الخزانة .

وقال الإمام الكبير والوزير الخطير عمر بن العديم في كتابه الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري الذي نشرناه على نقص قليل فيه في الجزء الرابع من تاريخنا (أعلام النبلاء) : وكان بحلب خزانة كتب في الشرقية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم ، واتفقت فتنته في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ، ونهبت خزانة الكتب وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل ، وجدد الكتب فيها بعد ذلك الوزير ابو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخر بها ، وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (الشاعر المشهور مؤلف كتاب سر الفصاحة الذي طبع حديثاً في مصر) هذه الخزانة في قصيدته الثائية التي كتبها من القسطنطينية يداعب أحد أصدقائه بها قال فيها :

أبلغ أبا الحسن السلام وقل له	هذا الجفاء عداوة للشيعة
فلأطرفن بما صنعت مكابراً	وأبث ما لا فيت منك ابنكة
ولأجلسنك للقضية بيننا	في يوم عاشوراء بالشرقية
حتى أثير عليك فيها فتنة	تنسيك يوم خزانة الصوفية

وهذا أبو الحسن سالم بن علي بن تميم الفقيه الكفر طابي المعروف بالحمامي ، وكان من فضلاء حلب وكان سني المذهب وابو محمد الخفاجي شيعي وكان بينهما مودة ومكاتبة وبنكة من غوغاء الشيعة . ثم ذكر الصاحب ابن العديم ما يفيد أن أبا العلاء المعري كان يغشى هذه المكتبة في تردده الى حلب .

ماذا حصل في هذه المكتبة بعد ذلك

قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي: حكي أبو البركات الهاشمي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين الى

حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور الى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الموقوفة واختار منهـا جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع ، ولقد رأيته وهو يحشوها في عدل ، وهذه الحادثة مما يؤاخذ عليها السلطان صلاح الدين رحمه الله .

ثم أسس بعد ذلك في أواسط القرن السابع القاضي الاكرم جمال الدين يوسف بن ابراهيم وزير حلب دار كتب بحلب وجمع بها ما لا يوصف ، و كان هذا القاضي الوزير من غواة الكتب ومن عشاقها المتفانين في حبها .

قال ياقوت في معجم الادباء : وكان القاضي الاكرم جماعة للكتب حريصاً عليها جداً لم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد ، وكان مقيماً بحلب (وبها توفي سنة ست وأربعين وستماية)

وقال ابن شاكر في تاريخه فوات الوفيات في ترجمة القاضي الاكرم : وكان صدراً محتشماً كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب ، وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب .

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين (في جزء منه هو الآن من مخطوطات المكتبة الاحمدية بحلب) في ترجمة القاضي الاكرم : وله حكايات عجيبة في غرامه بالكتب ، منها أنه وقع له نسخة مليحة من كتاب الانساب لابن السمعاني بخطه يعوزها مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ويطلبه من مظانه فلم يحصل له ، فبعد أيام اجتاز بعض من يعرفه بسوق القلانسيين ، فوجدوا أوراقاً منه فأحضرها اليه وذكر القصة ، فأحضر الصانع وسأله عنه فقال : اشتريته في جملة أوراق وعملته قوالب للقلانس ، فحدث عنده من الهم والغم والوجوم ما لا يمكن التعبير عنه ، حتى أنه بقي أياماً لا يركب الى القلعة وقطع جلوسه ، وأحضر من ندب على الكتاب كما يندب على الميت المفقود

المؤيس منه ، وحضر عنده الاعيان يسلونه كما يسلى من فقد له عزيز . والحكايات الدالة على عشقه الكتب كثيرة . ا ه

وكتاب الانساب هذا كتاب عظيم في هذا الفن ذكره ابن خلكان في ترجمة مؤلفه عبد الكريم بن محمد المروزي وانه في ثمان مجلدات وقد اختصره عز الدين بن الاثير في ثلاث مجلدات والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والاصل قليل الوجود . قال ذلك عنه ابن خلكان وهو من اهل القرن السابع . وهذا الكتاب يحتاج اليه مزاولو علم الحديث والتاريخ والادب والجغرافية فانه يوقفك على الصواب من اسماء الرجال والبقاع الى غير ذلك من الفوائد ، يوجد الان منه نسخة نفيسة في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الاستانة رقمها ١٠١٠ . وقد سبقنا الالمانيون الى طبع هذا السفر النفيس عندهم بالفوتوغراف (المصور الشمسي) وجاء منه نسخة الى حلب الى بعض باعة الكتب بيعت آخراً على ما اظن الى مكتبة المدرسة الخلوتية ، ولا أدري أطبعه الالمانيون على هذه النسخة الموجودة في الاستانة ام على غيرها ، وعلى كل فان نسخه الاصلية نادرة الوجود .

ومن جملة المكاتب العظيمة التي اسست في حلب مكتبة العلامة شرف الدين الشيخ عبد الرحمن العجمي باني المدرسة الشرفية وراء الجامع الكبير واشتهرت عند الناس بالاشرفية وهو خطأ ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وستمائة في وقعة التتر لما دخلوا حلب .

قال مترجموه : وقد وقف الواقف رحمه الله تعالى على هذه المدرسة الكتب النفيسة من كل فن من حديث وتفسير وفقه ونحو وغير ذلك ، فمن كتبها مسند الامام الشافعي والأم وجميع كتب الامام الشافعي وكتب الاصحاب كتفسير الثعلبي وغيره من التفاسير وكالنهاية والحاوي الكبير والابانة والتتمة والذخائر والشامل ، (الى ان قال) وكان بها اربعون نسخة من التنبيه وجميع كتب الغزالي وكانت اسماء الكتب مثبتة عند اقاربه في درج كبير فذهب في محنة تيمر .

ومن دور الكتب في حلب جامع منكلي بغا المعروف الان بجامع الرومي في محلة باب قنسرين أنشيء هذا الجامع سنة سبع وستين وسبعمائة هجرية .

قال أبو ذر في تاريخه كنوز الذهب : ووقف منكلي بغا كتباً نفيسة لهذا الجامع ومنها التفسير للقرطبي والتبصرة لابن الجوزي ومجمع الاحباب للحسيني وغير ذلك من الكتب النفائس وقد ذهب نصف مجمع الاحباب وكان كله في مجلدين فذهب مجلد واحد وهو كتاب جليل ترجم فيه الاوليـاء والعلماء وتكلم فيه على طريق الصوفية ، ووضع الكتب في خزائن الجامع المذكور . وهذه الخزائن متقنة محكمة فيها الصنائع العظيمة على طريق النجارين وبلغني ان الشيخ قربكاً وهو من الصالحين كان نجار ذلك .

والان لا خزائن هناك ولا كتب وقد رأيت منها تفسير القرطبي في بعض البيوت وهو في (١١) مجلداً من اصل خمسة عشر وقد بيعت هذه المجلدات منذ عهد قريب ، ويغلب على الظن ان هذه النسخة النفيسة اصبحت الان في خزائن المكاتب الغربية .

ومن دور الكتب دار الحديث التي أمر ببنائها أحمد مطاف باشـا من غلة دراهم قدرها عشرة آلاف دينار ذهباً وقفها في سبيل الخيرات وكتاب هذا الوقف محرر سنة ١٠٠٤ ، ودار الحديث هذه كانت شرقي تربة الواقف الكائنة في محلة الجلوم الملاصقة للخان المعروف بخان المطاف ، وقد ذكر في كتاب وقفه ثمانين كتاباً خطياً وقفها على دار الحديث هذه ، وهي كتب متنوعة من جملتها جلدان من لسان العرب وصل فيهما الى حرف الراء وقد تبعثرت هذه الكتب واستبدلت هذه الدار بدار في محلة وراء الجامع دعيت بدار الحديث أيضاً لكنها في عداد المدارس المعطلة التي لا تستفيد منها الامة .

هذا ما عثرت عليه في هذه العجالة من دور الكتب في الشهباء قبل الالف ، وكلها أصبحت أثراً بعد عين ونحن نلقي تبعة ذلك على أمراء ذلك العصر وعلمائه فانه لولا تهاونهم وسكوتهم لحفظ الى هذا الوقت ذلك التراث المجيد ولكنا نقتطف منه ثماراً يانعة ولكن الى الله المشتكى .

ما أنشئ من دور الكتب بعد الالف

من أعيان الشهباء في أوائل القرن الحادي عشر رجل يقال له الشيخ أحمد

القاري وكان خليفة للشيخ ابي بكر صاحب المزار المشهور الذي يعد اليوم في جملة آثار حلب القديمة وهو شرقي حلب الى شماليها ٠

وكان هذا الرجل ذا تدبير وحسن رأي وصلاح ومعرفة وسخاء يد محبوباً الى الامراء الذين يردون حلب والى الاهلين فأغدقت عليه الاموال ، فبنى تلك التكية المعروفة الى اليوم بتكية الشيخ ابي بكر ووقف لها عقارات ومزارع ونظم امورها على ما يطلبه ذلك العصر ، ومن جملة ما أسسه فيها مكتبة قيمة فيها مختلف العلوم والفنون إلا انها كانت كغيرها عرضة للناهبين ومنذ عشر سنين كان فيها بقية قليلة في خزانة تجاه ضريح الشيخ أبي بكر ، ورأيت في جملة هذه البقية مصحفاً كريما محلى جميعه بالذهب وربعة أي أجزاء من القرآن العظيم وكل جزء منه محلى كذلك ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت لكم ان هذا المصحف وتلك الاجزاء تساوي اكثر من ٣٠٠ ليرة ذهبية وقد فقد ذلك كله ، وتلك البقية من الكتب استلمتها دائرة الاوقاف منذ سنين قلائل وأضافتها الى كتب مكتبتها٠

وهذا الرجل هو الشيخ أحمد القاري وقف كتباً قيمة أيضاً على التكية المولوية ، وهي مما بني في اواسط القرن العاشر وكان هو مولوياً أيضاً ، وأظن ان هناك اشخاصا آخرين ممن تولوا أمر هذه التكية وقفوا فيها كتبا كثيرة إلا انها ايضا كانت معرضة للنهب لعدم انتظام أمرها ففقد منها الكثير ، وفي فهرست كتبها الاخيرة عدد الكتب يناهز ١٢٠٠ ولما أحصتها دائرة الاوقاف بلغت ٩٥٠ كتابا ، الا ان المهم من هذه المكتبة لا يزيد على خمسين كتابا وهي اليوم بحالة لا يستفاد منها مطلقا وذلك مما يؤسف له ، وقد قلنا ان تبعة ذلك ملقاة على عاتق امراء حلب وعلمائها فهم المسؤولون عن ذلك كله (فكلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته)٠

وفي القرن الثاني عشر في اواسطه وأواخره أسس في الشهباء خمس مكاتب الاولى أسسها أحمد افندي طه زاده وتعرف اليوم بالمكتبة الاحمدية وهي في مدرسته التي أنشأها في محلة الجلوم ، تحوي الفا واربعماية وخمسين كتابا تبلغ

ثلاثة آلاف مجلدة كلها مخطوطة ، وفيها الكثير من النفائس ، وبالرغم عن تشديد الواقف في أمرها فانها لم تسلم من ايدي العابثين وعلى ما اقدر انها نقصت من حين إنشائها الى الان نحو ١٥٠ كتابا منها نحو السبعين فقدت منذ خمسين سنة الى الان ، وهي بالنسبة الى غيرها تعد محفوظة بالجملة . ومن جملة نفائسها اسطرلاب نحاسي بديع الصنعة محكم لا تقل قيمته عن خمسين ليرة ذهبية ، وفيها كرتان قديمتان من صنع اوربة الواحدة سماوية والاخرى ارضية بلغني ان زائرة ايطالية عالمة بالآثار اكدت ان هاتين الكرتين قل ان تجد كرة معاصرة لها في المتاحف الاوربية .

الثانية : اسسها المرحوم عثمان باشا الدوركي باني المدرسة العثمانية واضاف اليها المرحوم تقي الدين باشا المدرس الحلبي كتبا مخطوطة ومطبوعة وذلك في اوائل هذا القرن ، وفيها من وقف هذين العظيمين كتب من النفاسة بمكان ولم تسلم ايضاً من الايدي الاثيمة لعدم انتظام امر قوامها ، وبعض هذه الكتب لقلة الاهتمام بها اصابتها الامطار فالتصقت اوراقها بعضها ببعض ، والخلاصة ان الخلل في هذه المكتبة ليس اقل من الخلل الواقع في اوقافها وهذا مشاهد معلوم .

الثالثة : اسسها المرحوم احمد افندي الكواكبي في مدرسته التي انشأها في الجلوم ، وكانت لا تقل اهمية عن المكتبة الاحمدية ، وقد بددت كلها وبضع اجزاء منها آل الى مكتبة الاوقاف العامة ، وقد كان فيها عدة كتب هي من تأليف بني الكواكبي منها ذيل في تراجم الرجال لمحمد افندي الكواكبي ورحلة نفيسة الى احمد افندي الكواكبي جد احمد افندي الواقف .

الرابعة : مكتبة اسسها الشيخ محمد البخشي شيخ سجادة التكية الاخلاصية في محلة البياضة ، وزاد فيها بعد ذلك الشيخ ابو الوفا الرفاعي جد بني الرفاعي القاطنين بها الان ، ولم تسلم كغيرها من المكاتب بل امتدت اليها بعض الايدي ولم يزل منها جملة حسنة في خزانة آل الرفاعي ، وهي غنية بكتب الحديث والرجال وفيها ما لا يوجد في غيرها ، وقد كنت نشرت نفائسها في مجلة مجمعنا العلمي العربي .

الخامسة : المكتبة المارونية وهي في دار البطريركية المارونية ، وكون تأسيسها منذ قرنين اقوله ظنا لا يقيناً .

وفيها من النفائس في كتب الادب : مباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد ابن ابراهيم الانصاري المعروف بالوطواط المتوفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ومن هذا الكتاب عدة نسخ في الاستانة وهو جدير بالطبع .

وفي القرن الثالث عشر انشئ في المدرسة البهائية المعروفة بالصلاحية ايضـا مكتبة فيها الان نحو ٧٠ كتـابا ، وكذلك في المدرسة المنصورية في محلة الفرافرة انشأها الشيخ منصور السرميني وقد تبعثرت واحضرت البقية الباقية منها سنة ١٣٤٥ الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة أنشأها اسماعيل باشا واقف المدرسة الاسماعيلية في مدرسته ، وقـد بقي منها بقية أحضرت أيضاً إلى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة جامع السكاكيني في محلة الفصيلة بقي منها بقية أحضرت الى مكتبة الاوقاف .

ومكتبة في خزانة المدرسة الطرنطائية في محلة محمد بك في باب النيرب عند بني الباونجكي لم يزل منها بقية إلى اليوم .

ومكتبة في المدرسة القرناصية في محلة الفرافرة بددت أيضاً وأصبحت في خبر كان .

ما أسس من المكاتب في هذا القرن

مكتبتان هامتان وقفهما رجلان جليلان في هذا القرن :

الاولى : مكتبة وقفها محمود أفندي الجزار ، وضعت بعد وفاته في الجامع الكبير .

والثانية : مكتبة الحاج عبد القادر الجابري بقيت في بيته بعد وفاته ، ثم أحضرت المكتبتان منذ خمسة عشر عاماً إلى المدرسة الخسروية ثم نقلتا إلى المدرسة الشرفية التي تقدم ذكرها ، وأضيف اليها ما تقدم ذكره من البقية الباقية في تكية الشيخ أبي بكر والمنصورية وجامع السكاكيني والمدرسة الاسماعيلية واشتريت لها بعض الكتب المطبوعة فتألف من ذلك مكتبة حسنة تابعة لإدارة

الأوقاف ، لكنها في حاجة كبرى إلى الزيادة مما طبع في مصر وأوربة وغيرها ليكون منها مكتبة حافلة يرتوي منها رواد مناهل العلم ، فعسى أن تلبي دائرة الاوقاف نداءنا وتضع لها في ميزانيتها كل سنة مقداراً حسناً يكون سبب نموها وانتظامها ٠

ومنذ سنوات وقف الشيخ أحمد الصديق رحمه الله كتباً مخطوطة ومطبوعة على مدرسة في محلة قارلق ولم تزل هناك إلى الآن ٠

وآخر مكتبة أسست في الشهباء هي مكتبة فرع المجمع العلمي العربي بدمشق وكان ذلك منذ أربعة عشر عاماً أرسل اليها المجمع من تأسيسها إلى الآن نحو ١٩٠٠ مجلد ، وفي هذه السنة أرسل اليها ١٢٠٠ كتاب فصار فيها جملة صالحة إلا أن المكان الذي كانت فيه وهو تلك الحجرة التي هي في الطابق العلوي في خان الكمرك التابع لدائرة الاوقاف كان غير صالح لوضع مكتبة فيه وذلك لضيقه وعدم ارتفاع سقفه ، والانسان يضيق به ذرعاً بعد قعوده فيه قليلاً وتهويه السآمة فيغادر المكان وهو لم يشف غليلا ، وأمكنة المطالعة ينبغي أن تكون فسيحة الارجاء مرتفعة السقف ينشرح لها الصدر وترتاح بها النفس ليكون ذلك سبباً للدأب في المطالعة والاسترسال فيها من غير ملل ٠

وطالما ذاكرت المجمع العلمي بدمشق وفي حلب عند حضور رئيسه وبعض أعضائه عن حالة هذا المكان فلم يجد ذلك شيئاً ، إلى أن عين محافظ حلب المحبوب الامير مصطفى الشهابي ٠ فذاكرته في ذلك لاول زيارتي له في فندق بارون على اثر حضوره فوجدت منه أذناً صاغية وقلباً ملىء شغفاً بهذه المشاريع التي فيها مستنار العقول وحياة البلاد ٠

ولم تقف همة المحافظ حفظه الله عند نقل هذه المكتبة من مكانها الضيق الى هذا المكان المتسع الجميل بل سعى لدى المجلس البلدي بأن يضع في ميزانيته مبلغاً وافراً في كل سنة ليبني داراً عظيمة للكتب ويبتاع منه ما يطبع في مصر وغيرها من الكتب العربية وغير العربية ليجد المطالع فيها جميع ما يحتاج إليه

وما يشفي غليله ، ولا ريب أن هذا العمل مأثرة كبرى لمحافظنا يحفظها له التاريخ ويخلد له جميل الذكرى . والمجلس البلدي يكون في عمله هذا قد اقتدى بالمجالس البلدية في البلاد الأوروبية فان لها مكاتب عظيمة هي في تقدم مستمر .

ولم نسمع في الشرق للمجالس البلدية مكتبة إلا للمجلس البلدي في الاسكندرية فان له مكتبة قيمة اشتملت على آلاف من المخطوطات والمطبوعات وهو في كل سنة يزيد في عددها وتنظيمها .

فإذا أبرز المجلس البلدي في حلب هذا المشروع لحيز الوجود وقام بهذا العمل المجيد يكون المجلس الثاني الذي قام في الشرق بأمثال هذه المشاريع النافعة للبلاد ، وهو الاول من نوعه في البلاد الشامية .

والذي نرجوه من المجلس البلدي ومن دائرة الاوقاف إذا أحبا أن يكون لنا مكاتب تدر بالفائدة الكبرى على هذه البلاد أن لا يقتصرا على ابتياع ما طبع وما يطبع فحسب بل عليهما أن يأخذا ما تعظم الفائدة به من آثار أسلافنا التي تسربت إلى مكاتب الغرب والاستانة ومصر بالمصور الشمسي ويستردا بضاعتنا الينا .

وأهم هذه الآثار بالنسبة إلى حلب بل الى بلادنا الشامية جميعها ذلك التاريخ العظيم وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » للامام الكبير والوزير الخطير والمؤرخ الشهير الشاعر الناثر ذي الخط الجميل الذي ضرب به المثل ونوه به شعراء عصره كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ وقد أفردت لهذا الرجل العظيم ولتاريخه كتاباً خاصاً في سبعين صحيفة .

ومعظم تاريخه بخطه في ثمان مجلدات في سراي طوب قبو في الاستانة وجزء منه في لوندرة وجزء في باريس وثلاثة أجزاء في مكتبة أيا صوفية في الاستانة وهي بخطه أيضاً وقد سبقتنا الحكومة المصرية الى أخذ هذه الاجزاء بالمصور الشمسي ، وقد كان المرحوم أحمد زكي باشا أرسل لي سبع أوراق أخذها عن

النسخة المصرية وها هي أعرضها على أنظاركم الكريمة ، وجزء من هذا التاريخ العظيم في إحدى مكاتب الموصل قد استنسخناه وفيه ترجمة نحو عشرين شاعراً من شعراء المعرة قل منا من يعرف واحداً منهم الى غير ذلك من الفوائد التي اشتمل عليها هذا الجزء وما هو بين أيديكم ، وباسترداد هذا الكتاب وأمثاله مما نحن في حاجة اليه وإبرازه لعالم المطبوعات نزداد علماً بمجد آبائنا ومعرفة ببلادنا الشامية وما دثر منها والاحوال المدنية والعمرانية التي كانت عليها ؛ ونقف على ما أنبتته من الرجال وما قاموا به من جليل الاعمال وما خلدوه من الآثار الى غير ذلك من جلي الفوائد وعظيم العوائد ، وذلك ولا ريب من أعظم البواعث لنهضتنا واستيقاظنا من رقدتنا ، واسترجاع سالف عزنا ومجدنا ، والله الموفق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

في ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

في ٢٦ تموز سنة ١٩٣٧

محمد راغب الطباخ



آراء وأخبار

وفاة

السيد مصطفى صادق الرافعي عضو المجمع العلمي العربي

ينعي المجمع العلمي الى أعضائه أخاهم الاديب العربي الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي الذي استأثر به ربه يوم الاثنين من شهر صفر المحرم ١٣٥٦ ١٠—٥—٣٧، وقد انتخبه المجمع العلمي عضواً مراسلا سنة ١٩٢٨، وهو من أعلام العرب في العلم والأدب قضى حياته في خدمة لغته وآدابها شعراً ونثراً في الصحف والمجلات والمصنفات الممتعة، فهو من زعماء الانشاء المحافظين على أسلوب البلغاء الابيناء من السلف، وبذلك عاش من الكرام الكاتبين الذين ارتقت بهم الكتابة، فقربت اللغة من بيان العرب بمقدار ما تجافت بها عن مضاجع العجمة وستؤبنه المجلة تأبيناً مفصلاً في الجزء التالي طاب ثراه، ورحمه الله.

أغلاط دائرة المعارف الاسلامية

اطلعت في العدد التاسع من المجلد الثاني من دائرة المعارف الاسلامية المصرية حديثاً بمصر على ترجمة السيد محمد الآلوسي المفسر الشهير وهي من إنشاء الدكتور بروكلمان المستشرق المعروف، وقد وجدت فيها غلطات تاريخية

لذلك أحببت أن ألاحظ على كاتبها ، وليس لي من قصد غير خدمة العلم ؛ قال الدكتور بروكلمان:

« ولد الآلوسي عام ١٢١٨ هجرية » ، والصحيح أن ميلاده في سنة ١٢١٧ هجرية مثلما هو مذكور في ترجمته في كتابه المسمى بكشف الطرة عن الغرة نقلاً عن كتاب جلاء العينين في محاكمة الاحمدين تأليف نجل المترجم — ثم قال : « إن الآلوسي تنازع هو والباشا التركي (يعني والي بغداد) ورغب أن يدافع عن نفسه وعن حقوقه في عاصمة الدولة العلية ، فرحل اليها في جمادى عام ١٢٦٧ هجرية وبلغ صامسون بعد أن مرّ بالموصل وديار بكر ثم ركب البحر الى الاستانة ، ولما لم يقابله الصدر الاعظم بما هو أهله عاد أدراجه الى موطنه دون أن يحقق غرضه » هذا أيضاً خلاف الواقع إذ الآلوسي نفسه ذكر في رحلته التي سماها « نزهة الالباب وغرائب الاغتراب » اجتماعه بالصدر الاعظم رشيد باشا وذلك بواسطة شيخ الاسلام حينئذ عارف حكمة ، وقد قابله الصدر بما يليق بمقامه من التجلة والاحترام وقضى له ماربه وأغراضه كلها وقد رجع من عنده وهو يلهج بالثناء عليه وعلى شيخ الاسلام المذكور — ثم قال الكاتب : « وقد كتب أحد أقربائه واسمه نعمان خير الدين الآلوسي وكان يقطن كذلك في بغداد دفاعاً عن ابن تيمية عنوانه جلاء العينين في محاكمة الاحمدين (بلاق عام ١٢٩٨) ذكر الكاتب ان مؤلف الكتاب المذكور هو أحد أقرباء الآلوسي بل الصحيح انه نجل السيد محمود الآلوسي المترجم ؛ وذكر الكاتب أيضاً أن مصنفه المذكور مطبوع في بلاق عام ١٢٩٨ وهذا تحريف من الكاتب والصحيح بولاق كما ذكره العلامة مؤرخ مصر تقي الدين المقريزي في المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار والسيوطي في حسن المحاضرة وكما هو مشهور عند العامة فضلا عن الخاصة ، ثم ذكر الدكتور بروكلمان ان تفسير الآلوسي المسمى بروح المعاني طبع في ثمانية اجزاء بمطبعة بلاق فيما بين عامي ١٣٠١ و ١٣١٠ هـ » والحقيقة ان تفسيره طبع بمطبعة بولاق في تسع مجلدات ضخمة لا في ثمانية اجزاء ، وقد وهم أيضاً في قوله : بين عامي ١٣٠١ — ١٣١٠ بصيغة المثنى ، والحال ان مدة استغراق

طبع التفسير المذكور كانت تسع سنوات فكان الاصح ان يقال بين أعوام كذا أو بين سنيّ كذا .

طرابلس الغرب : علي محمد الفقيه حسن

رجاء

الى أعلام العربية والاستشراق

رجعت في معنى (السيرار) الذي عده المرزوقي في كتابه (الأزمنة والامكنة) من جملة بيوع العرب في الجاهلية إلى المعاجم الاتية :

١— تاج العروس (شرح القاموس) .
٢— لسان العرب لابن منظور .
٣— الصحاح للجوهري .
٤— المجمل لابن فارس (نسخة مخطوطة كاملة في المكتبة الظاهرية) .
٥ — الجمهرة لابن دريد .
٦— الفائق للزمخشري .
٧— أساس البلاغة .
٨ - النهاية لابن الاثير .
٩— المصباح المنير .
١٠— المخصص لابن سيده .
١١— التهذيب للازهري (نسخة مخطوطة في المكتبة الاحمدية بحلب) .

ثم تحريت في شروح الحديث وكتب الفقه ، مظنة أن أجد فيها تعرضاً له في صدد كلام عن البيوع الفاسدة أو النهي عنها فلم أجد أحداً من أصحاب المراجع المذكورة قد ذكر هذا الضرب من البيع ، ولم يتعرض له غير صاحب محيط المحيط (وقد روينا عبارته) ولم أهتد بعد الى المصدر الذي استقى منه هذا التفسير .

فالمرجو من علماء العربية ممن عندهم معاجم مخطوطة أو مطبوعة إذا عثروا على النص الموثوق في ذكر بيع السمرار ان يتكرموا فيوافوني بالبيان الشافي عن طريق المجمع العلمي العربي بدمشق ولهم الشكر الجزيل .

غرة صفر سنة ١٣٥٦

سعيد الافغاني

حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية بحلب

عشية الاربعاء الواقعة في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦ (٢٧ تموز ١٩٣٧) أقيمت في عاصمة بني حمدان حفلة افتتاح دار الكتب الوطنية، وقد ضمت جمهوراً من العلماء والاعيان ورجال الصحافة .

وعند افتتاح الحفلة ألقى الاستاذ سامي الكيالي كلمة مفيدة عن دار الكتب ومساهمة دار الامانة (البلدية) في إخراج هذه الخزانة من سجنها القديم ، ثم القى الشيخ علي الكحال قيم خزانة الاوقاف كلمة عن خطورة الكتب ومكانتها عند الامم العربية والغربية، ثم أنشد الاديب شارل الخوري قصيدة في الموضوع، وعلى أثره نهض مؤرخ الشهباء ومدير المدارس العلمية فيها الشيخ محمد راغب الطباخ وألقى كلمة ممتعة عن خزائن الكتب الحلبية وعن تسابق الحلبيين في اقتناء نفائس الكتب وإنشاء الخزائن لها، ولم ينس الاستاذ الفاضل وهو من أعضاء مجمعنا العلمي، ان ينوه بشأن المجمع العلمي ويذكر يده البيضاء في تنشيط العلم والعلماء في حلب وذلك بانشاء فرع له فيها يضم أفاضل علماء الشهباء ، وبانشاء خزانة كتب تشتمل على نفائس الاسفار .

وبعد ان القى الاستاذ الطباخ محاضرته التي نشرناها في هذا الجزء القى محافظ حلب وعضو مجمعنا العلمي الامير مصطفى الشهابي كلمة وجيزة قال فيها : «نحن هنا في حرم الادب بعيدون عن السياسة والتحزبات وضوضائها المنغصة». ثم قال : ليس الفضل لي وحدي في إحياء هذه المكتبة بل لرئيس البلدية والمجلس

البلدي واعضاء فرع المجمع العلمي في حلب ، وهم الذين عطفوا على هذا المشروع العلمي وساهموا في إحيائه ، والذي أرجو ان يوفقنا الله لتحقيقه ذلك القرار الذى اتخذه المجلس البلدي بفتح اعتماد بعشرة آلاف ليرة سورية في موازنة بلدية حلب لانشاء دار كبيرة للكتب وردهة لالقاء المحاضرات .

وذكر انه أخذ وعداً صادقاً من الاستاذ سعدالله الجابري وزير الداخلية بأن يضع في موازنة المعارف لعام ١٩٣٨ عشرة آلاف ليرة سورية لهذا المشروع ايضاً .

والفضل الذي يعود لمحافظ حلب ، وهو عضو مجمعنا العلمي ، يعود بالتالي للمجمع العلمي نفسه ، فهو الذي أنشأ خزانة الكتب الحلبية ، وقام بنفقات موظفيها مدة أربعة عشر سنة ، ولا يزال بها قائماً ، وأمدها بنفائس الكتب ، وآخر ما أرسله هدية اليها الف ومائتان من المجلدات .

ولقد كان في نية المجمع عند توفر المال ان ينقل خزانته الحلبية الى دار فخمة في سرة المدينة تليق بمكانة العلماء وبتاريخ الشهباء وقد كتبت أمانة سر المجمع الى الحكومة بذلك مراراً ، ومحافظ حلب آخر من راسلته في ذلك فالحمد لله الذي قدّر للمجمع العلمي على يد أعضائه ان يرفع من شأن خزانة الشهباء ، وان يجعلها مثابة للناس وينفع بها العلماء والادباء .



مطبوعات حديثة

السيد رشيد رضا

او إخاء اربعين سنة

تأليف

الامير شكيب ارسلان من اعضاء المجمع العلمي العربي

مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ / ١٩٣٧

إن الحلية الخاصة التي تحلى هذا الكتاب بها هي سجية الوفاء للاصدقاء ، وهي الصفة التي امتاز بها مؤلف هذه السيرة الممتعة الأمير شكيب أرسلان ، لانها تشتمل على نحو الف صفحة في ذكر مناقب السيد رشيد رضا الذي يقول عنه الامير في المقدمة ما نصه : « وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كل من أعيان هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الامام محمد رشيد رضا من أرجحهم ميزاناً ، وأوفاهم قسطاً لا يجحد ذلك الا من رانت عليه الضلالة أو أعماه الغرض ؛ وإني لأجد نشر مناقبه والتنويه بقدره والاشادة بحسناته الكثيرة والانارة لبراهينه الساطعة من عزائم الله الموجبة وفرائضه المبرمة عملا بقوله تعالى : وزنوا بالقسطاس المستقيم » .

ان سير العظماء تشبه قصائد الرثاء ، ووجه الشبه بينهما ان مؤلفي هذين الصنفين لم يقصدوا من ورائهما جزاءاً ولا شكورا ، فهما آيتان ناطقتان بالوفاء من آيات الثناء ، وجانب الخسارة المادية في كتابة السير يغلب في معظم الاعيان جانب الربح ، فالدلالة على وفاء الامير لصديقه أدبية ومادية معاً ، وقد أشاد بفضائله حياً وميتاً في كتاب حاضر العالم الإسلامي واعاد ما نشره فيه في الصفحة ١٤ من هذه السيرة تحت عنوان (ما قلته في السيد رشيد) ٠

وقد جمع الامير في تاريخ الاستاذ الرشيد جميع ماله علاقة بها فمن تقريظ الامير للوحي المحمدي الى مقدمة السيد رشيد لكتاب الارتسامات اللطاف ، الى ما كتبه في المنار عن حديثهما مع أعضاء جمعية الامم ، وعن وفد الصلح والسلام ؛ ومن جملة فصول هذه السيرة ما قيل في السيد الرشيد عند وفاته في الجرائد والمجلات ، أو ما ألقي في الحفلات ٠

وفي السيرة كثير من الابحاث التاريخية السياسية منها بحث المشانق العربية التي نصبها الطاغية جمال باشا في دمشق وبيروت ، وكيف غدر بالسيد عبد الحميد الزهراوي ، واستحضره الى المحاكمة في الديوان العرفي بعالية بعد أن كان من أعضاء مجلس الأعيان ، وقد أراد الزهراوي رحمه الله أن يقنع جمالا ببراءته ويستل سخيمة صدره وذكّره بما كان بينهما من عهد فقال له : إنه ليس له مدخل في الامر وانه لن يصيبه أذى إذا كان الديوان العرفي يحكم ببراءته ، قال الأمير : وحقيقة الحال أنه كان من البداية بنوي البطش به ، وقد كنت بذلتُ كل مافي وسعي لأجل إنقاذه وإنقاذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى المشنقة برأيه الافين لامر يريده الله ، وتكلمت مع أنور عندما زار سورية خفية عن جمال ، واغضب ذلك جمالا ، ولم أبال غضبه ، وسعيت لدى قنصل المانية في دمشق سعياً حثيثاً بعد أن استحلفته على كتمان السر حتى يبرق إلى سفارة المانية في الآستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شر الشقاق بين العرب والترك ٠٠٠ ولابد أن تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالاستانة تشتمل علي ما أفضيت به الى قنصلهم بدمشق ٠٠٠ الى ان يقول :

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى التفاهم معهم وان يتولى منصباً شرعياً في الاستانة فخاف أن يكون ذلك استدراجاً وأبى قبول دعوتهم ولم يقع في الخطإ الذي وقع فيه الزهراوي عفا الله عنه .

لقد كان الامير شكيب من أشرف من كان حول جمال من رجال العرب دفع الله به كثيراً من الشر والاذى ، وما كان يدافع عن الدولة العثمانية الا دفاعاً عن العروبة والاسلام وخوفاً عليهما من مثل الانتداب والحماية والاستعمار وكان شبان العرب وأعضاء المنتدى الادبي في الاستانة لا يرضون عن هذه السياسة الشكيبية وهي سياسة اسلامية خالصة ، بل كنا نعدها انتصاراً للترك على العرب ، ولكنه كان مخلصاً في عقيدته ومشفقاً من الاستعمار على عروبته ، ولا أزال ذاكراً زيارتي له في الفندق مع الشهيدين عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى وسيف الدين الخطيب وقد قلنا له : ان العرب لا يطلبون سوى الاصلاح شيئاً ، وهل في طلبه عداء للترك او خلاف ، فأجابنا : ان هذا الطلب ، والدولة في جهاد واعداؤها بالمرصاد ، ليس شيئاً من النجدة والانصاف ، وقد أعرب في هذه السيرة عن فكرته هذه بقوله ص ١٥١ : «اذ كنت ممن لا يجيز المضي في الاختلافات الداخلية الى ذلك الحد الاقصى حينما يكون البلقانيون على أبواب الآستانة عاصمة الإسلام »

مروءة مأثورة للامير شكيب العربي واخلاص منه لامة لا تبادله هذا الاخلاص ، ولو بقي العرب مع الترك يسفكون دماءهم الى آخر الحرب لما كان نصيبهم في هذه الايام غير نصيب الاكراد ، ولما كان لعمري جزاؤهم على ما أبلوه من البلاء الحسن غير التتريك والالحاد .

وقد جمع الله العرب أخيراً على معرفة هذه الحقيقة ، فإن الامير أمتع الله ببركات حياته يقول في حاشية له ص ٤٣٦ ما نصه : « بعد ان رأيت ما رأيت من هدم أنقرة للاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب أصبح أهون من خطر ملاحدة الترك . »

وقد علق الامير على هـذه السيرة حواشي مفيدة سيرية وتاريخية وسياسية

ولغوية وأدبية تذكّر بحواشي حاضر العالم الاسلامي التي فضلت متنها ، والحلة لا تحلى في العين مالم تستكمل حاشيتها وردنها ، ومن أين لي أن أحصي ما أفدته من مطالعة هذه السيرة المباركة ، لولا بعض هفوات من الطبع قلما خلا منها كتاب طبع في الشرق ، وقد تحدث والمطبعة دائرة كنقص بعض الحروف مثال ذلك ص ٤٣٤ حماه بالهاء وهي بالتاء المثناة ، أو كزيادتها نحو (فضله) ص ٤٣٩ في (فصّله) بالصاد المهملة ، وجاء في حاشية ص ٣٤٥ س ٧ (واقتصر صاحب المصباح) ولعل تتمة القول (على الدعارة) ، وفي الصفحة عينها و س ١٦ : القصية والصواب القصيا ، وأثوت به أثاوة وإثابة ، والصواب بالتاء المثناة في الالفاظ الثلاثة كما في لسان العرب ·

وجاء في صفحة ٤٤٣ : فتصل العجم غيرة الملك ولعله عين الملك ، وفي السطر الثالث من حاشية ص ٤٤٨ اللحي وصوابه اللخمي ، وفي ص ٤٨٩ : لكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب ، والصواب وأجران إن أصاب ، وفي ص ٤٩٣ : يحضّون نار الشقاق ، والصواب يحضئون ، وفي ص ٥٨٠ : ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه ، والصواب التي ذكرتموها · وقد نشرنا هذه الهفوات قبل أن تطبع المطبعة فهرس التصويبات ولعلها تكون فيها ، فبارك الله بأمير البيان مؤلف هذه السيرة الطيبة ، وأعز به دولتي العرب والادب معاً ؟

التنوخي

ابن سينا

للأستاذ جميل صليبا

١٥٠ ص متوسطة — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هذه هي الحلقة الخامسة من السلسلة الفلسفية التي يعنى بنشرها مكتب النشر العربي بدمشق الذي أثنينا في مجلتنا[1] على همة رجاله الثلاثة ونشاطهم في نشر عيون الآثار ، والحلقات الأربعة المتقدمة على هذه الحلقة هي : ابن خلدون والغزالي وابن طفيل للدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ، والرابعة من افلاطون الى ابن سينا ، والخامسة ابن سينا التي نكتب عنها هذه الكلمة ، وكلتاهما للدكتور جميل صليبا رئيس التعليم الثانوي ومفتشه في وزارة المعارف .

الأستاذ جميل صليبا الحكيم « الدكتور » في الفلسفة من أفضل من أكملَ تحصيله في مدارس الغرب محافظةً على قوميته وغيرةً على درس رجال سلفه الصالح ، ولم يكتف بمصطلحات الفلسفة في الفرنسية أو بما نشر في تعريبها في العربية والتركية ، فعكف على مطالعة كتب السلف في الفلسفة وفي علمي الكلام والتصوف ، وهما العلمان العربيان اللذان حضنا الفلسفة ، منقباً عما وضع علماؤنا من المصطلحات ومختاراً منها ما يدل تمام الدلالة على المعاني الفلسفية الحديثة ، ولذلك جاءت ترجماته ومؤلفاته في حلة عربية قشيبة لا تشوبها عجمة ، ولا تخفيها ظلمة ، لصحة تعبيرها وتوضيحها وتنويرها .

لا يكتب الاستاذ صليبا الا بعد أن يدرس ويحيط بموضوعه تحليلاً وتنقيباً او بعبارة أوضح بعد أن يفهم ما يدرس ويتمثله جيداً ، ولذلك يجيءُ ما يكتبه صحيحاً في معناه ومبناه ، فان ظلمة التعبير أثر من ظلمة التفكير ، وبحثه هذا عن « ابن سينا » دلالة واضحة على ذلك .

بدأ رسالته بتوطئة عامة ذكر فيها ابن سينا وانه لم يشتهر عند الاوروبيين

(١) انظر المجلد ١٤ صفحة ١٥٩

بشرح مذهب أرسطو اشتهار ابن رشد ، غير أن قيمته عند فلاسفة الإشراق أعظم من أن توصف ، وأن كتبه الطبية قد ترجمت الى اللغة اللاتينية كما ترجمت كتبه الفلسفية ، وبحث عمن عني من علماء أوروبة بفلسفته كغليوم الافريني والقديس توما دكينو وروجه باكون ، ثم بين المؤلف الفوارق بين الفلسفة الرشدية وفلسفة ابن سينا والفارابي وان فلسفتها مستمدة من الفلسفة الافلاطونية ، واستشهد المؤلف على احكامه الصحيحة بشواهد اقتبسها في الحواشي من كتب فلاسفة العرب كتهافت التهافت والشفاء ومنطق المشرقيين ·

وابحاث الكتاب ممتعة تجلو كثيراً من غوامض ابن سينا حتى تكاد تمثّل لك صورته بكثير من الوضوح ، كأبحاث حياته وآثاره وفلسفته ومصادرها العربية والاعجمية ، ومنها بحثه عن منطق ابن سينا في كتابه منطق المشرقيين وعن رأيه في النفس مستخرجاً من كتبه الثلاثة النجاة والشفاء والاشارات ·

وختم الحكيم جميل صليبا كتابه هذا ببحث (الاخلاق والتصوف في نظر ابن سينا) فبحث عن العناية واللذة في إدارك الكمال ولذة العارفين ومقاماتهم ورياضة المريد والوصول وصفات العارف الى غير ذلك من الرقائق واللطائف ، فجزاه الله عن فلسفة أمته العربية خيراً ، فقد كشف عن سرها وقدرها حق قدرها ·

التنوخي

***

ديوان البراعم

٢١٥ صفحة ، بالمطبعة العلمية بحلب

الاستاذ عمر يحيى شاعر حماة انسان نبيل يمتاز بصفات سامية فهو كريم النفس مخلص في الود ، رقيق الحاشية ، دقيق الشعور ، تشجيه الكلمة الطيبة ، ويرقصه المعنى الجميل

اما علمه بالمكتبة الادبية فجد عظيم ، وما حفظه من دررها نظماً ونثراً اعظم ، قرأ كثيراً ، وحفظ كثيراً ، فلذلك ترى في شعره مسحة لا تراها في شعراء هذا الجيل فهو جزل ، متخير الالفاظ ، له قوة جعلت بعض من يدرسون شعره ينقدونه ويحملون عليه ، وهذا في رأيي ما كان ينبغي ان يبكر هذا الشاعر من اجله ، فما احوجنا نحن الآن الى شعراء يحيون الاسلوب الجزل وينهجون نهج شاعر النيل حافظ — بلّ الله ثراه – في احياء اللغة الحرة الصحيحة وطرد الالفاظ السمجة والتراكيب الدخيلة المبتذلة .

واما معاني عمر فمنها العادي المطروق ومنها الثمين السامي ومن ارق شعره واسماه قوله في وداع غرناطة على لسان آخر ملوكها ابي عبد الله الصغير :

أطل المليك غداة الجلاء على مجده والاماني الغرر
وراح بقلب في افقه الحبيـ ـب مجوناً تسيل الدرر
فراق ولا كفراق الشباب وشجو يذوب لديه الحجر
يمد الى الدار كف الوداع ويبكي فتبكي عليه الزمر
ليالٍ نقضت عليها النعيم يرف رفيف الخزامى سحر
وشوق مقيم اليها وأنى تعود اصائلها والبكر
هنا السرو فوق قبور الجدود وتبدو هناك مغاني السمر
وشنيل يجري حزين الخرير كأن الزمان به قد أضر
على ضفتيه جنان الخلود وفي حافتيه نعيم النظر
غياض تضوع ريحانها وأزهر فيها ضياء القمر
عجبت لقلبي كيف انثنى معي ولعقلي كيف استقر
امنت الزمان وحدثانه ففاز العدو وأعيا الظفر
فلا تحقرن عدواً رماك وإن كان في ساعديه قصر

ومن شعره الرقيق قوله في الناعورة وانينها ، وقد تفنن في ذلك كثيراً . وله شعر قومي قوي ينطق بما لعمر من متانة في عقيدته الوطنية وليس ادل على ذلك من قصيدته في فيصل وصالح قنباز ونكبة فلسطين .

اسعد طلس

المجلد الخامس عشر ١٧٨ و ١٧٧ الجزء ٩ و ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٧ م

جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

مطبعة ابن زيدون * بدمشق



كتاب الورقة

تأليف محمد بن داود بن الجراح [1]

الكاتب المتوفى سنة ٢٩٦ للهجرة

صاحب الورقة .— محمد بن داود بن الجراح ويكنى أبا عبد الله من أسرة أدب وسياسة ، فقد كان والده داود بن الجراح يكتب للمستعين وله من الكتب : كتاب التاريخ وأخبار الزمان وكتاب الرسائل ، وكان ابن أخيه علي بن عيسى بن داود على ما يذكره [2] ابن النديم بمنزلة من الرياسة يجل وصفها ، ومن الصناعة والفقه بما هو أشهر وأظهر ، ووزر للمقتدر ثلث دفعات .

أما محمد بن داود فقد وزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته ، وكان عالماً قد لقي الناس ، وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء ، واتسع اطلاعه على أيام الناس وأخبارهم ودول الملوك وله في ذلك مصنفات ، وكتب بخطه ما لا يحصى كثرة ، وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه .

مصرعه .— قال ابن النديم : وظهر بعد فتنة ابن المعتز إلى مؤنس الخادم

---

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي طبع مصر ٢ : ٢٠٢ ، والفهرست لابن النديم طبع لايبسيغ ص ١٢٨ وطبع الرحمانية بمصر ص ١٨٥ ، والكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣و٥و٦و٧ في سنة ٢٩٦ هجرية .

(٢) الفهرست طبع لايبسيغ ص ١٢٨ ، طبع مصر ص ١٨٥

وكان له قدم في أمره ، وخافه أبو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل ؛ وقال أبو عمرو محمد بن يوسف القاضي [١] : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وابن المثنى ومحمد بن داود الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات وبيني في الوسط ، واذا أجننا الليل تحدثنا من وراء الجدار وأفضي بعضنا الى بعض ، فلما كان في بعض الليالي دخل اناس بشموع الى بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح ، فقال يا قوم ذبحا كالشاة ، أين المصادرات ، أين أنتم من الأموال ، أنا أفدي نفسي بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه في البئر ، ثم أخرجوا ابن المثنى بعد ما ذهبوا وعادوا ، وقالوا : يا عدو الله يقول لك أمير المؤمنين : بمَ استحللت نكث بيعتي ؟ فقال لعلمي أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه ، وألقوا جثته في البئر ، ومضوا وعادوا وأخرجوني وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ، ما الذي حملك على نكث بيعتي ؟ قلت : لشقاوتي وقد أخطأت وأنا تائب الى الله تعالى ، فحملوني الى دار الخلافة ، وابن الفرات جالس ، فوبخني فتنصلت واعتذرت ، فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين ذنبك ، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط ، فغمزني الوزير فأديت البعض وسومحت بالباقي ، وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة

شعره — ولابن الجراح شعر يدل على صحة طبع وتشاؤم نفس ، ولم نظفر من شعره القليل بما يكفي للحكم الصادق عليه فمنه قوله :

قد ذهب الناس فلا ناسُ وصار بعد الطمع اليأسُ
وساس أمرَ القوم أدناهم وصار تحت الذنب الراس

وقوله :

أعين أخي لو صاحبي في مصابه أقوم له يوم الحفاظ وأقعدُ
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم تبته الليالي مرةً وهو مفرد

كتاب الورقة — وللمترجم مصنفات ممتعة جمة منها كتاب الشعر والشعراء

(١) وفاة الوفيات ٢ : ٢٠٢

لطيف ، وكتاب من سمي عمراً في الجاهلية والاسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر منها على غير كتاب الورقة ، قال الكتبي في فواته : « سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ، ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا سمي الصولي كتابه في أخبار الوزراء بالأوراق لانه أطال في أخبار كل واحد بأوراق » .

إن التسمية بالورقة أو الاوراق وتخصيصها بنوع خاص من التأليف يدل على مبلغ التفنن في التصنيف في العصر العباسي ، والحضارة اذا استبحرت في أمة كثر فيها التفنن واختراع ما لم يكن معهوداً من قبل ، وهذه التسمية بالورقة يذكرنا بلفظة الوريقة Feuilleton في اللغة الفرنسية ، وهي تطلق على مقالة في الادب أو العلم أو النقد أو على رواية تظهر تباعاً في احدى الجرائد وتنشر ابداً في موضع خاص بها ، واكثر ما يكون ذلك في اسفل الصفحة من الجريدة .

ولقد أصبح كتاب الورقة لندرته في حكم المفقود ، وبلغنا أنه لا توجد منه نسخة قديمة الا في دار الكتب في طهران ، ثم علمنا أن لدى صديقنا السيد أحمد الصافي النجفي نسخة مخطوطة من كتاب الورقة ، فبادرت الى زيارته مع صديقنا السيد عبد العزيز الميمني ، فألفيناها بخط جميل على ورق صقيل ، وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً منهم خمسة وعشرون ورد ذكرهم في الاغاني والوفيات وأمثالها من كتب التراجم ، والباقون اربعون شاعراً ليس لهم على أغلب الظن ذكر في هذه المظان .

وقد رأينا أن ننشر ترجمة الأصمعي من كتاب الورقة لتكون مثالا لسائر تراجمه ، وفيها من شعر الأصمعي ما لم نظفر به في المخطوطات والمطبوعات التي عرفناها ، وهذه الترجمة ، كما يرى القارئ ، في نحو ورقة أي صحيفة ذات صفحتين ، وهو السبب الذي من أجله سمى ابن الجراح مؤلفه اللطيف بكتاب الورقة كما نقله الكتبي في فواته الينا :

الاصمعي

عبد الملك بن قُريب الباهلي ، ويكنى أبا سعيد البصري ، راوية للشعر والغريب ، موثوق به في الحديث ، روى عنه يحيى بن معين فأكثر ، وصحب الرشيد وأعطاه مالا جزيلا وخص به ، وله أشعار جياد وأراجيز ، ومن قوله في إسحق بن إبراهيم الموصلي :

إذا تغنّيت للشَرب الكرام ألا | حثّ الخليطُ جمال الحيّ فانطلقوا
وقيل: أحسنت فاستدعاك ذاك الى | «ياقلب ويحك لا يذهب بك الحزن»
وقيل أنت حسان الناس كلهم | وابن الحسان فقد برّوا وقد صدقوا
فما بهذا تقوم النادبات ولا | تبكي عليك اذا ماضمك الحزُن[1]

وكان الشعر سهلا عليه لو لا على لسانه[2] ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل :

لن تُلبسوا منطقي بمشكله | الا عن الاصمعيّ أو خلفِ

يريد خلف الاحمر ؛ قال أحمد بن القاسم بن يوسف الكاتب عن عمه علي بن يوسف بن العباس عن الأحنف أنه أنشد الرشيد أبياته التي يقول فيها :

إذا ما شئت ان تبصر | شيئاً يعجب الناسا
فصوّر ههنا فوزاً | وصوّر ثَمّ عباسا
وقس بينهما شبراً | وإن زاد فلا باسا
فان لم يدنوا حتى | ترى رأسيهما راسا
فكذّبها وكذّبه | بما قاست وما قاسي

قال فاستحسنها الرشيد وقال : هل سبقك إلى هذا المعنى أحد ؟ فقال : عليّ بالاصمعي وسأله : هل تعرف شيئاً منه ؟ قال : كثير ، ولكن حاقن

(١) لغة في الحزن بسكون النون وفتح الحاء او جمع حُزَنة ، أو تكون (الحزن) جمع حَزَن

(٢) كذا ، ولعل الاصل لولا ثقل على لسانه او حبسة

واعجلني الرسول عن البول ، فخرج ثم رجع وقد صنع أبياتاً مثلها على الراء وعلى القاف ، قال فيها :

يعجب الحلقا ، يعجب البشرا ، وأتمها على هذا ، وزعم انه سمعها مذ دهر فخجلت وانصرفت محزوناً ، فقلت له لما خرجت : سألتك بالله ، الست انت صنعتها ؟ قال : بلى ، وانت أيضاً فعادِ الرجال ! وكتب الي الكراني أنشدني عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي لعمه أرجوزة طريفة اولها :

يارُبَّ خود من بنات الاحرارْ من آل كسرى في ذرى الزند الوارْ
يستن في مفرقها مسك الفارْ كأنها من جسد في الاعطار
وزعفران شرقٍ بالابصار عدا على لباتها عرق ضار
يموت فيها فيشر كالطومار مستغنياً عن عمرات العطار

وهي نيف وخمسون بيتاً ، قال ابو هفان : ليس في وصف وقعِ شيءٌ على شيءٌ احسن من قول الاصمعي :

كأنما وقع أقلام الرجال بها حسن الطراف بوقع المسبل الساري

وهذا يقوله في قصيدته التي يرثي بها سفيان بن عيينة أنشدنيها ابن فهم عن الاصمعي ، ومن قول الاصمعي في الحية :

أرقش أن أسبط أو تثنى حسبتَ ورساً خالط اليُرَنّا (١)
خالطه من ههنا وهنّا اذا تراآه الحداةُ أستنا

التنوخي

(١) اليُرنّاء واليَرنأ واليرنّاء : الحناء ، وقيل : إذا قلت اليَرنّأ بفتح الياء همزت لاغير ، وإذا ضممتَ جاز الهمز وتركه .

عدي بن الرقاع العاملي

٢

شعره

عاصر عدي بن الرقاع سبعة خلفاء من بني أمية وكان مقدماً عندهم لان مذهبه السياسي أموي ولا عمل له غير الشعر وقد حدث في زمانهم من الاحداث ما يبعث الشعر في نفس عدي فمن المفروض ان يكون قال كثيراً من الشعر وقد ذكر له ابن النديم في كتاب الفهرست ديواناً . ولكن الزمان لم يبق من شعره إلا مقداراً يسيراً مشتتاً في كتب اللغة والادب والتاريخ وتقويم البلدان من ذلك أبيات قالها في الوقعة التي ظفر بها عبد الملك بن مروان وانتهت بقتل مصعب بن الزبير وقصيدتان مدح بهما الوليد بن عبد الملك سبقت الاشارة اليهما وابيات مدح بها عمر بن الوليد ومقطوعات في معاني مختلفة كالوصف والغزل والادب والفخر والمدح والهجاء والتهنئة وكلها لا تبلغ ثلاثمائة بيت وهو مقدار يسير لا يعطينا عن الشاعر صورة تامة واضحة ولكنا نحاول ان ندرس هذه البقية من شعره إلى أن يجود الزمان بشيء مما ضن به علينا

* * *

عدي ابن الرقاع شاعر إسلامي والشعراء الإسلاميون عامة كالفرزدق

وجرير والأخطل وكثير وجميل والراعي ونصيب والقطامي ، وعدي واحد منهم أعذب لغةً وأحسن ديباجةً وأكثر طلاوةً من شعراء الجاهلية وذلك لتأثرهم بلغة القرآن وحسن انسجامه وسمو أسلوبه دع ما انفسح أمامهم من ميادين الحياة الإسلامية في مثلها العليا من دين وملك لم يكونا في أيام الجاهلية .

وربما كان عدي من أكثر هؤلاء الشعراء انسجاماً وتثقيفاً لشعره وتهذيباً لقوافيه وهو الذي يخبرنا كيف كان يحبر قصائده ويصقلها ويعود عليها بالتهذيب إذ يقول :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوِّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

وهو في فنه صائغ ماهر لا يكره الشعر إكراهاً ولا يقتسر القوافي غصباً ولقد أتيح له من بارع الابيات في انسجامها ما ذهب مثلاً كقوله :

صلى الإله على امرئٍ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها

فلقد صار عجز هذا البيت رسماً من رسوم الكتاب في رسائلهم . قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني في فصل دعاء المكاتبة : (فأما قولهم وأتم نعمته عليه وزاد في إحسانه اليه) فهو من قول عدي بن الرقاع:
صلى الإله ...... الخ

وكقوله :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وكم تمثل الناس بهذين البيتين

***

قالوا إن عدياً من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وانه كان أثيراً مقدماً عند بني أمية ومعنى ذلك أنه من دعاة سياستهم لا من الشعراء الذين يبيعون الشعر

بيعاً . فهل لذلك اثر في شعره ؟ نعم ان اطراد شعره وتساوق أبياته وتلاحمها وتهذيب قوافيه وحسن صياغته وما في تشبيهاته من معان حضرية وفي قصائده من ماء وظل ونعيم كقوله:

فقد أبيت أراعي الخود راقدةً على الوسائد مسروراً بها ولعا

وقوله :

ومما شجاني أنني كنت نائماً أعلل من برد الكرى بالتنسم
الى أن بكت ورقاء في غصن أيكة تردد مبكاها بحسن الترنم

أثر من آثار نعيم العيش ورفاهته فان شعراء البادية يتوسدون في باديتهم أعضاد المطايا وعدي يراعي الخود على الوسائد ويعلل في ظلال الأيك بدمشق بنوم هنيء تترنم من فوقه الحمائم.

على أن حسن تأتيه في مدحه لبني أمية خلفائهم وامرائهم أدل على لباقته وتحضره فهو شاعر مجيد من شعراء القصور يحسن القيام برسوم الخلفاء والامراء في مخاطبتهم على الوجه الأكمل ويمدحهم بما هو أشبه بالدعاية السياسية ويضفي عليهم رداء الجلال والعظمة فاسمعه يقول في مدح الوليد بن عبد الملك :

صلى الذي الصلوات الطيبات له والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الاقوام ضاحية بالاجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن أمته على يديه وكانوا قبله شيعا
عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده وان نكون لراعٍ بعده تبعا
إن الوليد أمير المؤمنين له ملك عليه أعان الله فارتفعا

ويقول في مدحه أيضاً :

صلى الإله على امرئٍ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها
او لا ترى أن البرية كلها ألقت خزائمها اليه نقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة عمت أقاصي غورها ونجادها

ظفراً ونصراً ما تناول مثله | أحد من الخلفاء كان أرادها
فإذا نشرت له الثناء وجدته | جمع المكارم طرفها وتلادها
تأتيه أسلاب الاعزة عنوةً | قسراً ويجمع للحروب عتادها

فهل ترى نمطاً أليق بمخاطبة الخلفاء من هذا النمط تحية الخليفة بالصلاة عليه وتعظيم للامر المضطلع به وإشادة بعظائم أعماله في سبيل الامة وإخلاص في محبته وتأييد للملك وعرشه بل كيف ترى الفرق بين هذا الاسلوب الحضري وبين أسلوب بعض بادية الشعراء الذين اعتادوا أن يصفوا الممدوح بالحية الذكر ويمدحوه بتأريث النيران وعظم القدور ونحر الجزور ودعوة الجفلى والنداء على الطعام وكثرة الهبات أو أن يصفوا عناء سفرهم إلى الخليفة وما لاقوه من المشاق وماهم عليه وعيالهم الذين خلفوهم وراءهم من الفاقة ليزيد الخليفة في رفدهم . هذا جرير أطبع أهل زمانه على الشعر لم يستقم له في مدح الخلفاء ذلك الاسلوب الذي استقام لعدي فانه في مدحه لعمر بن عبد العزيز أشبه بالمستجدي منه بالشاعر قال :

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا | من الخليفة ما نرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت | أم قد كفاني الذي بلغت من خبري
كم بالمواسم من شعثاء أرملة | ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به | مساً من الجن أو خبلاً من البشر
ممن بعدك تكفي فقد والده | كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
خليفة الله ما ذا تأمرون بنا | لسنا اليكم ولا في دار منتظر
لتنعش اليوم ريشي ثم تنهضني | وتنزل اليسر مني موضع العسر

وما ذلك الا لبداوة جرير وبعده عن حياة الحاضرة على أنه بحر لا ساحل له .

ولعدي أيضاً أبيات يمدح بها أحد أمراء بني أمية وهو عمر بن الوليد بن عبد الملك تدل على لباقة وحسن تأت لو قالها أحد شعراء القصور في هذه الايام لأثارت إعجاب الناس لما فيها من حذق ولباقة وهي :

وإذا نظرت الى أميري زادني ضناً به نظري الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرّج بهمة الظلماء
والقوم أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء
كالبرق منه وابل متتابع جود وآخر ما يجود بماء
والاصل ينبت فرعه متأثلا والكف ليس بنانها بسواء
بل ما رأيت جبال أرض تستوي فيما غشيت ولا نجوم سماء
والمرء يورث مجده أبناءه ويموت آخر وهو في الاحياء

وفي شعر عدي عدا النعومة الحضرية مفردات ومعان تدل على الحضارة كذكر الكتاب والقلم والدواة والبريد والتجار كقوله :

تزجي أغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

و كقوله :

لمن رسم دار كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهزم

وقوله :

ونحن بأرض قلّ ما يجشم السرى بها العربيات الحسان الحرائر
كثير بها الأعداء يحسر دونها بريد الامام المستحث المثابر

وقوله :

مستطير كأنه سابري عند تجر منشر وملاء

على ان أثر البادية ظاهر جلي في شعره أيضاً فأنت تدرك به روح البادية كما تبصر أفياء الحاضرة فتراه يصف المطايا والمفاوز وما فيها من أعلام طامسة وأطلال دارسة ووحوش راتعة ولكنه ينتزع لها تشبهات مما شاهده في الحاضرة بمتانة وصف وقوة أسر وجزالة تركيب ولعل عدم انقطاعه عن البادية هو الذي كفل لشعره السلامة مما يعتري كثيراً من شعراء الحواضر ويسميه النقاد باللين ويعنون به الرقة التي تفضي الى الاسفاف ونجد هذا اللين في شعر عدي بن زيد

العبادي وأمية بن أبي الصلت وابن قيس الرقيات والوليد بن يزيد وكلهم حضريون .

وهكذا فشعر عدي بما فيه من روح البادية ورونق الحاضرة عربي في جزالته ورصفه وخياله ومعانيه وتفكيره ونظراته لا تجد فيه أثراً من ثقافة أجنبية شأن جميع الشعراء الاسلاميين لان الحياة بجميع مظاهرها أيام بني أمية كانت عربية إسلامية .

لقد أحسن عدي في الوصف فإنه وصف الطيف والغيث والبرق والليل والخمر والمطايا والظباء والوحوش في حركاتها وما تثيره من الغبار في عدوها . قال صاحب الاغاني قال عبد الله بن مسلم : « ومما ينفرد به (عدي) ويقدم فيه وصف المطية فإنه كان من أوصف الشعراء لها »

قال في الخيل :

يخرجن من فرجات النقع دامية ... كأن آذانهـا أطراف أقلام

وقال ابن قتيبة : عدي أحسن من وصف الظبية وولدها .

وقال جرير : سمعت عدي بن الرقاع ينشد الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرف الديار توهماً فاعتادها

فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية والغزال

تزجي اغن كأن ابرة روقه

فرحمته من هذا التشبيه وقلت بأي شيء يشبهه ترى فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها

رحمت نفسي منه وحالت الرحمة حسداً .

قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني : (واما قول عدي في صفة قرن الظبي فليس له شبيه)

ولم يقل أحد كما قال عدي يصف حماري الوحش في عدوهما وما يثيرانه من الغبار :

يتعاوران من الغبار ملاءة غبراء محكمة همـا نسجاها
تطوى إذا علوا مكانا جاسيًا وإذا السنابك اسهلت نشراها

والى ذلك أشار أبو تمام الطائي بقوله :

تثير عجاجة في كل ارض يهيم بهـا عدي بن الرقاع

وقال ابو هلال العسكرى في ديوان المعاني بعد أن أورد بيتي عدي : (لا اعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا)

وعدي في غزله حسن رقيق عذب يغلب عليه الوصف الدقيق في المعاني الغزلية ، من ذلك وصف تفتير العينين ولم يقل أحد مثله . قال نوح بن جرير يا أبت من أنسب الشعراء ؟ قال أتعني ما قلت قال إني لست أريد من شعرك انما اريد من شعر غيرك قال ابن الرقاع في قوله :

لولا الحياء وان رأمي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بـين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ثم قال لي ما كان يبالي ان لم يقل بعدها شيئًا .

وهذه الابيات مما يتغنى به . قال محمد بن عباد كنت عند أبي عمرو وعنده رجل أعرابي كأنه مدني فقرأت عليه ابيات عدي : (لولا الحياء وان رأمي قد عسا) فقال ابو عمرو أحسن والله فقال الاعرابي أما والله لو رأيته مشبوحا بين اربعة وقضبان الدفلى تأخذه لكنت له أشد استحسانًا يعني إذا كان يغني على العود .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتاب الوساطة : « واما قول عدي (وسنان ...) فقد زاد به على كل من تقدم وسبق بفضله جميع من تأخر ولو قلت اقتطع هذا المعنى فصار له وحظر على الشعراء ادعاء الشرك فيه لما اراني بعدت عن الحق ولا جانبت الصدق »

وقال ابو هلال العسكري في ديوان المعاني : قال ابو عمرو لاصحابه ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وقال آخر بل قوله

يذكرني ميّاً من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنوّر

فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ومن غزله العذب قوله:

صادتك أخت بني لؤي إذ رمت وأصاب سهمك اذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودةً واعير غيرك ودها وهواهـا
بيضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
يا شوق ما بك يوم بان حدوجهم من ذي الموبقع غدوةً فرآها

وقوله :

ونبه شوقي بعد ما كان نائماً هتوف الدجى مشغوفة بالترنم
بكت شجوها بعدالضحى فتساجمت اليها دموع العين من كل مسجم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وله نظرات في الادب والحكمة تغلب عليها السذاجة العربية زين بها بعض قصائده في مناسبات شتى كالابيات التي مدح بها عمر بن الوليد بن عبد الملك وقد سبق ايرادها وغيرها كقوله :

أخبر النفس انما الناس كالعيـ ـدان من بين نابت وهشيم

وقوله :

والدهر يفرق بين كل جماعة ويلف بـين تباعد وتناء

وقوله :

والمرء ليس وان طالت معيشته يرى الذي هو لاق قبل ان يقما

وقوله :

إني إذا ما لم تصلني خلتي وتباعدت عني اغتفرت بعادها

ومن المعاني التي نظم بها عدي التهنئة وهو معنى لم تقل الجاهلية فيه قال يهنئ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حين تزوج:

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الاستار مثلهما فيمن رأيناه ومن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهنآ طول الحياة معا

اثر الشام في شعر عدي

الشعر العربي ابن البادية تعبق منه رائحة الشيح والقيصوم في بوادي الحجاز ونجد وهضاب اليمن وظلال الشام وشواطئ دجلة وسقي الفرات ، والشاعر العربي لعهد عدي يعتد روح البادية عمود الشعر وقوامه ولكن بالرغم من ذلك فان أثر الشام واضح جلي في شعر عدي فلقد ذكر مدنها وحواضرها وقراها وربوعها ورياضها وظلالها وأنهارها ومياهها وجبالها وباديتها كما ذكر آرامها ووحوشها وطيورها مثل حمص وخناصرة والاحص وجاسم والمرج والمناظر والازرق واعامق وفلسطين و بيت رأس والاردن والغريفة وغيرها وطبيعة الشام المنسجمة الساحرة في ارضها وسمائها وما في دمشق يومئذ من جلال الخلافة وعظمة الملك أوحى الى عـدي كثيراً من ذلك الانسجام واللباقة والتثقيف في شعره حتى صار يعتد ذلك فناً خاصاً بالشاميين لايجيده غيرهم ولذلك كان عدي ينتقد كثير عزة و يغمزه و يطعن على شعره و يقول

(هذا شعر مجازي مقرور إذا أصابه قر الشام جمد وهلك) وهكذا فعدي يفخر بعربيته وشاميته معترف بما توحيه طبيعة الشام الساحرة الى الشاعر العربي حتى يرى نفسه فوق شعراء العربية .

ولقد وجد عدي في بادية الشام مجالا لرياضة الشعر على النحو الجاهلي في بوادي نجد والحجاز فاعتسف مفاوزها ووقف على الرسوم وبكى الاطلال ووصف الآل وحن إلى آكامها وداراتها وربوعها وشبب بغزلانها واهتاج للمع بروقها .

وهذه أمثلة من شعره يلوح عليها الطابع الشامي :

منعوا الثغرة التي بين حمص والكهاتين ليس فيها عريب

وإذا الربيع تتابعت انواؤه فسقى خناصرة الاحص فجادها

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

والغريب أن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة على نفوذ بصره وصحة أحكامه في النقد أساء فهم هذا البيت فظن أن ذكر جاسم من حشو الكلام لا فائدة في ذكره فقال بعد أن قرظ البيت « وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع وأما العيون فقل أن تختلف لذلك » وفاته أن عديا شامي وجاسم من قرى الشام فلجآذرها منزل في قلبه لا يحتله غيرها .

ومن شعره المطبوع بالطابع الشامي :

فكأني من ذكركم خالطتني من فلسطين جلْسُ خمرٍ عُقارُ

عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتها التجار

وقوله :

حتى وردن من الازرق منهلا وله على آثارهن صحيل

وقوله

فذر ذا ولكن هل ترى ضوء بارق وميضا ترى منه على بعده لمما

تصعد في ذات الارانب موهنا اذا هزّ رعدا خلت في ودقه شفعا

الى مايشابه هذه الابيات في شعره · وهناك ابيات يلم فيها بالاحداث السياسية التي جرت في الشام كوقعة مرج راهط التي كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس سنة أربع وستين وما كان من بلاء أهل الأردن الحسن مع مروان حتى قتل الضحاك وتم الأمر لمروان قال :

لولا الإله وأهل الاردن اقتُسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانا

وكانتصار مسلمة بن عبد الملك على الروم سنة سبع وثمانين عند طوانة قال :

وكان أمرك من أهل الطوانة من نصر الذي فوقنا والله أعطانا
أمراً شددت باذن الله عقدته فزاد في ديننا خيرا ودنيانا

يتبع خليل مردم بك



المعجمية العربية

في ضوء الثنائية والألسنية السامية

(تابع للمقال السابق)

La lexicologie arabe à la lumière du bilittéraiisme et de la philologie sémitique

٩) صلّى صلاة

حسب قواعد الاعلال في العربية ، أصل صلاة ، صَلَوَة وزان فعَلة ، قلبت واوها الفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها . « صلاة » اسم من الفعل الثلاثي المجرد الوارد ناقصاً ، واويا أو يائيًا ، بالمعاني المضاربة التالية .

العربية

صَلى (يصلي) اللحمَ : شواه ، و— القاه في النار للاحراق ، و— فلانا : خدعه ، و — زيداً النار ، وفيها : أدخله إياها ، واثواه فيها ، و — للطير : نصب له الشرك ، و— لفلان في أمر : أوقعه فيه ليهلكه .

صَلِيَ النارَ ، وبها : قاسى حرها ، و— الامر ، وبه ، عانى شدته ، وصليَت الناقة : وقع ولدها في صلاها ، و— استرخى صلاها لقرب نتاجها .

صَلّى عصاه على النار : لينها وقومها ، و— يده : سخنها ، و— الشيْ القاه في النار ليحترق ، و— اللحم : احرقه ، و— الرجل الشيْ لزمه .

تصلّى النارَ، قاساها، و— استدفأ .

الصلا النار، و— الوقود .

الصلاء النار، و— الوقود، و— الشواء .

* * *

صَلا صلاه : اصاب صلاه .

صَلّى الفرسُ تصلية : اذا جاء مصلياً، وهو الذي يتلو السابق، لان رأسه عند صلاه، و— الحمارُ اتنه : طردها وقحمها الطريق، و— الله على رسوله: بارك عليه وأحسن الثناء عليه، و— الظَهْر : ضرب صلاه، أو أصابه، و— الرجلُ : دعا وأقام الصلاة .

الصَلا مصدر، و— وسط الظهر من الناس والبهائم، و— ما انحدر من الوركين .

الصلاة الدعاء : و— الرحمة، و— الاستغفار، و— حسن الثناء من الله، و— عبادة فيها ركوع وسجود، و— احدى الصلوات المفروضة .

* * *

السريانية :

Ṣlâ , ṣli مال، انعوج، زاغ، نزل، حل، اتجه، صلّى، نصب شركا، عوّج، حدّر، وجه، قوم .

Ṣalli صلّى، بارك، تضرّع، صلّى، أمال، أحني، أصلح، رد احداً إلى منصبه .

Ṣlayyâ ميل، انحراف، انحناء، منحدر

Ṣlô, ṣlôtâ صلاة .

العبرية :

Ṣâlâh شوى

Ṣli مشوي

على أن هذه الثلاثيات الناقصة صادرة عن الثنائيات التالية : وبها يتسنى تنسيق المعاني المتضاربة .

العربية :

صَلْ ، صَلّ — انتن اللحم ، أجن الماء ، و — يبس المعى من العطاش ؛ و — يبس السقاء ، و — صوّت ، و — صفي .

الصَلّة — المطرة الواسعة والمتفرقة ؛ و — التراب الندي ؛ و — القطعة من العشب ؛ و — الارض اليابسة ؛ و — الجلد اليابس قبل الدباغ ؛ و — النعل ، و — صوت المسمار .

صَلصَلَ — صوت ؛ و — أوعد وتهدد .

* * *

السريانية :

Ṣal «a» — صَلّ ، طَنْ ، دوى .

Ṣal «0» — صَلّ ، نَقي ، صفى ، راق ، صفا .

Ṣaloal — صلّ ، نظف ، صلصل ، صوّت ، رنّ .

Ṣlaltâ — صليل ، طنين ، ولولة ، عويل ، صفاوة .

Ṣlôlitâ — جرة منقدة .

Ṣâlâ — صَلة ، جلد يابس .

العبرية :

Ṣâlal — طنّ ، رنّ ، دوى ، خفق ، ارتعد ، صفا ، راق . سقط ، غطس ، غرق .

Ṣilsôl — صوت ، طنين

Ṣalsal — صوّت ، طنّ

تعليل وتنسيق

صَلْ

١) أول ما دل عليه هذا الحرف انما هو الحرارة ، وهو ظاهر في معاني «صَلى» ومزيداتها ، وهذه هي :

صَلى	:	شوى اللحم ، أي حماه أو ألقاه في النار للاحراق .
صلى	:	يده أي سخنها .
صلِيَ	:	النار، قاسى حرها .
تصلّى	:	بمعنى صَلي .
اصطلى	:	استدفأ أي حمي .
الصلي	:	النار، الوقود ، أي المحروق بالنار .
الصلاء	:	النار ، الوقود ، الشواء .

* * *

وكذا الحال في العبرية . فان Sâlâh يدل على شوى ، Sli مشوي . أما السريانية فلا أثر فيها لهذا المعنى ، الا في كلمة Slôlîta جمرة متقدة . ومن باب المجاز ، جاء « صلى » بمعنى الخديعة ، ونصب الشرك ، والالقاء في التهلكة . وكذا في السريانية Slâ نصب الشرك . ثم بالمعنى المجازي جاء أيضاً « صلى » بمعنى الليونة ، لان النار تلين وتذوب . ثم بمعنى الملازمة ، لان الحرارة ، إذا تغلغلت في شيء ، لازمته ، أولا اقل من أن تبطئ في مفارقته .

٢) إن المواد القابلة التخمر ، ومن ثم النتانة ، يتولد ذلك فيها بقوة الحرارة ، ولذا نرى « صَلّ » بمعنى انتن اللحم ، وأجن الماء . و « الصّأْة » الجلد المنتن .

٣) إن الحرارة ، إذا دخلت في شيء مبلول أو رطب ، جردته من الرطوبة إلى حد أن تيبسه ، فلذا ورد الثنائي (صَلّ) بمعنى اليبوسة . من ذلك : صلّت الابل : يبست أمعاؤها من العطش . وصل السقاء : يبس . الصلّة : الجلد اليابس قبل الدباغ

و— النعل ، وهو الجلد اليابس ، و— الأرض اليابسة ، وفي السريانية أثر لهذا المدلول في كلمة Ṣâlâ : صَأة ، أو جلد يابس .

٤) على أن الجلود وغيرها من المواد التي تيبس بفعل الحرارة ، أو التي هي من طبعها يابسة ، من شأنها أن تصوت ، لهذا نشأ المعنى الثالث للثنائي « صل » صوت . وصلت أمعاء الإبل : اذا يبست من العطش فصوتت . من ذلك أيضاً : صلصل : صوّت . والصلة . صوت المسمار واللجام . وفي السريانية . Ṣal : صل . طن . رن . Ṣalsal صلصل . و Ṣloltâ . صليل ، طنين . وفي العبرية Ṣâlal دوى ، طن . و Ṣalsal صوت ، طن ، و Ṣalsâl صوت ، طنين .

ثم من ذلك المعاني المجازية في العربية : صل : أوعد ، تهدد ، لان الوعيد يجري عادة بالصوت العالي أي الصراخ . وفي العبرية Ṣalal خفق ، ارتعد . وفي السريانية Ṣlaltâ ولولة ، عويل .

٥) إن الحرارة اذا يبست الشيء ، انفرزت منه المواد الفاسدة ، فيضحي صافياً رائقاً . من ذلك وردت المدلولات التالية ، في العربية صل صفى . وفي السريانية Ṣal : صفى ، نقى ، نظف ، راق ، صفا ، وفي العبرية Ṣâlal : صفا ، راق .

٦) ان انفراز الشيء من الشيء ينجم عنه الخروج ومن الخروج الاتجاه أو الميل أو الانحراف ، ومن هذا جاءت المعاني الآتية : في السريانية Ṣla اتجه ، مال ، وجه ، عوج . و Ṣalli : أمال ، احنى ، رد الرجل الى منصبه ، أصلح ، أي أعاد الشيء الى حالته الاولى الصالحة . و Ṣlayyâ ميل ، انحراف ، انحناء . و Ṣlâtâ صلاة .

واذا زاد الميل او الانحناء في الشيء بلغ به الى النزول لا بل الى السقوط حتى الغطس أو الغرق ، وعليه نرى في السريانية Ṣla يعني حل ، نزل ، حدر . و Ṣlayyâ ، منحدر ، وفي العربية ، صلا ، صليت الناقة . وقع الولد في صلاها ، و— استرخى أي انحدر صلاها . الصلا . وسط الظهر . و— ما انحدر من الوركين . صلّى الفرس . اذا جاء مصلّيا ، أي متبعاً وحانيا راسه نحو صلا سابقه ، و— الحمار أتنه : طردها واتبعها ، و— الظهر : ضرب صلاه ، أي منحدره ، الصلة : المطرة النازلة ، الخفيفة ،

المتفرقة ٠ ومن هذا المعنى الصلة ، القطعة من العشب ، والتراب الندي ، وفي العبرية sālal سقط ، غطس ، غرق ، وفي الاكدية salālu : ارتمى ، رقد ، سقط ٠



الصلاة

الصلاة : الدعاء ، و ـ الرحمة ، و ـ الاستغفار ، و ـ حسن الثناء ، و ـ عبادة فيها سجود وركوع ، و ـ احدى الصلوات المفروضة ٠ الصلاة شرعاً أقوال وأفعال ٠ الصلاة مشتقة من « صل وصلا » « صل » الصوت والطنين ، مصدر الكلام ٠ فهو أصل الصلاة بكونها أقوالا ٠ من ذلك معانيها الدالة على القول ، وهي الدعاء ، البركة ، الرحمة ، الاستغفار ، حسن الثناء ، وبصفتها أفعالا تشتق من (صل) بدلالته على الميل والانحناء والسجود ٠ وهذا المدلول ليس بظاهر في المزيد (صلّى) بل هو بيّن في الجود السرياني ṣla أي امال ونزل ٠ وفي مزيده ṣalli ، احنى ، تضرع ، بارك ، صلى ٠

والصلاة بما تتطلبه من الحركات ، كالانحناء والسجود والركوع والنهوض والوقوف ، كانت دارجة بين الرهبان الآراميين السريان المنتشرة اديارهم على طول طريق الحجاز التي كانت القوافل تقطعها ذهاباً وإياباً للتجارة بين مكة والبلاد الشامية ٠ وهذه الصلاة ، باعمالها الخارجية قد تعلمها العرب الغساسنة المسيحيون وغيرهم من غير النصارى عند زيارتهم كنائس الرهبان وحضورهم صلواتهم ٠ وبهذه الطريقة دخلت وعمت بينهم اسماً وفعلاً ٠ واذ كان يرافق هذه الحركات البدنية أقوال روحانية من أدعية وابتهالات ، دلت الصلاة عليها ، وإذ كانت تجري الصلاة في الكنائس دعيت هذه البيع (صلوات) من باب تسمية المكان باسم العمل الجاري فيه ٠ وهكذا وردت في القرآن (سورة الحج ، ٤٠) ولو لا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع و (صلوات) ومساجد يذكر فيها اسم الله ٠) وإلى الآن في شرق الاردن يسمي النصارى العرب كنائسهم (صلوات) ٠

ومن الادلة على أن كلمة (الصلاة) سريانية أنها في القرآن وخارج القرآن

الى الان ، تكتب غالب الاحيان « صلوة » بالواو . وان لفظت «صلاة» بالالف ، وذلك انها لما دخلت الى العربية كتبت ولفظت على لفظ السريان بالواو .

فاذا تقرر هذا نظن ان قول البستاني صاحب « البستان » وغيره بأن الصلاة هي : الدعاء « وهو اصل معانيها » ليس بثبت ، لان الكلمة آتية من الفعل السرياني Sallī الدال على الانحناء والسجود والركوع ، اي على افعال الصلاة لا على اقوالها ، لان الاقوال كالدعاء والاستغفار ، من الامور المرافقة لهذه الاعمال .

و كذلك ما ورد في محيط المحيط وغيره من المعاجم من ان اشتقاق «الصلاة» من الصلا — وهو العظم الذي عليه الاليتان — لان المصلي يحرك صَلَوَيه في الركوع والسجود ؟ او من الملزوم — كان الصلاة ملازمة العبادة ! اومن العطف وطلب الاصغاء والاستمالة : فهذه كلها تآويل وجيهة فيها شيءٌ من الصواب لكن الاصوب هو ان الصلاة — كما بيَّنا — مشتقة من الفعل السرياني الدال على الانحناء والسجود والركوع ، وقد استعمل الصلاة على هذه الطريقة السريان النصارى ومنهم انتقلت الى النصارى العرب وغيرهم .

اما قول اصحاب التفسير واهل المعاجم مثل صاحبي محيط المحيط واقرب الموارد بان « الصلاة » جاءت من العبرية (صلوتا) فننكره كل الانكار ، ودليلنا ان هذه اللفظة ليست بعبرية ؛ ولا وجود لها في التوراة ، وان كانت مستعملة في بعض الكتب عند العبريين وفي لغتهم الحديثة فهي منقولة عن الآرامية وفي آخرها الف الاطلاق مما هو من خصائص الالفاظ الآرامية . واما اشباع الفتحة في العبرية فيكون بالهاء لا بالالف ، والالفاظ المشبعة بالالف في العبرية أصلها دون ريب من الآرامية ، زد على ذلك ان الفعل Sālāh العبري كما رأينا — لا يدل الا على شوى ، ولا يعرف قطعاً في هذا اللسان بمعنى انحني او سجد ، او ركع .

وكل هذا يدلنا على ان الكلمة سريانية اصلاً واشتقاقا واستعمالاً : اذن هي دخيلة في العبرية والعربية .

* * *

١٠) علم ، غلم

التضارب بيّن ووافر بين مدلولات هذين الفعلين ومشتقاتهما سواء كان ذلك في لغة واحدة من اللغات الساميّة ، او بالمقابلة باخواتها ، على ان في الثنائية والالسنية السرّ للتوفيق بينها . وهذا التوفيق في الموضوع الحاضر لايتم بمجرد ردّ الثلاثي الى ثنائي واحد ، وحسب الامر الذي لايفي بالمرام - بل بردّه تارةً الى ثنائي وتارةً إلى ثنائي آخر ، مما يستدلّ منه على تعدّد الاصل الثنائي للثلاثي الواحد ، طبقا لتضارب المعاني .

ومن المعلوم عند الالسنيين ان العين والغين المفترقتين في العربية هما موحدتان بالعين في السريانية والعبرية والحبشية : وقد استحالت العين ذاتها همزةً في الاكدّية ، على ان الالفاظ العبرية والسريانية والحبشية تقابل ، حسب المعاني ، طوراً الكلمات المبتدئة بالعين ، وطوراً آخر المبتدئة بالغين ، في العربية .

فاذا تقرر هذا ، لنأخذنّ في التفاصيل:

ان الثنائيات التي يرد اليها الثلاثي (علم او غلم) لاظهار تناسق المعاني واتصال بعضها ببعض هي ثلاثة : (علّ او علا ولمّ وغلّ) ..

* * *

علم

١) هذا فعل « علم » ، فاذا كان على وزن « فَعَل » كان الثنائي الصادر عنه « عَل » الظاهر معناه في الناقص « علا » الدال على العلو

والارتفاع، ومن ثم على الظهور . اذن الاصل الثنائي هو « عَلْ » والحرف الزائد فيه هو (الميم) .

عَلِمَ (عَلْ أو علا) : وسم ، لان السمة بشيء عال ، أي ظاهر .
〃 (〃) : لان عمته على رأسه بعلامة تعرف بها .
عَلَمَ (〃) : وسم الفارس نفسه بسيماء الحرب .
〃 (〃) : جعل لفلان امارة يعرف بها .
أعلم (〃) : الحافر البئر : وجدها كثيرة الماء ، أي عاليته .
〃 (〃) : وسم نفسه بسيماء الحرب .
〃 (〃) : علق على الفرس صوفًا ملوّنا في الحرب ، أي بمنزلة علامة .
〃 (〃) : جعل على الكتاب علامة .
〃 (〃) : جعل القصار للثوب علما من طراز وغيره .
اعتلم (〃) : البرق : لمع في العلم ، أي علا وظهر .
العَلاَّمة (〃) : سمة ، و— الفصل بين الارضين (علامة) ، و— شيء منصوب يهتدى به .
العُلاَّمة (〃) : ما يستدل به .
العلم (〃) : العلامة والأثر ، و— المنارة ، و— الفصل بين الأرضين ، و— شيء ينصب في الطريق يهتدى به و— سيد القوم (أعلام) ، و— رسم الثوب ، و— رقمه ، و— الجبل الطويل ، و— الراية ، و— ما يعقد على الرمح (علامة) وفي كل ذلك معنى العلو ومن ثم الظهور)
العَلْماء (〃) : الدرع (لظهورها)

ب) واذا كان الوزن « فَعِل » كان أصل اشتقاقه من ثنائي آخر ، وهو « لمّ » أي جمع . إذ من جملة الاشياء المجموعة المعارف ، ويتجلى هذا المدلول في المزيد (ألم) فان أحد معانيه المعرفة ، اذ يقال (ألم بالمعنى)

عرفه ، وعليه فعلِم مشتق من (لم) بزيادة العين .

عَلِم (لم): عرف تيقن .
« («): اتقن الامر أي عرفه عملياً .
« («): أدرك الشيء ، فهمه .
علّم («): جعله يتعلم ، أي يلم بماهية الشيء .
أعلم («): أخبر ، أي جعله يلم بالخبر .
عالم («): غالب في العلم ، أي في الالمام بالشيء .
تعلم («): مطاوع علم .
اعتلم («): علم الشيء ، ألم به .
استعلم («): استخبر ، طلب الالمام بالخبر أو بالشيء .
العالم («): المتصف بالعلم ، الملم بالاشياء .
العُلاّم («): العالم جداً و — النسابة أي الملم بمعرفة الانساب .
العليم («): العالم ، و — الله تعالى .
المعلم («): الملهم للصواب والخير .

ت) ولهذا الفعل الثلاثي (علم) معان أخر تفترض اشتقاقه من عَل أو غل) الدال على الدخول أو الولوج او التغلغل في الشيء . من ذلك :

علَم (عَلْ ، غَلْ) شق شفته العليا ، أي أولج فيها السكين .
علم («) انشقت شفته العليا .
العَلاّم («) لب عجم النبق ، وهو الداخل في أعماقه أي المتغلغل فيه .
العلام («) الباشق ، وهو الحاد النظر ، أي الداخل في أعماق الاشياء .
« («) الصقر مثله .
العُلَمه («) الشق في الشفة العليا .

الاعلم (〃) ما بشفته العليا شق .

السريانية :

ʻlam (ʻlam لم ، أحاط) علم ، عرف .

ʻallem (〃) علم ، هذب ، مدح ، زين

ʻlemʻida ʻta 〃) حديث العلم ، قليل الخبرة .

(الحبشية)

ʻâlâmâ (عل) ، علم ، وسم ، ختم ، سجّل (كلها بمعنى وضع علامة)

taʻlâma (〃) ، رقم ، وقع ، وضع علامة .

maʻalam (لم) معلم .

***

« غَلِم »

غلم مشتق من الثنائي (غل) ومعناه دخل أو ولج ، وهذه الدلالة تتسع في الناقص (غلى يغلي ، وغلا يغلو) ففي الاول يراد الغليان ، وهو أمر يفترض تداخل العناصر بعضها ببعض ، والثاني فيه نتيجة ذلك ، اي إن هذا التداخل ينشأ عنه النمو والارتفاع .

غلِم (عل ، غلا) غُلب شهوةً ، أي جاشت وغلت أمياله .

اغتلم (〃) غلم .

〃 (〃) الشراب ، اشتدت سورته اي غلت .

〃 (〃) امواج البحر ، اشتدت اي غلت .

الغلام (〃) الشاب البالغ ، اي الذي قد غلت فيه عناصر الشبوبية[1] ، فلذلك نما وطال .

(١) المجلة : لم نعثر على الشبوبية في معاجم اللغة بل جاء الشبوب والشبابية .

الغُلام (″) (مجازاً) الاجير . لان الاجراء يكونون عادةً من الشبان لقوتهم واقتدارهم على الشغل .

″ (″) (مجازاً) العبد . للسبب عينه .

الغَيلم (″) الشاب العريض المفرق ، الكثير الشعر أي البالغ النامي .

″ (″) منبع الماء في الآبار . لان فيه يكثر الماء فينمو فيتدفق .

غَلَان (″) (النون زائدة) غلا .

غلا (″) زاد الشيء ، ارتفع .

* * *

« السريانية »

'lèm (علْ او غلْ) غلم ، قوي ، ضخم (كلها بمعنى الغليان والنمو)

'allem (″) أشب . قوي ، جدّد . خلّد . (لانه القوي يثبت خالداً)

'laymâ (″) غلام بالغ ، شاب ، قوي . ضخم (صفات الشباب)

″ (″) (مجازاً) غلام ، خادم .

'alama (″) فتي ، حدث ، جديد .

'layemta (″) فتاة ، شابة .

* * *

العبرية :

'âlam (عل ، غل) خفي ، جهل ، ستر . اختفى ، هرب ، نسي ، كان مجهولا غير أكيد . (كلها تدل على معنى الخفاء أو التواري ، أي الدخول أو الولوج)

'allem (″) أخفي ، وارى ؛ أظلم (أخفي بالظلام) أسرّ (جعله سراً أي خفياً)

He 'allem اخفى ، ابتعد ، تكوم (معنى الخفاء) .
'êlem (غل ، غلى) : غلام ، شاب .
'âlâmh («) : شابة ، عذراء ، آنسة ، امرأة شابة .

* * *

« العالَم »

على رأينا أن أصوب اشتقاق لكلمة « عالم » أن تؤخذ من العبرية الدال فيها حرف âlam على الخفاء . والثلاثي مشتق من الثنائي al' أو âlal' العبري ويقابله في السريانية al' والكليهما معنى الدخول ، لان الخفي والمستور هو الداخل دخولا يمنع رؤيته . والمماثل لهذين الحرفين في العربية هو الثنائي « غل » الدال هو ايضا على الولوج ومن ثم على الخفاء .

١) اول معنى اذن للفظة (عالَم) هو معنى الزمان الخفي او المجهول ، اي الداخل في الغيب ، وهو الازلية ـ الأبدية .

٢) من باب التوسع ، اطلق على الزمان الذي نحن فيه ، اي الدهر .

٣) ثم اريد به الخلائق او الكائنات الموجودة في هذا الزمان ، او الكون على وجه الاطلاق .

٤) اخيراً يدل «العالم» على جمهور الناس ، والخلق كله ، وعلى كل صنف من اصنافه . ودونك صور لفظه في اللغات السامية :

العربية : عالَم .
السريانية : 'almâ
العبرية : 'ôlam
الحبشية : 'âlam

أما الاكدية ، فالثلاثي الذي لامه ميم لا أثر له فيها ، انما ورد فيها الثنائي « عل » الصادر منه الناقص « علا » بمعنى ارتفع وصعد في سلم الزمان ، اي تقادم

عهده . من ذلك جاءت الالفاظ الآتية التي اصل الفا فيها عين ، وقد سقطت ، لانها حلقية ، ابقيت الهمزة عوضها Ullâti (علاتي) Ulla (عُلا) ، Ullani (علاني) ، وكلها تدل على الازمان الصاعدة ، البعيدة ، القديمة ، اي الدهور ، او الازلية — الابدية .

الاب ا . س . مرمرجي الدومنكي
من أساتذة المدرسة الكتابية والآثارية
في القدس الشريف



المصاب العام

بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا منشىء المنار (1)

إنا لله وإنا إليه راجعون

قضى الله بالأمر الذي قد قضى به ... وكان قضاء الله في الخلق جاريا

فيا ليتني ذقت المنية قبله ... ولم أر فيه ما يشيب النواصيا



مات السيد الإمام ، فانطفأ ذلك النور « المنار » الوهاج الذي امتد شعاعه إلى أقاصي المعمور أربعين عاماً ، وخفت ذلك الصوت الداوي الذي ملأ مسامع الكون هدياً وإرشاداً ، وسكن ذلك القلب الكبير الذي أشرب حب الإصلاح من أول العهد بالحياة . مات السيد الإمام ، فمات منار الإسلام المنير ، وتفسيراه الكبير والصغير ، وفتاواه في حل المشكلات العصرية ، بالأدلة

(1) المجلة : تأخر نشر هذه الترجمة لأسباب لا محل لذكرها هنا ، وقد كنا وعدنا القراء بنشر ترجمة وافية للفقيد رحمه الله تعالى .

الجامعة بين المعقول والمنقول ، المثبتة أن الإسلام هو دين الفطرة والعقل والعلم الصالح لجميع الأزمنة والأمكنة والأقوام .

أما بعد فهذه شذرات من سيرة ذلك المصلح العظيم استخرجتها مما خطته براعته في مدة أربعين عاماً ، وأعظمه مجلة المنار الإسلامي ، وهي (٣٤) مجلداً ، وتفسير القرآن الحكيم وهو اثنا عشر مجلداً ، والجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام وهو في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وكتاب المنار والأزهر عدا ما أعرفه منه (رضي الله عنه) مدة تشرفي بصحبته في سفره وإقامته ، في الشام والحجاز ومصر أثناء ستة عشر عاماً ، كنت فيها – كما كان يقول رحمه الله – صديقه الوفي ، وولده الروحي ، ويقول عني : إني أماثل في محبته لي وثقته بي أخاه الشقيق السيد حسين وصفي ، كذا سمعته من فمه في داره بمصر رحمه الله وجزاه خير الجزاء .

بيته ، سيادته ، نشأته

نشأ الفقيد العظيم في بيت دين وعلم وكرم وصلاح ، وسمعت منه رحمه الله أن أحد أجداده (ولعله الجد الرابع) قد قدم من شط الفرات (ولعله من ماردين) واختار الإقامة في القلمون ، وهي على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان ، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ، وكان أهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب ، وأهل بيت الفقيد ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرئاسة ، ويلقبونهم بالمشايخ للتمييز بينهم وبين غيرهم .

وقد اشتبه على بعض العلماء والكتاب – دع الخصوم والحساد – نسب السيد الفقيد النبوي ، وقالوا : إن آل رضا ليسوا من سكان القلمون القدماء فكيف يكونون من ساداتها الأشراف ؟ ولقب هؤلاء السيد الفقيد « بالشيخ رشيد » ونفذ خصومه من هذه الناحية فاتخذوا كلمة « الشيخ » غمزاً له

ومطعناً في صحة نسبه الشريف ، والجواب (١) هل يلزم من كونهم ليسوا من قدماء أهل القلمون ألا يكونوا أشرافاً مثلهم ؟ وهل انحصر شرف النسب النبوي في أهل القلمون . (٢) إن لآل رضا سلسلة نسب تثبت أنهم من آل بيت النبوة ، والناس مؤتمنون على أنسابهم كما جاء في الحديث . (٣) إن أهل هذه القرية لم يكونوا يزوجون إلا من كان شريفاً مثلهم ، ووالدة الفقيد شريفة من أهل القلمون . (٤) إن الشرف من جهة الأم ثابت كالشرف من جهة الأب على السواء ، وإن الأسباط في شرف النسب كالأحفاد ، والاناث منهم كالذكور ، وهل كان شرف الحسن والحسين إلا من جهة أمهما فاطمة الزهراء البتول (عليهم السلام) وهل كان نسل النبي الأطهر إلا منها ؟ وان الذين أعقبوا من أولادها هم الحسن والحسين وزينب (ع م) ومن هؤلاء تفرعت أغصان تلك الشجرة المباركة في جميع أرجاء الأرض ، فأولاد السيدة زينب من بنين وبنات — في صحة الشرف ونسبه — كأبناء أخويها الحسن والحسين ، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكرة (رض) قال : بينا النبي (ص) يخطب جاء الحسن فقال النبي (ص) إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ، فأطلق الابن على ابن البنت .

والحاصل أن أصل شرف النسبة في هذه الأمة من النساء ، وأعني السيدة فاطمة الزهراء ، ولعمري ان هذا يعد من أكبر محاسن الإسلام ، إذ كرم المرأة وجعلها تشاطر الرجل الشرف ، وقد رأينا أن نجلو هذه الحقيقة ، ونزيل شبهة المنكرين والشاكين .

نشأ السيد الفقيد متصوناً دينا ، شديد الحياء ، كثير العبادة ، عف اللسان والقلب ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون . وكان في صغره ميالا الى العزلة ، قليل الرغبة في اللعب مع اللدات والأتراب ، شديد العناية بمطالعة كتب الأدب وكتب التصوف .

كنت أقرأ في المنار المنير وصف تلك النشأة الطيبة الطاهرة التي نشأها

فقيدنا العظيم في القلمون ، وأتخيل كتاب القرية الذي درس فيه القرآن الكريم ، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، والمسجد القاموني الذي كان يعظ الناس فيه ويخطبهم ، ويؤمهم في الصلوات الخمس أيضاً ، والغرفتين المطلتين على البحر في ركني المسجد الشماليين ، وكانت احداهما لخلوته وعبادته ، والثانية لمطالعته ومذاكراته ، ومنزل السيد الامام ، ومنازل آله الكرام ، كنت أمر في المنار على وصف هاتيك المباني والاثار فيحلو لي وصفها ، ويخيل إلي أنها ماثلة أمامي وأنا أشاهدها ، على أن الخبر ليس كالعيان ، وما الطف قول الامام ابن حزم رحمه الله :

ولكن للعيان لطيف معنى   لذا سأل المعاينة الكليم

ولما ألح بي الشوق لرؤية ذلك المسجد الذي بناه جد المترجم الثالث ، والمنازل الرضوية التي لها منازل في القلب ، ودرجات في الحب ، كما قال أبو الطيب « لك يا منازل في القلوب منازل » امتطيت سيارة من دمشق إلى بيروت ، وصحبت منها صديقي الاستاذ الشيخ محمد سعدي ياسين الدمشقي ، فبلغنا مسجدها أذان الجمعة ، وسمعنا خطبة الاستاذ المعمر الشيخ محمد كامل عم السيد الفقيد ، ووالد صديقنا الاستاذ السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد وتلميذه ، وزوج شقيقته ووكيل مناره ، وقد كان حاضراً فبتنا ليلتنا في ضيافته منشرحي الصدور ، قريري العيون ، بما زرنا من تلك المنازل العامرة ، ورأينا من تلك الآثار المباركة ، وقد أنسنا هناك بلقاء شقيقي السيد الأستاذين السيدين أدهم وحسن رضا وأولهما شيخ متعمم والثاني غير متعمم .

قرأت درساً عاماً بعد صلاة العصر في المسجد شرحت فيه حديث النية والهجرة ، « انما الاعمال بالنيات » وختمته بمخاطبة اهل القلمون قائلا : لقد ظهر منكم ونشأ فيكم ، رجل لا كالرجال في فهم مقاصد الدين والدفاع عن حوزته ، والوقوف في وجه جميع الطاعنين في الاسلام والطاعنين

في أهله من جميع الملل والشعوب والاقوام ، ألا وهو السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار وتفسيره ، وكفاكم بذلك فخراً وفضلا . ثم اقترحت عليهم أن يرسلوا منهم كل عام بعثة لتدرس في مصر تحت رعاية هذا الامام ويكونوا مرشدين ودعاة في الاقطار العربية والاسلامية والممالك الغربية ، وكتبت إلى السيد بذلك فسر رحمه الله ، وكان ذلك قبل وفاته بنحو عام .

لم يكن طلب فقيد الامة الرشيد للعلم لغرض دنيوي من تحصيل علم أو جاه ، أو رغبة في خدمة الحكومة والترقي في مناصبها ، وإنما كان بوازع الفطرة ، وباعث الايمان ، وحب ارشاد الامة والفوز بمرضاة الله تعالى ، ولهذا لم تطل مدته في المدرسة الرشدية الابتدائية في طرابلس ، اذ كانت دروسها باللغة التركية ، وكانت معدة لتخريج الموظفين ، فتركها بعد أن درس فيها سنة واحدة ، ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية ، التي كان يديرها العلامة المصلح الشهير الشيخ حسين الجسر رحمه الله ، وكانت تدرس جميع دروسها العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية باللغة العربية ، وتدرس اللغتين التركية والفرنسية . وقد اشتهر الاستاذ الجسر رحمه الله بهذه المدرسة الدينية الوطنية ، وبكتابه المسمى بالرسالة الحميدية .

أما المدرسة فقد انشأها لتخريج الطلاب في العلوم والآداب ، وإعدادهم ليكونوا بمعارفهم وفضائلهم من مرشدي الأمة ، وقادة الرأي العام فيها ، في عصر كثر فيه اختلاط الامم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزايا ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ، كما فتحت أبواب المناكر والرذائل ، التي يعدها الفساق من لوازم المدنية الحديثة فأراد الاستاذ الجسر أن يكون طلابه حلقة اتصال بين المتهورين والجامدين ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، فأعد لها الدروس الجامعة بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، ولكن المؤسف أن الحكومة العثمانية لم تشأ أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفي طلابها من الخدمة العسكرية ؛ فانظر إلى هذه

الغباوة ، وعلى أي قاعدة من قواعد الجهل والظلم بذث وجهة نظرها يا ترى !!
أكان جريمة وإثماً أن يتعلم طلاب العلوم الدينية على الطريقة العصرية ،
وان يدخلوا في منهاجهم ما يحتاجون إليه من العلوم المدنية واللغات الأجنبية
على أن اللغة التركية كانت لغة الدولة الرسمية ، واللغة الفرنسية هي لغة علم
وفن ، فماذا على طالب العلم لو درسها واتقنها ما استطاع بنية الاصلاح ؟
وقد صح أن النبي (ص) أمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية فتعلمها وأتقنها ،
ولو مد الله في أجل هذه المدرسة الدينية العلمية ذات التربية الاسلامية
الوطنية ، لتخرج منها في ذلك العهد — أي منذ نصف قرن تقريباً —
حزب اسلامي اصلاحي معتدل ، يقف في وجه المدارس الاجنبية والحركات
التبشيرية ، ويدير الحركة الاصلاحية على طريقة امامي العصر السيد جمال
الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، رحمهما الله تعالى .

وأما الرسالة الحميدية ، فسبب تأليفها أن مؤلفها رحمه الله كان قرأ بعض
مقالات مترجمة عن الصحف الاوربية منسوبة لبعض أحبار الانكليز المدعو
اسحق طيلر ، قد حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين ،
وإقامة الدلائل على تقاربهما ، وتشابه كتبهما ، وبلغ المؤلف أيضاً أن
بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعي في تلك
الأيام ببناء معبد للاسلام في البلاد الانكليزية وأنه يباشر هناك نشر جريدة
عربية يكون جل مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله
لدى غير العارفين بها ، فخطر لصاحب الرسالة اذ وجد مجالا للكلام وسميعاً للنداء
أن يحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي باسلوب جديد سهل الفهم
لا تمله الانفس ، ولا تستوعره الافكار ، يروق العقول الحرة ، ويعجب
الاذهان المطلقة من قيود التعصب ، هذا بعض ما جاء في طليعة الرسالة
الحميدية ، وقد اشتملت على اثبات المعبود واجب الوجود ، وتحقيق نبوة خاتم
الرسل صلوات الله عليهم ثم الكلام على أسرار العبادات ، وحقائق المعاملات
وأحكام الحدود والتعازير والديات ، وأطال الكلام مع الماديين ففند شكوكهم

وشبهاتهم ، وأبطل دعاويهم ودحض حججهم ، وتكلم على حكمة الجهاد ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، والاسترقاق وتقريره في الشرائع المتقدمة ، وتحرير الرقيق في الاسلام ، وكيفية معاملة أبناء الملل السماوية في الشريعة الاسلامية وختمها ببيان مآخذ الاسلام الاربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتكلم على شروط الاجتهاد ، وقد سد بابه مطلقاً فلا نفتحه عليه رحمه الله .

فهذا الاستاذ المربي الكبير ، والمصلح المؤلف الشهير ، منشئ المدرسة الوطنية ومؤلف الرسالة الحميدية ، هو الاستاذ الاول للمترجم ، وهو الذي تخرج على يده في العلوم العربية والشرعية والعقلية ، وقد وصفه هذا التلميذ البار بقوله : وكان له المام واسع بالعلوم العصرية كما يعلم من كتابه « الرسالة الحميدية » وكان كاتباً وشاعرا عصريا ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير اسلوب الازهر ، يتحرى فيه السهولة في البيان ، ويتجنب المناقشة اللفظية ، واستطرادات الحواشي ، فلم يكن يذكر منها إلا مالا يتم تحرير المسألة إلا به . وتلقى الفقيد الكبير فقه الشافعية وفن الحديث على شيخ الشيوخ في طرابلس الشام الشيخ محمود نشابه الذي حمل شهادات الازهر بثمانية عشر علما ، وقضى فيه ثلاثين عاماً عالماً ومتعلما ، وكان من مشايخه مثل الباجوري ، ومن اخوانه الانبابي والاشموني .

وحضر على العلامة الفقيه الصوفي الشيخ عبد الغني الرافعي قليلا من كتاب نيل الاوطار للشوكاني ، وكان الرافعي فقيه النفس مستقل الفكر ممتازاً بين فقهاء عصره بالجمع بين النبوغ في علوم الشرع والتصوف والادب ولي القضاء بولاية اليمن ، فكان إذا ظهر له رجحان مذهب الزيدية مثلا على مذهب الحنفية الذي نشأ عليه تحصيلا وعملا وافتاء وقضاء لا يمتنع من القول بترجيحه .

فكان السيد المترجم رحمه الله بما وهب من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وتوقد الذهن ، وبما رأى أساتذته عليه « الرافعي » من فقه

النفس واستقلال الفكر ، و« التشابه » من حب الاستقصاء والتحقيق في العلم . و« الجسر » من الوقوف على روح العصر ، وحالته العلمية والاجتماعية والسياسية والعناية بمطالعة الصحف والمجلات العالمية ، والاقتناع بحاجة المسلمين الى مجاراة الامم الغربية في العلوم والفنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في هذا الزمان ، مع المحافظة على أصول الاسلام وهديه وآدابه ، لا جرم كان بكل هذه المزايا الموهوبة والمكسوبة عالما مستقلا مستدلا ، ظاهر الحجة قوي العارضة ، شديد المعارضة ، لا يقبل منقولاً لم يثبت دليله ، ولا معقولاً لم تستبن سبيله ، وكان له مع اساتذته بسبب هذا الاستقلال في العلم والرأي مواقف مشهورة وإليك مثالاً من موقفه مع أستاذه الجسر كما حكاه في مناره ، قال رحمه الله (١) :

لما طبعت الرسالة الحميدية أهداني نسخة منها . ثم سألني بعد ايام هل قرأت الرسالة ؟ قلت قرأت بعضها ، قال انه يعجبني رأيك فكيف رأيتها قلت بعد الثناء عليها بالاجمال : انني انتقدت منها شيئين (أحدهما) التعبير عن المسائل العلمية القطعية التي تعتقدون صحتها ككروية الارض بما يدل على الشك او الانكار ، فاعتذر عن هذا بمراعاة عقول العوام والمتعصبين الذين يطعنون في دين من يقول بهذه المسائل . فقلت اذا لم يتجرأ مثلك من الموثوق بعلمهم ودينهم على الجزم بهذه المسائل فمن يجزم بها ومتى يكون ذلك ؟

(والثاني) عدم تقسيم الرسالة الى أبواب وفصول يوضع لكل منها عنوان يدل عليه على نحو ما هو مفصل في الفهرس للتنشيط على المطالعة ، وسهولة المراجعة ، فقال : إن اتصال الكلام بعضه ببعض كالماء الجاري من حسن الانشاء وأساليب البلاغة ، قلت فلماذا جعل القرآن سوراً وهو أبلغ الكلام وافصحه ؟

ونتقل أيضاً مثالا آخر ، وهو مأثرة تاريخية للفقيد ، جمعت بين جمال

---

(١) المنار ج ٣ م ٢١

الوصف ، وإيثار الحق ، وانكار الأستاذ على تلميذه ، ولطف مراجعة التلميذ لأستاذه ، وهي مثل عال للمعلمين والمتعلمين نأثره بنصه من كتاب المنار والازهر كما حكاه المؤلف عن نفسه قال (ص ١٧١)

(أول حادثة لي في الانكار العاني) :

قيل لي : ألا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر أبي علي ؟ قلت نعم ، فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين ، وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع فجلست في ايوان النظارة (المتفرجين) نمتع البصر برؤية جنات البرتقال ، والشم بعبير زهرها ، والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا ، حتى اذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان النظارة ، وفي صدره شيخهم الرسمي ، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه ، يلبسون غلائل بيضاً ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دورانا فنيا سريعاً تنفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة ، لا يبغي بعضها على بعض ، ويمدون سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركعون له ، قلت ماهذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف :

لم أملك نفسي أن وقفت في بهرة النظارة وصحت باعلى صوتي بما معناه : « أيها الناس أو المسلمون : ان هذا منكر لا يجوز النظر إليه ، ولا السكوت عليه ، لانه إقرار له ، وإنه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى « اتخذوا دينهم لهواً ولعباً » وانني قد أديت الواجب علي فاخرجوا رحمكم الله ، وخرجت من المكان راجعاً أدراجي الى المدينة مسرعا ، وفي أثناء المسير التفت فوجدت ورائي عدداً قليلا قد رجعوا ، وبقي الاكثرون لم

ينكروا عليّ ولا على القوم بقول ولا عمل ، ثم كانت هـذه الحادثة الغريبة حديث موضوع سمرهم مدة طويلة ، فمن عاذل وعاذر .

اتفق في تلك الايام أن دعاني رجل وجيه من معارف والدي الى سيران في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر ، والشيخ عبد الله البركة واثنين آخرين من العلماء ، وهنالك سألني شيخنا عن الحادثة ، ولم يسألني عنها في المدرسة ، فذكرتها له باختصار ، قال : اني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق ، قلت هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين ؟ قال لا : ولكن لهؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة إلى الله غير وجهتهم ، ومالك تخصهم بالانكار عليهم ، وان من أهل اللهو من يسمعون الاصوات والأوتار في ملاهيهم ، بل بلغنى أن بعضهم يقامرون ليلا في قهوة العيوني ، قلت إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو ، لانهم جعلوا السماع المنكر ، ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة ، فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن بـه الله ، على أني لم أر منكراً آخر ولم أنكره ، وأنا غير مكلف أنْ أذهب في آخر الليل الى قهوة العيوني فاستفتحها لأرى ما فيها وأنكر عليه ، فلما اعييته ، قال : ان مذهبنا (يعني الحنفي) اشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ، ولكنني انصح لك أن لا تعترض على أهل الطريق !!

يتبع محمد بهجة البيطار



لغة المتنبي

أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القويم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيُهتدى لي فلم أقدر على اللحنِ

من قصيدته التي مطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول : لابارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى ارتكابَ ما فيه خطر على حياته أهونَ من ارتكاب ما فيه خطر على لغته . وفي البيت مسألتان : (خفت أعربها) من الفعل المضارع ، وتحريك حاء (اللحن) اتباعا للام وشاهد الاول قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » أي أن أعبد ، وقول طرفة ابن العبد :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

أي أن أحضر الوغى ، ومن هذا القبيل قولهم : مره يحفر بئراً أي أن يحفر ، وقولهم : خذه قبل يأخذك أي قبل أن يأخذك ، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع . والمتنبي كسائر فصحاء الكوفيين كثيراً ما يستعمل ذلك في قوله :

ونوقدت أنفاسنا حتى لقد　　أشفقت تحترق العواذل بيننا

وقوله :

وما تسع الأزمان علمي بأمرها　　ولا تحسن الأيام تكتب ما أملي

وقوله　أشفق عند اتقاد فكرته　　عليه منها أخاف يشتعل

وقوله في ثياب أهديت اليه:

أقر جلدي بها عليّ فلا　　أقدر حتى الممات أجحدها

ويسوغ أن يعود الفعل المضارع مرفوعا مع إضمار أن قبله لأن الحرف عامل ضعيف ، فاذا أضمر زال أثره ولم يقو على الظهور ، كما يسوغ أن يبقى منصوباً باعتبار ان المقدر كالثابت وعليه قول المتنبي :

توقهُ ومتى ما شئت تبلوَه　　فكن معاديَه أو كن له نشبا

في التي مطلعها :

دمعي جرى فقضى في الربع ما وجبا

وقرئ كما في الكشاف للزمخشري (أعبد) مرفوعا وقرئ منصوباًفي سورة الزُّمر من قوله تعالى : « أفغير الله تأمروني أعبد »

وأما تحريك حاء اللحن بالفتح اتباعاً للامها فهو من قبيل تحريك الهاء في نهر وزهر ودهر . قال أبو النجم :

يا جبلا طال معداً فاشمخر　　اشمّ لا يسطيعه الناس الدَهر

قال ابن منظور في لسان العرب : إما أن يكون الدهر والدهر لغتين كما ذهب اليه البصريون في هذا النحو فيقتصر على ما سمع منه ، وإما أن يكون ذلك فكان حروف الحلق فيطرد كما ذهب اليه الكوفيون اه ، والمراد من اللحن في بيت أبي الطيب الخطأ في الكلام والعدول عن سنن الصواب فيه ، ولم يرد شيئاً من معانيه الاخرى كاللغة والفهم والفطانة والالغاز والتعريض والغناء والتطريب ، وان كان لفظ اللحن مشتركا في ذلك كله . إن أبا الطيب في تمسكه بعربيته والتزامه فصحاها لهجةً وألفاظا مطبوع يجري في ذلك على مقتضى طبعه ، فهو من أشبه الناس بالاعرابي الذي كان الترافع اليه ليكون

حكما بين سيبويه والكسائي فلم يستطع أن يلحن فيقول : فاذا هو اياها ولكن استطاع أن يكذب فيقول : الحق مع الكسائي ولو اكره على التلفظ بالنص المتناقش فيه لظهر أن الحق مع سيبويه ، لان لسانه لا يجري حينئذ الا بقوله : فاذا هو هي ، على ماذهب اليه سيبويه ، فكان احتمال عار الكذب عنده أهون من احتمال عار افساد لغته الفصحى الجميلة التي بها جاء أحسن الحديث وحياً ، كلما زدته تلاوة زادك حسنا وطلاوة · وليس أبو الطيب بدعا في عشقه لغة مضرية تجلت له من عرائسها :

وجوه لا تزال تزيد حسنا   لمثل جمالها خلق الغرامُ

ومن أشباهه في الشنشنة ذلك الامير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان يكتب باللسان المبين اسماء الاطعمة التي يريدها في رقاع يبعث بها الى طاهيه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فيراجع ابن أبي إسحاق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الاطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يبطيء عليه في إحضارها فقال له :

ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطيء كأنك تريد بإبطائك أن تحماني على الصيام ، فقال له الطاهي : سهّلْ كلامك أسهلْ طعامك ، فقال له سيده : يابن اللخناء أفأدع عربيتي من أجل عيّك ·

ولصحة الطبع في اللغة كان لفصحاء العهد الجاهلي وصدر الاسلام أعلى مقام بين طبقات أمراء الكلام ، وهيهات أن تظهر عبقرية البيان الا بسلامة الذوق وطلاقة اللسان ، ولقد أصاب المحز وطبق المفصل من قال :

نعم عون الفتى اذا طلب العلـ   ـم ورام الآداب صحةُ طبع
فاذا الطبع خانه بطل السعـ   ـي وصار العناء في غير نفع

وقال المتنبي :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبـ   ـعُ وعند التعمق الزللُ

لاجرم أن لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن ويتهاون

بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب كالاعرابي الذي كان يقول :

عجبت للتجار الذين يلحنون ويستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم، وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه فقال : لولا القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان ، وليس بضائر فارس الطخرور أبا محمّد وشعره شعره قول ابن خالويه فيه : إنه لم يكن يعرف أن البعير يستعمل بمعنى الحمار ، كأنه انفرد بمعناه ولم يحوه سواه .

عبد القادر المبارك



=« احتمال السخف أولى من الجهل بالعربية »=

أبو هاشم عبد السلام الجبائي من أئمة المعتزلة ، كان يأخذ علم النحو عن المبرد ، وكان في المبرد سخف ، فقيل لأبي هاشم : كيف تحتمل سخفه ؟ فقال :

— رأيت احتماله أولى من الجهل بالعربية !!

(انظر ص ٥٦ من رسالة المعتزلة لاحمد بن يحيي المرتضى ، طبع حيدر آباد الدكن)

خطاب الاستاذ عز الدين التنوخي

كاتب سر المجمع العلمي العربي

باسم المجمع العلمي أشكر لكم عنايتكم بحضور هذه الحفلة المباركة ، حفلة تنظيم دار الكتب الظاهرية ، ذات الفضل العظيم على دمشق مدينتنا الخالدة وعلى سائر البلدان العربية ، وهي لعمر الحق جديرة بأن نحتفل بعيدها الخمسيني أو الستيني لمرور نحو من ستين عاماً على إنشائها ، ولعل هذه الحفلة تكون ممهدة لذلك العيد العلمي الميمون ، ويكون يومئذ قد مضى على تأسيس المجمع العلمي عشرون سنة فنحتفل بعيده العشريني وعيد المكتبة الخمسيني معاً احتفالا شعبياً يشترك به نواب المعاهد والمجامع والجامعات العلمية العربية والاجنبية ، ويدعى اليه علماء المشرقيات في ديار الغرب ، وجلهم من أعضاء مجمعنا الذين يستسنحون الفرص لزيارة دار الشام عامة ودمشق حاضرتها خاصة وفي ذلك ما فيه من إعلاء لشأن أمتنا العربية ودولتنا الناهضة الفتية .

إن هذه الدار التي نحن مجتمعون الآن في صحنها كانت تعرف بالمدرسة الظاهرية الجوانية ، وهي بقية ثلاث مئة مدرسة كانت عامرة في القرون الوسطى بالعلم والأدب في مدينتنا هذه العظيمة ، و كانت مدرسة للحنفية والشافعية يدرسون فيها الحديث وعلومه ، وقد أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ودفن فيها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ ﻫ ، ولا تزال على هذه المدرسة

---

(١) انظر وصفها في باب (الآراء والاخبار) من هذا الجزء

مسحة باقية من جمالها القديم يبدو في موضعين منها : في مدخل الظاهرية الجميل، فان الداخل يمتع ناظريه بهندسته العربية الرائعة ومقرنصاته المتهدلة ويشاهد في زاوية المدخل اليسرى اسم مهندسها العربي « ابراهيم بن غانم » ، والموطن الثاني لهذا الجمال هو القبة الظاهرية التي دفن تحتها هذا الملك الشامي المجاهد ودفن الى جانبه ابنه الملك السعيد ، إن هذه القبة لتمتاز على قبب الشام كلها ، ولعلها نادرة القبب في بلاد العرب ، بما ازدانت به من أصناف الرخام الملون الجميل ، فقد ركبت ألواحه على جدرانها بتراكيب هندسية عربية ، كما أن هذه القبة بفسيفسائها اللامعة ونقوشها الشجرية الفاتنة التي لاعيب فيها غير أغصانها وكمال اتقانها .

وكان لكل مدرسة في دمشق خزانة كتب خاصة تشتمل على نفائس الكتب وكثير منها بخطوط مؤلفيها ، ثم بلغ من اهمال العلم في دمشق أن أمسى قوّام هذه المدارس للفقر وقلة الراتب وضعف الشعور بالواجب يبيعون هذه المخطوطات ، وأقبل الاجانب من قناصل ومستشرقين يشترون تراث السلف بابخس الاثمان ، مما ألقى في روع عالم الشام وباعث نهضتها العلمية الشيخ طاهر الجزائري أن يجمع شتات هذه المبعثرات من خزائن الكتب ويضعها في القبة الظاهرية ، فأشار على الوالي بذلك وهو حمدي باشا فألف سنة ١٢٩٦ للهجرة لجنة خاصة جعل رئيسها العلامة السيد علاء الدين عابدين ، فجمعوا هذه الكتب من عشر مدارس ووضعوها في خزائن كبيرة تحيط بضريح الملك الظاهر الذي عاش في حياته تحت ظلال السيوف البواتر ، ودفن بعد مماته تحت ظلال الكتب والدفاتر ، ومع أن القائمين على هذه الكتب المجموعة قد خصصت لهم مرتبات ليحسنوا القيام عليها ، لم ينتفع الناس بها الانتفاع المنشود ، وظلت نصف مسبلة في الخزائن المقفلة ، ولكنها حفظت من النهب والضياع ولا سيما بعد طبع فهرسها الجامع لمخطوطاتها ومطبوعاتها ، وبقي أمر الخزانة الظاهرية على هذه الحال الى أن وسدت الحكومة أمر الولاية عليها الى المجمع العلمي العربي يوم انشائه في سنة ١٩١٩ ؛ وكان يومئذ في المدرسة

الظاهرية القديمة مدرسة ابتدائية تعرف بانموذج الملك الظاهر ، فبذل المجمع قصارى جهده لنقل هذه المدرسة الى بقعة أخرى من المدينة ، لأن صياح الصبيان وضجة حركاتهم المقلقة تعكر صفو المطالعة ، وتضعف حب البحث والمراجعة ، وقد توفق المجمع بأخرة وانتقلت المدرسة الجديدة من القديمة ·

وكان من الوفاء للشيخ طاهر الجزائري الذي له اليد البيضاء على الخزانة الظاهرية أن يقلّد الولاية عليها ، فسماه المجمع مديراً عاماً لها وظل يديرها الى أن استأثر الله به ، وجدير بالحكومة إذا أشادت دار كتب عامة لدمشق أن نقيم له تمثالاً في ساحتها كما يجمل بنا أن نسمي حجرة المخطوطات بالخزانة الظاهرية تيمناً باسمه الخالد الميمون ·

ورغبة في زيادة كتب الخزانة الظاهرية أرسل المجمع العلمي إلى مصر خليفة الشيخ طاهر في منصبه وهو الشيخ حسني الكسم الذي استفرغ في مصر مجهوده مستهدياً للخزانة الظاهرية مطبوعات المؤلفين والكتبيين فحمل اليها مجموعة مباركة تتألف من ١٦٠٠ مجلد ملأت عشرة صناديق ، منها ما أهدته دار الكتب المصرية ، والمكتبات التجارية ، ومنها ما أهداه كبار المؤلفين والناشرين أمثال السادة رشيد رضا وأحمد الاسكندري ومحمد الخضري وأحمد تيمور ورفيق العظم وخير الدين الزركلي ·

أما العلامة أحمد تيمور فقد أهدى علاوة على الكتب مجموعة نفيسة من المسكوكات القديمة تشتمل على ٤٨٢ قطعة من ذهبية وفضية ونحاسية وزجاجية ومن خواتم قديمة نقش بعضها على جواهر كريمة ، وهي اليوم محفوظة في قبة التربة العادلية ·

وحسبنا أن نوجز القول بأن كتب الخزانة الظاهرية كانت يوم تولى المجمع عليها تشتمل على ٤٠٠٠ مخطوطة وقليل من المطبوعات ، فأصبحت في يوم الناس هذا تشتمل حناياها على ٢٥٠٠٠ مجلد ما بين مخطوط ومطبوع ،

فضلا عن المجلات المختلفة اللغات ، وفيها من الكتب الفرنسية والانكليزية والالمانية ما يفيد المراجعين والمطالعين .

وقد أهدى اليها قبيل وفاته المؤرخ الدمشقي الكبير المرحوم رفيق العظم خزانة كتبه ، ومثل هذه المأثرة النبيلة قد فعل الشيخ عبد الله الكزبري من بيوتات العلم بدمشق ، فحفظت الظاهرية كتبهما في خزانتين خاصتين ؛ ويتسع بي مجال المقال جداً إذا أردت أن أسرد على مسامعكم أسماء جميع الذين أعانوا دار الكتب الظاهرية بالمخطوطات والمطبوعات كالشيخ سليم البخاري والشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ أحمد فهمي العطار ، والأمير طاهر الجزائري وأمثالهم جزاهم الله خيراً .

وقد أراد المجمع العلمي أن يتمم تنظيم دار الكتب الظاهرية على نمط التنظيم الأوربي الحديث ، فأوفد إلى باريس الأستاذ يوسف العش ليدرس في مدرسة السجلات Ecole des Chartes أصول ترتيب الكتب وتنظيم دورها فمكث ثلاث سنوات أخذ في آخرها شهادتها ، ثم زار بعد ذلك خزائن كتب فرنسة في أشهر مدائنها مثل ليون وديجون وآفينيون وبوردو وطور وغرنوبل وغيرها ، وسيبيّن لكم طريقة التنظيم [1] التي اختارها لدار الكتب الظاهرية ثم يعرض على أنظاركم في آخر هذه الحفلة هذه الطريقة التي سهلت سبيل المطالعة ويسرت أساليب المراجعة للمطالعين والمراجعين جميعاً .

هذه هي بعض أعمال المجمع العلمي في دار الكتب الظاهرية ، ولم يغفل الاهتمام بنشر اللغة العربية في سائر البلدان الشامية ، فاهتم بحلب حاضرة الادب على عهد الدولة الحمدانية فافتتح فيها فرعه الحلبي في تشرين الأول من سنة ١٩٢٣ مختاراً له من أعضائه أفضل علماء حلب المعروفين بخدمة اللغة العربية ، وأنشأ لفرع المجمع العلمي هذا خزانة كتب يرجع اليها الباحثون ، وأرسل اليها في طليعة المرسلات مجموعة من الكتب العربية والتركية والفرنسية تشمل على

(١) أنظرها بعد خطابه المنشور في هذا الجزء

ألف مجلد ، وعهد مجمعنا الى العلامة الشيخ كامل الغزي بأن يتولى مع إخوانه الأعضاء إدارة هذه الخزانة الحلبية .

وأما أنطاكية عاصمة الشام الأولى فقد خشي المجمع العلمي من بغي اللغة التركية على العربية ، وأراد أن يشد أزر لغتنا القومية في تلك الربوع لتثبت على نوائب الدهر ، ولاجل تحقيق ذلك اختار أحد أعضائه في أنطاكية وهو العلامة الشيخ محمد زين العابدين وعهد اليه أن ينظم سجلا بخزائن الكتب التي لا تزال محفوظة في بعض مدارس أنطاكية وجوامعها ، وأرسل اليه مجموعة كبيرة من الكتب العربية ، كما أرسل مثل ذلك مجموعة كتب إلى الزبداني ، ومثلها إلى جبل الدروز بالأمس وجبل العرب في هذه الأيام.

والمجمع العلمي العربي أول معهد عُني في دمشق بآثار البلاد فأنشأ وصنع على عينه دار الآثار الدمشقية ، وكان فاتحة أعماله في هذا السبيل أن أوفد أول بعثة أثرية كنت من أعضائها الى تدمر وحمص ، فحمل إلى دمشق كثيراً من نفائس الآثار منها رأساً حثيّا كبيراً من الصخر البركاني الأسود عثر عليه في حديقة حمص ، ويعتبر هذا الرأس في رأس الآثار الحثية المفيدة ، وعلم المجمع العلمي بوجود كثير من العاديات والتحف الأثرية القديمة في منازل الوجوه والاعيان فاستهداهم كثيراً منها ، وبذلك تكاثرت الاثار القديمة في صحن العادلية وغرفها ، وأيقن المجمع أنه لا قوام للاثار إلا بإرسال طالب علم الى باريس ليدرس فيها على أساتذتها أصول علم الاثار واللغات السامية القديمة ، فأرسل للتخصص بذلك الأمير جعفر الحسني فقام بالمهمة العلمية التي أوفد إلى باريس من أجلها خير قيام ، وبعد نيل شهادته الأثرية عاد الى دمشق وشرع ينظم آثارها ، وتزايدت هذه الاثار الى أن أصبحت دار المجمع أو المدرسة العادلية لا تستوعب جميع معروضاتها ، فظل كثير من نفائسها مخبوءاً في الصناديق فشرعت دولة الجمهورية السورية في بناء دار آثار لها ستكون من أجمل أنواعها في الشرق إن شاء الله .

أما دار المجمع العلمي العربي فقد كانت من أرقى مدارس العلم بدمشق

وتعرف بالعادلية الكبرى نسبة للملك العادل سيف الدين شقيق الملك الناصر صلاح الدين الايوبي ، وقد بدأ بانشائها سنة ٦٥٨ للهجرة نور الدين محمود زنكي وبعد وفاته بنى الملك العادل بعضها ثم توفي ودفن في تربتها الموجودة ، فأتمها ولده الملك المعظم ؛ وقد افتتحت للتدريس في يوم مشهود حضره السلطان المعظم ووجوه دولته وكبار العلماء والاعيان ، فالقى فيها درس الافتتاح القاضي جمال الدين المصري ، وممن درس بها قاضي القضاة بهاء الدين السبكي وامام النحاة ابن مالك الذي كان يسكن داره حارسها اليوم وكان يقف وينادي على بابها لتأدية أمانة العلم : هل من طالب علم ، هل من قارئ نحو ؟ وفي العادلية كان يقيم مؤرخنا العظيم ابن خلكان وله فيها ذكر وعبر ، وفيها أتم النعيمي تأليف كتابه (الدارس في المدارس) الذي يبحث عن مدارس دمشق إبان نهضتها .

وكان آل المنيني يقطنون هذه المدرسة الشافعية الكبرى بحق الولاية عليها فسعت الحكومة الفيصلية لتحرير العادلية للبحث العلمي ، وبهمة حاكمها العسكري السيد رضا الركابي الذي كان أكبر العاملين على انشاء المجمع العلمي وداري الكتب والآثار ، أعطت الحكومة الى آل المنيني مبلغ ٢٠٠٠ ليرة مصرية لينزلوا لها عن حق التولية ، ثم أنفقت لترميم العادلية على الاسلوب العربي مبلغ ٢٥٠٠ ليرة مصرية فتماسك بنيانها كثيرا ، حتى أصبحت تصلح لاجتماع أعضاء المجمع ومناقشاتهم ومحاضراتهم العامة .

ان المجالس الاسبوعية التي كان يجتمع فيها الاعضاء ليتناقشوا في الاوضاع الادارية والمصطلحات العلمية هي من أعمال المجمع العلمي المباركة التي ساعدت كثيراً على انتشار اللغة الفصحى ورسوخها ، ومثلها المحاضرات العامة التي كان يلقيها الاعضاء على الرجال والنساء ، بله كان يرسل بعض أعضائه لالقاء المحاضرات في غير دمشق من البلدان الشامية .

وكان المجمع يقيم حفلات التكريم أو التأبين لمشاهير علماء الاقطار العربية الذين خدموا العربية نثراً وشعراً ، سواء أكانوا من أعضاء المجمع أم من غير أعضائه ، وفي ذلك ما فيه من التنشيط والتقدير وتوثيق أواصر الوحدة العربية العلمية والقومية جميعاً ، ومن هذه الحفلات الاعياد الادبية القومية كمهرجان أبي الطيب المتنبي الذي جمع من شمل الامة العربية باجتماع كثير من علمائها وأدبائها ، وبث في فتيان الامة روح الاجلال لادبائهم الخالدين ، وزاد كثيراً من الابحاث المتنبئية شرحاً وتفصيلا .

والمجمع العلمي هو المقترح الاول لانشاء كلية الآداب التي خرجت على ضيق ملاكها كثيراً من الادباء والمعلمين فسدت بذلك ثلمة واسعة كانت الحاجة حاقّة إليها .

ومن أظهر أعمال المجمع العلمي انشاء مجلته العلمية التي تعنى بالابحاث الادبية من لغوية وتاريخية ، وقد بلغ عدد مجلداتها السنوية خمس عشرة مجلدة فضلا عن الرسائل الادبية التي بعثها بالنشر من مرقدها وعددها يزيد على عشر يرى قارئ المجلة اسماءها على غلافها .

ومن أعمال المجمع العلمية استنساخه لنوادر المخطوطات المخدومة من خزائن دمشق والاقطار العربية والغربية إتماماً لمجموعة المخطوطات الظاهرية ، ومنها تيسير السبيل على العلماء والمستشرقين ليتمكنوا من معارضة المخطوطات التي يريدون نشرها على مخطوطاتنا ، ومساعدتهم بذلك على تصحيح ما في خزائنهم من آثارنا العربية .

وكثيراً ما ساعد المجمع العلمي المؤلفين في دمشق على تصحيح كتبهم العلمية والمدرسية قبل طبعها ، وكثيراً ما درب أفاضل الشبان على أصول البحث العلمي فاصبح منهم الكتاب والمؤلفون .

ومن الذرائع التي توسل بها المجمع العلمي لتنشيط روح البحث والتأليف في بلادنا توزيع (الجوائز العلمية) على المجلين من المتسابقين في الابحاث

المطلوبة ، اذكر على سبيل المثال منها : جائزة السيد فخري البارودي لمن يضع أمثل كتاب في تسهيل الهجاء ، وجائزة السيد محمد سعيد اليوسف لمن يؤلف أحسن كتاب في تقدم البلاد السورية ، وجائزة السيد خالد العظم لمن يصنف أفضل كتاب في التربية .

وقد رأى المجمع العلمي أن دار الكتب الظاهرية ينقصها آلة لتصوير الكتب تصويرا شمسيا أسوة بدور الكتب الراقية في ديار الغرب فاشترى آلة من أتقن آلات التصوير وشرع يصور للعلماء والمستشرقين ودور الكتب الجامعة ما يُحتاج اليه من مخطوطات الظاهرية ، والتصوير أصح في نظر العلماء من النسخ لأن الآلة تنقل المخطوطة كما خطها كاتبها نقلا تامًا لا مسخ يمازجه ولا تصحيح يطرأ عليه ، أما النسخ اليدوي فمما يتهم ولا يطمئن قلب المحقق اليه ، وكثيراً ما كان الناسخ ماسخا .

والمجمع العلمي عازم على طبع كتاب جليل يعتبره العلماء مع كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر من مفاخر دمشق ، وهذا الكتاب (الدارس في المدارس) للنعيمي يبحث عن مدارس دمشق في عصور نهضتها العلمية . وعن أوقافها ومدرسيها ومن تخرج فيها من العلماء والادباء مع تراجم المشهورين منهم ، وقد اشترى المجمع العلمي جميع ما يحتاج طبع هذا الكتاب اليه من الورق الجيد ، وهو لا يزال يعد بقية العدد لاكمال ضبطه وتسهيل طبعه قريباً .

وقد أشاد المجمع العلمي بذكر دمشق ونهضتها العلمية ، وأكسبها والدولة السورية التي هي عاصمتها اسما ممجدا وشرفا مخلدا ، فان علماء الامم الغربية الراقية ولا سيما المستشرقين منهم وأكثرهم أعضاء المجمع العلمي العربي قد أصبحوا يلهجون باسمه ويرسلون الى مجلته بابحاثهم العربية ويدعونه الى مؤتمراتهم العلمية ، فكل ما أنفق على المجمع

العلمي من المال لا يبلغ معشار ما نالته دمشق من حسن الاحدوثة وجميل الذكر .

هذا والمجمع العلمي العربي الذي عاش في الحكومات السابقة ولم تجرأ على أن تصيبه بأذى لايخشى عليه على عهد هذه الدولة العربية التي يعرف رجالها بجهادهم في سبيل العروبة ، لا سيما والقائم اليوم على شؤون المعارف من بينهم هو الطبيب والعالم الاديب السيد عبد الرحمن الكيالي الذي ما فتئ يبذل جهده في معالجة قضية المجمع العلمي ، ومن أحرى من الطبيب بتشخيص الداء ووصف الدواء والسلام .

تطور دور الكتب العربية العامة

منذ نشأتها حتى اليوم (١)

إن في تطور دور الكتب العربية خلال التاريخ منذ نشأتها حتى اليوم شاهداً على أنها تمشت جنباً إلى جنب مع حاجات العصور وقامت بسمتها الثقافية وفقاً لتلك الحاجات ٠

خرج العرب من جزيرتهم وليس بين أيديهم من كتاب إلا القرآن الكريم فراحوا يخترقون البلدان فاتحين معتمدين على هذا الكتاب يجدون فيه ما يطلبون ولكن لم ينقض زمن طويل عليهم حتى دعاهم ذكاؤهم الفطري الى دراسة العلم ومعرفة أخبار المتقدمين وآثارهم فأقبلوا على كتب الاقدمين وشرعوا يترجمونها الى لغتهم ووصل بهم الامر في ذلك الى فتح دار للترجمة منظمة عليها حفاظ و كتاب ومترجمون و كان ذلك في عصر هارون الرشيد ٠ سميت هذه الدار بدار الحكمة او بيت الحكمة ، والحكمة تشمل علوم الاقدمين العقلية أي الفلسفة بفروعها والطبيعيات والرياضيات ٠ أحدثت هذه الدار كما قلنا للترجمة ولكن الترجمة لا تكون إلا من الكتب ولا تكمل وتحسن إلا إذا كان هنالك ما يساعد المترجمين على فهم الكتب التي يترجمونها ، أي إذا وجد مع الكتب المترجمة كتب تشرحها أو تعلق عليها او تقاربها بالمادة

(١) كلمة محافظ دار الكتب الظاهرية السيد يوسف العش وهي خلاصة أطروحة يؤلفها ليقدمها في هذه السنة الى جامعة الصوربون بباريس ٠

والبحث ، فكان على من أوجد دار الحكمة أن يؤهلها بكتب الحكمة ، وكان ذلك ؛ فقد غنم هارون الرشيد في واقعة عمورية مقداراً كبيراً من كتب الأقدمين أضافه إلى ما كان عنده من كتبهم ، وكوّن بها جميعا دار الحكمة ؛ فتلك الدار قد جمعت إذن قبل كل شيء كتباً وتكونت فيها خزائن للكتب ، فكانت أول مكتبة عربية أمّها القراء والمطالعون والنساخ مستفيدين كلٌّ في ناحيته من كتبها سواء منها العربية المترجمة أو الأجنبية غير المترجمة أو العربية الخالصة .

فدور الكتب العربية إذن نشأت نشأتها الاولى على شكل دار للترجمة جُمعت فيها الكتب وهيئت للعلماء والبحاثين .

ومازال الامر على ذلك حتى كثرت الكتب المترجمة وعمّت وانتشرت وأصبحت مُهمة دور الكتب ثانوية ، فكان من الواجب إذن أن يحل محلها شيء آخر ، وماذا يكون هذا الشيء ؟ إن الكتب والمؤلفات العربية كانت قد أخذت في الانتشار في ذلك العصر انتشاراً كبيراً ، وموضوع الكتب العربية هو العلم العربي حقاً ، والعلم عند العرب الدين والأدب والتاريخ ، فكان من الواجب إذن أن يكون هناك دار للعلم ، وقد تم ذلك فان سابور ابن اردشير أنشأ داراً للعلم في بغداد وأنشأ الحاكم بأمر الله مثلها في القاهرة ، وبنو عمّار على نحوها في طرابلس ، وأنشئت أمثالها في البلدان الأخرى . وكانت الغاية الاولى من هذه الدور حفظ كتب العلم الأصلية وعرضها للمطالعة ، ولكن حصل آنذاك شيء أضيف إلى صفتها هذه صفة ثانية صفة المدارس ، فكان يلقى فيها دروس في العلم والذي أضاف اليها صفة المدرسة أن الناس كانوا فى حاجة كبيرة إلى الدرس على أساتذة عالمين ، وأصبحت المساجد تضيق بالدروس ، ولم يكن هنالك بعد مدارس فأقبل الناس مضطرين الى دور العلم يتلقون فيها الدروس عدا عن قراءتهم فيها للكتب وذلك أمر طبيعي

لامكان للاستغراب منه ، على أنه فريد في نوعه ٠

وبعد أن أنشئت المدارس في البلاد العربية وانتشرت أي بعد انتهاء القرن الخامس شرعت دور العلم في الاختفاء ، وظهر مكانها دور الكتب بمعناها الحقيقي ، ووافق هذه الحركة توسع العلم وانتشاره بين معظم طبقات الشعب فكان من الواجب إذن أن تخصص له وسائط عامة ، وكان الأمر كذلك في في هذه الدور ، فكان يرى في كل بلدة عدد كبير منها منتشراً في الاحياء المختلفة يعمل على تثقيف الشعب وانماء مداركه ٠

ولكن يا للاسف لم تدم هذه الحركة طويلا فقد قضى التتر الفاتحون على هذه الدور وأحرقوها ودمروها وعاثوا فيها فساداً ، ولم يشأ الحكام الذين استولوا على البلاد بعد هذه الفتوح أن يعم العلم مرة ثانية في طبقات الشعب ، فالعلم نقمة على الظالم تضرب على يده مهما كانت قوية ولم يكونوا بقادرين على أن يقضوا على العلم قضاء تاماً ، لأنهم دخلوا في الاسلام ، ولأن الجهل مهما بلغ بالناس فلا يأتي على عقيدتهم الراسخة ، فاضطروا إلى حصر العلم بطبقة خاصة من الشعب يغدقون عليها إنعامهم فتبقى وفية لهم ، فأنشأوا المدارس الدينية ، وكذلك شرعت دور الكتب في الاختفاء ملتجئة إلى هذه المدارس التي كانت قسماً منها في السابق ، ومنذ ذلك التاريخ أي من أوائل القرن الثامن أصبحت لا تجد مكتبات عامة إلا في المدارس ، ودام الامر على ذلك حتى أواخر القرن الماضي ٠

وفيه شرع في إنشاء دور كتب عامة ووافق ذلك نهضة حديثة شرعت تنتشر في بلاد العرب قاضية على ظلام الجهل : ولكننا رغم ذلك لا نزال نشاهد دور كتب عظيمة الأهمية محصورة في مدارس قديمة هي تراث الماضي ، على أن التطور الذي ذكرناه سوف يقضي عليها حتما ويجعلها تلتجيء إلى دور الكتب العامة ، ففيها تظهر قيمتها وفيها يقبل عليها الباحثون بالدرس والتمحيص والنشر ٠

إن دور الكتب العربية كما ترى سارت مع روح العصر ووافقته موافقة

تامة وقامت بما عليها حق القيام ، فمن دار للحكمة نشرت علوم الأقدمين ، وأتت عليها بالترجمة إلى دار للعلم أساس أمرها الكتب والمطالعة ، ولكنها لم تخل من التدريس ، إلى دار كتب عامة بمعنى الكلمة ، ومنها التجأت إلى المدارس لتكون الاساس للمدرسين يسترون بها جهلهم ويعتمدون عليها في إلقاء دروسهم ، ومن ثم عادت الى حياتها الاستقلالية فشكلت لنفسها كياناً خاصاً ، واستعادت اسمها القديم : دار الكتب .

إن بحثنا هذا يقودنا إلى ان نقول بأن دور الكتب التي أسست في عصرنا هذا والذي قبله هي تراث الماضي لا تختلف عن المدرسة بشيء ، وقد يعتاض بالواحدة عن الأخرى وتتبادلان بالخدمة فهي لذلك ولنتيجة التطور الذي وصلت اليه مدعوة إلى خدمة كبرى ، إلى عمل قومي فيه تثقيف مختلف طبقات الشعب ، فهي عامة قبل كل شيء ، ولا يتم تثقيف هذه الطبقات الا بها ، فيجب علينا إذن أن نؤهلها إلى هذا العمل وأن نهيء الأسباب لتقدمها وأن لا نشل حركتها ، وبذلك نكون قد برهنا أننا أمة تغتنم الفرص وتسير مع التطور ولا تقبل الخذلان في مادة العلم .

التنظيمات الجديدة لدار الكتب الظاهرية

روّاد دار الكتب الظاهرية قسمان : قسم منهم يأتي للتعلم وقراءة الكتب ، وآخر لدراسة بعض المواد التي يودون الكتابة فيها ، أو بمعنى آخر ، قسم منهم طالب للعلم ، وآخر ناشر له . وعلى ذلك كان لا بد من أن يخصص لكل منهم مكان خاص وفهارس خاصة تتفق مع غايتهم ودرجة معرفتهم ، وهذا ما عنينا بتحقيقه في التنظيمات الجديدة التي أدخلناها على دار الكتب الظاهرية فقد أنشأنا في هذه الدار قاعتين مختلفتين : قاعة عامة للمطالعة ، وأخرى خاصة بالمؤلفين والبحاثين .

نظمنا للقاعة العامة فهرسين : أحدهما باسماء الكتب مرتب على حروف المعجم ، والآخر مرتب على مواضيع العلوم ، اقتصرنا فيه على ذكر الكتب الحديثة والمهمة التي تتفق مع ثقافة التلميذ وثقافة جمهور الناس . وقد حصرنا فيه مواضيع العلوم حصراً ضيقاً لكيلا يتشتت بها فكر المطالع الذي لم يعتد بعد المراجعات العلمية .

أما قاعة التآليف (هكذا سميناها) فقد وضعنا لها فهرسين : أحدهما بأسماء المؤلفين مرتب على حروف المعجم ، وثانيهما مرتب على مواضيع العلوم بصورة مفصّلة جداً نشرنا أصنافها وموادها في كتاب خاص مطبوع سميناه « تصنيف العلوم والمعارف العربية »

والعلوم مقسمة في هذا التصنيف الى ٥٣ صنفاً أصلياً ، كل صنف منها مقسم بالتالي إلى مواد خاصة ، لكل منها رقم مشكل على عددين : أولهما رقم الصنف الذي تنتمي اليه ، وثانيها رقمها الخاص حسب ترتيبها العددي في صنفها ، فالمادة الأولى من الصنف الاول رقمها مثلا (١ — ١) ، والمادة الثالثة من الصنف الرابع رقمها (٤ — ٣) وهلم جرا . ولسهولة الرجوع الى هذا التصنيف ذيلناه بتعداد مفصل لمواضيع العلوم على الترتيب الأبجدي ، ذكرنا فيه أمام كل موضوع منه رقم المادة التي ينتمي اليها من التصنيف ، وهكذا فقد أصبح من السهل معرفة المادة من التصنيف التي تحتوي بحثاً خاصاً يراد الرجوع اليه ، وذلك بالتفتيش عن اسم هذا البحث في التعداد المذكور ، ومتى عثر على اسمه عثر على رقم المادة التي يدخل فيها .

فهذا التصنيف مع ذيله (فضلا عن كونه مفيداً في تنظيم دار الكتب على أساس علمي) هو مفتاح لفهارس دار الكتب الظاهرية المرتبة على المواضيع ، إذ أن الفهارس محررة على أوراق تضم وترفع حسب الحاجة في دفاتر مجلدة بطريقة خاصة تتفق مع هذه الغاية ، وقد اتبعنا في تنظيمها ، كما ذكرنا سابقاً مواد التصنيف المطبوع وأرقامه ، فأصبح من السهل اذن الانتقال من التصنيف أو من ذيله المرتب على الحروف الأبجدية الى فهارس الدار مباشرةً بواسطة

الارقام التي هي نفسها في مواد التصنيف وذيله ، وهي نفسها أيضاً في أوراق فهارس الدار ، وعلى ذلك فقد جمعنا بهذه الصورة بين طريقة الفهارس المرتبة على مواضيع العلوم وبين طريقة الفهارس التحليلية المرتبة على حروف المعجم لمواضيع العلوم والتي مفتاحها ذيل ذلك التصنيف المطبوع .

ولكي نتم الفائدة انتخبنا لقاعة التأليف ما يقرب من ألف مجلد في مختلف العلوم لتكون المراجع الاولى للمؤلفين ، ووضعنا في القاعة نفسها خزانة نعرض فيها الكتب التي ترد حديثاً على الدار ، وأخرى نعرض فيها الاعداد الاخيرة من المجلات .

أما ترتيب الكتب في الخزائن فكان على المواضيع حسب التصنيف المطبوع ، ولكن هذا الترتيب طبق فقط على الكتب التي حوتها الدار حتى تاريخ التنظيم ، أما بعد هذا التاريخ فسترتب الكتب الواردة حسب طولها . وقد فصلنا في هذا الترتيب المجلات والكتب الدورية عن الكتب العادية ؛ وفصلنا عنها جميعاً الكتب الصغيرة التي لا يتجاوز عدد صفحاتها المائة .

أما ساعات العمل في قاعتي المطالعة المختلفتين فهي كما ياتي :

صباحاً : من الساعة ٩ إلى الساعة ١٢

مساءً : من الساعة ٣ إلى الساعة ٦

ويضاف الى ذلك ثلاث ساعات تبدأ بالساعة ٦ مساء نتفتح فيها قاعة التاليف فقط للمطالعين عامة دون الـ فريق بين المؤلفين منهم وغير المؤلفين ، وذلك ليطلع الجمهور على الكتب الموجودة في قاعة التاليف وعلى الفهارس التي تحويها .

وانا لنرجو أن تكون هذه التنظيمات الجديدة عوناً للمطالعين على الاستفادة من دار الكتب الظاهرية استفادة كاملة تامة .

يوسف العش

لتوسلوا الله باسم شكيب[1]

ان صغتَ شعراً فانحُ نحو حبيب أو رمتَ نثراً فاحذُ حذو شكيبِ
هذا إذا غنّي سمعت بشعره الأ لحـ ـان من شبابة التشبيب
وشكيب يسمعك البيان وسحره فيريك بالنفثات كلَّ عجيب
سرُح يخال من السلاسة سلسلا من رقة الانشاء والأسلوب
وتراه إما مقنعاً بدليله أو مُطمعاً بمنيعه المحجوب
فاذا القريبُ هو البعيد مناله وإذا البعيدُ لديك جدّ قريب
ما شيبَ في مسبوكه بتنافر أو عيبَ في محبوكه بغريب
طبع يصوغ من الكلام مهذباً فيروع كل مهذب وأديب
والقول إن تصنعه غير مشذب لم يجده متكلف التشذيب
روض البلاغة مجدب وبيانه أبداً كروض بالحياة خصيب
وله من الشعر البليغ قلائد تركت خليّ القلب أيّ طروب
كذوائب الديباج أو كسبائك الوهـ ـاج بهجة أعين وقلوب
لو شُبّ شعر من فصاحة قائل لعجبتمُ من شعره المشبوبِ

* * *

(١) القصيدة التي افتتح بها كاتب سر المجمع الحفلة التي ألقى بها الامير شكيب محاضرته (نهضة العرب العلمية) وهي التي ستنشر في فاتحة العدد المقبل ·

تخذ اليراعة في المعارك رمحه ليذود عن حق الحمى المغصوب
لا عيب فيه غير أن سنانه كلف بدق أضالع وتريب
ناضلتَ عن أحساب قومك نجدة لا قصدَ شكر أو جزاء مثيب
ورددت كيد عداتهم لنحورهم فافترّ ثغر الحق بعد قطوب
فالعرب أنت أميرهم ومجيرهم في كشف عادية ودفع كروب
جاهدتَ في توحيدهم بيراعة سحرت ومقول مدره وخطيب
وحملت في نصر العروبة حملة تركت عداة العرب في تتبيب
والدين منتهكا حميتَ حماه من أمم تعادي روحه وشعوب
فأنرت غامضه لجاهل كنهه حتى استجاب وكان غير مجيب
فالشرق حتى الصين كنت دليله للدين أو لسراطه الملحوب
والغرب[1] أنت نصيره إن نكبة حلت به وبسربه المنهوب
خاصمت في الإسلام كل مخاصم وجفوت في الاسلام كل مريب
لم يبق في شرق الديار وغربها من ليس يلهج باسمك المحبوب
لو كان يذكر في الأذان مناضل عن دينه أو قومه المحروب
ذكروك في الصلوات غير مدافع قبل الشروق على وبعد غروب
أو جاز أن يتوسلوا بسوى التقى لتوسلوا لله باسم شكيب !



(١) الغرب إن أطلق أريد به مقابل الشرق أو أوربة ، ونحن أردنا به المغرب وبلاده الإسلامية .

كلمة الاستاذ

محمد بهجة البيطار (١)

اشتهر الأمير شكيب أرسلان بكونه أشهر من كتب في السياسة والتاريخ والأدب ، وبكونه أمير البيان وكاتب الشرق ، فمثل هذا الضعيف لا يستطيع أن يفيه حقه من الوصف أو الثناء والاطراء . إن أمير البيان حفظه الله مجاهد بنفسه وماله ، وعلمه وقلمه ، ولسانه وقوة بيانه ؛ أما جهاده بالنفس والمال فحسبك أنه بذل نفسه وماله في سبيل الله فاشترك في الدفاع عن طرابلس الغرب وبرقة ، ولم يزل ينفق من ماله في سبيل المصالح العامة بسخاء ، وأما جهاده بعلمه وقلمه فقد ملأ صحف الدنيا دفاعًا عن الإسلام والعروبة ، وانك لتقرأ لأمير البيان في اليوم الواحد عشرات المقالات في صحف آسية وإفريقية وأوربة ، عدا ما ينشره من مصنفاته التي هي أغلى من الدر ، فمنها كتاب الحلل السندسية ، وهو المعلمة الأندلسية الكبرى ، ومنها حواشيه على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، وهي التي سارت بذكرها الركبان ، ومنها حواشيه على تاريخ الإمام عبد الرحمن بن خلدون وغيرها وكل واحد من هذه الكتب يقع في مجلدات .

وأما جهاده بلسانه وقوة بيانه فبما يصدع به من الحق ، وبما يملأ به مجالسه من علم وأدب ، وبما يلقيه من الخطب والمحاضرات في المنتديات والمجامع والمحافل

(١) التي ختم بها محاضرة الأمير .

في الشرق والغرب ، ومن أعلاها هذه المحاضرة التي شنف بها أسماعنا في ردهة مجمعنا العلمي ، فقد وصف لنا بها نهضة العرب في هذه الحقبة الأخيرة وصفاً جامعاً بالغاً .

أقام أمير البيان في بلاد أوربا أكثر من عشرين عاماً يجاهد في سبيل أمته بكل ما أوتي من قوة ، ويمثل في الأصقاع الغربية علوم الشرق وآدابهم وأخلاقهم ، وليت فئة الشبان المتفرنجين الذين يذهبون إلى بلاد الغرب يحذون حذو الامير في أدبه وخلقه وعفته ، ليكونوا شرقيين بأخلاقهم ، وغربيين بمعارفهم الحديثة المفيدة ، وليت الامة تحتج على الذي ترسله ليمثلها خلقاً وأدباً ، ويتعلم علماً ينفع به أمته ، فيخيّب رجاءها فيه ـ ليتها تحتج الى صحف الغرب وأولي الشأن فيهم لينصفوها منه ، واذا باء بالخيبة والاخفاق فمن حق الجامعة التي لم ينجح فيها أن تحتج لدى الشرق بأن هذا لا يمثلهم في جدهم ، ولا في معارفهم وصناعاتهم فيخسر هذا المسكين أدب أجداده وبلاده ، ومعارف الامة التي شدّ رحله اليها فيصح فيه قول القائل :

لا إلى هؤلاء ان نسبوه وجدوه ، ولا الى هؤلاء

هذا وانا لنرجو من أمير البيان ، ان يعتزم الإقامة في وطنه ، فإنا لنغتبط به ونفخر بمقامه في ديار الشام ، اكثر الله من أمثاله في العلماء الاعلام والمجاهدين الكرام .

محمد بهجة البيطار



آراء وأخبار

حفلة افتتاح

دار الكتب الظاهرية بعد تنظيمها

بعد عودة السيد يوسف العش محافظ دار الكتب الظاهرية من ديار الغرب واختصاصه بتنظيم دور الكتب ، لبث في الظاهرية مدة سنة ونصف يعمل على وضع الفهارس العامة وعلى تنسيقها ، وبعد أن أكمل عمله هذا أراد التفرغ لتصنيف الكتب وفق هذه الترتيبات الحديثة ، فأذنت له وزارة المعارف باقفال دار الكتب ريثما يتم عمله هذا على هدوء وفراغ بال ، فجد لتحقيق ذلك الى أن أكمل التنظيم المنشود الذي يسهل على المطالعين والمؤلفين أمر الرجوع الى الاسفار المحجوبة في خزائن الظاهرية ، وعلى أثر ذلك أعدت هذه الحفلة لاعلام الناس باستئناف فتح الظاهرية وإرشادهم الى طريقة المراجعة الحديثة ؛ وفي يوم الجمعة الواقع في ١٧ ايلول ١٩٣٧ فتحت الظاهرية أبوابها للمدعوين الى الحفلة التي كانت ملحوظة برعاية وزير المعارف ، وافتتحت هذه الحفلة بكلمة محافظ دار الكتب مبيناً بها الترتيبات الحديثة التي أدخلت عليها وشفعها بكلمة أخرى موضوعها « تطور دور الكتب العربية[١] » ثم قام على أثره الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي فألقى كلمة ممتعة في الجمع بين الثقافتين القديمة والحديثة

(١) نشرت في باب المقالات من هذا الجزء .

وهما ممثلتان في الظاهرية بما فيها من الكتب القديمة الصفراء والحديثة البيضاء ، وبعد ذلك ألقى كاتب سر المجمع العلمي كلمة موضوعها (أثر المجمع العلمي في إنشاء دور الكتب والآثار في الديار الشامية) ثم ألقى على أثره نائب دمشق السيد فخري البارودي كلمته الطيبة في خطورة دور الكتب العامة وأثرها في الثقافة ، وبعده نهض أمير البيان وعضو المجمع العلمي العربي الامير شكيب أرسلان وألقى كلمة مسهبة بين بها ما كان للعرب في إبان نهضتهم من آثار مباركة في إنشاء دور الكتب ونشر العلم وترقية العلوم وضرب لذلك أمثالا واضحة تؤيد أقواله . وكان مسك الختام كلمة مرتجلة لوزير معارفنا العالم الطبيب عبد الرحمن الكيالي أفاض فيها في بيان إهمال الناس لما ورثوه عن آبائهم من الكتب المخطوطة النادرة وتركها للعث والغبار ، وحث الناس مبيناً أن أجمل وسيلة لحفظ تراث أجدادهم أن يهدوها الى دور الكتب العامة الحريصة على صيانتها ونشر ما تشتمل عليه من الفوائد على الناس .

وبعد أن أتم كلمته البليغة دعا محافظ الظاهرية المدعوين الى مشاهدة التنظيمات الحديثة وطريقة الانتفاع بها ، فسر الناس بما شاهدوه من الاتقان والاحسان ، وعادت ثاني يوم دار الكتب الى سابق عهدها بحلتها الجديدة المفيدة .

* * *

محاضرة الامير شكيب ارسلان

في الساعة الرابعة من مساء الثلاثاء الواقع في ٣٠ رجب ١٣٥٦ (٤ تشرين الاول ١٩٣٧) ألقى الامير شكيب أرسلان عضو مجمعنا العلمي في صحن دار المجمع محاضرة ممتعة في نهضة العرب العلمية في القرن الاخير ، وكان الجمهور كبيراً فغصت الدار بالمستمعين ، وسننشر هذه المحاضرة الجامعة في فاتحة الجزء الحادي عشر من هذه المجلة .

وفي الأجل المضروب لالقاء المحاضرة تقدم كاتب سر المجمع الامير المحاضر

للجمهور ، وأنشد قصيدة له[1] في أمير البيان تصف مزايا نثره وشعره ، ومبلغ جهاد الامير في خدمة العروبة والاسلام نشرناها في هـذا الجزء ، وبعد ذلك شرع الامير في تلاوة محاضرته التي استغرقت نحو ساعتين ، وعلى أثره نهض العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار وختم هذه الحفلة المباركة بكلمة طيبة ارتجلها في بيان مزايا الامير المحاضر كانت مسك الختام .

* * *

اللغة العربية

في محطات الاذاعة البريطانية

جاء في الانباء اللاسلكية أن وزير المالية البريطانية السر جون سيمون أدلى في مجلس العموم ببيان مطول يستفاد منه أن محطات الاذاعة اللاسلكية البريطانية ستذيع أيضاً برامجها باللغات العربية والاسبانية والبرتغالية .

* * *

اللغة العربية في عصبة الامم

من نواب الامم من يكسب امته مجداً وفخاراً ، مثل السيد علي باشا الشمسي مندوب مصر الدائم في عصبة الامم فقد تبوأ مقعده أخيراً في اللجنة السادسة وسعى فيها لجعل اللغة العربية لغة رسمية لنشر آثار لجنة التعاون الفكري ، وما كانت من قبل تنشر الا باللغتين الفرنسية والانكليزية ، بيد أن السيد الشمسي قد توفق في جداله مع اللجنة واستدلاله على وجوب نشر هـذه الآثار الجليلة باللغة العربية فأكسبها هذا الشرف اللغوي الذي امتازت العربية به امتياز الفرنسية والانكليزية على سائر لغات النشر ، فالامة العربية من مصرية وغير مصرية تشكر النائب النبيل الجليل على نبيل رأيه وجليل مسعاه ، واللغة العربية المبينة تبتهل الى الله في أن يكثر أمثاله من حماتها وأن يبارك لها في حياته .

(١) يراها القارئ منشورة في هذا الجزء مع كلمة الاستاذ البيطار .

بحر العوّام

فيما أصاب فيه العوام

نشر المجمع العلمي هذه الرسالة اللغوية النادرة لمؤلفها عالم الشام في عصره الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، وقد جاء في الصفحة ١٠٧ منها ما نصه : (نرجو ممن يعثر من العلماء في حلب أو غيرها على نسخة أخرى من بحر العوام أن يتفضل بانباء المجمع بذلك) وقد أخبرنا العلامة الامير شكيب أرسلان أنه كان قد سمع لاول مرة باسم هذه الرسالة من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ثم عثر عليها في خزانة كتب السيد عبد الخالق السادات الوفائية بمصر ، وكان قبل ذلك قد سأل الاب أنستاس الكرملي عنها ، فلهذه الرسالة اذن شقيقة في الخزائن الوفائية ، ثم علمنا بوجود شقيقتين أخريين في الخزانتين الزكية والتيمورية ، فاجتمع لنا بذلك أربع شقائق .

وامير البيان يعتقد أنا في حاجة ماسة الى نشر مثل هذه الكتب التي تربط لغة الخلف بلغة السلف ، وان غير الفصحى أو اللغة المبينة من اللغيات لا يعد خطأ ، أقول : وقد كان العرب الفصحاء يتكلمون في الجاهلية وصدر الاسلام بهما ، وما القراآت السبع أو السبعة الاحرف الا لهجات صحيحات أجاز النبي (ص) القراءة بها تسهيلا لنشر القرآن وتوسيعاً لنطاق البيان . هذا وان بقاء اللغيات على الالسنة الى يوم العرب هذا ، وهي ترجع الى قبائل عربية عريقة في الفصاحة ، لدليل مبين على نزول هذه القبائل في الاقطار التي يلهج أبناؤها بها ، فما كان صحيحاً فصيحاً منها حافظنا عليه ، وما كان غير ذلك طرحناه ولم نلتفت اليه ، مع أنا في استعمالنا للفصيح الصحيح من لغة العامة نكون قد قربنا بين لغتي الكتاب والخطاب ، فسهلنا لغتنا العربية على الابناء والغرباء ، وليس من المعقول والمقبول في شيء أن نهمل ألفاظ لغتنا وهي صحيحة ومأنوسة مستعملة ، ونبحث عن الفاظ غريبة ومهجورة مهملة .

مطبوعات حديثة

كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه

لمؤلف مجهول اسمه

قد اعتنى بطبعه وتصحيحه نقلا عن نسخة وحيدة محفوظة في المتحف البريطاني

الأب فيليكس باريخا اليسوعي

طبع في مدينة مجريط بالاندلس سنة ١٩٣٥ م

قطع هذا الكتاب وسط ، وصفحاته خمسون ومئتان ، وفي خاتمته انه تم سنة خمس وخمسين وستمائة هجرية ، وهو مفتتح بمقدمة ضافية قد استغرقت منه تسع عشرة صفحة في حكم الشطرنج وحكمته وسبب وضعه وتعريف طبقات حذاقه والتفاوت في القيمة بين منصوباته ككون بيدقين خيراً من فيل ، والفرق بينه وبين النرد حكما وحكمة وفي المعاني الخطيرة التي يرمز بهما اليها من عقائد دينية وقواعد حربية ونواميس كونية ، وفي المقدمة من الشعر تسعة عشر بيتاً للأخطل وأبي تمام وابن أبي البغل وغيرهم في النرد والشطرنج ، كما في خاتمة الكتاب واحداً وعشرين بيتاً من الشعر الذي يكثر استشهاد أدباء الشطرنجيين به لموافقة معانيه لكثير من الاحوال التي قلما يخلو دست الشطرنج منها كقوله عند ضرورة المخاطرة :

لم يبق من طلب العلا　　　إلا التعرض للحتوفِ

وقول المتحير الذي خفي عليه وجه الصواب وضل طريق الظفر بقاء كثير من منصوباته :

سيوف لعمري يا لؤيّ بن غالب حدادٌ ولكن أين بالسيف ضاربُ

وبين المقدمة والخاتمة خمس عشرة ومئتان من صور رقعة الشطرنج مع بعض منصوباتها كأنها بين لاعبيها وقد وصلا الى حيث يتوقع كلاهما أو أحدهما أن تقع الواقعة وتكون القاضية وجمهرتها متوجة بعناوين ترشد الى عاقبة الامر فيها بتسمية غالبها ومغلوبها .

والمؤلف يتبع كل صورة منها بفصل طويل تارة ويقصر طوراً حتى ينتهي بالقول الفصل على رأيه في التصرف بمنصوباتها للوصول الى ما تقتضيه أوضاعها من العواقب فيظهر على وقف العنوان من هو المغلوب ومن هو الغالب .

ومن قواعد الشطرنج في هذا الكتاب مما ليس بمتداول في هذا العهد ولا معروف أن فيله يمشي على مدى قطر ثلاث مربعات متصلات الاقطار فلا يتخطاها ولا يتقاصر عنها وان فرزانه لا يتجاوز مشياً وأكلا بيتاً واحداً على شرط ان يكون مما يلي مقره عن طريق الزاوية فلا يستطيع اختراق الاضلاع ولا سلطة له على ما يليها .

لغة الكتاب كأكثر الكتب العربية المؤلفة في ذلك القرن السابع للهجرة لم تسلم من تكلف السجع في صدر المقدمة ولم تبرأ من ألفاظ عامية مبتذلة كانفسد وانصلح وايش ما لعب راجع الصفحات ١٧ و١٥٣ و ١٦٤، على ان الكتاب يمتاز بقوة الحجة وسلطان المنطق في حسن التعليل الصادع بتحريم النرد ، كما يمتاز بذكر كثير من النصوص الواردة في شأن الشطرنج عن أعيان الثقات من كبار علماء الصحابة والتابعين والائمة . ومن مزايا الكتاب أنه جمع مما قيل في الشطرنج ما تفرق من الكتب المؤلفة قبله كمروج الذهب للمسعودي وكالفهرست لابن النديم وكلاهما من نخبة آثار القرن الرابع للهجرة ، ومن مزاياه بيان قواعد وأسرار شطرنجية خطيرة حفظها بعد أن ضاعت وكادت .

والاستاذ المستشرق المفضال الذي عني بتصحيح هذا الكتاب وطبعه أتبعه بكتابين ألفهما بلغته الافرنجية في موضوع الشطرنج أعاد فيهما ما في الكتاب العربي من الصور الشطرنجية وهما يشتملان على أكثر من خمسمائة صفحة ، وقد نشر في ثانيهما صوراً شمسية لثلاث صفحات من المخطوط العربي المحفوظ في المتحف البريطاني ولم ينشرها في المطبوع العربي الذي هو أحق بها ، فعساه اذا أعاد طبعه ان ينشرها فيه ليكون قد جمع بين الاصل وفرعه ووضع مع الولد نموذج أمه ، على أن صفحة الكتاب الاولى الشمسية تشتمل على بيان مصطلحات شطرنجية تختص بالكتاب نفسه وهو خال منها لانها مكتوبة بقلم غير المؤلف ممن ملكوا ذلك الكتاب كما يظهر في توقيعه وطابع خاتمه هنالك على ظهر تلك الصفحة الاولى .

هذا ولا ريب في أن الاستاذ المستشرق المفضال عاني في الاعتناء بتصحيحه جهداً جاهدا ، يرى له مطالع الكتاب في كل صفحة منه شاهداً يدل على انه وفاها حقها من أعمال الفكر وانعام النظر تصريحاً بصحة أو تصحيحاً لخطأ أو استفهاماً عن مبهم او احالة على بحث له علاقة بما في تلك الصفحة ، فما من تصحيف او تحريف او سهو في الكتاب الا وتجد إشارة عليه بقلم ذلك الاستاذ الذي عني بتصحيحه اللهم الا القليل النادر كما في الصفحة السادسة والعشرين تحت صورة الرقعة الشطرنجية الثامنة حيث وقعت كلمة الشاه مكان كلمة الفرزان وفاته ان يشير اليها ، اما حسنات تصحيحه فانها تجعل مريد احصائها مبهوراً ، فشكراً له من ذي همة سمت به الى احياء هذا الكتاب الثمين بعد ان ظل ككنز دفين مئات من السنين .

عبد القادر المبارك



المحجة البيضاء

في صحة نعت الجموع بفعلاء

الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الكرملي لأمين خير الله

صفحاته ٨٤٤ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٦ — ١٩٣٧

تختلف أنظار اللغويين اختلافاً بيناً في ناحيتين واضحتين : ناحية التشدد وناحية التساهل ، والغالب أن يكون المتشددون المتزمتون ضيقي دائرة المعرفة ، محرومين من رحابة الفكر والصدر ، فيهيجون لكل ما يرونه مخالفاً لمعرفتهم ، وكثيراً ما يؤيد ما خالفوه أو هاجوا من أجله علماء في اللغة وأئمة في النحو والبيان كما يغلب أن يكون المتساهلون أوسع اطلاعا وأطول في البيان باعاً ، فيجرون على سلائقهم العربية وسجيتهم العلمية في الاشتقاق والتعريب وتسهيل دراسة العربية وتذليل أساليب البيان .

فمن فريق المتشددين الامام الكسائي وأبو هلال العسكري والحريري صاحب (درة الغواص في أوهام الخواص) ، والجواليقي صاحب (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة) [1] وهاشم بن أحمد الحلبي مؤلف (اللحن الخفي) وابن باني السبني وأبو بكر الاشبيلي وأمثالهم ، ومن الفريق الثاني المتساهل فيما لا يمس جوهر العربية ولا أساليب بيان العرب : الإمام الخفاجي فيما كتبه على درة الغواص ، ومحمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي مؤلف كتاب (بحر العوّام فيما أصاب به العوام) والامام الزمخشري الذي يرى الاستشهاد بكلام

(١) نشره المجمع العلمي العربي مع كتاب بحر العوام مع تعليقات وتحقيقات لغوية .

فحول الشعراء وكبار الادباء والمحدثين من رواة اللغة ، ولذلك استشهد بالكثير من شعر المحدثين وهو على حق في ذلك ، لأنه ممن بلغ بهم توسعهم في العربية وتحققهم ببيانها مرتبة الاجتهاد ، ومثله في التساهل الامام محمد بن مالك فانه يرى الاستشهاد بالحديث مخالفاً للمتشدّدين الذين يمنعون ذلك بدون حق ولا هدّي ولا كتاب مبين .

ونحن الآن في الكلام على كتاب (المحجة البيضاء) أمام متشدد ومتساهل ، والمتشدّد هو الاب أنستاس الكرملي المعروف بأبحاثه في الالفاظ اللغوية وإرجاع بعضها الى اللغات السامية أو الاغريقية القديمة ، وقد رأى فيما اطلع عليه من كتب البلغاء ، أنه لا يصح نعت الجموع بفعلاء ، فلا يجوز لعربي أن يقول : كريات بيضاء ، ولا رياض فيحاء ، ولا صحف أو جرائد غراء ، بل يجب عليه أن يقول : كريات بيض ورياض فيح وجرائد غر ، وأما المتساهل في ذلك فهو الشيخ أمين ظاهر خير الله الشويري ، متابعاً كما يقول « للفصحاء الموثوق بصحة السنتهم الذين يحتج بأقوالهم » .

وليس من معاب على من احتذى حذوهم وفي كلامهم الكثير من ذلك الاسلوب الذي يأباه المانعون ، وقد استشهد لتأييد ما ذهب اليه بعشرين حجة وردت في كتب العرب مثل : الحمر الخشباء والكلم العوراء والهضاب الملساء والقبعة البيضاء والكتيبة الشهباء والعرب العرباء واخواتها من الحجج العشرين التي يرى القارئ تفصيلها في هذا الكتاب .

أما الحمر الخشباء فيقول الكرملي في تجويزها ان الخشباء منقولة الى الاسمية كما نقلوا الخضراء والسمراء والزرقاء ، ويقول الشويري انها صفة على ما يطرد في باب أفعل ، والحمر جمع حمار فجاز نعتها بفعلاء ، واذا كانت الحمر جمع تكسير وبمعنى جماعة جاز نعتها بخشباء على المعنى ، أما كون الخشباء منقولة الى الاسمية فصحيح لانها تجمع على أخاشب ، وما ذهب اليه الشويري صحيح لا غبار عليه لقوله تعالى في سورة الشعراء :

« ان هؤلاء لشرذمة قليلون » ، وقد استشهد بهذه الآية الاب الكرملي وقال ما نصه :

« فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز كذلك أن تقول : شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث » . ويرى الاستاذ الشويري وفي قوله هذا حجة له ، لان شرذمة لفظها مفرد ومعناها جمع ، والقرآن قد اختار المعنى على اللفظ فجاء (قليلون) نعتاً لشرذمة ولو اختار اللفظ لقال قليلة ، فعلى هذا يكون ما ذهب الشويري اليه صحيحاً من قوله (هضاب ملساء) ، لان معنى هضاب جمع ، وكل جمع مؤنث ، وكل مؤنث ينعت بالافراد ، فهضاب ملساء ومثلها قبعة بيضاء وكتيبة شهباء .

اما الاب انستاس فيقول :

هنالك فرق بين الجمع وبين اسم الجمع وشبهه ، فلو أتانا بشاهد مثل نساء سمراء لقلنا له أصبت ، لكنه جاء بألفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها .

والخلاصة ان المتشددين لا يقولون كالامام المبرد الا ثياب سود وخيل دُهم ، والمتساهلون كالاستاذ الشويري وكثير من كتاب العصر في يومنا هذا على ذلك لا يرون بأساً في نعت الجموع بفعلاء لا فرق بين الجموع وأسمائها وأشباهها ، ولعل كثرة الاستعمال في نظرهم مما يجعلها فصيحة فقد قال أئمة المعاني والبيان (حيث ذكر أهل اللغة الفصاحة فمرادهم بها كثرة الاستعمال) .

وأختم كلمتي هذه بنصيحة أسديها للشيخ أمين ظاهر خير الله الشويري : أن يكف عن مجادلة الاب انستاس ومناظرته فانه يعتقد انه لم يناظر أحدا من علماء اللغة الا قتله (كما جاء في آخر المناظرة اللغوية الادبية ص ٩٤) وهي التي دارت رحاها بين الاساتذة المغربي والبستاني والكرملي ، ونشرتها في هذه الآونة مكتبة القدسي ، إذ يقول ناشر المناظرة : « بلغني ان الاب الكرملي إذا ذكر الاستاذ البستاني يترحم عليه ويقول : ان من

غرائب الاتفاق أن تدرك الاستاذ منيته عقب مناظرتي اياه بمدة يسيرة ، وكأنه رحمه الله انما مات متأثراً من صدمة الرد ، ومثله في ذلك الاساتذة جبرضومط والاب منش الحلبي وأسعد خليل داغر ، فقد مات كل واحد منهم بعد مناظرتي إياه متأثرين بقوة الحجة ومفحم البرهان . »

« **التنوخي** »

* * *

مناظرة لغوية ادبية

بين الاساتذة

عبد الله البستاني — عبد القادر المغربي — أنستاس الكرملي

في ٩٦ صفحة من القطع الوسط

للشاب الاديب السيد حسام الدين القدسي همم مشكورة في طبع الكتب النافعة قديمها وحديثها ، وآخر ما أتحف المكتبة العربية به ، طبعه هذه الرسالة طبعاً نظيفاً على ورق صقيل .

ولا بد من كلمة تمهيدية يعرف بها القارئ الظرف الذي نشرت فيه هذه المناظرات ، فقد أعاد الناشر إلى الذهن ذكر معركة حامية قامت منذ ستة عشر عاماً بين الاساتذة المذكورين .

كان المجمع العلمي العربي إذ ذاك في أول نشأته وعنفوان نشاطه ، وكان قـد أحدث في الشام اهتماماً خاصاً باللغة العربية وجلب اليها الأنظار بما نشر من بحوث مفيدة يحاضر فيها أعضاؤه ، ومقالات نافعة تعلم الناس وتقوّم من ألسنتهم ما فيها من عوج ؛ كان المجمع يومئذ معقد الامال ومطمح الانظار ومحط العناية من مختلف الطبقات الشعبية والحكومية ، فاستطاع أن يرفع مستوى اللغة العربية والتاريخ القومي في البلاد وعجل نضج الحركة الفكرية

فيها . وكان الادباء والعلماء الذين اشرأبت أعناقهم وتطلعت نفوسهم ليحوزوا شرف العضوية فيه عدداً غير قليل . ولقي المجمع من هذا النفر عنتاً : لانهم لما أخفقوا ناصبوه العداء ، فشرعوا أقلامهم وأطالوا ألسنتهم في نقد ما يضع من مصطلحات أو يصلح من غلطات ، نقداً كان نصيب الغرض فيه أوفى من نصيب الحق .

من هؤلاء النفر : الشيخ عبد الله البستاني الذي تشغل مقالاته الاربع في نقد (عثرات الاقلام) التي نشرها المجمع ثلثي الرسالة ، والذي قال فيه الاستاذ المغربي : « أراد أن يهدم بناء مقالاتنا (عثرات الأقلام) ويتخذ من أنقاضها سلالم يرتقي عليها الى قمة الشهرة واحتكار البراعة في اللغة العربية »[1] نقد الاستاذ البستاني في مقالته الاولى كلمات وردت في نشرة للمجمع وهذه هي (حبّذ يحبذ ، واطن يواطن ، رجل بكل معنى الكلمة ، داخل يداخل ، حايد ، تأكد ، انتزه ، عناير) وقد تكلف لنقده هذا غاية التكلف ، حتى كان التعقيد والتقعير يشينان أكثر المقال ، وكان في حظره استعمال أكثر تلك الكلمات قد حجّر واسعاً ، الا أنه كان عفيف اللسان ، لم يتعرض لشخص معين بسوء ، وكان الى جانب الادب أقرب منه الى جانب الحق .

ومقالته الثانية رد بها على الشيخ المغربي الذي كان نقده لاذعاً[2] وهي تشهد بأن البستاني غير عاجز في ميدان الرد بل هو من فرسانه المجلين .

لكنه يبدو في رده على الكرملي صائلا سليط اللسان لاذع التبكيت ، يبسط من كلامه ما لا يجمل ، فهو يقول له ص ٧٨ « يا محترم ، من أعظم البلايا أن تكون لي مناظراً » ويقول ص ٧٩ « ومن العجب أنك تتولى القضاء ، وانت لا تدري أين تضع الباء » و « لم تحرز من آداب اللغة الا شيئاً يسيراً لا تستدر منه جدوى ولا يسهل عليك تأليف عبارة خالية من حزازة فتلمس كتاباً واضح التعبير وتخرج به على اديب .. وتدرب في آداب البحث وتبصر في كل ما تتلقنه الخ ... »

(١) ص ١٧ (٢) ص ١٨ فما بعد .

والذي يخلص به القارئ من مقالاته : الاعتقاد بسعة اطلاعه وتمكنه من علوم اللغة ، وبرشاقة اسلوبه ما لم يتكلف ، فاذا فعل فهناك ما شئت من غموض او – على رأي الاستاذ المغربي – من مماظلة وعسلطة ·

بقي شيء واحد يؤخذ على الاستاذ المغربي وهو ان مذهبه في الالفاظ الدخيلة والعامية مذهب الاباحيين لا يحظر منها شيئاً ، قال حاكياً رأي اعضاء المجمع ثم رأيه الخاص فيها : « فهم[1] يرفضون قبول كل كلمة اعجمية ويبحثون عن اخرى سواها من اللغة العربية يقوم مقامها ، حتى اذا لم يجدوا قبلوا الاعجمية بعد إفراغها في القوالب العربية · هذا رأي رفاقي ورأي الكثيرين · اما رايي في أمثال تلك الكلمات فهو غير رأيهم : لاني لا ارى مانعاً يمنع من استعمال المعرب او الدخيل اذا شاع ···

وقد اطلعت منذ ايام على كتاب معرب بقلم كاتب من اشهر كتاب مصر فرايت فيه كلمات وتراكيب دخيلة ما كنت احسب ان يجري بها قلمه ، وقد اراد اعضاء مجمعنا ان يعدوها من عثرات قلمه وينبهوا اليها ، لكني ضننت بها عن هذا الموقف وخبأتها للاستشهاد بها على صحة رايي وهو وجوب التسامح في الكلمات الدخيلة » .

والذي نستغربه من مثل الاستاذ المغربي ان ينكر على البستاني تصحيحه أخطاء وردت في معجم (اقرب الموارد) وهو ما كان حقيقاً ان يحمده عليه غاية الحمد ، فليس على الارض اشنع من غلط في معجم ، وهو اذا وجد زلة من كاتب معروف يجعل زلته مذهباً في الصواب جديداً يجب اعتماده في اللغة كأن قائله امرؤ القيس او علي بن ابي طالب ، وهو تساهل في الاستاذ مشهور والامانة تقضي عليه ان يقول للمخطئ اخطأت ، ولو سار الناس على مذهبه لكان لنا في كل عشرين سنة لغة جديدة ، ونحمد الله على ان الناس في هذه النهضة ماضون قدماً في احياء لغتنا الكريمة ونقض ما عاق بها من دخيل

(١) ص ٢١

مرذول او عامي ساقط ، شأن كل الامم الحية ذوات الكرامة والعزة ، بل ان كثيراً ليبالغون فيفضلون الاصطلاح القديم المهجور على العربي المحدث في زماننا مهما كان الاول ثقيلا والثاني رشيقاً ٠

واما الاب الكرملي فقد عاب على البستاني تشدداته ، فاستعرض كل ما قال المتناظران ، فصوّب من كلامهما ما صوّب وردّ ما وجده خليقاً بالرد ٠

ثم ختم الناشر الرسالة بكلمة عادلة لامير البيان شكيب ارسلان قال فيها : (لكل من استاذنا البستاني والاستاذ المغربي والاب الكرملي وجهة فيما يقول ، وهذه مسائل قيل فيها الشيء وعكسه كثيراً ، وما اوسع ابواب العربية لمن عرفها ٠) واظن ان هذا قول فصل في اكثر المناظرات اللغوية ٠

* * *

قيمة هذه المناظرة والبحوث التي دارت فيها تاريخية : اذ انها تطلعنا على ما كان يشتغل به بعض اللغويين قبل ستة عشر عاماً ، وترينا كيف كانوا يتبادلون النظر ، والا فالجدوى التي يخرج بها القارئ اليوم من تلاوة الرسالة ضئيلة جداً اذا اهملنا النظرة التاريخية ٠

سعيد الافغاني

* * *

الحياة الزراعية

مجلة زراعية اقتصادية مصورة

رئيس تحريرها : المهندس الزراعي **طلعت الخربوطلي**

سنتها عشرة اعداد موقتاً — مطبعة الترقي بدمشق

وصل الينا الجزء الثاني من هذه المجلة الزراعية المفيدة التي تصدرها الجمعية الزراعية السورية التي تألفت في دمشق سنة ١٣٥٦ للهجرة (١٩٣٧ م) ويرصد ريعها للجمعية ، وقد ظهرت هذه المجلة في زمن تشتد حاجة البلاد الشامية فيه

المجلد الخامس عشر ١٨٠ و ١٧٩ الجزء ١١ و ١٢

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئ سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٧م

شعبان و رمضان سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة ، ثمن كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة «	«	٣٠٠
« الاولى الى السادسة «	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة «	«	٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نهضة العرب العلمية

في القرن الأخير

محاضرة الأمير شكيب أرسلان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لقد تكلمنا منذ أيام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداءً بغيرهم من الامم اللائي كن مفككات مبعثرات ، فما زلن يسعين في الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة . ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي[1] الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية كما اخترنا النادي العربي منبراً للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه ، وإنما كان الفرق بين البحثين أن الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه إلا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة ، وأن الآخر علمي بحت يقدر أن يستقصي فيه الباحث ما شاء دون أن يتعرض لمحذور أو يعرض امته لضرر ، وبهذه المناسبة أعلن أني آسف بل جد آسف من أن أرى بعض اخواننا معتقدين

---

(١) من غريب الاتفاق أن يلقي الامير العلامة هذه المحاضرة الجامعة في المجمع العلمي في المكان الذي اجتمع فيه لأول مرة في مقتبل شبابه بمفتي دمشق الشيخ محمد المنيني الذي كان يقطن يومئذ في المدرسة العادلية التي كان له حق التولية عليها يومئذ .

أن الانسان إذا حاضر في باب السياسة وجب عليه أن يفرغ جعبته من أولها إلى آخرها، وأن يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضر في باب العلم، فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج «بالولد الهائل» ومن ليس في الواقع جديراً بأن يطرق باب السياسة أصلاً بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب، فنحن لا نرضى أن نكون من الأطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون الى أين يذهب الكلم، بل نحن ولله الحمد من أمة اشتهرت بالمرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في أمثالها: اللبيب من الاشارة يفهم، ولقد كان هاديها الأعظم صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، ومنا الذي يقول:

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانيباب ويوطأ بمنسم

وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أشعر العرب لقوله: ومن ومن، ثم أبدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فأقول:

منذ عشر سنوات (أي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف الذي انتهت اليه رئاسة المجلات العلمية أن أكتب الى المقتطف شيئاً في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الأخيرة، فكتبت يومئذ فصلاً ظهر في أجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيراً وقد بدأته بما يلي:

لا حاجة بنا الى القول بأن أجلى مجالي هذه النهضة كان في العلم والتعليم، وعندي انه لا نهضة للامم سوى النهضة العلمية فاذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ ... آخذاً بعضها برقاب بعض. فاذا قلنا إن الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفينا تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارج رقيه، لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى داخل البناء، وكل نهضة لا يكون ظهيرها العلم فما هي إلا ساعة وتضمحل؛ وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق أن تذكر بالقياس إلى معالي الامم الراقية، واننا لا نبرح متخلفين بمساوف شاسعة عن أمم أوربة وأميركة واليابان، فلماذا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزاً في التاريخ العام؟ وعلى هذا نجاوب أنه ليس العلم متعلقاً بالكمال

وحده ، ولا البحث موقوفاً دائماً على ما بهر النهى وبلغ سدرة المنتهى ، وإنما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى ، والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها إلى بعض ونسبتها إلى الوقت ، ثم اننا إذا تحرينا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتهيأ لاوربة أن تجتازه قبلاً في أطول جداً من هذا الردح من الدهر ، وذلك انه من الطبيعي أن يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم ، لأن المتقدم قد يضطر أن يمهد الطريق ويسير ، وأما المتأخر فما عليه إلا أن يلحقه ويسير على طريق مذلل أمامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية — نسميها بالعربية إخراجاً لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الادنى بحذائنا — قد بدأت في الواقع منذ أكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو أول من لحظ الخطر الحائق من جراء جموده على أساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه حذو الغرب في أساليبه الجديدة حتى يتأتى للشرق أن يقاتل الغرب بسلاحه ويدفعه عنه ويستقل بنفسه ، إذ كانت سنة الله منذ وجد العمران على سطح هذه الكرة أنه كلما تقوى جانب منها سطا على الآخر واجتاحه وضرب عليه الذلة والمسكنة .

فمحمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية ، وأول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة إنما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ، ثم انكفأ ابراهيم باشا إلى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد ، وجد السوريون لا سيما أهل الساحل منهم ينشدون أسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية ، وأنس المرسلون الاميركيون هذا الاستعداد في أهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم

الشهيرة التي كانت النبراس الاول الذي استضاءت به سورية ، ولا يزال هذا النبراس يزهر في آفاق الشرق الى يومنا هذا . ورأت امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جداً لبذور المعارف فبثوا فيها المدارس والكتاتيب وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام ، ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم العصري وأخرج شطأه ثم أنبت في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلظ واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوربيين انفسهم ، واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية ، وأن تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها ألوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية أو عدلية ، ومنهم أطباء وصيادلة ، ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الأقران . ان ضباط العرب في العراق وسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب (بانغالتي) في الاستانة ، وقد يزيدون على ثلاثة آلاف ضابط فيمايقال .

ومع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الكلية الاميركية ولا الكلية اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة ، لا ينكران مصر كانت ميداناً لجياد القرائح السورية ، وأن أنبغ الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر ؛ هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخريج عدد لا يحصر من أبناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخريج عدد كبير من أطباء سورية بالقصر العيني ، فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشدّ الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي ، وقلما جدّ في أحدهما شيء إلا سمعت رجع صداه في الآخر . على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذرّ قرنها منذ قرن فأكثر لم تسر هذا السير الحثيث إلا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها ، وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سيرها منذ ٢٥ سنة متوالية ، فلي الحق إذاً بان أدعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخل فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في

مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون أن يتخلف يوماً واحداً ٠

الصحافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من أقوى عوامل هذه النهضة بما أثارته من الحركة الفكرية ونقلت من أخبار الغرب الناهض الى أهل الشرق النائم ، وقد كان بحسب معلوماتي ، وربما أكون مخطئاً في بعضها ، أول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ، ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ، ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة « حديقة الاخبار » أنشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠ ، ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد ، ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم الجنة ، ثم جريدة يومية باسم الجنينة ثم مجلة شهرية باسم الجنان ، وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » ، و كان اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ، ثم أصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة ، واصدر غيره جريدة اسمها النجاح ، واصدر الامريكيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون ، وكانت تصدر بادارة الشيخ عبد القادر القباني ، وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ، وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة ، فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع ، وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصراً في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر ، وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير ، وقد وقعت إلي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حرب القريم

وغيرها من الاخبار ، ومما اتذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه بسعادة عزيز مصر ، واظن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية ، وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوربة على اثر حادثة جرت معه ، وقيل فيها انه اختلس مالاً للدولة فلاذ بالفرار ، وكان فارس احمد فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة « الجوائب » المشهورة فكانت في وقتها أشهر جريدة عربية في العالم ، وكان لها مشتركون في جميع الاقطار الاسلامية ، نظراً لبراعة كاتبها احمد فارس المعدود من اكبر كتاب القرون الاخيرة ؛ واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوربة نشر كتاباً تحت عنوان « النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ، ومن صاحب الجوائب ، فاشار هذا إلى كتاب النفثات بقوله : « كان حسون لصاً وله سرقات ، فانقلب صلاً وله نفثات » .

واظنني غير مخطئ اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة أخرى في مصر باسم وادي النيل ، وربما يكون قد صدر في مصر جرائد أخرى لم أسمع بها ، ولست محاولا في هذه العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتواريخ صدورها ، فما انا أذكر الان اشهرها على سبيل التمثيل وأقول : انه لما انتشرت جريدة الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت عاملاً قوياً من عوامل النهضة العربية الادبية ، وصار صاحبها يطبع في الاستانة من نفائس الكتب العربية التي كانت مجهولة ، والتي اطلع عليها في خزائن كتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع الجميل ، وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية عن خدمة مطبعة بولاق ، واني قد ادركت ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة ، عهدَ احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال ، وقد بلغ من العمر عتياً ، يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ، ومن شاء ان يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن

العربي ، فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن أن يستغني عنه من أراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ — ١٨٨٠٠

الحركة العلمية

ولنعد الى سير الحركة العلمية في سورية فنقول : انه إلى حد سنة ١٨٨٠ كانت الجرائد منحصرة في بيروت لا تتعداها إلى غيرها من مدن سورية ، ولم يكن في دمشق سوى جريدة رسمية للولاية باسم (سورية) وبعد ذلك بكثير أصدر مصطفى واصف جريدة اسمها (الشام) ، وبعده أصدر الاستاذ كرد علي جريدة سياسية في دمشق اسمها (المقتبس) ، وكذلك كانت جريدة رسمية لولاية حلب باسم (الفرات) ، وكل من جريدتي سورية والفرات كان نصفها بالتركي والنصف الآخر بالعربي وقلما كانت تنشر شيئاً خارجاً عن الأخبار الرسمية ٠ وكانت في بغداد جريدة رسمية اسمها (الزوراء) على هذا النمط أيضاً ٠ وأما بيروت فكانت لا تزال على تقدمها في طريق العلم والعرفان ، وأول مدرسة داخلية في بيروت كانت المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني ثم أخذت كل طائفة من الطوائف المختلفة التي في ساحل سورية تؤسس مدرسة داخلية في بيروت ، فكانت للروم الكاثوليك مدرسة يقال لها (البطريركية) وللموارنة مدرسة يقال لها (الحكمة) وللمسلمين مدرسة يقال لها المدرسة (السلطانية) تولى ادارتها مدة من الزمن العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية في التأليف بين العلم والدين ، و كان اليهود أيضاً أسسوا مدرسة داخلية باسم المدرسة (الاسرائيلية) كان يديرها زاكي كوهين ٠

وكان اليسوعيون قد أنشأوا الكلية (اليسوعية) مناظرة للكلية الامريكية؛ وكان في لبنان مدرسة فرنسية في كسروان يقال لها (مدرسة عينطورة) انتفع منها كثير ممن اشتهروا في اتقان اللغة الفرنسية ، ثم شرع أساقفة الموارنة

يؤسسون مدارس لأبناء طائفتهم فكانت مدرسة (قرنة شهوان) ومدرسة (غزير) لبني زين ومدارس أخرى متعددة ، وقد كان للموارنة من قبل هذا مدارس قديمة أكايريكية مثل مدرسة عين ورقة ومدرسة مارعبدا هرهريا ومدرسة مار يوحنا مارون ، وكان للكاثوليك مدرسة في الشوير ، وقد اطلعت على مطبوعات قديمة ترجع إلى مئة سنة أو أكثر جرى طبعها في كسروان بمطابع للموارنة منها مطبعة دير سيدة طاميش ، وكان الموارنة من القديم يطبعون بالعربية والسريانية .

ولا يجوز أن ننسى المدرسة التي قام بانشائها الامير ملحم أرسلان بمساعدة سعيد بك تلحوق لطائفة الدروز في قرية عبية ، فقد كانت من أقدم مدارس لبنان يرجع تأسيسها الى سنة ١٨٦٢ .

وكانت تقبل الطلبة مجاناً لاعتمادها في نفقاتها على الاوقاف التي ألحقها بها الأمير المشار اليه ، ولما تولى قائمقامية الشوف ابن عمه الامير مصطفى زاد الاعتناء بها وانتدب لها من الأساتذة مثل العلامة الشيخ أحمد عباس البيروتي وأمثاله ، وهي هي نفس المدرسة التي يشرف على ادارتها الآن الاستاذ عارف النكدي مدير العدلية في الدولة السورية بما اشتهر به من الدراية والأمانة وعلو الهمة .

ثم نقول : انه كان ازدياد عدد الجرائد متساوقاً مع ازدياد عدد المدارس فظهرت في بيروت بعد الجرائد المتقدم ذكرها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل سركيس وجريدة التقدم التي كان يتولى تحريرها أديب اسحق الكاتب المشهور في وقته ، وجريدة المصباح التي أنشأها المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة ، وعهد بإدارتها وتحريرها إلى نقولا أفندي النقاش من أعضاء مجلس الامة العثماني ؛ وإلى بولس زين من ادباء الموارنة ، وكانت مجلة المقتطف قد صدرت في بيروت لصاحبيها العلامتين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومن أول نشأتها كانت مجلة راقية حافلة بالفوائد العلمية والصناعية والتاريخية واللغوية .

ومما لا جدال فيه ان للمقتطف أثراً بليغاً في عموم النهضة العربية ولاينكره إلا كل مكابر ـ ومن مساعي العلامتين الشهيرين صروف ونمر تأسيس مجمع علمي

في بيروت سموه المجمع العلمي الشرقي قد ضم نخبة العلماء والادباء الذين كان يشار اليهم بالبنان في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا المجمع أول مجمع علمي في بيروت بل قد سبقه جمعية علمية تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة ، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان ، وكان من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الأحدب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف والسيد حسين بيهم وسليم أفندي زمضان وغيرهم من علماء ذلك الوقت وأدبائه .

وفي نواحي سنة ١٨٨٤ فيما أتذكر كان الشيخ عبد المجيد الخاني الاديب الدمشقي البارع جاء إلى بيروت فذكر ما رآه فيها من الرقي الفكري وسرد اسماء جرائدها نظماً فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها بلسان مصباح التقدم قائلُ
ظل المعارف وارف في أرض بيرو تورهط الفضل فيها قائل[1]

ثم أنشأ علي بك ناصر الدين مجلة اسمها الصفاء صارت فيما بعد جريدة سياسية ولا تزال إلى هذا اليوم قائمة حق القيام بخدمة العلم والادب ، وقد كان لي فيها أول مقالة صدرت من قلمي وذلك سنة ١٨٨٥ ، وأصدر عبدالقادر افندي الدنا جريدة باسم بيروت كان يكتب فيها الاستاذ البليغ السيد مرتضى الجزائري ابن أخي المغفور له الامير عبد القادر .

ثمانون جريدة في سورية

ولكن عدد الجرائد لم يزدد هذا الازدياد الرائع إلا بعد إعلان الدستور العثماني ، ومن قبله صدرت جريدة طرابلس التي كان ينشئها الشيخ حسين الجسر ، ولم يكن جريدة سواها تصدر في غير بيروت من مدن سورية إلا انه لما اعلن الدستور العثماني وتقررت حرية الصحافة أخذت الجرائد تنتشر بسرعة عظيمة فلما نشبت الحرب الكبرى كان ينشر في سورية وفلسطين ثمانون جريدة

(١) الاولى من القول والثانية من القيلولة .

موزعة بين بيروت ولبنان ودمشق وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب وصيدا وحيفا ويافا والقدس ، وكانت تظهر في هذه البلاد مجلات شهرية واسبوعية لا تقل عن بضع عشرة مجلة ، ولا نجد لزوماً لسرد أسماء جميع هذه الجرائد وهذه المجلات . وهذا أول دليل على سرعة الرقي العلمي في سورية ، وليس في الكلام أفصح من الأرقام ، فوفرة الجرائد دليل على وفرة عدد القراء ، ووفرة عدد القراء دليل على صدق عمل المدارس ، نعم انه لا يزال عدد الاميين كثيراً في هذه البلاد وربما بلغ مع الأسف ٦٠ بالمئة ، ولكن المظنون بحسب ما نراه من إقبال الأهلين على تعليم أبنائهم أنه لا يمضي عشر سنوات حتى ينزل عدد الاميين الى ٢٠ بالمائة . وقد كان في بيروت بضع عشرة مطبعة فتضاعف هذا العدد مرتين وثلاثاً ، وتأسست مطابع كثيرة في سائر المدن السورية ، وليس عمل هذه المطابع كله منحصراً في طبع الجرائد بل هي تقوم بطبع الكتب التي لا تطبع إلا إذا كان أصحاب المطابع يجدون لها عدداً كافياً من المشترين . وان مكانة الصحافة الآن في سورية ولبنان بالقياس إلى عدد أهلها لا تقلُّ عن مكانة الصحافة في اوربة ، فاما في مصر فما لاشك فيه ان الصحافة أرقى منها في سورية لأن ثروة مصر أعظم من ثروة سورية بكثير ، وقد كان في أثناء ثورة عرابي باشا أي سنة ١٨٨٢ يصدر في مصر بضع جرائد لا غير منها الاهرام واللطائف والمفيد وغيرها ، فما زال عدد الجرائد يرتقي إلى أن تضاعف مراراً ، وان بعض جرائدها اليومية تصدر بثماني صفحات أو ست عشرة صفحة . ومنها جرائد مصورة كثيرة وربما تطبع الواحدة من جرائد مصر الكبرى من ٣٠ إلى ٤٠ الف نسخة وقد أكد لي أحد الأخباريين الاوربيين الذين يراسلون الاهرام من امهات الجرائد المصرية أن هذه الجريدة لو وضعت في جانب صحف باريس في الاتقان وسعة النفقات وكثرة القراء لكانت معادلة لأحسنها .

ولما كانت الامثال أحسن مظهر لحقائق الاشياء وأبلغ مؤثر في النفوس رأيت الآن إيراد مثال وقع معي ، وكنت قد ذكرته في مجلة المقتطف ، ومنه

يتبين الفرق الهائل بين حالة الصحافة في مصر منذ ٤٠ سنة وحالتها منذ عشرين سنة :

قلت في المقتطف : اني كنت زرت مصر سنة ١٨٩٠ ، وكنا نجتمع في مجالس الامام الشيخ محمد عبده ، وأكثر ما كنا نسمر عند سعد باشا زغلول وهو يومئذ سعد أفندي زغلول وكان من المحامين المشهورين بمصر ، وكان ينتاب تلك الحلقة شيخ شخت الخلقة اسمه الشيخ علي يوسف ، إذا أتى جلس في آخر المجلس سا كنا ولبثا كثر المجلس مستمعاً تكاد ترثى له لضعفه ولمسكنته ، وكان قد بدأ باصدار جريدة اسمها المؤيد كانت تظهر مرتين بالاسبوع وهو يعجز أن يجعلها يومية إلا أن هذا الرجل على ضؤولة جسمه كانت بادية عليه سيماء الهمة والعزم فزرته مرة في مطبعة المؤيد فرأيته جالساً على مقعد رث لا يسع أكثر من ثلاثة جلوس بعضهم ملزوز إلى بعض ، وأمامه منضدة بدون غطاء عليها من بقع الحبر ما يهول الناظر وهو يعالج تحرير مقالته في دخول العام الهجري الجديد حينئذ ، ولا يعرف كيف يصوغها وكانت بجانب الغرفة غرفة ثانية فيها المطبعة ، وبين الغرفتين باب مفتوح وأنا من مكان جلوسي أرى منضدي الحروف من خلال ذلك الباب يصفون الحروف ، ثم اني رأيت الشيخ عليًا في تعب زائد مع مقالته هذه عن الحول الجديد ، وهو يكتب ويطاش ويمحو فقلت له : لو قلت كذا وكذا ... فأجابني : بالله عليك تكتب أنت هذه الافتتاحية فكتبتها أمامه ، هذا وبعد ٢٠ سنة من ذلك العهد جئت إلى مصر ،

المؤيد تطبع ٣٠ الف عدد

وأنا ذاهب إلى حرب طرابلس فماذا وجدت ؟ وجدت جريدة المؤيد من أعظم الجرائد اليومية في مصر تطبع في كل يوم من ٢٠ إلى ٣٠ الف نسخة، ووجدت إدارة المؤيد تكاد تكون قصراً من قصور الامراء فيها الزرابيّ المبثوثة والطنافس الحريرية الفاخرة بدلاً من ذلك المقعد الحقير ، عليه ذلك الغطاء

القديم من الشيت بدون حشوة ، ووجدت مطبعة بخارية من أكبر المطابع كان صاحب المؤيد اشتراها بخمسة آلاف جنيه ، مع أن تلك المطبعة القديمة التي رأيتها من قبل ما كانت لتساوي ١٠٠ جنيه ٠

ثم وجدت الشيخ علي يوسف نفسه من أكتب كتاب مصر وأسيلهم قلماً ، فضلا عن اني وجدته عيناً من أعيان مصر وأشهرهم ذكراً ، ولم يغفل الشيخ عن أن يذكرني بزيارتي الاولى عندما كان على تلك الحالة الرثة ، وأن يقابل بها حالة الترف التي رأيته عليها يوم زيارتي الثانية ، فهذا المثال البارز كاف لقياس درجة الرقي الفكري في الشرق (١)٠

انتشار الصحافة في العالم الاسلامي

ولقد كانت الصحافة العربية فيما مضى منحصرة في القطرين المصري والشامي فصارت الآن منبثة في جميع الأقطار العربية ، ففي العراق بضع عشرة جريدة ومجلة منها ما هو في بغداد ومنها ما هو في البصرة ، وكذلك ظهرت جرائد في الحجاز قد كان أولها جريدة القبلة في زمن الملك حسين ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز استبدل بها أم القرى ، ثم ظهرت جريدة اسمها صوت الحجاز في مكة وجريدة ومجلة في المدينة المنورة ، وصدرت جريدة الايمان للحكومة اليمانية في صنعاء ، وصدرت جرائد عربية وراء البحار أشهرها جريدة حضرموت في جاوة ، كما انه يوجد في الهند مجلة عربية اسمها الضياء للاستاذ مسعود الندوي ٠

أما في المهجر فان للعرب نحواً من ٣٠ جريدة ومجلة : منها ما هو في أمريكة الشمالية وما هو في أمريكة الجنوبية ، وفي المهاجر العربية هناك من الكتاب

(١) لا حاجة بنا الآن إلى سرد أسماء الجرائد المصرية الكثيرة ولا إلى سرد أسماء الجرائد السورية الصادرة في دمشق وحلب وبيروت وفلسطين ولا إلى ذكر المجلات الشهيرة كالمقتطف والهلال والرسالة وأمثالها ، فان الأعلام الشهيرة لا تعرّف ولا تحتاج الى تعريف ٠

والشعراء والادباء والأطباء والفلاسفة نفر تفخر بهم أوطانهم ، وهم جزء متمم للعالم العربي الادبي لا يتم إلا بهم ، واني اشبه الجاليات العربية في وسط هاتيك الامم الاجنبية التي تحصى بمئات الملايين بجزائر عربية صغيرة في أوقيانوس من العجمة لانهاية له ، وقد احتفظت مع ذلك هذه الجزائر الصغيرة بلغتها العربية وآدابها وأذواقها ومنازعها ومشاربها ، وهذا لعمري برهان الاصالة والنبالة وعلو الهمة ، فان الذي يخجل بوطنه وقومه ليس بانسان ، وفي نيويورك شارع كبير خاص بالعرب تجد فيه على أبواب المخازن العناوين العربية فوق الانكليزية ، وتنظر المطاعم العربية التي تطهو من المآكل الشرقية المتنوعة ما يكون قد درس بتمامه في البلاد العربية الأصلية .

وانك لتسمع الموسيقى ثمة العربية كيفما توجهت سواء من المغنين أو من الآلات الحاكية ، وإذا نظرت إلى النوافذ وجدت فيها الأصص من الفخار فيها الرياحين وأكثرها من الحبق الذي يقال له الريحان في دمشق وفي لبنان الحبق ، ويظهر أن العرب يأخذون هذه الريحانة أينما ذهبوا في الأرض ، فأني قد وجدتها بكثرة في اسبانية وهي حافظة اسمها العربي فيقول لها الاسبانيول « هبقة » أي حبقة ، ومن غرائب ما سمعته عن اعتصام السوريين بعاداتهم القومية وهم في المهجر أن كثيرين منهم يسكنون في حارات على حدة ، وربما بنوا قرى منفردة لأنفسهم ، وذلك ليكونوا أحراراً في ممارسة عاداتهم التي كانت لهم في بلادهم الاصلية ، فاذا حصلت أعراس عندهم حسبتها واقعة في نفس سورية بما فيها من الأغاريد والأناشيد والزغاريد وما يقال له في لبنان «التراويد» ، وقد حضرت في نيويورك عرس فوزي بك البريدي من زحلة ، وقد اجتمع فيه أبناء العرب فخلت نفسي في زحلة أو في أية بلدة من لبنان وكذلك قيل لي انهم في الاماكن التي يسكن فيها السوريون على حدة يمارسون عاداتهم الأصلية بالمآتم فتندب النساء من جهة حول الميت ويندب الرجال من جهة أخرى ، وهم يذهبون ويجيئون وبأيديهم المناديل يهزونها في الهواء وهي ما كان العرب يقولون له المآلي واحدتها مئلاة ، إلا أن بقاء هذه الحالة عند

السوريين المهاجرين لا يعدو العصر الحاضر ، لأن أعقابهم مع الأسف ذائبون إلا ما ندر في الجنسية الأمريكية ، وقلما رأينا من ذراريهم المولودين في أمريكة من يعرف اللغة العربية لا سيما الذين أمهاتهم من هناك ، وقد عالج بعضهم هذه الحالة وحاولوا استبقاء اللغة العربية بين المولودين في أميريكة من أبنائهم ، وفتحوا مكاتب وكتاتيب علمت بوجود اثنين منها في ديترويت مشيغن ، وحدثوني عن غيرهما ولكن هذا العوز لا ينسد مع الأسف ببضعة كتاتيب ، فالسوريون الذين في أميركة الشمالية يزيدون على ٢٠٠ الف نسمة ، وهم في الأميركتين جميعاً أكثر من نصف مليون .

وقد قيل لي : إن أعلى المهاجرين العرب همماً من جهة الاحتفاظ بلغتهم هم مهاجرو العرب في البرازيل الذين عندهم مجلات راقية وجرائد مفيدة كما يوجد مثل ذلك في نيويورك ، ولم يقتصروا في البرازيل على بعض الكتاتيب لاستبقاء عروبة بابنائهم ، بل أسسوا هناك لهذا الغرض مدارس عالية ، يدرس الطلبة فيها العربية الفصحى في جانب اللغة البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل ، أما إذا بقيت أبواب المهاجرة مسدودة على العرب في أمريكة الشمالية فلا يمضي عليهم هناك أكثر من نصف قرن حتى ينقرض منها مع الأسف كل شيء أصله عربي ، ويصير وجود العرب في تلك القارة خبراً من الأخبار التاريخية .

الصحافة العربية في شمالي افريقية

ولنعد إلى حديث الصحافة العربية الذي كنا في صدده فنقول : إن شمالي افريقية قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة ، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وسائر أدوات النشر التي تعول عليها كل امة ناهضة ، ولم يكن في بادئ الامر بغير تونس جرائد عربية مغربية ، وقد تقدم ذكرنا لجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر فيما أذكر من قبل احتلال فرنسة لتونس أي منذ ستين سنة وبعد ذلك صدرت في تونس جرائد اخرى ، وفي يومنا هذا تصدر في تونس عدة جرائد ومجلات راقية كالزهرة والنهضة والصواب والمجلة الزيتونية وغيرها

وأما الجزائر فقد كانت تصدر فيها منذ خمسين سنة جريدة عربية واحدة اسمها المبشر ، وأظنها كانت الجريدة الرسمية للحكومة إلا أن الأهالي منذ بضع عشرة سنة نشروا جرائد متعددة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة أتذكر منها « البلاغ » « ووادي تراب » ، وأما اليوم فمن أشهرها جريدة البصائر ومجلة الشهاب ، ولم يقتصر اخواننا التوانسة والجزائريون على نشر أفكارهم في الصحف العربية التي أصدروها ، بل لأجل إمكان تفاهمهم مع الفرنسيس المحتلين لبلادهم وللمطالبة بحقوقهم عمدوا إلى نشر جرائد وطنية عربية اسلامية باللغة الفرنسية وذلك على نسق مجلتنا العربية المنهج الافرنسية الملهج « لاناسيون آراب »[1] ومثل ذلك وقع في المغرب الأقصى الذي كانت السلطة مانعة فيه الأهالي الوطنيين من نشر الجرائد بتاتاً ، خلافاً للاجانب فقد كان ولا يزال يؤذن لهم في ذلك ، بل كان محظوراً إدخال الجرائد العربية الصادرة في البلاد الاخرى إلى المغرب ، وربما عوقب من وجد قارئاً لجريدة كهذه ، إلا أن الاهالي لم يزالوا يعترضون على السلطة من أجل هذا الضغط الشديد على حرية القراءة في بلادهم حتى سمحت من سنوات لبعض الادباء بإصدار مجلة علمية في الرباط اسمها المغرب أذنت لها في الظهور على شرط أن تكون موالية للحكومة فاضطر الحزب الوطني في المغرب إلى إصدار مجلة افرنسية في نفس باريز باسم المغرب Magreb جعلوا ادارتها بيد ضيف سورية الحالي روبير جان لونغة[1] الذي جاهد هو وأبوه كثيراً في النضال عن المسلمين الذين تحت حكم فرنسا وفي منحهم جميع الحريات التي لهم الحق فيها ، فلما ظهرت مجلة مغرب ، وأقبل شبان ذلك القطر العزيز ينشرون فيها باللغة الافرنسية من المقالات القيمة والآراء السديدة ما أحدث تأثيراً عظيماً في نفس باريس ، انتقمت السلطة من تلك المجلة بمنعها من دخول المغرب نفسه ، فأصبحت في المقيم المتعد مع الوطنيين

(1) La nation arabe
(2) Robert Gean Longuet

الذين كانت ترأسهم عصبة العمل القومي ، ومنذ سنتين تمكن السيد محمد ابن الحسن الوزاني من زعماء النهضة الوطنية في المغرب من إصدار جريدة في فاس باللغة الفرنسية سماها عمل الشعب [1] وجعل مديرها افرنسياً حتى لا تتمكن السلطة من تعطيلها ، فلما ظهرت هذه الجريدة وأخذت تناضل عن حقوق الأهلين وتناقش بشدة الصحف الفرنسية الصادرة هناك ، أمرت السلطة بتعطيل هذه الجريدة خلافاً للقانون ، فبقي أهل المغرب يئنون من هذا الضغط إلى أن تولت فرنسة ولله الحمد الوزارة الشعبية في السنة الماضية فراجعتها عصبة العمل القومي في موضوع حرية الاجتماع والكتابة . وما زالت المراجعات مستمرة باصرار الى أن أذنت السلطة لعصبة العمل القومي باصدار جريدتين احداهما بالعربية اسمها الأطلس يتولى تحريرها السيد محمد اليزيدي ، واخرى بالافرنسية اسمها العمل الشعبي [2] يحررها السيدان أحمد بلافريج وعمر عبد الجليل من زعماء الحركة الوطنية المغربية ، وصدرت أيضاً جريدة عمل الشعب للسيد محمد بن الحسن الوزاني ، وجريدة اخرى بالعربية يقال لها الوداد كما انه صدرت في تطوان من المنطقة التي يحتلها الاسبانيول جريدة الحياة للسيد عبد الخالق الطوريس ومجلة السلاح للسيد محمد داود ، وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي ، ولكن الطرابلسيين يقرؤون الجرائد العربية التي ترد اليهم من الشرق والغرب بلذة زائدة ولا عجب فان علاقتهم من جهة الشرق مع مصر والشام ومن جهة الغرب مع تونس هي علاقات أقطار شقيقة ، وفي زنجبار من شرقي افريقية مطبعة سلطانية من قديم الزمن ، اطلعنا على كتب مطبوعة فيها ، ومؤخراً وصلت الينا جريدة عربية صادرة في جزيرة زنجبار هذه .

فهذه هي لمحة دالة عن الصحافة العربية في الخمسين من السنين الاخيرة

(1) L'action du peuple
(2) L'action populaire

لا نزعم فيها الاحاطة وإنما نجتزئ بالاشارة التي تعطي القارئ صورة صحيحة عن هذا البحث وبالجملة فالصحافة العربية كانت من أعظم عوامل نهضة العرب ولا تزال تتقدم الى الامام ٠

المدارس فى العالم العربى

ان الجرائد ليست وحدها هي المقياس الكافي لاجل إعطاء صورة صحيحة عن درجة الرقي ، بل المقياس الاكبر هو المدارس ، فمدينة بيروت مثلاً وعدد سكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة فيها من المدارس والجامعات ما لو قرنته بجامعات أوروبة ومدارسها لم تكن قاصرة عنها ، وربما كانت زائدة عليها إذا روعيت نسبة عدد السكان ٠ وقد كنت منذ ٢٥ سنة في مدينة نابلس التي لم يكن أهلها يزيدون على ٢٥ الف نسمة ، فبحثت عن عدد المتعلمين في هذه البلدة فكانوا ٢٠٠٠ من الأحداث في المكاتب الاميرية ، وأحصينا عدد طلاب المدارس العالية في الاستانة فبلغوا مائة شاب ، فاذا نظرنا إلى عدد أهالي نابلس وجدنا عدد طلاب العلم من أهلها لا يقل عما يجب أن يكون في أية بلاد راقية ، وليس هذا المثال وحيداً في بابه ، بل له أمثلة كثيرة في سورية وان كنت لا أزال أتأسف من بقاء الامية في البلاد الى هذا الوقت أكثر مما كنت أظن وذلك بغلبة البوادي والقرى المفتقرة إلى التعليم ، ولم يكن هذا كله من تقصير الحكومة وفقد ارادة العمل ، وانما للميزانية المالية العمومية دخل في نزول درجة التعليم عما يجب أن تكون ، ومن الغريب ان الامية في مصر لا تزال أكثر منها في سورية بالرغم من ان بين القطرين بوناً شاسعاً في درجة الثروة ، أما تقدم التعليم في سائر البلاد العربية فأكثر ما برز منه للعيان بمدة قصيرة هو في المملكة العراقية لا سيما بعد أن حصلت على استقلالها ، فانه في وقت قصير أنشئت في العراق عدة مدارس عالية كدار المعلمين في بغداد والموصل ومدرسة الطب والثانوية المركزية وعدة مدارس ثانوية متوسطة ، وعدد لا يحصى من المدارس الابتدائية ، وفي العراق المدارس المسماة (رياض الاطفال)

كثيرة وهي أرقى من أمثالها في سورية ، والفضل يرجع في اتقان هذه الرياض الى المربي العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ، ثم قد بلغني أن الكتبية من القاهرة وغيرها يصدرون كل سنة مقادير جسيمة من الكتب المدرسية الى العراق وان هذا يزداد عاماً فعاماً .

أما في سورية فجامعتها العلمية تتألف من كلية الطب وكلية الحقوق والمدرسة التجهيزية الكبرى للبنين ، ومن فروعها دار المعلمين الابتدائية والعالية ، ومدرسة تجهيزية اخرى للبنات وفيها دار للمعلمات أيضاً ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، وفي حلب مدرسة تجهيزية ومثلها في دير الزور ومثلها في حماة واخرى في حمص ، ولو كانت الميزانية المالية كافية لقطعت سورية في أقصر وقت أبعد مرحلة في طريق التعليم ، وهذا ما نأمل الوصول اليه في غير بعيد من الزمن ولا سيما بعد أن نالت البلاد استقلالها فانه لا يرجى نهضة علمية إلا بنهضة سياسية فهاتان توأمان دائماً ، وقد بلغني من وزير المعارف الدكتور الكيالي أنه لما ضاقت مكاتب الحكومة في هذه السنة عن استيعاب جميع الاولاد الذين يريد أهلوهم إدخالهم فيها ، أوصى الوزير مديري المدارس الابتدائية بتسجيل جميع من يريد الدخول فيها ، كما أوصى مديري الكتاتيب الاهلية الحرة بأن يقبلوا كل من يأتيهم على أن تؤدي اليهم الحكومة النفقات اللازمة ، فيقظة الامة ولا سيما بعد استقلالها الحديث غير محتاجة الى استدلال .

المجمع العلمي في دمشق ومصر

ولا يجوز لنا أن ننسى ذكر مجمعنا العلمي هذا الذي كان أول مجمع على نسق اكاديميات اوروبة في الاقطار الشرقية ، فانه يضم نيفاً ومائة عالم شرقي ومستشرق كلهم من ذوي الشهرة الطائرة سواء في الغرب أو في الشرق ، وللمجمع مجلة علمية من أرقى ما صدر من المجلات في العربية وأدقها بحثاً وأحسنها اسلوباً وأجمعها للنوادر وأحفلها بالفوائد ، ولا يستغني متخصص في العربية

إذا أراد جد الاطلاع عليها عن اقتناء مجموعة هذه المجلة منذ صدورها ، وقد سبقت سورية مصر في تأسيس هذا المجمع ، ولكن مصر عادت فسدت هذا العوز بتأسيس مجمعها الحالي ، فكلا المجمعين الشقيقين يخدم هذه اللغة الشريفة وثقافتها بكل ما أوتي من قوة ووسائل . ولنا الأمل بأن يسير المجمعان معاً الى الامام خطوات واسعة ، وان حكومتي القطرين تشد أزرهما بالمال الى الحد الذي يمكنهما من القيام بخدمات جلى للعربية والعروبة كما هو الشأن في أكاديميات الممالك الاوروبية ، فان أمام العرب مهمات عظيمة في إثارة دفائن عقولهم وكشف دارس مدنيتهم والتنقيب عن دقائق تاريخهم لا يقوم بها إلا هذه المجامع العلمية التي هي أيضاً لا تقوم إلا بتوفير أقساطها من الميزانية المالية ، ولست متعرضاً الآن إلى الكلام عما قام به المجمعان الشامي والمصري من الخدمة اللغوية بإيجاد الألفاظ التي تقتضيها حاجة العصر ، وإحياء ما وجد منها في لغتنا بتطبيقه على المعاني المناسبة له ، فان من شاء أن يعرف طائلا من هذا الأمر يقدر أن يراجع مجلات هذين المجمعين .

وإنا نكون غفلنا عن الحق وأهملناه جانباً إذا كنا لا نقول إنه في القرون الأخيرة لولا بقاء الأزهر والأموي والزيتونة والقرويين لم يكن بقي أثر من آثار اللغة العربية فضلاً عن الشريعة الاسلامية ، فهذه المساجد الأربعة هي التي في الدرجة الاولى قد وقت هذه اللغة من الدثور ، وهذه الشريعة من البوار ، وقد كانت الفوضى في القرون الأخيرة المذكورة قد نسفت عمران هذه البلدان إلا بقايا تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وتسلط على هذه الأقطار ولاة أتوا على الحرث والنسل ، وهدموا كل شيء وطمسوا كل رسم ، ومع هذا فقد بقيت هذه المساجد الأربعة بنوع خاص مع مساجد أخرى كانت تجري مجراها تقيم العربية على أركان ، وتصد غارات الجهل عليها وعلى الشريعة بقدر الامكان ، فكيف ثبتت هذه الشريعة وهذه العربية في وسط هذا الزوال . وكيف بقيتا في بهرة هذا الفناء مدة تزيد على أربعة أو خمسة قرون تعاور العالم الاسلامي فيها الانهيار من كل جانب ، ان هذا لعجب عجاب !

ولا شك أن ثبات الشريعة واللغة في وجه هذه الصدمات السياسية التي تدكدك الجبال هو الدليل الكافي على متانة أصولها ورسوخ قواعدهما وغزارة القوة الحيوية التي فيهما . وفي مصر عدا الأزهر معاهد كثيرة للعلم مثل الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي ومدارس الحقوق والهندسة والزراعة مما لا يتيسر لي استقصاؤه الآن ، وإنما أشير إلى نتائجه الباهرة فانه لا يكابر مكابر في أن الحركة السياسية الأخيرة التي جرت في مصر في الشتاء الماضي وانتهت باستقلالها بالرغم من معارضات الانكليز تحت مختلف العلل إنما كانت ثمرة هذه المدارس ، لأن الذين تولوا هذا الامر هم العشرة الآلاف طالب الذين ثاروا في القاهرة ثورة الرجل الواحد وتنجزوا الاستقلال التام لوطنهم تنجز المستميت باذلين من دونه دماءهم بذل السخي لماله .

أثر الزيتونة والقرويين والاموي

وكما قام الأزهر بالواجب الذي عليه في مصر وكان أشبه بالصخرة العالية التي كانت تتكسر عليها أمواج الجهل والفوضى كذلك كان جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق ، ومنها ومن المساجد الاخرى خرج العلماء الأعلام والمصابيح الذين أناروا الاسلام في دياجي ذلك الظلام ، ومن هؤلاء أيضاً خرج أولئك العلماء الوطنيون الذين أرادوا ادخال العلوم العصرية في البلاد والتحقق بمعارف الاوربيين حتى لا يبقى الشرق مقصراً عن الغرب فكانت الجامعات والمدارس العصرية الكثيرة وكان إرسال البعثات العلمية الى اوروبة من أيام محمد علي إلى اليوم .

النهضة العلمية والدعوة الوهابية

ولا يظن ظان أن الحركة التعليمية في جزيرة العرب قد بقيت كما كانت عليه قبل ، فأما في نجد والحجاز فلا يخفى ان الدعوة الوهابية توجب حمل جميع الناس على التعليم بدون استثناء ، وهو عندهم بمقام الجهاد فترى المعلمين

والفقهاء يجوبون الحواضر والبوادي ويفتحون الكتاتيب للاحداث وربما شرقت قبائل من العرب وغربت والمعلمون معها حتى لا ينقطع التعليم بالرحيل ، فالامية في البلدان الخاضعة لسلطان ابن سعود ستكون نادرة ، ولكن يعترض بعضهم قائلاً :

ان هذا التعليم النجدي لا يساعد الرقي المدني بل هو من النمط القديم الجامد الذي ليس فيه كبير جداء لأهل هذا العصر ، وهذا القول مردود من وجوه ؛ أولا أن النجديين يلتزمون تعميم القراءة والكتابة في البدو والحضر فزوال الامية هو بنفسه درجة عالية من العلم ، ثم انهم يحفظون الأحداث القرآن الكريم ويفسرونه لهم بعد رشدهم ، وأي كتاب حث على العلم والتعليم والسير والنظر أكثر من القرآن ، وأي كتاب قدس العلم والعلماء ونوه بالحكمة والحكماء أكثر من القرآن ·

الاصلاح والعمران في المملكة السعودية

ثم ان منزع النجديين في الدين منزع إصلاح وترقية وتنقية ، ومشربه بعيد بالمرة عن الخرافات فهو مشرب إصلاحي مستحب جداً في العصر الحاضر ، وإذا سألت الاوربيين أنفسهم قالوا لك: ان مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الافكار وحل عقال العقول في اوربة · وكان فاتحة عهد الارتقاء ، وكثيراً ما أطلق الاوربيون على الوهابيين لقب (بروتستان الاسلام) ، ثم ان هذا الملك عبد العزيز بن سعود امام الوهابيين القائم بتنفيذ مبادئهم لا يقف عن قبول أي علم نافع أو اختراع عصري مفيد ؛ فهو يجهز مملكته بجميع طرق العمران الحديثة ، وعنده التلغراف السلكي واللاسلكي في جميع بلاده ، وعنده التليفون والراديو ، وعنده السيارات الكهربائية تسير في طول البلاد وعرضها حتى صارت تلك الأرض الشاسعة تطوى طي السجل للكتاب ، ومن أعمال ابن سعود اعتناؤه بالصحة العمومية وتعويله فيها على الوسائل العصرية الحديثة ، وقد بدأ يستخدم الطيارات في الجيش ، ولو كانت ميزانيته المالية تأذن له في الانفاق

كما يشاء لما سبقه في هذا الميدان سابق ، ولكانت الادوات العصرية في جيشه لا تقل عن مثلها في أي جيش اوروبي ، ولكن المال قوام الأعمال ، ثم إذا كان المراد من العلم والتعليم هو إيجاد الامنة في السوابل فلا يكون في هذا المعنى أرقى من مملكة ابن سعود لأن الأمن العام ضارب أطنابه في بلاده كلها وواصل الى الدرجة التي يتحدث عنها المؤرخون في الكتب بعد ان كانت تلك الصحاري أشبه بمسبعة تزأر فيها الضواري من كل فج ، وبالاختصار فالوهابيون يقبلون كل إصلاح مالم يصادم الدين ، والعلم والدين لايتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما .

النهضة العلمية في اليمن

أما اليمن فانه يضارع مملكة ابن السعود في أمرين : عموم التعليم والامن الشامل ، فقد بلغني انه لا يكاد يوجد في اليمن قرية تخلو من فقيه يعلم الأحداث القراءة والكتابة ، وانه لا توجد مدينة ولا قصبة في اليمن إلا فيها حلقات تدريس للعلوم اللغوية والشرعية ، فالامية في اليمن نادرة ، نعم لا يوجد هناك من يعتني بالعلوم العصرية إلا نادراً وهي علة قد تزاح قريباً ، لأن العلوم الادبية لا بد أن تثير حركة في الافكار وتجعل نهضة في النفوس ، وهذه من شأنها أن تهتف بنشدان العلوم الطبيعية وذلك كما جرى في مصر والشام وغيرهما . هذا وامام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين هو بنفسه عالم فاضل متبحر سيال القلم لا يغرب عن باله شيء مما يجب لترقية بلاده ، ولذلك نراه مهتماً بالمدرسة العسكرية التي في صنعاء ، وعنده معمل سلاح صغير شاهدته بعيني انا وزميلاي هاشم بك الاتاسي رئيس الجمهورية السورية والحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وعلمنا أن هذا المعمل يقدر أن يعمل البنادق وعلف البنادق كما يصنعونها في اوروبة ، ورأينا مصنوعات هذا المعمل عياناً ، ولنا الأمل بان تتسع دائرة هذا المعمل ، وأن يتأسس في البلدان العربية معامل أسلحة كثيرة تكون وافية بحاجات

أهلها ، ولا ننسى ان العراق والشأم والمملكة السعودية هي في مقدمة الاقطار العربية التي تحتاج إلى مثل هذه المعامل ، لأن على العرب واجباً لا يجوز أن يغفلوا عنه طرفة عين ، وهو أن لا يكونوا عيالاً على اوروبة في التسلح فانه إن أمكنهم ذلك في زمن الحرب استطاعوا أن يدفعوا الأخطار عن بلادهم وخير للأرض أن تستغني بمائها عن مياه غيرها التي يجوز أن تنقطع عنها ·

الشعر والشعراء

أما اللغة العربية من حيث هي ، فقد طارت في هذه الخمسين سنة الاخيرة بجناحين وصارت إلى جلالها الماضي وعنجهيتها القديمة فكثر في السنين الاخيرة سواد الكتاب والشعراء حتى صاروا يحصون بالمئات إن لم يكن بالالوف ، ونبغ منهم فحول يقدر الانسان أن يلزهم في صفوف المنشئين والشعراء من أهل القرون الاولى للاسلام عندما كانت اللغة في ابان سورتها فلا تنظر في جريدة إلا تجد فيها من النظم الفائق والترسل الرائق لشبان لم تسمع في عمرك باسمائهم ، هذا عدا المفلقين والعباقر الذين سارت بذكرهم الركبان وحفظ الرواة من شعرهم كما يحفظون شعر المتنبي وأبي تمام ، ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق والمغرب معشار العدد الذي نجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة الراقية في الادب منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما قبل ، وكان إذا نبغ شاعر أو برع كاتب ضرب به المثل لتفرده وخلو الجو من حوله ، والحال انه لو نشرته اليوم من قبره ، وعرضته في الجمع لوجدت أمثاله يعدون بالعشرات ، وان كانت لا تزال له طلاوة ، فهذه الطلاوة لا ترتفع به إلى صفوف العبقريين وإنما تجعله في صف المجيدين ، وقد كنا في سورية لا نعرف شاعراً أحسن من نصيف اليازجي اللبناني الذي نبغ في بيروت وصارت له تلك الشهرة الطائرة باستحقاق ، وهو لو وجد في زماننا هذا لما كان إلا واحداً من جماعة ، وكان في بيروت من الشعراء المجيدين عمر الانسي البيروتي يقرأ الانسان

شعره بلذة وكان قبل الانسي واليازجي أمين الجندي وبطرس كرامة كلاهما من حمص ولها قصائد كسبا بها شهرة لا تزال لهما إلى اليوم، ولو انهما عاشا في هذا العصر لم تكن لهما هذه الشهرة بالرغم من إجادتهما، وعلو طبقتهما، وقد سأل الامير بشير الشهابي أمير لبنان في وقته الشيخ أمين الجندي عن المعلم بطرس كرامة قائلاً له: ما نسبة المعلم بطرس اليك في الشعر ؟ فأجابه: نسبة الثعلب إلى الأسد، ولم يكن هذا الجواب صحيحاً لان لبطرس كرامة من الشعر لا سيما في الغزل والنسيب ما لا يقل رونقاً عن شعر الجندي، وكان في بغداد ثلاثة شعراء أو أربعة اشتهرت اسماؤهم في بلادنا مثل عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الحميد الموصلي وعبد الغفار الأخرس، وكان أكثرهم شهرة عبد الباقي العمري وعبد الحميد الموصلي هنا بسبب مراسلاتهما مع نصيف اليازجي كما ان شهرة صالح التميمي كانت بسبب المناقشة التي وقعت بينه وبين بطرس كرامة، وهذه الطبقة، وإن كانت تعد من الطبقة العالية في الأدب، فان الذين جاءوا بعدها ردوها إلى الوراء فبعد أن كانت من المجلين صارت من المصلين، أللهم إلا إذا حسبنا الشاعر الارزي الذي لا يلز هؤلاء في قوته، ومن قبله ابن معتوق الذي كان يضارع الشعراء الأولين .
وأما في مصر فما بدأ الشعر ينهض إلا بنبوغ محمود صفوت وبعده محمود سامي وهو صاحب النهضة الشعرية الكبرى، وقد أجمع مؤرخو الادب على أنه مجدد الشعر العربي في هذا العصر، وأنه الذي أعاد اليه ديباجته الاولى التي كانت القرون الاخيرة لا تعرف منها شيئاً، وما كان شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر الا مبعوثين في عالم الأدب بأنفاس محمود سامي العالية، واليوم لا يكاد يحصى عدد المجيدين من شعراء مصر وأغرب منه نبوغ شعراء في السودان لا يقل شعرهم في الاجادة عن شعراء الأقطار العربية الاخرى، وقد نبغ في تونس في القرن الماضي محمد قباد وهو صاحب تشطير (أفاطم لو شهدت ببطن خبت) الذي دخل فيه مدخلاً لا يفترق عن الاصل، والذي له قصائد أخرى جياد، وجاء بعده شعراء في تونس لم أعلم منهم أحداً بلغ مداه، وقد هبت

زيج الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الاقصى ، وظهر شعراء ومترسلون يمكن ان يضعهم القارئ في صعيد واحد مع شعراء الشرق ، ومهما قيل في ترقي الشعراء في هذا العصر الاخير فأعظم منه قد كان ترقي الكتابة التي لم تتقدم في فصاحة الالفاظ وتنقيح الجمل فقط بل علت ببلاغتها وحسن أسلوبها وتشبعها بالمعاني الكثيرة التي أوجدتها الحركة العلمية الحديثة فاديل من الصناعة اللفظية والسجع الرنان بالمسحة العلمية والانشاء المرسل الملآن ، وهذا النوع من الكتابة هو أصعب أنواعها لمن أراد أن يسمى كاتباً ، ولا نزاع في أن ترقي كل من فني الشعر والكتابة في الأدب العربي قد كان وليد النهضة العلمية العامة التي حملت المتأدبين على مراجعة أحسن ما كتب العرب وخلفوه في زوايا المكاتب فسمت الهمم بسبب هذه النهضة العلمية إلى طبع الكتب التي لا تزال مجهولة ، أو مما ينحصر اقتناؤه في بيوت الأمراء والكبراء فصارت هذه الكتب من مثل ترسل ابن المقفع والجاحظ وأمثالها مشاعاً بين جميع عشاق الادب ، وكانوا كلما قرأوا كتب الاوربيين شعروا بحاجة الى مادة أغزر من اللغة العربية وأساليب أطلى وفنون أبدع ومجال أوسع فكأن اللغات الاجنبية هي نفسها قد كانت الحافز الاعظم على اتقان العرب المحدثين للغتهم وارتوائهم من معينها ، ولا عجب في ذلك فالعلم يزيد بعضه بعضاً سنة الله في خلقه ·

الفقه الاسلامي وعلماء الدين

هذا ما كان من جهة الادب العربي ، وأما من جهة الفقه الاسلامي فلا نقدر ان نقول انه تقدم الى الامام بل رجع في الحقيقة الى الوراء وذلك باستغناء الناس عنه بعلم الحقوق منذ ترجمت الدولة العثمانية هذا العلم عن قوانين اوربة الى التركية والعربية ، ومن عادة الناس أن يكون اكثر انشغالهم بما ينفعهم في دنياهم ، وليس كل العلم طراز مجالس · نحن أولاء قد أدركنا في أواخر القرن الماضي طبقة عالية من علماء العلوم الشرعية في دمشق مثل الشيخ محمود الحمزاوي والشيخ سليم العطار والشيخ بكري العطار والشيخ سعيد

الاسطواني والشيخ الطنطاوي والشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمد البيطار وأخيه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ محمد الخاني والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم ، وكان الناس يستفتونهم في النوازل ويعولون على آرائهم في الدين والدنيا ، فلما انتشرت العلوم العصرية ومنها القوانين الاوربية المترجمة التي عملت الدولة بها صار إذا مات واحد من هؤلاء الفقهاء لا يخلفه غيره ، وما زال الامر كذلك إلى ان كادت هذه الطبقة تنقرض بالمرة ، وكذلك كان في بيروت الشيخ محي الدين اليافي والشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الاحدب ، وفي طرابلس الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة فمات كل هؤلاء ولم يخلفهم أحد ، وصار النبوغ للمحامين الذين تخرجوا في المدارس الاوربية أو في مكاتب الدولة العثمانية ، والمحامون بمصر أكثر منهم بالشام لما في مصر من استبحار العمران.

إلا انه نظراً لوجود الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي في مصر بقي حملة العلوم الشرعية فيها أكثر منهم في سورية ، وكان الواجب على هذه الامة في كل قطر أن لا تهمل هذا العلم الذي هو من مفاخر الثقافة العربية ومن محاسن تاريخها والذي لا يستغني عنه المسلمون في المعاملات الدنيوية فضلاً عن المسائل الاعتقادية.

الطب والاطباء والصيدلة

وأما الطب فهو من العلوم التي يقوم عليها المشارقة أكثر من غيرهم ويوفقون فيها ، ومن الأطباء الشرقيين من يقيمون الآن في اوربة ويشتهرون بالنبوغ بين أهلها ، وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الراقية في علم الطب حتى يقال انها في الدرجة الخامسة بالنسبة الى الدول الاخرى ، وقد نبغ فيها عدد كبير من الاطباء الجراحين يعدون في الطبقة العليا بالنسبة إلى أطباء اوربة وجراحيها أنفسهم منهم أتراك ومنهم عرب ومنهم أروام ومنهم أرمن ، ولا نقدر أن نقول أن سورية متأخرة في حلبة الطب هذه عن غيرها بل اني أتذكر انه لما نشبت الحرب

العامة ، واحتاجت الدولة إلى أطباء لجيشها ساقت إلى الجيش ٢٠٠ طبيب ذي شهادة من جبل لبنان وحده وبقي عدد كبير منهم في البلاد . واليوم قد ازداد هذا العدد على ما كان عليه قبلُ ، وبلغني ان في دمشق وحدها اليوم (١٥٠) طبيباً ، وانا نرى خريجي مدارس الطب من السوريين يتعاطون صنعتهم هذه في مصر والعراق والسودان والحجاز وغيرها ، وما يقال في الطب يقال في الصيدلة التي لها ممثلون كثيرون من أبناء سورية ، وكذلك بدأ كثير من الشبان يدرسون في أوربة علم الجراثيم (البكتريولوجية) .

منافسة سورية للبلاد العربية

وما من علم يجدّ في أوربة إلا أقبل عليه الشرقيون كما أقبل الغربيون وأخذوا منه بنصيب ، فالمباراة إذاً جارية بكل ما يمكن من الهمة ، على أن سورية في علم الطب وتوابعه هي ذات المركز الاول في البلدان العربية ، وذلك لسبقها غيرها الى ورود حياض العلوم الكونية فلا مصر ولا العراق ولا جزيرة العرب ولا إيران ولا المغرب تضارع سورية في هذا الموضوع ، ولكن نحن على ثقة أن جميع البلاد العربية من الآن إلى ثلاثين وأربعين سنة تصير متساوية بعضها إلى بعض في درجة الرقي العلمي .

ومن العلوم التي يمتاز بها العرب ، ولا سيما السوريين منهم ، العلوم العددية وقد نبغ الكثيرون ممن لا نقدر على احصاء اسمائهم نذكر منهم على سبيل التمثيل الشيخ محمد الطيبي في دمشق والمعلم بطرس البستاني والمعلم أسعد الشدودي في بيروت وغيرهم .

ولما كان السوريون من أقوى امم الارض على التجارة كان علم الحساب من العلوم التي يتخصصون بها بطبيعة الحال ، وكذلك في مصر لا ينكر ترقي العلوم الرياضية التي مصر من مراكز ازدهارها بل نقدر أن نقول ان المهندسين فيها أكثر منهم عدداً في سورية نظراً لأن الزراعة في وادي النيل أرقى بكثير منها في سورية .

بقي علينا أن ننظر كيف يكون اتجاه الامة العربية في المستقبل من جهة الثقافة ! أتأخذ بالثقافة الغربية ولوازمها ومتمماتها إلى النهاية أم تبقى معتصمة بثقافتها الشرقية الأصلية لا تبغي بها بدلاً ولا عنها حولاً أم تأخذ من الثقافتين معاً وتجعل من ذلك ثقافة خاصة لا شرقية ولا غربية ! هذا سؤال يرد كثيراً على خواطر الباحثين وكل منهم يذهب في الجواب مذهباً، وأظن أن ثقافة العرب المستقبلة ستكون عصرية آخذة من التجدد بأوفى نصيب لكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي ، وهذه أشبه بما سبق للثقافة العربية في زمن بني العباس وفي زمن بني امية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان إلى لغتهم واطلعوا على علوم فارس والهند فجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة عالية كانت أرقى ثقافة في القرون الوسطى ، لكنها كانت زاهرة بطابعها العربي الذي لم يكن يفارقها بحال من الاحوال ، وهكذا ستكون ثقافة العرب بعد اليوم غير جامدة على القديم الذي ثبت للعرب المحدثين وجوب التعديل فيه والاضافة اليه، ولن تكون منسلخة من القديم جاهدة في التبرؤ منه على النحو الذي نحاه الاتراك الكماليون الغالبون على تركية اليوم ، ولكنها تكون ثقافة جامعة بين القديم والجديد مختارة من كل شيء أحسنه مع بقاء الصبغة العربية التامة غير المفارقة للعرب ، وذلك على النحو الذي نحاه اليابانيون الذين اقتبسوا جميع علوم الاوربيين ولم يغب عنهم منها شيء ولا فاتهم من صناعات أوربة دقيق ولا جليل، ولبثوا مع ذلك يابانيين أصلاء في لغتهم وأدبهم وطربهم وطعامهم وشرابهم وجميع مناحي حياتهم ، وحسب العرب قدوة للاقتداء ومثالاً للاحتذاء هذه الامة اليابانية العظيمة التي لا يوجد أشد منها رجوعاً إلى قديم ولا أخذاً منها بحديث .

والآمال معقودة بانه ستكون في الشرق الادنى نهضة عربية علمية تضاهي النهضة العلمية التي رأيناها في الشرق الأقصى.

لماذا تأخر الشرق الادنى عن الاقصى

وإن كان الشرق الادنى قد تأخر عن الأقصى في درجة الرقي العصري فلم يكن ذلك كما يتوهم بعضهم من جمود الامم الشرقية العربية وتفوق اليابانيين عليهم في حب العلم ونشدان وسائل القوة ، وإنما كان الموقع الجغرافي للبلاد العربية قد عرّضها من هجوم الأجانب وغاراتهم المتوالية لما لم يتعرض له اليابانيون بسبب تقاصي ديارهم وبعد مزارهم بحيث خلا لهم الجو وتمكنوا من أن يتعلموا ويتهذبوا آمنين على حوزتهم ، وهذا فرق طالما غفل عنه الناس ولم يتفطنوا لخطورته ، فحملوا بسبب غفلتهم عنه على الشريعة الاسلامية وجعلوها ظلماً وعدواناً هي المسؤولة عن هذا التأخر ، والمسؤول الحقيقي في الواقع هو الاعتداء الأجنبي المتواصل الذي يتيسر في الشرق الادنى مالا يتيسر في الشرق الأقصى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شكيب ارسلان



الصحافة فى طرابلس الغرب

لما اطلع أحد ادباء طرابلس الغرب على محاضرة الامير نشسر في جريدة الجزيرة الكلمة الآتية ننشرها في مجلتنا إتماماً للبحث :

« قرأت في عدد ١٥ — ٧٠٥ من مجلتكم الغراء جزءاً من المحاضرة التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي الدمشقي أمير البيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان باسم النهضة العربية العلمية ، فوجدت ما نصه :

وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية . وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي .

مع أن الذي أعلمه يقيناً ان بطرابلس في العهد العثماني عدة جرائد كالترقي والمرصاد والرقيب والعصر الجديد وأبو قشة (هزلية عربية) وتعميم حزيت هزلية تركية ومنشئها من طرابلس ، ومجلة باسم مجلة الفنون مصورة .

وفي العهد الايطالي بطرابلس جريدة العدل والرقيب العتيد وهي التي كان اسمها الرقيب في العهد العثماني ، والذكرى .

وأما في بنغازي فقد صدرت منذ نحو سنتين مجلة مصورة باسم « ليبيا المصورة » زيادة على جريدة باسم بريد برقة .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان جريدة الرقيب التي سميت في العهد الايطالي بالرقيب العتيد كانت أرقى في العهد العثماني .

طرابلسى مغربى

جولة في مدارس اليمن

ولما كان عطوفة الامير شكيب قد تناول بحث المعارف في بلاد اليمن

بصورة مجملة ولما كان منشئ الجزيرة [1] قد قام برحلة الى تلك البلاد وطاف في مدارس صنعاء رأينا إتماماً للبحث أن نضيف إلى محاضرة الامير ما نشره في جولته عن مدارس اليمن قائلا ما نصه :

ان الذين يقولون بان المدارس مفقودة في بلاد اليمن يهرفون بما لا يعرفون إذ يبلغ عدد المدارس في تلك الجهات نحو ٢٠٠ مدرسة بين مدارس صغيرة وكتاتيب وكلها مرتبط رأساً بالحكومة ، وبعضها مؤلف من ثلاثة صفوف وبعضها من أربعة .

نعم ان هذه المدارس لم تبلغ مستوى المدارس الحديثة في هذه البلاد بسبب فقدان الأساتذة الاكفاء ، ولكن حركة بسيطة تقوم بها حكومة جلالة الامام لا بد من أن تؤدي إلى تكوين نهضة ثقافية واسعة النطاق .

وفوق ذلك فان في صنعاء عدة مدارس كبرى أذكر منها المدرسة الحربية ودار المعلمين ومدرسة الايتام والمدرسة الزراعية ومدارس الصناعة ومدرسة الاصلاح والكلية العلمية .

والطلاب في جميع مدارس اليمن لا ينفقون على الدراسة بل ان أكثرهم يأكل وينام ويلبس على حساب الحكومة وهذه مأثرة خالدة نسجلها لجلالة الامام .

وقد التمست من سمو وزير المعارف أن يسمح لي بزيارة مدارس صنعاء فأذن لي بذلك وأرفقني بالشيخ يحيى النهاري وكيل مديرية المعارف وهو شاب يماني ذكي ونشيط .

مدرسة الايتام

وقد بدأنا أولاً بزيارة مدرسة الايتام التي تعتبر من أرقى مدارس اليمن وهي مؤلفة من سبعة صفوف ستة منها ابتدائية وواحد ثانوي وجلالة الامام

(١) هو السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي .

ينفق على هذه المدرسة من جيبه الخاص ويدخل في باب النفقات الطعام واللباس والنوم وغير ذلك ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب أكثرهم من الايتام ·

وقد استقبلنا مديرها الشيخ محمد تقي وأخذ يطوف بنا على غرف التدريس وقد فحصت بعض الطلاب وألقيت عليهم عدة أسئلة في التجويد والعلوم الدينية والحساب والجغرافية والتاريخ والقواعد العربية فوجدتهم رغم رداءة طرق التدريس المتبعة عندهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن الاستعداد لتلقف أنواع العلوم ·

بيد أنني أرى من واجبي إرضاء لضميري وتنبيهاً لحكومة جلالة الامام أن أدون فيما يلي الملحوظات الآتية :

١ — ان الطلاب يحفظون دروسهم عن ظهر قلب دون أن يتدبروا معاني ما يحفظون ·

٢ — بعض التلاميذ كانوا يجلسون على الارض لعدم وجود مقاعد كافية ·

٣ — يظهر ان العهد التركي ترك في المدارس بعض الاصطلاحات غير العربية وقد رأيتها متداولة ومستعملة في المدرسة نحو : يوقلمة « تفقد » نوبتجي (مناوب) فايدوس « فرصة » وقد نبهت مدير المدرسة إلى الكلمات العربية التي تقابل تلك المصطلحات الأعجمية فوعد باستعمالها ·

٤ — لعل من أغرب ما شهدت في هذه المدرسة أن بعض التلاميذ كانوا مقيدين بالسلاسل من أرجلهم ولما استفسرت عن ذلك قيل إنهم يفرون كثيراً فلم يجدوا وسيلة لمنعهم من الفرار إلا عن طريق الأغلال !···

٥ — الطلاب كلهم يرتدون الألبسة العربية اليمانية وهذا أمر لا نعترض عليه ولكن لاحظت أن الطلاب عند أداء بعض التمارين الرياضية ولا سيما عند استعمال المتوازيين والحلقات وغيرها يجدون صعوبة ومشقة فحبذا لو يعد لهم لباس خاص مؤلف من سروال وقميص خصيصاً للالعاب الرياضية ·

ومما أدهشني وأثلج صدري أن التلاميذ استقبلوني بالاناشيد الوطنية المعروفة في بلادنا ولا سيما نشيد صليل الظبي وصرير القلم ···الخ

وقد شعرت بقوة حناجرهم وعذوبة أصواتهم مع عدم انطباقها على القواعد الموسيقية الحديثة ·

والخلاصة فان هذه المدرسة (رغم النقائص الموجودة فيها والمرجو تداركها حالا) تعتبر من أعظم المؤسسات التعليمية في بلاد اليمن ·

مدرسة الصنائع

ثم توجهنا بعد ذلك الى مدرسة الصنائع وزرنا بعض فروعها وأقسامها ولا سيما معامل النسيج والصابون والسجاد · ويتولى إدارة شؤون هذه المدرسة شاب مصري منتدب من قبل الحكومة المصرية اسمه عبد القادر علام ، وقد أطلعني على خلاصة الاعمال التي قام بها والخطوات التي خطتها هذه المؤسسة الصناعية في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر · ثم أراني الآلات والمكنات التي أحضرت حديثاً وأكد لي أنه لو وجهت الحكومة العناية الكافية إلى تقاريره لاستطاع أن يؤمن عن طريق صنائع الطلاب فقط جميع حاجات اليمن من المنسوجات ·

ثم زرنا معمل الصابون وكان ينتج في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعة آلاف قطعة صابون ، ويدير أعمال هذا المعمل رجل فلسطيني أصله من عكا ، وقد سألت عن الزيت الذي يصنع منه هذا الصابون فقيل لي انه يستخرج من نبات غريب يظهر في اليمن ويشبه الخروع في تأثيره ·

ثم زرنا بعد ذلك معمل السجاد وأعجبت بمصنوعات الطلاب من السجاد النفيس والأبسطة الجميلة ·

المدرسة العلمية الكبرى

والمدرسة العلمية تعتبر أرقى المعاهد العلمية في اليمن وهي تؤهل طلابها وخريجيها بعد نوال الاجازة :(١) لتولي أعمال القضاء (٢) للقيام بشؤون التدريس في مدارس الحكومة (٣) للاندماج في وظائف الحكومة الكبرى · وعلمت ان

أكثر العمال في الأقضية والنواحي متخرجون من هذه المدرسة .

والطلاب فيها يأكلون وينامون ويلبسون على حساب الحكومة ، وقد زرت غرف نومهم وقاعات التدريس والمطبخ الذي يعد فيه الطعام فألفيتها كلها على أتم ما يكون بالنسبة لهذه البلاد .

وهذه المدرسة تدرس مختلف العلوم الدينية والعربية فهي تعتبر كالأزهر في مصر ويبلغ عدد طلابها المئتين وقد اختبرت بعضهم فوجدتهم متفهمين تماماً لما يلقى عليهم من الدروس ومتبحرين في الشؤون الدينية .

أما الدروس التي يتلقونها في هذه المدرسة فهي القرآن الحكيم ، أصول الفقه ، مصطلح الحديث ، الحديث ، علم الفرائض ، تفسير القرآن ، التصوف (ويسمونه علم الباطن) ، الصرف والنحو ، التوحيد ، المعاني والبيان ، المنطق ، الانشاء ، المحفوظات ، الأدب العربي ، التاريخ الاسلامي ، تاريخ الأئمة ، تاريخ اليمن ، الحساب ، علم الاوقات والفلك .

والكتب التي يعتمد عليها في التدريس أكثرها من وضع علماء الزيدية وبعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهذه أهم الكتب التي يدرسها الطلاب في هذه المدرسة :

التجويد (شرح الجزري) ، مفتاح الفائض في علم الفرائض ، متن الازهار في فقه الائمة الاطهار مع الشرح ، الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، متن الاساس في علم الكلام ، تفسير الزمخشري ، متن الغاية في اصول الفقه ، متن التلخيص ، ملحة الاعراب .

ويبلغ عدد الاساتذة في هذه المدرسة ١٥ أستاذاً أذكر منهم حضرات :

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي (مدير المدرسة)

السيد أحمد بن علي الكحلاني (رئيس المدرسين)

السيد حسين بن محمد الكبسي ، السيد أحمد بن عبدالله الكبسي ، الشيخ

الجمالي علي بن محمد فضة ، الشيخ حسين بن يحيى الواسعي ، السيد عبدالعزيز بن علي بن ابراهيم ، السيد علي بن محمد الشهيد ، الشيخ محمد بن علي الشرفي ، الشيخ علي بن هلال التبب ، الحاج لطفي الفسيل ، السيد عبد القادر بن عبدالله ، الفقيه محمد مداعس ، القاضي يحيى الانسي .

وحفاظ القرآن السيد علي الطائفي والفقيه حسين الغيثي والفقيه علي الحيمي .

ملحوظة : القاب العلماء في اليمن القاضي لمن تولى القضاء أو كان والده قاضياً ، والسيد لمن ينتسب لسيدنا علي ، والفقيه والشيخ لسائر العلماء .

عدي بن الرقاع العاملي

- ٣ -

مختارات من شعره

ديوان عدي بن الرقاع مفقود ولم يبق من شعره إلا القليل وهذا القليل غير مجموع في مكان واحد يمكن الرجوع اليه بل هو مبعثر في بطون الكتب لذلك فقد انصرفت مدة من الزمن أجمع كل ما عثرت عليه من شعره في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم وتقويم البلدان ، فقد أجد القصيدة من شعره مفرقة في أمكنة متعددة فأضم بعضها الى بعض وقد أجد أبياتاً من بحر واحد وقافية واحدة منثورة على سبيل الاستشهاد في كتب اللغة وتقويم البلدان كلسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت فأجتهد في ترتيبها وجعلها قطعة واحدة متتالية بعد التحري والروية . ولم أجد من شعره قصيدة كاملة في مكان واحد إلا قصيدته الدالية التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها :

عرف الديار توهمًا فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها

فقد وردت برمتها في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٢٤٧ وشرح الكامل للمرصفي ج ٧ ص ٤٨ ومجلة الآثار ج ٢ ص ٤٤٤ .

وهاك طائفة مختارة مما جمعته من شعره ٠

قال :

لو ثوى لا يريمها الف حول   لم يطل عندهـا عليه الثواءُ
أهواهـا يشفه أم أعيرت   منظراً غير ما أُعير النساءُ

وقال :

وناعمـةٍ تجلو بعود أراكة   موشرة يسبي المعانق طيبها
كأن بها خمراً بماء غمـامة   إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنمـا   منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال يجيب الراعي لما هجاه :

حدثت ان رويعي الابل يشتمني   والله يصرف أقواماً عن الرشد
فانك والشعر ذو تزجي قوافيه   كمبتغي الصيد في عريسة الأسد

وقال :

صادتك اخت بني لوءي إذ رمت   وأصاب سهمك إذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة   وأُعير غيرك ودهـا وهواهـا
بيضاء تستلب الرجال عقولهم   عظمت روادفها ودق حشاها
وكأن طعم الزنجبيل ولذة   صهبـاء ساك بها المسحر فاهـا
فاذا تجلجل في الفوءاد خيالها   شرق الجفون بعبرة تشجاها
يا شوق ما بك يوم بان حدوجها   من ذي المويقع غدوة فرآها

ومنها يقول في صفة حماري وحش :

يتعاورانـــ من الغبار ملاءة بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً واذا السنابك أسهلت نشراها

وقال :

وفي الخدور مها حور مصورة خلقن أحسن مما قال من يصف
إذا كورن خديثًا قلن أحسنه وهن من غير سوء يتقي صدف

وقال يصف غيثًا :

مزن ترفع في ريح شآمية مكلل بعماء الماء منتطقـــ
تربص الليل حتى قل سائمه على الرويشد أو خرجائه يدق
القى على ذات أحفار كلا كله وشب نيرانه وانجاب يأتلق
نار تعاود منها العود جدته والنار تسفع عيداناً فتحترق
فما به بطن واد غب نضحته وان تراغب إلا مسفه تئق

وقال في طول الليل :

وكأن ليلي حين تغرب شمسه بسواد آخر مثله موصول
أرعى النجوم إذا تغور كوكب أبصرت آخر كالسراج يجول

وقال يمدح عمر بن هبيرة :

إذا شئت ان تلقى فتى البأس والندى وذا الحسب الزاكي التليد المقدم
فكنـــ عمراً تأتي ولا تعدونه الى غيره واستخبر الناس وافهم
فتىً عزلت عنه الفواحش كلها فلم تختلط منه بلحم ولا دم

كأن زرور القبطرية علقت علائقها منه بجذع مقوّم
عملس أسفار إذا استقبلت له سموم كحر النار لم يتلثم
يكافح لوحات الهواجر بالضحى مكافحة للمنخرين وللفم
إذا ما رمى أصحابه بجبينه سرى الليلة الظلماء لم يتهكم

وقال يفتخر :

نسيتم مساعينا الصوالح فيكم وما تذكرون الفضل إلا توهما
فان تعدونا الجاهلية اننا لنحدث في الأقوام بؤساً وأنعما
بلا ذاك منا ابن المعدل مرة وعمرو بن هند عام اصعد موسما
يقود الينا ابني نزار من الملا واهل العراق سامياً متعظما
فلما ظننا أنه نازل بنا ضربنا ووليناه جمعاً عرمرما
ونحن فككنا عن عدي بن حاتم اخي طيئ الأجيال قداً محرما

وقال يمدح عمر بن عبد العزيز :

جمعت اللواتي يحمد الله عبده عليهن فليهنئ لك الخير واسلم
فأولهن البر والبر غالب وما بك من غيب السرائر يعلم
وثانية كانت من الله نعمة على المسلمين اذا ولي خير منعم
وثالثة ان ليس فيك هوادة لمن رام ظلما أو سعى سعي مجرم
ورابعة ان لا تزال مع التقى تخب بميمون من الامر مبرم
وخامسة في الحكم انك تنصف الضعيف وما من علم الله كالعمي

وسادسة ان الذي هو ربنا اصـ ـم طفاك فمن يتبعك لا يتندم
وسابعــة ان المكارم كلها سبقت اليها كل ساع وماجم
وثامنة في منصب الناس انه سما بك منهم معظم فوق معظم
وتاسعة ان البرية كلهـا يعدون سيبا من أمام متمم
وعاشرة ان الحـلوم توابع لحلمك في فصل من القول محكم

وقال في الخمر :

فكأني من ذكركم خالطتني من فلسطين جاس خمر عقـار
عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتهـا التجار
فهي صهباء تترك المرء أعشى في بياض العينين منها احمرار

وقال :

عرفت بعفر أو برجلتها ربعا رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
فما رمتها حتى غدا اليوم نصفه وحتى سرت عيناي كلتاهما دمعا
أُسرهمُ ما لو تغلغل بعضهـا الى حجر صلد تركن به صدعا
أميد كأني شـارب لعبت به عقار ثوت في دنها حججا سبعا
مقدية صهباء تثخن شربها اذاما أرادوا ان يراحوا بها صرعى
عصارة كرم من حديجاء لم تكن منابتهـا مستحدثات ولا قرعا
فذر ذا ولكن هل ترى ضوء بارق وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأرانب موهنا إذا هز رعداً خلت في ودقه شفعا
فما تركت أركانه من سواده ولا من بياض مستزادا ولا وفعا

وقال :

لولا الحياء وان رأسي قدعسى فيه المشيب لزرت ام القاسم
يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير بهجتها بنوم الحالم
و كأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

هذه طائفة مختارة مما جمعته من شعر عدي بن الرقاع العاملي إذا أُضيفت الى ما ورد منه على سبيل الاستشهاد في البحثين السابقين صورت القارئ شاعراً فحلاً من شعراء بني امية الذين يمثلون الشعر العربي الخالص .

خليل مردم بك



نظريات الاقتصاد عند البيروني

النظريات الاقتصادية هي حديثة في حد ذاتها ، ولكن كلما أمعنا النظر بالوثائق العربية القديمة رأينا أن السلف الصالح قد تطرق إلى كل ناحية من المعـارف ، ولو اننا تابعنا ذلك المسير لكنا اليوم في مقدمة الامم حضارة ومدنية .

البيروني هو أحد العلماء المسلمين الذي كان له الأثر الأكبر في جمع العلوم الاسلامية فهو أحد ثقات النقادين والبحاثين في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية .

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣٦٢ هـ . أي ٩٧٢ م . في خوارزم وعاش ردحاً طويلاً من الزمن في بلاط ملوك غزنة السلطان مسعود وخليفته السلطان مودود ؛ أما الكتب التي ألفها فقد أدرجت بفهرست بروكلمن ودائرة المعارف الاسلامية الالمانية ، وكتاب الصيدنة الذي يبحث عن العقاقير ومنفعتها فقد نشره طبيب العيون في القاهرة وأحد البحاثين عن تاريخ الطب العربي الدكتور ماكس مايرهوف . ونشر ر . رامزي رايت **R. Ramsay Wright** الانكليزي كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ؛ أما مخطوطة البيروني القيمة التي تبحث عن الاحجار (الجماهر في معرفة الجواهر) والتي اكتشفت فيها النظرية الاقتصادية فاني اعرف لها ثلاث نسخ :

١ : نسخة محفوظة في مكتبة الاسكوريال في أسبانيا تحت عدد ٣٢٢ [١]

(١) انظر مقال شتاينشنايدر في مجلة الشرق الألمانية ١٨٩٥ عدد ٤٩ ص ٢٥٣

M. Steinschneider, ZDMG. 49, 1895, p.253.

وقد كنت اطلعت على هـذه النسخة في مكتبة تاريخ العلوم الطبيعية في برلين فوجدتها مملوءة بالاغلاط .

٢ : نسخة محفوظة في مكتبة السراي في الآستانة كتبت عام ٦٢٦ ه وقد اطلعت على صورة شمسية لهذه النسخة في جامعة بون ، ويقول الاستاذ كرنكو في مجلة ثقافة الاسلام الهندية التي تصدر باللغة الانكليزيـة في حيدر آباد (عام ١٩٣٢ جزء ٥ ، ص ٥٣٠ وما تابعه) [١] ان هناك نسختين في الاستانة في حين ان الاستاذ هلمون ريتو المقيم في الاستانة لتدقيق المخطوطات العربية في خزائن المكتبات التركية يعتقد أن هناك نسخة واحدة .

٣ : نسخة محفوظة في مكتبة رشيد أفندي في مدينة قيصرى في تركية ، ومكتبة بروسيا الحكومية تملك صورة شمسية لهذه النسخة التي كانت دليلي في هذا الموضوع .

وقد أتيح لي أن أدرس هذه المخطوطة دراسة متقنة اطلعت فيها على جميع مآخذ البيروني ، وقد عثرت هنا على نظرية اقتصادية لهـا تماس قوي مع النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها كلية الفلسفة في جامعة بون [٢] .

وقد كنت نوهت عن هذه المقالة في مجلة الاعتدال (النجف نيسان ١٩٣٦ ص ٥٦١) . واني الآن سوف أبين ما هذه النظرية ، ولكن قبل الخوض في الموضوع أود أن آتي بنظرة تاريخية سطحية أبين فيها الذين سبقوا البيروني في هذا المضمار .

في العهد اليوناني تطرق أفلاطون وأرسطوطاليس الى البحث في حاجة الانسان الى التعاون ، حتى ان أرسطوطاليس أشار بأن قيمة الدرهم ليست من ذاته بل بحسب الاعتبار [٣] . وهناك فيلسوف يوناني يدعى بريزون Bryson

---

(١) Islamic Cultur VI, 1932 p. 530 ff.

(٢) راجع أطروحتي الدكتورية عن منابع كتاب الاحجار المقدمه لجامعة بون عام ١٩٣٥ . M. J. Haschmi, Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Inaugural - Dissertation), Bonn 1935. P. 44,

(٣) راجع رسالة أوغارسالين (استاذ الاقتصاد في بازل ، سويسرا) عن تاريخ -

الذي بحث أيضاً بفلسفة الاقتصاد ولكننا لا نعلم الزمن الذي عاش فيه . ويزعم الاستاذ مارتين بلسنر الذي دقق مؤلف هذا العالم مع ترجمته العربية [١] انه عاش على التقريب بين مائة سنة قبل الميلاد وبين مائة سنة بعد الميلاد وهناك نظرية اقتصادية للدمشقي نشرها الاستاذ هلموث ريتر في العدد الخامس من مجلة الاسلام الالمانية [٢] ، لا نعلم أيضاً الزمن الذي عاش فيه هـذا العالم الدمشقي ولكنه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر .

فاذاً ان أهمية نظرية البيروني عظيمة لاننا نرى هنا تحديد الزمن الذي نشأت فيه هذه النظرية ، وقد سبق الفارابي البيروني في فكرة تشكيل الجماعات في كتابه القيم « المدينة الفاضلة » أما ابن سينا المعاصر للبيروني فقد ألف كتاباً في السياسة [٣] تكلم فيه عن حاجة الانسان الى التعاون ولكنه لم يذكر وجوب اتخاذ واحد قياسي للمعاملة في المبادلات ، فللمرة الاولى نجد تحديد النظرية الاقتصادية في الادب العربي عند البيروني وذلك في مقدمته القيمة في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر [٤] .

ـ علم الاقتصاد السياسي في دائرة معارف الحقوق وعلم الحكومة برلين ١٩٢٩ ص ٦

Edgar Salin, Geschichte der volkswirtschaftslehre(Enzyklopaedie der Rechts - und Staatswissenschaft) , Berlin 1929, P. 6

(١) Martin plessner, Der Oikonomikos des Neupythagorees Bryson, Heidelberg 1928, P. 148.

(٢) Helmuth Ritter, Ein arabisches Handbuch der Handelswissenschaft, Der Islam, VII, 5.

(٣) راجع مجلة المشرق العدد التاسع عام ١٩٠٦

(٤) رغماً من أن البيروني اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على الكندي حيث يقول : « ولم يقع في هذا الفن اعني فن الجواهر غير كتاب أبي يوسف بن اسحق الكندي في الجواهر والاشباه، قد افترع فيه عذرته وأظهر دورته كاختراعه البدائع في كل ما وصلت اليه يده من سائر الفنون ، فهو امام المجتهدين واسوة الباقين » ليس عندنا أي دليل على ما اقتبسه من ذلك العالم في تكوين نظريته الاقتصادية ، وكذلك الامر بمعاصر الكندي الجاحظ الذي استقى البيروني منه بعض الاخبار ـ

ابتدأ البيروني في مقدمته بعد حمد الله بالكلام عن غاية الخليقة ، فتكلم عن النبات والحيوان ، ثم عن الانسان كمخلوق اجتماعي ، ويبين بعد ذلك ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ، ثم يجلب هذا العالم نظر دقتنا الى الخطر الناشيء عن الغلو في تشريف الذهب والفضة فيبرهن لنا بأن لا قيمة مطلقة بل قيمتها قيمة نسبية إضافية ، وينتقل بعد ذلك إلى أبحاث الاخلاق الاجتماعية التي تجلب السعادة لبني البشر .

تشتق فكرة البيروني في الاقتصاد من الحاجة ، وهي حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، فجعل الله النبات مكتفياً بالقليل من الغذاء الذي لا ينهضم بسرعة ، وثابتاً مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق ؛ أما الحيوان فكان الانهضام فيه سريعاً ، منفصلاً عن منبته محتاجاً إلى القضم والخضم فجعل منتقلاً بآلات الحركة في أكناف الارض لطلب القوت ، فأنعم عليه وأعطي خمس حواس للشعور بما حوله مما باينه وغايره : من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه ، والمرهوب ليهرب منه ويستعد لاجتنائه وانقائه ، ومن سمع يدرك به المذكور من حيث لا يدركه البصر ، ومن شم يدله على خواص الاشياء ، وذوق يظهر له الموافق من الغذاء وغير الموافق ، ولمس يعرف به الحر والقر والرطب واليابس والصلب واللدن والخشن واللين .

فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصة ، وإن حمل أيضاً غيرها من الاشكال والهيئات ، والسمع محسوسه الاصوات والهواء يحملها اليه ، والشم محسوسه الروائح ، والهواء يوصل حواملها الى الخياشيم إذا انفصلت

ـ عن الجواهر ، أما ارتباط البيروني باخوان الصفاء فلا يزال غامضاً ، ولم أعثر الا على التشابه بين فكرة التطور في الطبيعة عند اخوان الصفاء وعند البيروني ، وقد كنت بحثت في هذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي من عدد ايلول ١٩٣٣ ، راجع اطروحتي (الدكتوراه) وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمن الحديث ص ٣٨١
C. Brockelmann, Geschichte der arab. Literatur, Supplement, Leiden 1936., I. P. 381.

من المشموم كانفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المنتشرة في الهواء ، والذوق محسوسه الطعام والرطوبة تحملها وتوصلها إلى الذائق وتولجها في خلله ؛ أما حاسة اللمس فانها عمت جميع البدن في أعضائه وفي آلات سائر حواسه ، وأولى ما يلاقي الكيفيات ظاهر البدن ، ولهذا كان الجلد بحس اللمس أولى واليه أسبق ، ثم ما وراءه أول فأول بحسب اللين واللطف ، فيزول به حس اللمس عن العظام .

إن المشاعر وان جعلت طلائع الحيوان للاقتناء والابقاء فان النوع الانساني قد فضل على جملة الحيوان بما شرف به من قوة العقل ، ورشح للخلافة في الارض على التعمير وإقامة السياسة فيها ، ولهذا دانت له طوعاً وكرهاً ؛ ولولا هذا الانعام على الانسان لما قاوم أدونها ، وقد أفرد من حواس الانسان اثنتان هما السمع والبصر فجعلتا له مراقي من المحسوسات الى المعقولات؛ ويستدل البيروني هنا على خطورة السمع والبصر بآية قرآنية : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ، وكذلك ببيتين من أشعار العرب كقول أعشى بن ربيعة :

كأن فؤادي بين جنبيّ عالم بما أبصرت عيني وما سمعت اذني

وقول جميل بن معمر :

إذا كنا بمنزلة للهو يخاف السمع فيه والعيونا

وبعد أن تكلم البيروني عن الحواس والمشاعر أتى على خطورة تكوين الجماعات إذ يقول :

الاستيناس يقع بالتجانس حتى قيل ان الشكل الى الشكل ينزع ، والطير مع الافه تقع . فالأخرس يسكن إلى أخرس ، لأنه يفهم لغته فيما هو بين قوم لا يفهمون عنه شيئاً ، ولذا أشار البيروني الى تلك الآية الكريمة في تشكيل الجماعات : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » . وهكذا يعد البيروني الزواج استدلالاً بالقرآن كضرورة من

ضرورات الاجتماع ، إذ هو يفضي الى سكنى القرى والمدن ويسبب التكاثر للتعاون في الغايات ، أما سبب تعدد الحرف والصنائع فيعللها بما يلي :

الانسان في جبلته مركب البدن من أمشاج متضادة لا تجتمع الا بقهر قاهر ، والنفس في أكثر أحوالها تابعة للمزاج فتتلون لذلك وتختلف اختلافه . ومعلوم أن المقهور دائم النزوع إلى ازالة القهر عنه ، وهذا هو سبب ما يلحق الحيوان من الآفـات والاذى الذي يحتاج من داخله إلى المضادات المطيفة به من خارجه ، ثم ان الانسان لعراه في ذاته ، ومسكنته لعدم آلاته مقصود بالبلايا من غيره ، دائم الحاجة الى ما يقيه والاضطرار الى ما يكفيه . وهنا يبدأ البيروني بالكلام عن الحاجة ، ويرى أن حاجات الانسان لا تنقضي طالما هو حي يرزق ، ويستدل على صحة رأيه بهذا المثال :

يموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

أما ضرورة التعاون فقد سبق كثير من العلماء البيروني كأمثال افلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم كما ذكرت ذلك سابقا . وان فكرة التعاون عند عالمنا مطابقة كل المطابقة للنظريات القديمة القائلة بأن حاجات الانسان متعددة فلا يمكن الفرد أن يستقل بتداركها بنفسه ولا يفي بها الا نفر ، ولهذا احتاج الانسان الى التمدن . وهناك حكمة إلهية الا وهي اختلاف توزع الناس في الأرض بين الاهواء والهمم كيلا يطبقوا على اختيار واحد هو الافضل فيضيع ما دونه . وهنا يأتي البيروني بحكمة قيمة ورغم مرور العصور نجد ان تلك الحكمة لا تزال حديثة كأن قائلها عالم عصري يعيش بين ظهرانينا ، يقول ذلك الحكيم الخالد : « يؤدي تساوي البشر الى هلاك جملتهم » . فينادي البيروني من تلك العصور الماضية محذراً من دعاة الشيوعية الذين يدعون امكان تساوي البشر ويفهمنا الخطر العظيم من ذلك الخيال الذي حلم به كثيرون .

أما الحرف والصناعات فيجد البيروني أنهـا نشأت من اختلاف المقاصد

والارادات ٠ فالتعاوض اتخذ البشر بعضهم بعضا سخريا ، فالتسخير بالجور والاستيجار لا يدوم ولا يستقيم ٠ وانه لكثرة الغايات وتباين اوقاتها واستغناء الواحد أحياناً عما عند الآخر لجأ الناس إلى طلب أثمان عامة بدل الاعواض الخاصة ، فاختاروا لها ما راق منظره وعز وجوده وطال بقاؤه ثم انقاد للتعظيم بالتوحيد وللتصغير بالتجزئة والتبديد وللختم بالتنقيش والتصوير متردداً بين صنوف الهيئات والصور مع ثبات هيولاه ومادته ٠ ولهذا السبب يعتقد البيروني ان الله تعالى لرأفته بخلقه وظاهر عنايته بهم خزن لهم قبل خلقه اياهم جميع الموزونات في أرحام الارضين تحت الرواسي الشامخات للانتفاع بها في الاجتلاب والدفاع ، واليه يرجع قوله عز وجل (وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) ثم قدر الله في الفضة والذهب جميع مصالح الناس حتى تحلى أثمان المطلوبات وهداهم اليهما فاستخرجوهما من معادنهما التي عديا فيها دهوراً ، ووكل الساسة بهما ليحفظوهما من تمويه الخونة أشباههما المغايرة إياهما ابدالا عنهما ، وليهذبوهما عن الادناس بالسبك والطبع ، فما من حق مع محق الا وبإزائه باطل مع مبطل يروم ترويجه في مكانه ٠ وهذا وأمثاله هو المحوج اولي السياسة ليستحقوا اسم الخلافة في الخلق ٠

يعرفنا البيروني بالضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختزانهما ، فيأتي بنظرية اقتصادية تلعب اليوم دوراً عظيماً في عالم الاقتصاد فان هناك من يعتبر تلك النظرية ويعدها الاساس الاكبر في هذا الفن ومن يرفضها رفضاً باتاً ٠ وقبل أن نعلم من هو القائم بتلك النظرية الحديثة يجب ان نسمع ما يقوله البيروني :

لما سهل على الناس تكاليف الحياة وتصاريف المعاش بالصفراء والبيضاء ، انطوت الافئدة على جمعهما ومالت القلوب اليهما ٠٠٠ واشتد الحرص على ادخارهما والاستكثار منهما ٠ وجل محلهما من الشرف والأبهة وضعاً لا طبعاً واصطلاحاً فيما بينهم لا شرعاً ، لانهما حجران لا يشبعان بحد ذاتهما من جوع ولا يرويان من صدى ولا يدفعان بأساً ولا يقيان من أذى ٠٠٠ فيبرهن

البيروني بذلك انهما خيران بالوضع وسماهما الناس خيراً كالمطاق لاحتوائهما على المناجح في المآرب · وبهذه المناسبة يأتي البيروني بحكاية عن الشعوب الابتدائية:

« أخبر بعض من سافر في البحر أن الريح أفضت بمركبهم الى جزيرة عادلة عن الجادة فأرفئوا عندها ، وانه خرج مع الخارجين اليها ، ودفع الى من رأى حاجته معه ديناراً ، فأخذه وفتشه وشمه وذاقه ، فلما لم يؤثر منه في هذه الحواس أثر نفع ولذة ورده عليه ، اذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا نفع له فيه » · ويؤكد البيروني قائلا :

هذا لعمري هو المعاملة الطبيعية التي بها حقيقة نظام المعاش من المتمدنين للتعاون · وأما المعاملة الوضعية فعلى الاعم فيها بما اتصل بنا خبره من البلدان والممالك هي بالفلزات التي ازدانت في أعين الناس وشغف بها قلوبهم لصرف الله بلطفه اياها اليهم إصلاحاً بينهم لا لأنفسها ·

وهنا تجادلت مع الدكتور كلاوزينك أحد أساتذة علم الاقتصاد في جامعة بون عن هذه النظرية وأخيراً اعترف هذا الاستاذ بعد دراسة الموضوع مايساً بالتشابه الذي بين نظرية البيروني ونظرية اقتصادي حديث يدعى كناب Knapp وهكذا يدعي كناب أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل حسب الاعتبار ، أي كما يقول البيروني وضعاً لا طبعاً[1] ·

وأخيراً يعالج البيروني مرضاً معضلاً في عالم الاجتماع لم يبرأ البشر منه رغماً عن مضي العصور العديدة ، وذلك الداء العضال هو كنز الاموال وعدم تركه للتداول ، لأن الحركة هي من ضرورات الحياة ، واذا وقفت تلك الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة · فلقد أنكر البيروني كنز الاموال واستدل بالآيات القرآنية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل

---

(١) راجع النظرية الحكومية للدرهم لكناب :

Knapp, Staatl. Theorie des Geldes, München und Leipzig 1921, p. I. Herbert Doering, Die Geldtheorie seit Knapp [Greifswalder Staatswissenschaftl Abhdlg. Greifswald 1922, p.9).

الله فبشرهم بعذاب أليم » . ويفسر البيروني في سبيل الله فيهما ما خلقهما له من انتفاع الناس بترددهما في أيديهم أثماناً لمصالحهم . فبوجودهما كنزا انقطع انتفاع الخلق بهما وخولف أمر الله تعالى ومشيئته فيهما . ويعتقد البيروني ان الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحصودة والانعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها واتفاقها ، كذلك هذا المال ليس له بعد الاستنباط غير الطبع عيناً وورقاً وترديده في الايدي . ولهذا السبب نفسه يرى البيروني حكمة تحريم الاواني الذهبية لأنها تصير غير منتفع بها في الوقت انها جعلت لاجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية[١].

فلا عجب بعد هذه المقدمات إذا بدأ البيروني يتكلم عن الفتوة والمروءة قائلا ان المروءة تقصر على الرجل في نفسه وذويه والفتوة تتعدى الى غيره . اذاً ان حل الأزمات الاقتصادية لا يمكن ان يكون مادياً بوجه من الوجوه بل هو معنوي محض . فلو غرس في قلوب الناس معنى تلك المروءة والفتوة لما طاق بشر أن يرى غيره يتقلب من الآلام وهو وحده يتنعم بشتى الخيرات ، ولعلم ان الدرهم الذي بيده والمال الذي جمعه يجب أن يتداول ، يجب أن يمشي ولا يقف في أرضه ، عند ذلك نشاهد سعادة لا تشابهها سعادة .

وإذا اتضح لنا ان كثيراً من علماء الاقتصاد في الزمن الحاضر يرون ان الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ناشئة عن عدم معرفة التبادل في المنتجات تظهر لنا أهمية نظرية البيروني في عصرنا الحديث ايضاً . ومن يدقق المنتجات العالمية يرى ان هناك مواد كافية من طبيعية وصنعية للقيام بحاجة البشر ، ولا تحتاج الشعوب إلا إلى رجال عقلاء يدبرون تبادل المصالح المختلفة . وهنا

(١) يستند البيروني على الشافعي في حكمة تحريم الأواني الذهبية والفضية (راجع كتاب الام ، بولاق ١٣٢١ هـ . مختصر مزني ص ٤) . وكما اعتنى فقهاء المسلمين في قضية الاقتصاد الاخلاقي كذلك اعتنى في ذلك رجال الدين المسيحي في اوائل القرون المسيحية . راجع كتاب باول مومبرت عن تاريخ علم الاقتصاد :

Paul Mombert. Geschichte der Nationaloekonomie, Jena 1927 p. 64 — 65.

نرى جلياً ان الداء الاجتماعي العضال الذي تئن من تحته الانسانية لا يزال هو هو منذ الاجيال البعيدة .

هكذا يصرخ فينا حكيم مثل البيروني من تلك العصور الماضية منادياً: ان الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادي هي في الحقيقة أزمة روحية .

الدكتور
محمد يحيى الهاشمي
مدرس اللغة العربية في برلين



الاهتداء

الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق

الدوي التاريخي الذي تركه معاوية

لقد ترك معاوية منذ نشأته الى الحشر ، دوياً تاريخياً « كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر » . أما في منشإه : فقد روى لنا محمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات عن أبان بن عثمان قال : كان معاوية بمنى وهو غلام مع امه فعثر فقالت له : قم لا رفعك الله ، فقال لها اعرابي سمعها : لمَ تقولين له هذا ؟ والله اني لأراه يسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ! وقد ساد قومه كما توسمت وهو فتى ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلده إمارة الشام وهو في مقتبل عمره ، وأعجب له مع ابن الخطاب وهو يحاوره . ففي الاستيعاب : قال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له : أأنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال :

— نعم يا أمير المؤمنين . قال عمر :

— مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات [1] . قال معاوية :

— مع ما يبلغك من ذلك ! قال عمر :

— ولمَ تفعل هذا ؟ قال معاوية :

---

(١) لعل الاصل : ببابك .

— نحن بأرض جواسيسُ العدو بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت ؛ قال عمر :

— ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس [1] ، إن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! فقال معاوية:

— فمرني يا أمير المؤمنين ، فقال عمر :

— لا آمرك ولا أنهاك ؛ وكان يسمع تحاورهما عمرو بن العاص فقال :

— يا أمير المؤمنين ، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ! فقال عمر:

— لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه !

ونحن إنما نشيد بذكر معاوية في هذه المقدمة من الوجهة القومية ، معتقدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحق منه دينياً بالخلافة وانه باعتقادنا معشر السنة كان في خصومته مع علي كرم الله وجهه مجتهداً مخطئاً وكان علي مصيباً ، وأن للمخطئ عن اجتهاد أجراً وللمصيب أجرين ، وأنهما وأتباعهما قد رجعا الى ربهم وهو أعلم بهم وسينبؤهم بما كانوا فيه يختلفون ، والمسلمون اليوم في حاجة حاقة إلى توحيد كلمتهم ، والعرب منهم خاصة أحوج ما يكونون اليوم إلى لمّ شعثهم وضم ما انتشر من ألفتهم ، ونحمد الله أن أوجد فينا بأخرة من أفاضل الشيعة من ينصف معاوية من الوجهة القومية كما ينصفه السنة وأكثر ، فلولا معاوية وحسن سياسته ، وما ملأ الاسماع من أنباء حلمه وكياسته ، لما توطد للعرب ملك في ديار الشام . واستمع لشهادة ابن عباس فيه في تاريخ البخاري قال ابن عباس :

---

(١) لعلها الفرس إذ لم نجد في التاج واللسان ان للضرس رواجب إنما هي للحمار على سبيل التمثيل فللفرس وغيرها من ذوات الحوافر رواجب ، قال في التاج : والرواجب من الحمار عروق مخارج صوته عن ابن الاعرابي وأنشد :

طوى بطنه طول الطراد فأصبحت   تقلقل من طول الطراد رواجبه

ولعله أراد تركتني في مثل رواجب الفرس اضطراباً ، نقول هذا الى أن نجد نصاً واضحاً وقولا شارحاً .

ما رأيت أحداً أحلى للدلك من معاوية ·

ثم استمع لشهادة عبدالله بن عمر إذ يقول : ما رأيت أحداً بعد رسول الله (ص) أسود من معاوية ، فقيل له : فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رض) فقال : كانوا والله خيراً من معاوية ، وكان معاوية أسود منهم ؛ فيفضله عبدالله على أبيه عمر في السيادة ، وأنصف بها من شهادة·

ولاية معاوية على الشام

ولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة ، وكان عمر كتب الى يزيد بن أبي سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم فحاصرها أياماً ، وكان معه بهذه الغزاة أخوه معاوية فتخلفه عليها ، وصار يزيد الى دمشق فأقام معاوية على قيسارية حتى فتحها في شوال سنة ١٩ للهجرة ·

وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام في دمشق واستخلف أخاه معاوية على عمله فكتب اليه عمر يعهده على ما كان يزيد من عمل الشام ورزقه الف دينار في كل شهر فأقام أربع سنين ، ثم مات عمر وأقره عثمان عليها في اثنتي عشرة سنة الى أن مات ولم يبايع علياً متهماً إياه بمقتل عثمان فكانت الفتنة رحاربه خمس سنين ، واستقل بالشام ، ثم أضاف اليها مصر ، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن رضوان الله عليه واجتمع الناس يامئذ فسموه عام الجماعة ، قال عبدالملك بن مروان : عاش ابن هند (يعني معاوية) عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ·

كتابة الوحي

في دمشق ثلاثة من كتاب رسول الله (ص) زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وقد اختص معاوية من بينهم بمراسلة قبائل العرب فكان لذلك من أعلم الناس بها وأقومهم بسياستها ، قال المدائني : كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب ، فهو بذلك

شبيه بمدير العشائر على عهد الحكومة الفيصلية ، أو رئيس المكتب العربي[1] في حكومات هذا العصر ، وكأنه إنما اضطلع بالكتابة بدعوة النبي (ص) له كما كان يدعو لعماله ، فعن العرباض بن سارية — كما في الاستيعاب — قال سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب .

وفاة معاوية بدمشق

وتوفي معاوية بدمشق يوم الخميس في النصف من رجب سنة ستين على الصحيح ، وهو ابن ٨٢ سنة وكان قد ادخر ليوم احتضاره ثوباً للنبي (ص) كان يلبسه على جلده ، وقلامة من أظفاره وقصاصة من شعره فقال لابنه وهو يحتضر :

إذا أنا متّ فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والاظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم ، ثم تمثل محتضراً بهذا البيت الحكيم :

فهل من خالد إما هلكنا ... وهل بالموت يا للناس عار

كيف اهتديت الى قبره الصحيح ؟

ذهبت عصر الجمعة في السابع من شوال ١٣٥٦ (١٠ كانون الاول — دسمبر ١٩٣٧) في يوم صحت سماؤه وصح هواؤه للتنزه في حدائق دمشق الغناء مع صديقين رفيقين لأحدهما « بستان السيوفي » نسبة الى اسرته يقع قبليّ مقبرة باب الصغير — ولعلها أقدم مقابر دمشق — وكان من مخاصير الطرق أن نجتاب هذه المقبرة القديمة ، وكان من عادتي كلما مررت بها أن أسأل الحفارين بها عن قبر معاوية ، فلما مررنا بقبور آل البيت وتبركنا بزيارة قببهم رضوان الله عليهم ، تغلغلت بين القبور المجاورة فرأيت حفاراً قبليّ القبتين المنسوبتين لام حبيبة بنت أبي سفيان ولام سلمة من أزواج الرسول (ص) ، فسألته عن قبر

(1) Arab bureau.

معاوية فقال الحفني فلحقته وصاحباي على أثري الى أن بلغنا حجرة من اللبن مسقوفة بأعمدة من شجر الحور بابها الى الغرب ، وهي هنا واقعة قبلي المقبرة قريباً من مسلخ المدينة ، فأخرج الحفار مفتاحاً من الزنار وفتح الباب فدخلنا الحجرة فواجهنا قبراً على موضع الرأس منه عمامة خضراء من الحجر وفي واجهته الغربية حجران مكتوبان ، أعلاهما الواقع تحت العمامة بقدر دفة كتاب كبير نقش عليه في السطر الأعلى ما نصه : « قبر سيدنا معاوية رضي الله عنه » وتحته: « جدد هذا المقام صاحب الخيرات اونوى (كذا) الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥ » وهو محمد باشا العظمي وكان مولعاً باهداء الكتب والمصاحف الى المساجد ، والحجر الثاني من تحته قطعة يبلغ ارتفاعها الذراع من عمود من الحجر المزي الصلد به بعض شقوق وتحطيم زبر عليه ما نصه والسطر الأعلى لا يقرأ :

« هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

ثم خرجت من الحجرة وبحثت عن القبور المجاورة فشاهدت قبراً متصلا من جانبه الشمالي بجدار الحجرة الجنوبي وله شاهدتان قائمتان : الغربية منهما عليها خط كوفي تصعب على عجل قراءتها ، والشرقية أصلد حجراً منها وأوضح كتابة عليها ما نصه :

« هذا ضريح الفاضل الكبير والعلامة النحرير صاحب التآليف الجامعة والتصانيف النافعة ولي الله من غير ارتياب ومن الدعاء عند قبره مستجاب سيدنا الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي قدس سره العزيز سنة ٤٩٠ »

وهنالك قبور أخرى لعلماء مشهورين منهم في القرن السادس خطيب دمشق وامامها ومفتيها عبد الملك بن زيد التغلبي الدوامي من أئمة الشافعية المؤلفين توفي سنة ٥٩٨ للهجرة ، والى جانبه قبر أبي البيان محمد القرشي الدمشقي شيخ الطائفة البيانية كان شاعراً وإماماً في اللغة وفقيهاً مؤلفاً وزاهداً صاحب أحوال ذكره

ابن كثير في الطبقات توفي سنة ٥٩٠ ، الى قبور قديمة اخرى ٠

أما عبارة (خال المؤمنين) في شاهدة معاوية فلأن اخته السيدة ام حبيبة زوج النبي (ص) هي أم المؤمنين فهو خال المؤمنين ، وقد رجعنا من المقبرة مع الغروب الى منازلنا ، وأخبرت ثاني يوم صديقي مدير الآثار في دمشق الامير جعفر الحسني حفيد الامير عبد القادر الكبير وأنبأته باهتدائي إلى قبر معاوية والى ما حوله من القبور القديمة ، فسر لهذا النبأ الاثري التاريخي العظيم ونهض معي لزيارته فذهبنا وقت الزوال الى المقبرة ودخلنا الحجرة وشاهد الحجرين لان علماء الاثار لا يحفلون كثيراً بالاقوال الشائعة ما لم يروا أثراً ناطقاً ودليلاً صادقاً ، ثم أريته قبر الامام المقدسي الملاصق للحجرة وما حوله من القبور القديمة التي تبلغ بمجموعها نحو عشرة قبور فقرأنا الشواهد معاً ، وكان بعض التواريخ مدفوناً في الارض فكشف لنا الحفار عنها حتى قرأناها وكتبنا ما قرأناه ورجعنا أدراجنا ، ثم بحثنا في شذرات الذهب عن ترجمة نصر بن ابراهيم المقدسي فوجدنا له ترجمة عالية فقال لي مدير الآثار :

لو وجدنا في هذه الترجمة ذكراً لدفنه قرب معاوية لزال كل شك ، واذا كان من أئمة الشافعية راجعنا ترجمته في كتاب (تهذيب الاسماء والحلقات) للامام النووي ، فوجدناه لم يترجم لنصر غيره ، ورأيناه يجله الإجلال كله ويذكر انه من المرجحين في المذهب الشافعي وانه في كتابه (الحجة على من ترك المحجة) لم يذكر في المسائل التي قيل فيها قولان إلا قولاً واحداً رجحه ، وذكر ان الامام الغزالي أخذ عنه وانتفع بصحبته ، وانه سمع من الشيوخ يستجاب الدعاء عنده يوم السبت ، كما كتب على الشاهدة ، فدعوت لله والامير جعفر كثيراً لان زيارتنا له كانت يوم السبت ، ثم قال الامام النووي في تهذيبه [1] ما نصه :

« وقبره بباب الصغير بجنب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهم

(١) الجزء الثاني من القسم الاول ص ١٢٦ ٠

يكثر الناس زيارته والدعاء عنده » ، ولم يزل النساء يزرن قبره إلى يوم الناس هذا للتبرك به والدعاء عنده يتوارثن جيلاً بعد جيل معرفة قبره وما خصّ به من البركة ، وقد جهل جل الشيوخ حتى الشافعية منهم قبره ، كما جهل الناس بدمشق قبر معاوية إلا بعض الحفارين بباب الصغير والعجائز من النساء اللواتي يزرن قبر نصر المقدسي رحمه الله .

ولما قرأنا تنويه الامام النووي بدفن المقدسي بجنب قبر معاوية وليس بين القبرين غير نحو مترين قال مدير الآثار الأمير جعفر : الآن حصحص الحق، وهو دليلٌ علمي قاطع كما أن الحجرين على القبر دليل أثري نافع ، وفي دمشق قبران آخران منسوبان لمعاوية أحدهما في محلة الشرفاء من حارة النقاشات تحت قبة أيوبية العهد يقولون إنه قبر معاوية الكبير وقد زرته مرتين وليس في القبة ولا على القبر شيء من الكتابة ، وفي زقاق يعرف بزقاق معاوية قبر في زاوية قادرية فيها كثير من الطبول والمسابح والدفوف مغشى بالجوخ الأخضر ينسب لمعاوية الصغير ، وليس في هذه الزاوية أثر كتابي يدل على المدفون ، هذا هو الشائع اليوم بين جمهرة الشاميين ، وقد غرّ هذا الشائع الحافظ ابن طولون إذ يقول في كتابه بهجة الانام : « في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الأمارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام » فلعله يعني القبر المنسوب إلى معاوية الصغير ، وقد أجمع سائر المؤرخين أن معاوية مدفون بمقبرة باب الصغير ، منهم ابن عساكر في تاريخه والنووي في تهذيبه وابن الحوراني في رسالته « الاشارات إلى أماكن الزيارات » وكثيراً ما يترجمون مشاهير العلماء وينصون على انهم دفنوا قرب معاوية بباب الصغير كما فعل النعيمي في كتابه « الدارس في المدارس » في ترجمة الامام شمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ فقد قال ما نصه : « ودفن بباب الصغير بالقرب من معاوية رضي الله عنه » .

وخلاصة البحث والتنقيب أنه لا يشك أحد من المؤرخين أن أول ملوك العرب معاوية بن أبي سفيان توفي ودفن في دمشق ، وليس من شك أنه في

مقبرة باب الصغير ، وقد اطمأن قلب مدير الآثار العلامة وقلبي بما ذكرته من الدليلين الأثري والعلمي انه القبر الذي اهتديتُ اليه وقرأنا حجريه.

وفي اليوم الثالث خفّ معي لزيارته العلامة الدراكة وزير المعارف السيد عبد الرحمن الكيالي الذي نهض بمعارف الشام نهضة مأثورة مشكورة مع السيد عارف النكدي مدير العدل وعضو مجمعنا العلمي ، وفي اليوم الرابع بشرت صديقي الاديب البارع الكبير السيد خليل مردم بك عضو مجمعنا بذلك وكنا تعبنا معاً كثيراً في التنقيب عن قبره ، فذهبنا إلى باب الصغير وقبل دخول المقبرة دخلنا القبة الغورية القائمة في مدفن آل مردم ، وبجانبها قبتان مهدومتان فيها قبور يقال ان بها قبراً لمعاوية فلم نجد من الكتابة ما يدل على ذلك وإنما وجدنا كتابة تدل على دفن أمير شركسي يعرف باسم بهادر المالكي الناصري ، ثم سرنا إلى قبر معاوية زرناه وجاره المقدسي وما حولها من قبور العلماء والصالحين فجزم مثلنا بأن القبر الصحيح الذي اهتديت بأخرة اليه هو قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عز الدين التنوخي



المصاب العام، بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا

١٢٨٢ – ١٣٥٤هـ

-٢-

انكاره على رجال الدولة والحكام

أوتي السيد الفقيد من نور البصيرة ، وسعة العلم ، وشجاعة القلب ، وظهور الحجة ، وقوة اللسن ، ما لم يؤته إلا الأقلون في كل عصر ، وقد كان رحمه الله سريع الخاطر ، حر البديهة ، قوي الجواب ، مفحماً ملزماً فيه ، لا يبالي في سبيل الحق سطوة حاكم ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وانكاره على الملوك ، والامراء ، ورؤساء الحكومات ، ورجال الدول والامم ، أمر مشهور يعرفه كل من اطلع على مناره وقرأ مقالاته ومناظراته فيه .

واذا كان الله تعالى أعطى الولاية بشطريها — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — للرجال والنساء على السواء فقال : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وكان النساء في صدر الاسلام يعلمن هذا ويعملن به ، فقد سمعت امرأة من قريش أمير المؤمنين عمر الفاروق يخطب على منبر النبي (ص) ويمنع أن تزيد مهور النساء على أربعمائة درهم ،

فاحتجت عليه بقوله تعالى : « وآتيتم احداهن قنطاراً » فقال اللهم غفراً ، كلُّ الناس أفقه من عمر .

قلنا إذا كانت النساء ترد على الخلفاء في ذلك العهد عملاً بهذه الآية الكريمة فهل يستكثر على صاحب المنار وهو امام في الدين والعلم أن ينكر على ملوك عصرنا فمن دونهم من الحكام ؟؟

كان له في صباه رحمه الله مع رجال العهد العثماني مواقف دلت على ثبات جنانه ، وقوة ايمانه ، وشدة صدقه وإخلاصه . فمن ذلك أن أول خطاب عام ألقاه في طرابلس الشام ، بحضور المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام (حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره) والعلماء وجميع رؤساء الحكومة وسائر الوجهاء :

شبه في خطابه الامة بالفرد منها ، والجماعات العاملة للمصلحة العامة فيها — ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقال : إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام ، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبه العاطلين الذين لا يعملون عملا نافعاً لأمتهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقوله : « ولا التفات إلى سفهاء الاحلام ، المتكبرين بالأوهام ، الذين يحتقرون الزراع والصناع ، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون ! » .

وقد خشي عليه استاذه الجسر من ذلك الخطاب الجريء ، ومن الحرية المفرطة التي ظهرت فيه ، في بلاد مستعبدة لا تملك حق القول للمصلحة العامة ، بله العمل !! ولكن المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية ، وقد أثنى على الفقيد وقال : إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ! وقد ذكر في كتاب المنار والأزهر أمثلة كثيرة لجرأته وشجاعته رحمه الله .

اصلاحه في موطنه قبل هجرته الى مصر

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر إصلاح العامة مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فإن إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الامور لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى انه أدنى إلى اقناعهم ، وقد كان رسول الله (ص) ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول : كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فالمذكر أو الواعظ أو المرشد هو كما وصفه بعض الاجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، مائس لسامعيه بما يلائمهم من الاحكام ، بل هو العامل الاكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه إذ ليس مسؤولا عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وامته » . أقول من لاحظ هذه الأوصاف ، وعرف ما قام بة الفقيد العظيم من الاعمال ، وجدها منطبقة عليه تمام الانطباق واليك عمله في بلده :

بعد أن نال المترجم شهادة العالمية في مدينة طرابلس الشام ، عاد الى بلده القلمون ، وأخذ يقرأ درساً في المسجد يعظ الناس ويذكرهم فيه ، ويذهب الى مقهى لهم يجلسون فيه فيجمعهم ويخطبهم ، وكان فيهم أفراد تاركون للصلاة فاستتابهم ، وجعل للنساء درساً خاصاً في دارهم القديمة ، وألزمهن تغيير زيهن بما

هو أستر وأطهر ، فصرن يحافظن على الصلوات الخمس ، وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن ، وأما نساء اسرته المباركة (بيت المشايخ) فكن كلهن يصلين على معرفة ، اذ كن متفقهات في دينهن محتجبات كأهل المدن في زيهن ، متفوقات في تدينهن وأدبهن ، فكان يقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو المواعظ . وجملة القول : انه رحمه الله جدد عهداً في القلمون بالدعوة الاسلامية التي عمت الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهكذا فليكن العالم المرشد .

يذكر الفقيد أن المعلم الاول الذي كان له أكبر التأثير في دينه وأخلاقه وعلمه وعمله هو إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي ، فهو من بعد أن طالعه كله لنفسه ، وأكثر من مراجعة بعض فصوله وأبوابه ، صار يقرأه درساً للناس في المسجد ويعظهم به ؛ والحق أن الإحياء هو كتاب وعظ وإرشاد ، يبحث في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فيعلم العقول ، ويربي النفوس ، ويغذيها بلبان الحقائق ، ويحليها بالاخلاق الطاهرة ؛ ولا يكاد يوجد بين أيدي الواعظين كتاب من كتب الدين صالح لوعظ العوام من كل وجه ، كافل بما يحتاجون اليه من المسائل الدينية ، والشؤون المعاشية ، مثل هذا الكتاب (على شرط تجريده من الزوائد) فهو يذكر الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة في المباحث المعقودة في الباب ، ويردفها ببسط المراد من تلك الآيات والاحاديث ، ثم يذكر مراميها ، وحكم الأحكام وأسرارها ولطائفها ، ويضرب للناس الأمثال من سير بعض مشاهير الرجال وأخلاقهم . وقد كان شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله يقول : « ان من أنفع ما يقتبس منه موعظة المؤمنين ، مواضيع تنتخب من إحياء علوم الدين » . ثم اتفق أن تذاكر مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - أيام كان في ضيافته بمصر هو وصديقه الاكبر الاستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار عام (١٣٢١) واستطلع رأيه في هذا الموضوع ، فقال الاستاذ المفتي متأسفاً : « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه ،

إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تجريده » فعد استاذنا القاسمي ذلك من بدائع الموافقات ، واختصره في مجلد واحد سماه (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) فمن قرأه وجد موعظته حسنة ، ودعوته حكيمة ، وحجته واضحة ، وتأثيره كبيراً .

دخول شعر الفقيد وكتابته في طور جديد

نشأ الفقيد مولعاً بمطالعة كتب التصوف والادب ، ونظم الشعر في سن الحداثة ، وكان يحفظ الجيد منه ، ويميز بالسليقة بين الموزون وغيره ، وقد رثى شيوخه في علم الدين ، وأصدقاء والده وأسرته ، ومن أجلهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه ، والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، والمرشد الاكبر الشيخ أبي المحاسن محمد القاوقجي ، ولم يرث من وجهاء الدنيا إلا الامير أحمد حسان الايوبي ، صديق والده وأكبر وجهاء الكورة في جبل لبنان ، فقد نظم فيه مرثية دالية اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قال في مطامها[1] :

إن المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهد للاولاد!
والله قد برأ الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الالحاد
والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قال بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ، ومضارهما وقبيح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذ عن ناموسه فرد من الافراد
أم ذاك مما أوجبته شرائع الأديان من هدي لنا ورشاد ؟
أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصفاد ؟
كلا فليس الامر ضربة لازب لكنه ضرب من المعتاد
فاخلع سرابيل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات سداد

(١) المنار والازهر .

ونقلد الحزم الشريف كصارم ... كيما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ... ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنا ... طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ ... بالاعتبار به والاستعداد

أقول : إن حزن القلوب وسكب الدموع على الاهل والمحبين أمر طبيعي لا يكاد يشذ عنه فرد من الافراد ، وفي الحديث « ان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن » وان السيد الامام كان أشد الناس فجيعة بفقد استاذه الامام (رحمهما الله تعالى) وإنما غرضه ان هذه القوافل التي ترحل عن هذه المنازل هي أسمى من أن تزول في التراب زوال الهشيم من النبات ، وإن هذه الارض ليست دار إقامة دائمة ، ولكنها ميدان واسع المدى مثنائي الاطراف أوجده الحكيم المبدع وجعل ما على وجهه زينة له ، ثم سخره للسلائل البشرية ودفعهم للعمل فيه ومكنهم من ذلك بما أودع فيهم من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم هو ينشئهم النشأة الآخرة فيجازيهم بما كانوا يعملون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ؟ « أيحسب الانسان أن يترك سدى » ؟ وهذا هو معنى قوله :

بل آخر الطرفين خيرهما فخذ ... بالاعتبار به والاستعداد

ثم انه بعد اطلاعه على شؤون الاجتماع ، وسياسة العصر ، وبتأثير مجالس المرحوم والده مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحبة استاذه العلامة الشيخ حسين الجسر ، ومطالعة المجلات العلمية كالمقتطف والطبيب ، مالت نفسه لإدخال المعاني العصرية في الشعر ، فكان مما نظمه في ذلك القصيدة التي سميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشر أبياتاً منها في المجلد الاول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطب بها السيد جمال الدين الافغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ، ثم نشرها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتب بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمه من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوه وزميله في طلب العلم ، ومذاكرات الادب ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أن ينظم مقصورة يهنئه فيها بزفافه ، فنظم مائة بيت ونيف ، ثم بدا له أن يتمها في معارضته الدريدية بإبداعها معاني كثيرة في فلسفة هذا العصر ، وفنون الادب والاجتماع المناسبة له، ولا سيما الاصلاح الاسلامي الذي وقف كل حياته على السعي له ، ثم هاجر الى مصر لأجله[1].

يتبع: محمد بهجة البيطار



(١) المنار والازهر (ص ١٨٤)

آراء وأخبار

هدية كريمة لمخطوطات قديمة

امتازت دار الكتب الظاهرية على سائر دور الكتب المعروفة بنوادر مخطوطاتها القديمة في الحديث خاصة ، وبعضها بخطوط مؤلفيها ، والمخطوطة المخدومة تحتفظ بقيمتها العلمية وإن طبعت ، لأنها تعين على تصحيح اخواتها في البلدان الاخرى قبل طبعها : إما بمعارضتهن عليها أو على نسخ خطية أو شمسية عنها ؛ وكثيراً ما يضطر العلماء الباحثون أو الطلاب الدارسون إلى مقابلة المطبوعة بالمخطوطة ، ولا سيما أن أكثر ما طبع في الشرق للتجارة كان طبعه بعيداً عن الضبط والاتقان ، فهو في حاجة حاقة الى المعارضة ليتمكن القارئ من فهم النصوص ، وجل ما طبع كالعقد الفريد وزهر الآداب ووفيات الأعيان وغيرها لا يزال في حاجة إلى إعادة طبعه لكثرة ما يشوب هذه المطبوعات من التصحيف والتحريف .

من أجل ذلك كانت هدايا المخطوطات أسنى قيمة وأجل خطراً من المطبوعات ، ومن هذه الهدايا النفيسة للمخطوطات هدية كريمة لعضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار تشتمل على أربعة وعشرين مجلداً مخطوطاً كتبت في القرنين السابع والثامن : منها ١٧ مجلداً من صحيح البخاري ، وفي آخر بعضها سماعات للشيوخ وقراءات مفيدة ، ويتحلى بعضها بما فيه من العلائم الدالة على الإتقان كعلامة الحموي وعلامة المستملي وعلامة مجموعهما وعلامة

أبي الهيثم، وبقية المجلدات في الفقه والأصول والكلام، وفي بعضها حواش وتعليقات كثيرة، فجزى الله الاستاذ البيطار رافع راية السلفية في هذه الديار عن السلف والخلف خيراً، ومن الحق وعرفان الجميل أن ننشر جريدة بأسماء كتب هديته الكريمة إلى دار الكتب الظاهرية وفي نشرها فوائد للعلماء والباحثين وهي :

١ - الجزء الأول من صحيح البخاري مشكول كله وعليه تعليقات مفيدة آخره : باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله إلى قوله : كمل الجزء الاول من صحيح البخاري (ولم يعلم تاريخ نسخه) .

٢- نسخة ثانية كتب في أولها : الجزء الاول من صحيح البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره كتاب الهبة وهو مخروم من آخره .

٣- جزء كبير جداً وفيه كراريس كثيرة شتى تحتاج إلى جمع وترتيب وفي آخره سماعات الشيوخ وكتب في القرن الثامن .

٤- الجزء الاول من صحيح البخاري كتب على جلده : بينه وبين ما بعده نقص نحو كراس وعليه سماع في القرن الثامن .

٥- الجزء الثالث (كتاب) الهبة مخروم من آخره.

٦- الجزء الثالث أيضاً أوله اقتربت بسم الله الرحمن الرحيم قال : مجاهد : مستمر : ذاهب وآخره : سورة الأنبياء عليهم السلام وهو مخروم من أوله وآخره.

٧- الجزء الرابع من الصحيح مكتوب في أوله النصف الثاني من الربع الثاني كتب في آخره : آخر الجزء الثاني أنجزه كتابة محمد بن علي بن محمد يعرف بالحمامي رحمه الله وكان ذلك يوم الاربعاء خامس وعشرين وثمان مائة للهجرة النبوية .

٨- الجزء الثاني وأوله : باب القراءة في المغرب وآخره : باب غسل الخلوق وهو بخط محمد بن علي الحمامي المتقدم في ٢٥ شوال سنة ٨١٩ هـ. وهو مقروء على الشيوخ ومضبوط بالشكل .

٩- الجزء الخامس أوله قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم: وأقيموا الوزن.

بالقسط» و كتب في آخره : يتلوه إن شاء الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب الدعوات وذلك في شهور سنة ٨٦٣ . وفي آخره الحمد لله : بلغ الشيخ كمال الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح أعزه الله تعالى قراءة في شهر ربيع الاول سنة ٨٩٦ بمدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى .

١٠ــ الجزء السادس من الجامع الصحيح . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب سورة المائدة . آخره باب قول الرجل لصاحبه هل أعرستم الليلة ؟ الخ . وكان الفراغ منه على يد الفقير المعترف بالتقصير يوسف بن محمد بن أحمد بن الصيداوي ولم يؤرخ وكتب : يتلوه في السابع كتاب الطلاق .

١١ــ الجزء السادس أيضاً أوله بسم الله الرحمن الرحيم باب مناقب عمار آخره : يتلوه كتاب التفسير بخط ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي البردعي. وهي نسخة مصححة وعليها سماعات وقراءات .

١٢ــ الجزء السابع وقف الفقير أبو بكر بن سعيد الطرابلسي . أوله كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسميت ام الكتاب لانه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وآخره : باب من لم يستطع الباءة فليصم ويتلوه باب كثرة النساء . وفي ذيله : الحمد لله بلغ صاحبه شمس الدين أبو عبدالله محمد بن شرف الدين سعيد ابن السقا الطرابلسي نزيل دمشق أعزه الله قراءة في مجالس آخرها سنة أربعين وثمانمائة .

١٣ــ الظاهر أنه الجزء السادس وكتب في أول (ص) منه تاسع التاسع وأوله كتاب الدعوات . وقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . وآخره : باب الرجم بالمصلى : آخر ج ٩ يتلوه باب من أصاب ذنباً دون الحد وهو بخط البردعي المقيم بدمشق الرملي .

١٤ــ الجزء التاسع من صحيح البخاري وقف أحمد بن يحيى النجدي والمحل مدرسة أبي عمر في الصالحية . أوله : باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وآخره : باب المتعة التي لم يفرض لها . ويتلوه (كتاب النفقات) نهار الجمعة سابع عشر شوال سنة ٨٣١ .

١٥ — الجزء العاشر أوله : باب من أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الامام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتياً الخ .. على يد ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي المقيم يومئذ بدمشق المحروسة ٢٦ شعبان سنة ٨٣٣ . آخره باب قول الله تعالى وتضع الموازين الى قوله . ص : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . آخر ج العاشر على يد ابراهيم الرملي سنة ٨٣٣ بلغ سماع الشيخ الطرابلسي أبو عبدالله محمد بن الشيخ سعيد الطرابلسي .

بالقطع الوسط

١٦— الجزآن الثاني عشر من كتاب الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب قصة فاطمة بنت قيس . وفي آخره : بلغ مقابلة ولله الحمد والمنة . وقد فرغ من نسخه يوسف ابن محمد الحنفي الصالحي بدمشق بكرة الثلثا عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٩٨ .

١٧— جزء من البخاري بقطع الوسط أوله كتاب الاستئذان باب بدء السلام وفي أوله ما يأتي :

حـ	سـ	هـ
علامة أبي الهيثم	علامة مجموعهما	علامة المستملي	علامة الحموي

وقف المرحوم الشيخ حسن بن خادم الجديتي على مدرسة شيخ الاسلام أبي عمر بالصالحية قدس الله روحه . وفي آخره : كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها الخ . آخر المجلد الثاني من صحيح البخاري يتلوه في أول الثالث : باب من استوهب من أصحابه شيئاً . وكتب في آخر صفحة : بلغ وما قبله مقابلة متقنة محررة حسب الجهد والطاقة على نسخة الجامع الاموي المعروفة بنسخة الشيخ عماد الدين بن السراج على يد أفقر عباد الله الى رحمته ومغفرته محمد بن زكريا الحواري .

١٨ — شرح المنهج للقاضي زكريا . مجلد ضخم بالقطع الوسط مخروم

آخره وعليه حواشٍ وتعليقات كثيرة .

١٩ — كتاب تنوير الابصار وجامع البحار تأليف الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين بن تمرتاش الحنفي كتب بعد الألف (عقيدة الغيب) .

٢٠ — جمع الجوامع وشرحه للمحلي في الاصول كتب بعد الألف .

٢١ — الوقاية لصدر الشريعة .

٢٢ — شرح السنوسية ٢٣ — شرح الجوهرة ٢٤ — حاشية الخيالي على العقائد .

حول تاريخ دمشق لابن عساكر

سأل الكتبي المعروف بدمشق الاستاذ أحمد عبيد المستشرق الكبير سالم الكرنكوي السؤال الآتي :

هل في المتحفة البريطانية نسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر تكمل الخرم الذي وقع في النسخة المحفوظة في الظاهرية ؟ فأجابه بما نصه :

انه ليست في بلادنا نسخة من هذا الجزء ، ولكني أعلم أنه في خزائن الاستانة عدة نسخ وهي هذه :

١ — في خزانة عاطف أفندي رقم ١٨١٥ وهي المجلد الرابع من نسخة كاملة في ٧ مجلدات كتبت سنة ١١٥٥ تشتمل على ٦٥٤ ورقة ، والترجمة الاولى : أبو بكر عبدالله بن بشر والاخيرة ترجمة عبيدة بن أشعب .

٢ — خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٦ وهي المجلد الخامس من ١١ مجلداً كتبت سنة ١١٠٤ تبتدئ بترجمة عاصم بن عبدالله الى عبدالله بن محمد بن وداد .

٣ — خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٧ المجلد السادس من ترجمة عبدالله بن محمد بن سعيد الى ترجمة عبيد بن أحمد بن عبيد .

٤– طوب قابوسراي في ١٢ مجلداً رقم ٣٨٨٧ (المجلدات كلها تحت رقم واحد:
ج٥ من ترجمة شيبان بن الحارث الى ترجمة عبدالله بن العباس بن هاشم ٤٨٦ ورقة
ج٦ من ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد الى ترجمة عبدالرحمن بن عمر الـ ٤٤١ ورقة
ج٧ من ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن المثنى الى ترجمة عدي بن حاتم الجواد ٤٧١
ورقة · لا تاريخ لكتابة هذه المجلدات ، وقد وجد فيها خط مالكها في سنة ١١١٥ ·

لو كتبتم الى الاستاذ ريتر لا أشك بأنه يخبركم عن اجود نسخة إذ ليس لي معرفة أي النسخ أجود ، ولكن يسبق إلى ظني أن النسخة المحفوظة في السراي تفوق الاخريين ، ويمكن ان الاستاذ ريتر يحصل على أخذ تصاوير شمسية للتراجم التي سقطت عن النسخة الظاهرية لأني حصلت بواسطته الفوطوغرافات عن عدة كتب كبار لتطبع بعد التهذيب بمطبعة دائرة المعارف الواقعة في حيدر آباد من بلاد الهند ·

أما النسخ الموجودة في لندرة فقد نشرت بيان ذلك في مجلة المجمع العلمي منذ سنين وفي المتحفة البريطانية رقم ٥٣٨٩٧٣ نسخة في غاية الجودة بقلم المؤرخ الشهير محمد يوسف البرازلي بخط أندلسي كتبها في دمشق سنة ٦١٤ تبتدئ بترجمة عبد الواحد زيد الى ترجمة عبيدة بن أشعب ·

ونسخة ثانية بقلم القاسم ابن المؤلف رقم ٩٠٥٣ قد نزع الخائن الذي سرق هذه النسخة من إحدى خزائن دمشق الورقة الاولى وهي من ترجمة لبطة ابن الفرزدق الى ترجمة محمد بن ادريس الشافعي الامام وهي صعبة القراءة لرداءة خط القاسم ، وفيها في الاول كل جزء سماع العلماء بينهم البرازلي المذكور ·

نسخة ثالثة قديمة رقم ٩٣٦٠ من ترجمة سعيد بن عطية الى ترجمة سماك ابن الاحوص · وهذا المجلد مطبوع ·

نسخة رابعة رقم ٣٣٢٥٠ من ترجمة أبي مجلز لاحق بن حميد الى ترجمة يزيد ابن الأدم وهو يزيد بن عمرو كتبت سنة ··· وسبعمائة ·

نسخة خامسة رقم ٧٣٤٨ من ترجمة عمر بن الخطاب الى ترجمة عمرو بن بحر الجاحظ ثم نسختان رديئتان في عنوان الاولى ···الجزء الاول (كذا) من

تاريخ ابن عساكر ، ولكن هي من أواخر التأليف إذ فيها الكنى والالقاب، والثانية تبتدئ بترجمة الفرزدق الشاعر المشهور ولكن الكاتب الجاهل كتب فرودق بالواو كما ترى ، والترجمة الاخيرة ترجمة حواء أم البشر، ولا فائدة في النظر إلى هاتين النسختين لكثرة الاغلاط فيهما ...

خريجو الزراعة في مصر

من أخبار مصر أن مصلحة الاملاك الاميرية انتهت في هذا الشهر من بحث مشروع إقطاع الأراضي الزراعية في مصر لخريجي كليات الزراعة والمدارس الزراعية المتوسطة ، ويقضي هذا المشروع المفيد بإعطاء خريج كلية الزراعة ٦٠ فداناً ، وخريج الزراعة المتوسطة ٤٠ فداناً بشروط سهلة على أن تؤدى أثمان الأرضين في آجال طويلة .

ولعل هذا المشروع من أنفع المشاريع الزراعية وأتمها بركة على الأرض وزارعيها ، ولا سيما العارفين بأصول زراعتها وإنباتها ، ويظهر أن رجال الزراعة في مصر والشام مبتلون بمرض واحد ، وهو أن لا يملكوا من الأرض شيئاً ، فيضطرون الى هجر الارض والاتجاه إلى المدن طلباً لوظائف الحكومة، وقد يوجد اليوم في دمشق وأعمالها زمرة صالحة من علماء الزراعة ، وجلهم من الموظفين الذين قد تجد الجمهورية السورية من يخلفهم في وظائفهم ، ولكنها لا تجد من يقوم مقامهم في إحياء موات الارض وإنعاش الزراعة في بلادها ، فعسى ان تحذو حكومتنا الشامية حذو الحكومة المصرية فتقطع خريجي المدارس الزراعية فيها مقداراً كافياً من أملاك الدولة ، تستوفي في آجال طويلة أثمانها ، وتنتفع حين تزرع وتغرس بما تجمعه من ضرائبها ، فتجني من جناها ، وتغنى بغناها .

مطبوعات حديثة

ابن عبد ربه وعقده (1)

بقلم جبرائيل سليمان جبور

يقع في ١٦٤ صفحة طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

كتاب جيد الطبع على ورق صقيل قسمه مؤلفه الفاضل أقساماً خمسة :
تكلم في الاول منها (١ـ٩) على مصادر الدرس الثلاثة في العقد الفريد نفسه وشعر ابن عبد ربه ثم ما كتبه المؤرخون عنه . وقصر القسم الثاني (ص ٩ـ ٢٩) على حياة ابن عبد ربه فوفاها من الإسهاب والتحقيق ما أسعفت به المصادر المتيسرة للمؤلف . ثم بحث في القسم الثالث (ص ٢٩ـ ١١٧) عن كتاب العقد فحلله فأحسن تحليله وذكر المصادر التي استقى منها مؤلفه وتعرض لقيمته من حيث التاريخ والدين والادب وأهم التحقيقات في هذا القسم ما تعلق بتسميته (العقد الفريد) وما دس في الكتاب على مؤلفه أو زيد بعد موته . ووقف القسم الرابع (ص ١١٧ـ ١٢٣) على نثر ابن عبد ربه ، والقسم الخامس (١٢٣ـ١٥٣) على شعره في مختلف الفنون . وختم الكتاب بفهرس منظم للاعلام الواردة فيه .

هذا وصف مجمل لبحوث الكتاب وسأشرع في الكلام على ما يلاحظ عليه بإجمال متبعاً ترتيب الصفحات :

١ـ استدل المؤلف (ص ١٨ وما قبلها) على أن صاحب العقد «كان يشرب الخمر ويحبها ويدعو اليها» بأشعار له في ذكر الخمر وصفتها والثناء عليها . ونريد هنا أن

(١) المجلة : كان هذا الكتاب قد أرسل للمجمع للتقريظ وقد عثرنا عليه اخيراً فلم نغفله من تقريظ ولو متأخراً .

ننبه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم • فمن لوازم الشعر صفة النساء والخمر وإنا نخطيء كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمدح بالشجاعة وعفة النفس • والبون شاسع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم منذ الجاهلية حتى اليوم والذي يثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر مأثور أو رواية مشهورة •

٢ — ليس للمؤلف أن يأخذ برواية (Ribera) (ص٢٢) ما لم يعلم المصدر الذي استند إليه فكثيراً ما يكون نصيب خطرات النفس وجمحات الخيال أكثر من نصيب الحقيقة فيما يكتب أهل الغرب عن الشرق •

٣— زعم المؤلف (ص٥٣) ان ابن عبد ربه « لم يستطع أن يتجرد من بعض النزعات والميول ولم يتجنب كثيراً من الأغلاط التي ارتكبها غيره » وأرسل حكمه هذا مجرداً عن الشاهد فلم يذكر شيئاً من النزعات التي سيطرت عليه ولم يلم بشيء من الاغلاط الكثيرة التي ارتكبها • والمؤرخ لا يرسل حكماً غفلاً من الشاهد والدليل •

٤— عقد فصلا بعنوان « نظره كمسلم الى النصارى في الاندلس ص٧٥» فقرأناه فإذا به لا يتعلق بالنصارى ولكن بالفرنج (الاسبان) أعداء الدولة العربية فوصف الفرنج بالنصارى يصرف الذهن إلى أشياء لم يردها المؤلف • وإنما يرد على الخاطر حين تلاوة هذا العنوان الذميون الذين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وكنا نود أن يكون المؤلف دقيقاً في وضع الكلمة مواضعها •

٥— عرض المؤلف ص ٨٠ للقصة التي كانت بين صاحب العقد والقلفاط الشاعر واحتشم عن روايتها فقال « نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ ••• وليس بلائق أن نذكر هنا هذه القصص » ونأخذ عليه أمرين أما الأول فانه لم يسكت عن ذكرها وأتى العمل الذي رآه غير لائق حين ذكر البيت :

يا غرس أحمد إني مزمع سفراً فودعيني سراً من أبي عمرا !

ثم دل القارئ على المصدر حيث يرى القصة بتفاصيلها فلم نستفد شيئاً من هذه المظاهرة الورعة ! إلا تشويق القارئ إلى معرفتها فلو رواها كان الخطب أيسر • وأما الثاني فهو ان الامانة تقضي على من يتصدى لشرح ناحية من تاريخ الادب

أن يؤدي الاشياء على حقائقها التي هي عليها لأنه مؤرخ لا رجل تقاليد ورياء .

٦ — قال ص٨٤ : « إن ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد أم لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه ..الخ » وظاهر أن المؤلف فهم من معنى معارضة الشعر : الانتقاد وليس كذلك وإنما المعارضة أن يجري الشاعر مع شاعر آخر في وزن قصيدته ورويها وموضوعها . وهي شائعة معروفة .

٧— استدل المؤلف من عدم ذكر توقيعات لأحد بعد المأمون على « أن الذي دس في المواضع السابقة قد فاته الدس هنا . وإن وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحملنا على الظن أن أكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دست على ابن عبد ربه الخ » ولا يرد هذا كله لأنه من المعروف أنه ليس لأحد بعد المأمون توقيع يؤثر ويروى لضعف ملكات الخلفاء بعده وقلة بضاعتهم من علوم العربية .

٨— وازن بين نثر ابن قتيبة ونثر ابن عبد ربه وذكر نماذج ثم ذهب إلى تفضيل الثاني على الأول ص ١١٩ . والذي نراه نحن أن الامر على العكس وإن النماذج نفسها التي أوردها لا تؤيد رأيه . ويرد الامر في ذلك إلى الذوق والملكة ولكل امرئ منهما ما رزق .

٩— في الكتاب تطويل كان يحسن أن يتجرد منه . فالفصل الذي عقده لتشيع ابن عبد ربه والذي ملأ عشر صفحات (ص ٦٠ — ٧٠) لا محصل له ، وهو غير وارد: لأن للتشيع مفهوماً اصطلاحياً لا يتحقق منه شيء في صاحب العقد ولا يشارك الشيعة في شيء من عقائدهم ولا تبرئهم من بعض الصحابة وكل ما في الأمر أنه يحب آل البيت ويشيد بذكرهم ومناقبهم الصحيحة وهذا يشاركه فيه كل مسلم والغريب أن المؤلف نفسه بعد أن يسود هذه الصفحات العشر يشعر بما قدمنا فيختم فصله بهذه الجملة : « ولعل تشيع ابن عبد ربه من النوع المعروف (بالتشيع الحسن) » .

وكذلك الامر في فصل « نزعته المغربية ص ٧٢— ٧٥ » فكان من الخير أن يطويه برمته إذ لا نزعة مغربية عند صاحب العقد كما قرر المؤلف نفسه .

ويلحق بما تقدم فصل (نظره كمولى الى العرب ص ٧٧ — ٨٠) الذي حشر فيه المؤلف شبه شواهد لا تدل على شيء أبداً نقلها ابن عبد ربه وتكاد تكون في كل كتاب أدب وخاصة قصة الفقهاء الموالى فإن روايتها لا تدل على شيء في نفس ابن عبد ربه . والمؤلف نفسه يعترف بأنه لا يستطيع أن يجزم لأن صاحب العقد ناقل راوٍ ليس إلا . ففيم هذا التطويل اذن ؟

وهناك عدا هذه الفصول التي يجب حذفها تطويلات اخر نذكر منها مثالين : الاول : أن حاشيته على كلمة الصاحب « هذه بضاعتنا ردت الينا » من التكلف الذي لا داعي له إلا حب الاطالة فليس من فائدة للقارئ في رجوعه الى سورة يوسف . والثاني انه أعاد رواية واحدة لابن خلكان مرتين في عشرة أسطر ص (١٢٥) .

١٠ — كنا نحب للمؤلف أن يعرض كتابه على استاذ بصير يصلح له لغته ، وإليك نماذج من غلطات الكتاب :

ص	الخطأ	الصواب
١	الشهير	المشهور
١،٣٦،٥٠،٤٤،٢	بالاخص	خصوصاً
١	بالأخيرة	بالأخير
»	قدميتها	قدمها (لالزوم للنسبة وإن كانت غير خطأ)
»	أثرت على	أثرت في
٢،٤٢،٥٠	كما وأن	كما أن
٣	كلاهما قد استقيا	كلاهما قد استقى
»	لاسيما وقد	وقد (لاسيما لا يجوز أن تأتي بعدها الواو)
٤	لاسيما ونحن	ونحن
٤	وبالتالي لا نعلم	ولا نعلم
١٠،١١	عائلة	أسرة
١١،٢٠	عاصر	أدرك

ص	الخطأ	الصواب
١٥	وقتاً لا بأس به	وقتاً كافياً أو صالحاً
«	المرجح عندنا نعم	المرجح عندنا انه كاد يشربها (لا يقع الحرف خبراً)
٣٦	دور	لعلها درر
٤٣	يخطأه	يخطئه
٤٦	وغيرها	وغيرهما
٥٠	امتاز عن	تفرد (أوناق على)
٥١	عدا عما	عدا ما

ص	خطأ	صواب
٨٨	بني هاشم	بني العباس
٩٥	أمتع لك	أمتع بك
١١٤	فهل لاي من هاتيه	فهل لاحدى هاتين
١٢٤	وما أنا	وها أناذا
«	وها أمامي صفحة	وها هي ذي أمامي صفحة
١٣٦	يحيطها	يحيط بها
١٤٣	(إنه) ذانفس	ذو نفس الخ .

وقد تجتمع الخمس من هذه الغلطات في بعض صفحة وتكون اثنتان في السطر الواحد ...

١١— فنتمنى أن يعاد طبع الكتاب وأن يزيدنا المؤلف بياناً عن ميزات الطبعات المختلفة للعقد كما اننا نلفت نظره الى ان صاحب العقد كثيراً ما يقول وفي كتاب للهند ثم ينقل نصوصاً هي في كليلة ودمنة التي بايدي الناس اليوم . انظر على سبيل المثال : (١ : ٣٧) ، (٢ : ٣١) ، (٢ : ٤٣) الخ [1] وهي مسألة جديرة بالدرس والبحث .

١٢— عرضت أكثر ملاحظاتي لان الموضوع هام والكتاب نفيس مفيد والجهود المبذولة في تأليفه كبيرة مع اني كنت أود لو تريث في طبعه وتروى أكثر وأنا أرجو للكتاب الرواج وللمؤلف الفاضل اطراد النجاح وأن يتدارك هذه العيوب في طبعة ثانية إن شاء الله .

سعيد الافغاني



(١) العقد الفريد : المطبعة الازهرية ، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ .

الفهرس الابجدي العام للمجلد الخامس عشر

صفحة

﴿ حرف الحاء ﴾

﴿ حرف الخاء ﴾

﴿ حرف الدال ﴾

﴿ حرف الراء ﴾

﴿ حرف السين ﴾

﴿ حرف الصاد ﴾

﴿ حرف الطاء ﴾

﴿ حرف العين ﴾

صفحة

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

صفحة

